

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار

الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة

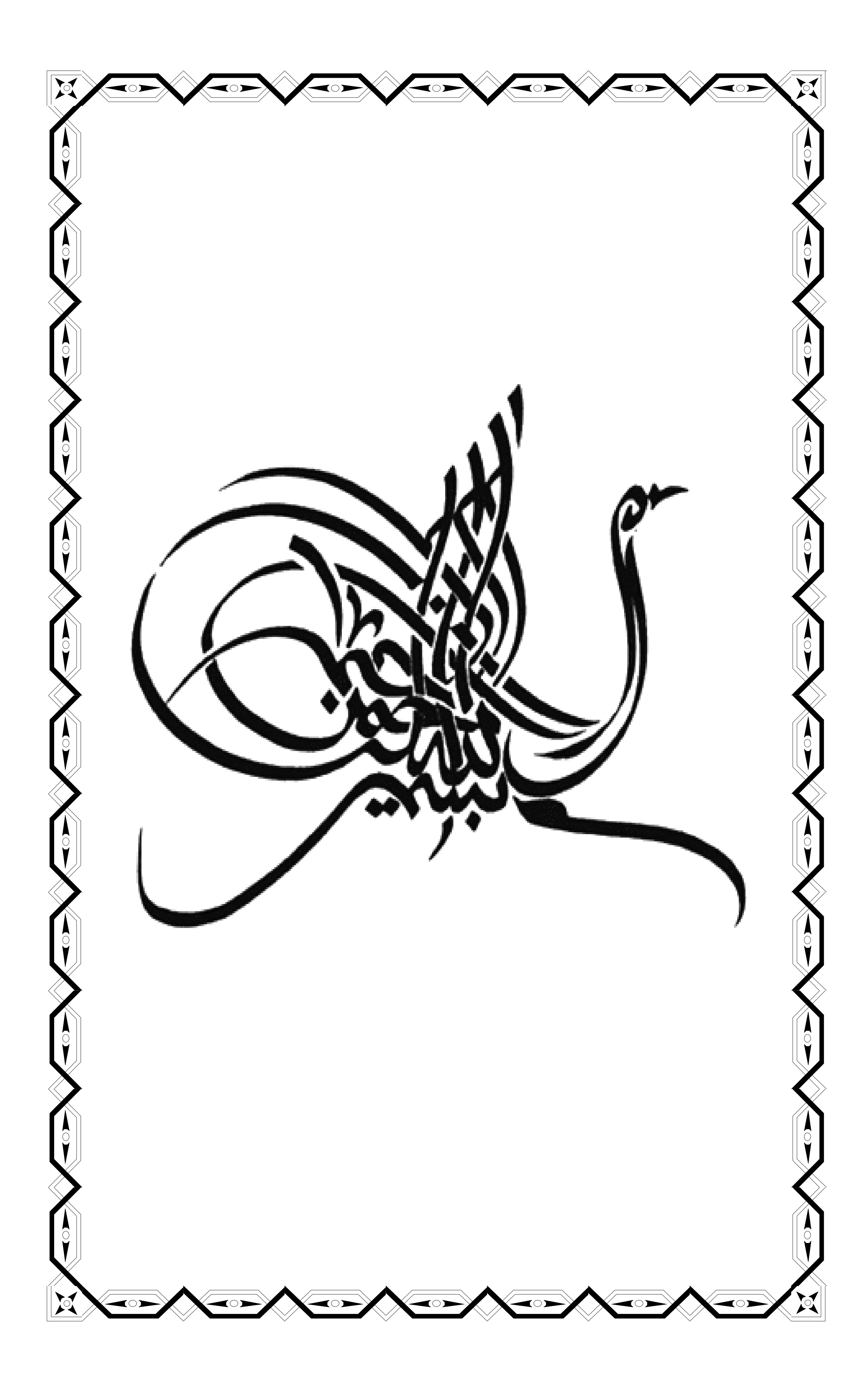
تحت إشراف: أ.د بوعزم عبد القادر

من إعداد الطالبة: صندوق ستي

لجنـة المنـاقشة:

أ.د(ة) العقون أم الخير	أستاذة التعليم العالي	جامعة وهران1	رئيسا
أ.د بوعزم عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران1	مقررا
أ.د رحماني بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	مناقشا
د. بن عبد المؤمن محمد	أستاذ محاضر-أ-	جامعة وهران1	مناقشا
د.(ة) مقرانطة بختة	أستاذة محاضرة-أ-	جامعة معسكر	مناقشا
د. بن علال رضا	أستاذ محاضر-أ-	جامعة الجزائر2	مناقشا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م


بسم الله الرحمن الرحيم



شكـــر وتقــــدير

﴿ ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدّي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصّالحين﴾ (الآية 19 من سورة النمل)

الحمد لله الذي وفقنا لبلوغ هذا المقام، ويسر لنا السبيل على الدوام، لا إله إلا هو جل شأنه، ووجب في الأولين والآخرين ذكره وشكره، على آلائه الجميلة، ونعمه الجسيمة. فيا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

أتقدم بخالص الثناء والشكر الجزيل والعرفان بالجميل والاحترام والتقدير لمن غمرني بالفضل واختصني بالنصح والتوجيه وتفضل علي بالإشراف : الأستاذ الدكتور **بوعزم عبد القادر** والذي كان لآرائه وتوجيهاته أعظم الأثر في انجاز هذه الاطروحة. راجين له من الله دوام الصحة والعافية.

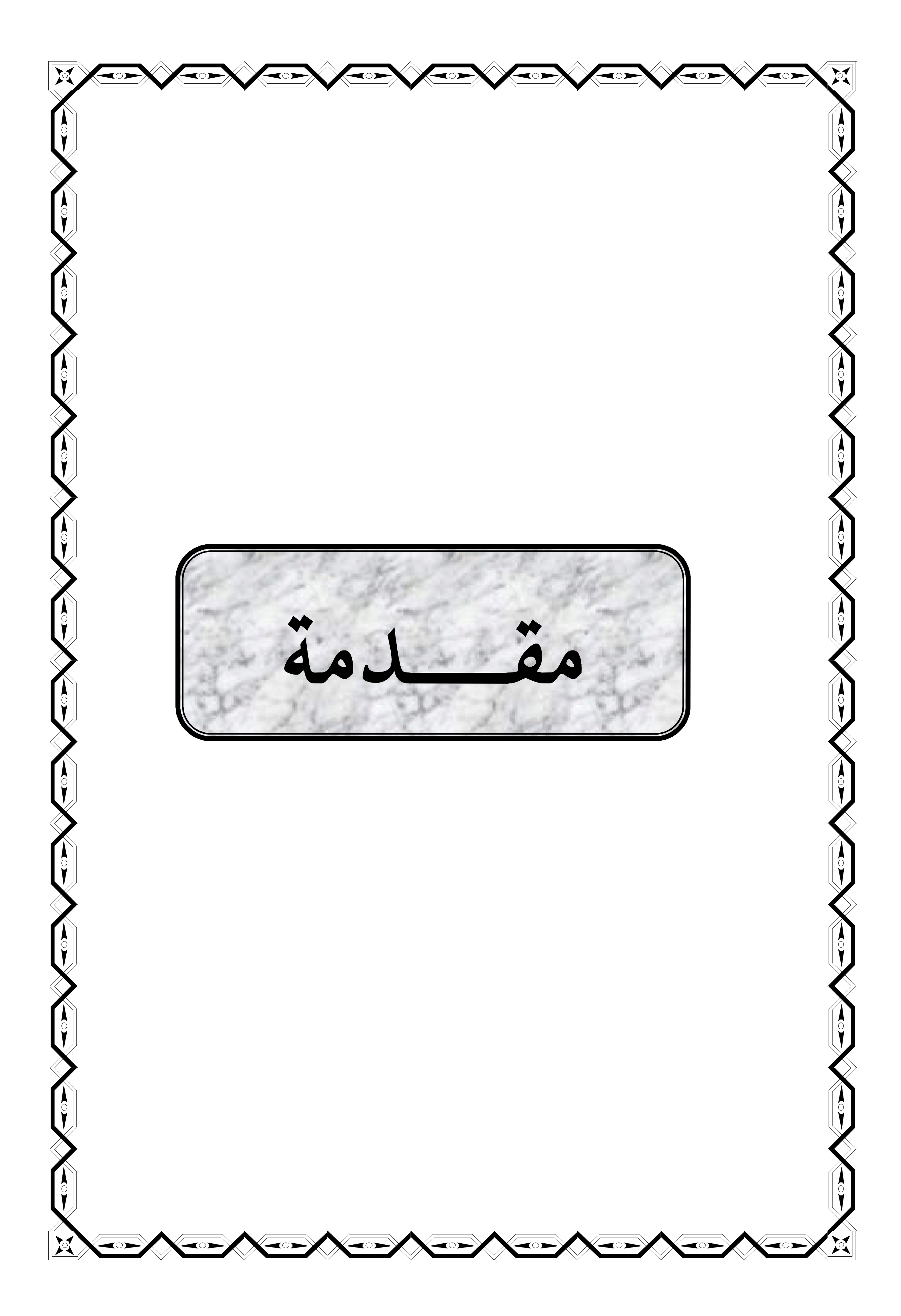
وأقدم شكري العميق للدكتورة **مقرانطة عابد بختة** لما بذلته من جهد في توجيهي وإرشادي في كل خطوة من خطوات إعداد وإخراج الاطروحة وفي المراجعة المستمرة دون كلل جزاها الله عني خيرا. والشكر موصول إلى الأستاذ الدكتور **بوباية عبد القادر** على تعاونه الصادق معنا. وأتوجه بالشكر إلى الدكتور **عبد المؤمن محمد** على جهوده المبذولة من الجهات العلمية والرسمية، فندعو له التوفيق.

والشكر الجزيل المرفوق بفائق الاحترام والتقدير إلى الأستاذ الدكتور **ساحل طارق** من جامع الجزائر2، على جميل صنعه وكرم نصحه. وأتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير لأعضاء اللجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة المذكرة رغم مشاغلهم الكثيرة، جزاهم الله كل خير.

وبكل إخلاص وتقدير وعرفان بالجميل أتقدم بالشكر الى كل من الدكتورة **بودالية تواتية**، والدكتورة **بلمداني نوال** إزاء ما أسدياه إلي ووقوفهما بجانبي، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

ويسرني أن أخص بالشكر الى **عبد القادر** على دعمه المعنوي ومساعدته لي وطول صبره طيلة البحث فجزاه الله عني خير الجزاء، وأخيرا أتوجه بخالص شكري وعظيم تقديري لوالدتي الحنون التي دعمتني بدعواتها الصادقة وخففت عني الجهد والتعب وأمدَّ الله في عمرهما، وأعانتني على برها.

وفق الله الجميع لما فيه خير الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



مقـــدمة

استقطبت المواضيع المرتبطة بالتاريخ السياسي والعسكري لشمال إفريقيا القديم اهتمام جل الباحثين والدارسين ما عدا الجانب الاقتصادي الذي أجحف الباحثون في حقه، ويرتبط هذا الاجحاف بالمدرسة الأجنبية وعلى رأسها الفرنسية التي أولت اهتماما كبيرا للصراع الحضاري القائم بين المستعمر والمستعمر في شقه الحربي، وما انجر عنه من حملات عسكرية وثورات هذا من جهة. ومن جهة أخرى لم يحظى تاريخ الجزائر القديم بالمكانة التي نرجوها في تاريخنا مع العلم أن هذه الرقعة الجغرافية لم تنل استقلالها التام عن تاريخ المغرب في الكتابة التاريخية وذلك لطغيان الدراسات العامة التي تحتويه وفق منهج الدراسات الأجنبية التي لا طالما تناولته ولا تزال بصفة مجملة في إطار جغرافي يمتد من وادي النيل شرقا إلى غاية المحيط الأطلسي غربا تحت مسميات عدة منها على سبيل الذكر لا للحصر دراسة كانيا « Cagnat » الموسومة بالجيش الروماني في إفريقيا، والاحتلال الروماني لإفريقيا في ظل حكم الأباطرة [1]، ومؤلف جيل شارل بيكار« Picard » المعنون بحضارة إفريقيا الرومانية [2]. وهو المسار الذي سار عليه جل باحثي المدرسة الجزائرية.

أضف إلى ذلك تركيز القلة الباقية منهم التي اهتمت بتاريخ المنطقة القديم على دراسة فترة الاحتلال الروماني بدرجة أولى والوجود الفينيقي القرطاجي بدرجة ثانية، وليتم ربطهما إما بالتاريخ السياسي، العسكري أو الاقتصادي، أما الجانب العقائدي والثقافي فنادرا ما يتم معالجته، وبعيدا عن هذه الدائرة تبنيت فكرة الاستقلالية التي تتوجت بموضوع لم يسلط الباحثون الضوء عليه كثيرا وهو "الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة"، الذي تنوع بحسب تنوع مناخ وتضاريس البلاد من ساحلية وسهبية وصحراوية. وهو من المواضيع البكر التي لم تفرد له الدراسات الأكاديمية حتى الآن سوى بعض الصفحات التي عادة ما تكون عبارة عن مدخل عام لموضوع الدراسة أو عنصر ضمن فصل.

[1] Cagnat (R.), *Armée romaine de l'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Paris, 1912.

[2] Picard (G.CH.), *La civilisation de l'Afrique romaine,* 2ed, Paris, Études Augustiniennes, 1990.

ونظرا لأهمية الرقعة الجغرافية التي حصرناها في الجزائر حاليا، والتي لقيت بشأنها الكثير من الانتقادات فمنهم من أشار علي باستبداله وتعويضه بمملكة نوميديا، موريطانيا، موريطانيا القيصرية وغيرها من التسميات حتى يتلاءم من وجهة نظرهم مع فترة الدراسة وهي القديم. ومن جهتي اخترت مصطلح الجزائر لأن مصطلح مملكة نوميديا مثلا لا يمكن أن يتعدى القرن الثالث قبل الميلاد ولا يتجاوز سنة 46 قبل الميلاد، وضمن هذه الفترة كانت حدودها دائمة التغير، والأمر نفسه يسري على التسميات أخرى، وأين سيكون محل مواقع فترة ما قبل التاريخ من كل هذا؟ حيث لم يكن بمقدوري اختزال تاريخ المنطقة في اسم واحد، ووجدت من الأنسب استعمال الجزائر حتى يكون جامعا مانعا.

ويمتد الإطار الزماني للدراسة من فترة العصر الحجري القديم الأسفل المرتبطة بظهور الإنسان المؤثر والمتأثر بالمحيط الطبيعي الذي نشأ فيه إلى غاية منتصف القرن السابع الميلادي، تاريخ طرد المحتل البيزنطي من المنطقة على يد الفاتحين المسلمين العرب، والتي قد يرى البعض أنها فترة طويلة، وأن كل الأبحاث الأثرية والتاريخية على حد السواء تميل إلى تحديد إطار زمني مرتبط بفترة أو عهد معين كالباليوليتي، النيوليتي، الفينيقي... ولكن هذا التحديد يكون صالحا في الدراسات ذات الطابع السياسي، العسكري، الإداري وحتى الاقتصادي. وهذا الأمر لا ينطبق على الباحث الذي يهتم بدراسة التنوع الايكولوجي من حيوان ونبات لمنطقة ما، لأن التغيرات البيئية بصفة عامة تقاس لدى عموم الباحثين في هذا المجال بمئات الآلاف وملايين السنين وليس بالحوليات والقرون، فالتبدلات البيئية قديما سواء أكانت ناجمة عن عوامل طبيعية أو بشرية كانت جد بطيئة مقارنة بما هي عليه الآن، وحتى نتحسسها كان لزاما التطرق لفترة ما قبل التاريخ والقديم ككل لأن طبيعة الموضوع تفرض ذلك.

والهدف المرجو من خلال هذه الدراسة التعريف بالمحيط الطبيعي الذي نشأ فيه إنسان فترة ما قبل التاريخ والعصر القديم بشكل موضوعي باستعمال جملة من العلوم المساعدة في مقدمتها علم الآثار، الباليونتولوجيا وعلم النبات، مع إبراز ايجابياته وسلبياته وذلك بتقديم حوصلة عن حجم ما

تم اكتشافه من بقايا حيوانية متحجرة متوحشة أو مستأنسة بـالمواقع الأثريـة لفـترة مـا قبـل التـاريخ، وصور دالة عنه سواء بالرسوم الصخرية، لوحات الفسيفساء والنقوش الكتابية، وجمع ما هـو متنـاثر بين ثنايا سطور المصادر الإغريقية واللاتينية التي تعرضـت لهـا بالـذكر في خضـم التعريـف بممالـك وشعوب المنطقة، أثناء تطرقها للأحداث التاريخية التي ارتبطت بتاريخهم، والأمر ذاته ينسـاب بـدوره على الغطاء النباتي من أشجار وشجيرات غابية وأعشاب برية، مستبعدة في ذلك النشـاط الفلاحـي للمنطقة المرتبط بثلاثية الحبوب، الزيتون، الكروم، والمجالات المتعلقة به، والذي أُفردت بشأنه العديد من الدراسات الأكاديمية سواء أكـان ذلـك خـلال فـترة حكـم الممالـك المحليـة أو فـترة الاحـتلال الروماني. وولجت إلى فهم أن هذا الأثر الايكولـوجي بشـقيه الحيـواني والنبـاتي كـان بمثابـة اللبنـة الأساسية التي قامت عليها الحضارات بالمنطقة، والحضارات الأخرى التي احتكـت وتعاملـت معهـا والذي اتخذ بعضها شكل المستعمر لاحقا.

ولتحقيق هذه الأهداف كان لزامـا علينـا بنـاء إشـكالية تحـوم حـول الموضـوع وتتمثـل في التساؤلات التالية، هل هذا التنوع البيئي كان نقمة أو نعمة على سكان المنطقـة كمـا صـورته أقـلام المؤرخين والجغرافيين القدامى؟ وهل هو الذي وقف حجر عثرة في وجه سكان المنطقة قديما لكي لا يتبنوا نظاما معيشيا واقتصاديا قائما على الاستقرار وممارسة الزراعة كبقيـة شـعوب البحـر الأبـيض المتوسط؟ وهو الذي كان وراء جذب أنظار الشعوب الطامعة إلى استغلاله والاستحواذ عليه لدرجة تناقص أعداده وانكماش مساحته لدرجة الانقراض مثل ما حدث للفيل وشجرة العفص مثلا. وما حجم استفادة الإنسان المحلي منها في المجالات المعيشية والاقتصادية والسياسية والعسـكرية والثقافيـة مقارنة بالمستعمر؟ وهل كان سكان المنطقة ومن ساسهم رشداء في الحفاظ عليه ونمائه؟ وهل حقيقـة أن شعوب المنطقة قاصرة وعاجزة عن البناء والابتكار واستغلال مواردهـا الطبيعـة كمـا يحـاول أن يصوره المستعمر بوجه القديم أو الحديث، حتى يعطي لنفسه الأحقية في استغلال واستنزاف خيرات هذه البلاد بطريقة ممنهجة؟

وتعتمد هذه الدراسة في الأساس على عدة مناهج، أولها المنهج الوصفي الذي يختص بتقديم دراسة تصنيفية على ضوء ما توفر لدي من معطيات أثرية ومصادر أدبية، والثاني المنهج المقارن نتيجة لتباين وتضارب المعارف فيما بينها، وبعد استعراض المعارف وتوضيح الفروق والنقاط المشتركة فيها، والثالث المنهج التحليلي الذي يهتم بدراسة تحليلية موضوعية لمجالات استغلالها بناء على الدراسات الحديثة انتهاء باستخلاص بعض النتائج المتوصل إليها.

وللخوض في خبايا هذا الموضوع كان من الضروري التنقيب والبحث في جميع المصادر بأنواعها لتشكيل المعرفة التاريخية التي تقوم ببناء البحث على أسس وقواعد البحث العلمي. ومن جهة أخرى حاولت سد بعض الثغرات من خلال التعامل مع بعض الدراسات الوسيطية والحديثة ليست ببعيدة عن الإطار العلمي لموضوع هذه الأطروحة، نظرا لغياب المستحثاث النباتية التي عجزت في العثور عنها لعدم وجودها، ومرد ذلك راجع إلى صعوبة العثور على عينات متحجرة لها بسبب خاصية التلف والفناء السريع التي تتميز بها. مما انجر عنه تفاوت بين الفصل الأول والثاني. والأمر نفسه يسري على البقايا الأثرية الدالة عليها في الفترة التاريخية لقلتها، وليس من السهل على الباحث التعرف بدقة على الأشجار والنباتات المجسدة في لوحات الفسيفساء باستثناء الكروم التي أخذت حصة الأسد من التصوير. وهذا الشح وانعدام الدلائل الكاشفة هو الذي كان وراء مجيء بعض العناصر مقتضبة. ولهذه الدراسات الفضل في إخراجي من دائرة الافتقار للمادة العلمية إلى تشكيل معرفة تاريخية تميط اللثام عن الكثير من الجوانب. وعليه تم استيقاء المعارف من مختلف المصادر التي تتمثل في:

- النصوص الأدبية

يبدو للمتطلع على المصادر الأدبية من الوهلة الأولى أن ما هو متوفر بها يمكنه أن يفي البحث حقه، إلا أنه سرعان ما يصدم بعد القيام بقراءات أخرى لها بشح المعلومات المستخلصة منها، والتي في كثير من الأحيان تكون مختصرة في كلمة أو جملة قصيرة في معظمها سلبي، مما يشكل عائقا أمام استقرائها ومناقشتها، وسر ذلك يكمن في أن ما وصلنا عن تاريخ بلاد المغرب القديم كان

من قبل كتاب أجانب إغريق ورومان، حيث استعرضوا أخبارها بصفة عرضية في خضم تطرقهم لتاريخهم في فترات محددة ارتبطت خاصة بحاجتهم إلى معرفة شعوب المنطقة التي احتكوا بها، والوقوف على مزايا وخصوصيات المنطقة التي ستدفع بهم إلى احتلالها، وبالرغم من كثرة عيوبها ونظرتها الفوقية وانحيازها الدائم إلى العنصر الروماني، إلا أنه من الضروري العودة إليها والبحث في طياتها على ما يخدم موضوع بحثي. والتي تتمثل أساسا في المصادر التاريخية ويتصدرها أقدم مصدر وصلنا عن تاريخ المنطقة والعائد إلى القرن الخامس قبل الميلاد للمؤرخ هيرودتس« Hérodots » [1] ، حيث رصد فيه ضمن كتابه الرابع قائمتين للحيوانات، تختص الأولى بالحيوانات المتوحشة المنتشرة ببلاد الليبيين المزارعين بمعنى في المناطق الشمالية، واستعرض في الثانية الحيوانات المتوحشة التي تجوب بلاد الليبيين الرحل أي المناطق الداخلية.

ولقد استند الكثير من الكتاب الذي جاؤوا بعده على كتاباته في التعريف بالمنطقة رغم احتوائها على مغالطات تاريخية كنفيه لوجود حيوانات كان أمرها شائعا في المنطقة حسب ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية والتي سأعمل على تبيانها في حينها. أما الغطاء النباتي فقد اقتصر الحديث فيه على شجرة النخيل وعشبة السلفيوم التي كانت تنمو بنواحي قورانية. كما احتوت الموسوعة التاريخية لديودور الصقلي « Diodore de Sicile » [2] ، على إشارات لبعض الحيوانات المتوحشة والأليفة منها، في خضم تطرقه إلى الصراع القرطاجي الإغريقي الذي حدث خلال القرن الرابع قبل الميلاد .

وتم العودة إلى كتاب التاريخ لبوليبيوس « Polybios » [3] ، الذي يعد من أبرز مؤرخي الجمهورية الرومانية رغم كونه إغريقيا حيث أرخ للأحداث السياسية والعسكرية التي مرت بها

[1] Hérodote, *Histoire,* Ph.E. Legrand (trad.), Paris, Les belles lettres, 1982.
[2] Diodore de Sicile, *Histoire universelle*, A. Terrasson (trad.), Hachette, Paris, 1865 ; *Id., La bibliothèque historique*, Livre XII, M.Casevitz (trad.), Paris, Les belles lettres, 1972 ; *Id., Ibid.,* Livre III, B. Bommelaer (trad.), Paris, Les belles lettres, 1989 ; *Id., Ibid.,* T. II Livre II, B. Eck (trad.), Paris, Les belles lettres, 2003 ; *Id., Ibid.,* T. III, Livres XXVII-XXXII, P. Goukowsky (trad.), Paris, Les belles lettres, 2012.
[3] Polybe, *Histoire,* D. Roussel (trad.), Paris, Gallimard, 1970.

خلال القرن الثالث قبل الميلاد ومن ضمنها الحروب البونية التي انقسم فيها ملوك البربر بين متحالف ومعاد لها، والذي احتوى على إشارات جد بسيطة عن طبائع وتقاليد ملوك وسكان المنطقة وفرسانها، أما الغطاء النباتي فقد اقتصر على شجيرة العناب فقط.

كما تمت الاستعانة بالتاريخ الروماني لتيتوس ليفوس « Titus Livius »[1] ورغم كونه كتابا ذو طابع سياسي وعسكري محض إلا أنه ضم شذرات قليلة تفي للتعريف بالمخزون الحيواني الهائل الذي امتلكته المملكة النوميدية وبخاصة الأحصنة التي كثيرا ما تم التعويل عليها لقلب المعادلات في المعارك، كما كانت جزءا هاما من حجم المساعدات العسكرية التي بعث بها الملوك النوميديين لحلفائهم الرومان خلال توسعاتهم.

هذا تم العودة إلى المصادر التالية: حرب يوغرطة لسالوستيوس « Sallustius »[2]، وحرب إفريقيا المنسوب ليوليوس قيصر « Julius Caesar »[3] ومؤلف أبيانوس « Appianos » الحامل لعنوان التاريخ الروماني[4]، ومصدر سيليوس اتاليكوس « Silius Italicus »[5] الذي جاء تحت عنوان الحرب البونية، إلى جانب حوليات تاكيتوس « Tacitus »[6] وكتاب الحرب ضد الوندال لصاحبة بروكوبيوس « Procopius »[7]، ورغم كونها مصادر ذات صبغة عسكرية بحتة إلا أنها احتوت على على إشارات عن طبائع وتقاليد شعوب المنطقة، وعن الوسط الطبيعي الذي حدثت فيه تلك التجاذبات السياسية والحربية.

---

[1] Tite-Live, *Histoire Romaine,* A. Flobert (trad.), Paris, Flammarion, 1994.

[2] Salluste, *La conjuration de Catilina, La guerre de Jugurtha*, Fragments des histoires, A. Ernout (trad.), Paris, Les belles lettres, 1989.

[3] Jules César, *La guerre d'Afrique*, A. Bouvet (trad.), Paris, Les belles lettres, 1949.

[4] Appien, *Histoire Romaine*, *Le livre Carthaginois*, T. IV, Livre VIII, P. Goukowsky (trad.), Paris, Les belles lettres, 2001.

[5] Silius Italicus, *La guerre Punique*, 4vol, P. Miniconi, G. Devallet, (trad.), Paris, Les belles lettres, 1979-1992.

[6] Tacite, *Annales,* Livres I-VI, P. Wuilleumier (trad.), Paris, Les belles lettres, 1974-1975.

[7] Procope, *La guerre contre les Vandales*, D. Roques (trad.), Paris, Les belles lettres, 1990.

كمـا تم الاسـتعانة بالمصـادر الجغرافيـة والـتي يـأتي في مقـدمتها كتـاب الجغرافيـا لسـترابون « Strabo » [1] ، الـذي خصـص الكتـاب السـابع عشـر منـه للحـديث عـن مميـزات وخصـائص المنطقـة طبيعيـا مـن جبـال وأنهـار وشـعوب وحيوانـات ونباتـات، حيـث أحـاط هـذين الأخيريـن بجملـة مـن الأسـاطير والخرافـات، كمـا قـدم بشـأنهما أوصـافا غريبـة تفـوق الخيـال، وفي المنحـى ذاتـه تم العـودة إلى كتـاب بومبونيـوس مـيلا « Pomponius Mila » [2] وإلى بعض المصادر العربية كالمسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري [3].

هذا وتم الاستناد إلى سير القادة والأبـاطرة الرومـان ككتـاب حيـاة القياصـرة الإثنـا عشـر لسويتونيوس « Suetonius » [4]، ومؤلف بلوتاركوس « Ploutarkhos » المعنـون بحيـاة الرجـال البارزين [5] ، والتي كشفت عن حجم الهدايا والهبات الإفريقية من الحيوانات التي قدمت في مناسبات مناسبات عدة لرجالات روما، كما فضحت بطريقة غير مباشـرة وبالأرقـام سياسـتهم المنهجـة في استنزاف مقدرات المنطقة من أجل صنع أمجاد وبذخ روما وإبعاد الجماهير عن شؤون السياسـة مـن خلال برامج الألعاب.

كما توفرت لدي جملة من المصادر التي تصنف في دائرة الكتب العلمية والتي سلطت الضوء بصفة مباشرة على بعـض أنـواع الحيوانـات وأصـناف النبـات المنتشـرة في المنطقـة، منهـا كتـــاب تـــاريــــــخ الحيوانــــــــات لأرسطــــــــو « Aristotelès » [6]، وبحــــــــوث حـــــول النبـــاتــــات لتيـــــوفراست « Théophraste » [7]، وكتاب التـاريخ الطبيعـي

[1] Strabon, *Géographie,* A. Tardieu (trad.), Paris, Hachette, 1886

[2] Pomponius Méla, *De Chorographia*, A. Silberman (trad.), Paris, Les belles lettres, 1988.

[3] أبي عبيد الله البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ج.2، بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 2003.

[4] Suétone*, Les douze Césars*, T. I-II, M. Rat (trad.), Paris, Éditions Garnier frères, 1954-1955.

[5] Plutarque, *Les Vie des hommes illustres*, J. Amyot (trad.), Paris, Gallimard, 1959.

[6] Aristote, *Histoire des animaux*, T. I-III, Livres, I-X, P. Louis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1964-1969.

[7] Théophraste, *Recherches sur les plantes*, T. I-V, Livres I-IX, S. Amigues (trad.), Paris, Les belles lettres, 1988-2006.

لبلينوس الكبير « Plinus »[1]، الذي يعد بحق عملا موسوعيا كبيرا لمختلف الموارد الطبيعية الـتي عرفت في عصره والمتوفرة في المناطق التي امتدت لها يد الرومـان، وعمـل اليـانوس « Elianos » ، الذي ظهر تحت عنوان هوية الحيوانات[2].

زيادة على ذلك، فقد تم العودة إلى كتب الفلاحة التي حملت النذر القليل عن أنواع وأصناف الأشجار المثمرة والخضروات المزروعة بالمنطقة، والتي تفيد عالم الزراعة وتقنياته المتبعة آنذاك أكثر ممـا تفيد الدارس الباحث عن خصائصها وأوصافها ومناطق انتشارها وتوزيعها والتي تمثلـت في كتابـات كـاتون « Caton »[3]، كولومـال « Columelle »[4]، بلاديـوس « Palladius »[5] وفـارون « Varron »[6].

وأشادت الكتب الأدبية بخيرات المنطقة الحيوانية والنباتية لدرجة الانبهار ونسـج الحكايـات والخرافات حولها، فكانت تمثل بالنسبة لهم أرض كل ما هو غريب وعجيـب في العـالم ككـل، مـن بينها ملحمة الأوديسة لهوميروس « Homéros »[7]، والتي تلتها طائفة كثيرة مـن الأعمـال الأدبيـة

[1] Pline l'ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XI, A. Ernout (trad.), Paris, Les belles lettres, 1947 ; *Id., Ibid.,* Livre VIII, A. Ernout (trad.), Paris, Les belles lettres, 1952 ; *Id., Ibid.,* Livre IX, E .Saint Denis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1955 *; Id., Ibid.*, Livre XIII, A. Ernout (trad.), Paris, Les belles lettres, 1956 ; *Id., Ibid.,* Livre XV, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1960 ; *Id., Ibid.,* Livre X, E. Saint Denis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1961 ; *Id., Ibid.,* Livre XVI, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1962 ; *Id., Ibid.,* Livre XIX, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1964 ; *Id., Ibid.,* Livre XX, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1965 ; *Id., Ibid.,* Livre XXI-XXII, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1969-1970 ; *Id., Ibid.,* Livre XVIII, H. Le Bonniec (trad.), Paris, Les belles lettres, 1972 ; *Id., Ibid.,* Livre XXIV, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1972 ; *Id., Ibid.,* Livre VII, R. Schlling (trad.), Paris, Les belles lettres, 1977 ; *Id., Ibid.,* Livre V, J. Desanges (trad.), Paris, Les belles lettres, 1980 ; *Id., Ibid.,* Livre VI, J. André, J. Flliozat (trad.), Paris, Les belles lettres, 1980 ; *Id., Ibid.,* Livre XXXV, J. M.Croisille (trad.), Paris, Les belles lettres, 1985 ; *Id., Ibid.,* Livre XXXV, P.E. Dauzat (trad.), Paris, Les belles lettres, 1997.

[2] Elien, *La personnalité des animaux*, A. Zuck (trad.), Paris, Les belles lettres, 2004.

[3] Caton, *Économie rurale*, in les agronomes latins, M. Nizard (trad.), Paris, J.J. Dubochet et compagnie, 1844 ; *Id., De l'agriculture*, R. Goujard (trad.), Paris, Les belles lettres, 1975.

[4] Columelle, *De l'agriculture*, Saboureux de la Bonnetterie (trad.), Paris, Errance, 2002.

[5] Palladius, *De l'économie rurale*, Les agronomes latins, M. Nizard (trad.), Paris, J.J. Dubochet et compagnie, 1844.

[6] Varron, *Économie rurale*, CH. Guiraud (trad.), Paris, Les belles lettres, 1997.

[7] Homère, *L'Odyssée,* V. Bérard (trad.), Paris, Les belles lettres, 1955.

والشعرية التي حملت إشارات مباشرة وغير مباشرة عن حيوانات ونباتات المنطقة وسبل استغلالها من الناحية المعيشية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، سواء أكان ذلك من قبل شعوب وقبائل المنطقة أو من قبل الذين تكالبوا عليها وبخاصة المستعمر الروماني والبيزنطي، ويمكن حصرها في أعمال كل من فرجيليوس « Vergelius »[1]، هوراتوس « Horatius »[2]، أوفديوس« Ovidius »[3]، لوكانوس« Lucanus »[4]، جوفيناليس Juvénalis »[5]، أبوليوس « Apulius »[6]، ماكروبيوس « Macrobius »[7]، وكوريبوس« Corippus »[8].

كما تم الرجوع إلى كتابات رجالات الدين الأفارقة التي لا تخلو هي الأخرى من بعض التلميحات التي تخدم بعض جوانب الموضوع في شقه الاجتماعي والديني خاصة، والتي تمثلت في كتاب المنافحة لترتوليانوس « Tertulianus »[9]، وكتابي أوغسطين « Augustinus » المواعظ ومدينة الإله[10]، وأبتاتوس الميلي « Optatus »الذي ألف كتابا ضد الدوناتيين .[11]

---

[1] Virgile, *Géorgiques,* E. Saint-Denis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1963 ; *Id., les bucoliques*, E. Saint-Denis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1970 ; *Id., Énéide,* T. I, =Livres I-IV, J. Perret (trad.), Paris, Les belles lettres, 1977 ; *Id., Ibid.,* T. II, Livres V-VIII, J. Perret (trad.), Paris, Les belles lettres, 1982.

[2] Horace, *Odes et épodes*, F. Villeneuve (trad.), Paris, Les belles lettres, 1959 ; *Id., Satires,* F. Villeneuve (trad.), Paris, Les belles lettres, 1969.

[3] Ovide*, Les métamorphoses*, J. Chamonard (trad.), Paris, Garnier-Flammarion, 1966 ; *Id., Halieutiques,* E.de Saint-Denis (trad.), Paris, les belles lettres ,1975 ; *Id., Pontiques,* J. André (trad.), Paris, les belles lettres ,1977.

[4] Lucain, *La Pharsale*, T. I, Livres I-V, A. Bourgery (trad.), Paris, Les belles lettres, 1962 ; *Id., Ibid.,* T. II, Livres VI-X, A. Bourgery, M. Ponchont (trad.), Paris, Les belles lettres, 1962.

[5] Juvénal, *Satires,* F. Villencuve (trad.), Paris, Les belles lettres, 1961.

[6] Apulée, *Apologie, Florides*, P. Vallette (trad.), Paris, Les belles lettres, 1924.

[7] Macrobe, *Saturnales,* Collections des auteurs latins, M. Nisard (trad.), Paris, Didot, 1854.

[8] Corippe, *La Johannide,* J. Alix (trad.), *Revue Tunisienne*, T. VII, 1900.

[9] ترتيليانوس، المنافحة(دفاع عن التوحيد)، ترجمة عمار الجلاصي، طرابلس، منشورات تامنغست، 2001

[10] Augustin (S), *Sermons*, M. Raulx (trad.), Paris, Bar-le –Duc, L. Guerin et Cie, 1868 ; *Id., La cité de Dieu,* Volume 1, Livres I à X, L. Morceau (trad.), Paris, Seuil, 1994.

[11] Optat, *Traité contre les Donatistes*, T. I, Livres III-VII, M. Labrousse (trad.), Paris, Cerf, 1996.

- **المسكوكات**

تساعد المسكوكات رمـز السـيادة الوطنيـة علـى معرفـة أنـواع الحيوانـات والنباتـات الـتي زينـت أوجـه وظهـور القطـع النقديـة، والـتي اعتمـدت كرمـوز دالـة عـن الهويـة المحليـة للمالـك البربريـة، أو عــن ظـرف سياسـي معـين مـرت بـه في فـترة مـن فـترات تاريخهـا مـن توسـعات وتحالفـات. وتشـمل هـذه البحـوث عمـل شـاريي « Charrier » الـذي صـدر سـنة 1912 تحـت عنـوان وصـف النقـود النوميديـة والموريطانيـة [1] ، والعمـل المتميـز لمـازار « Mazard » العائـد إلى سـنة 1955 والـذي ظهـر تحـت عنـوان سـجل المسـكوكات النوميديـة الموريطانيـة [2]، الموريطانيــة [2]، وقــد حــاول الكســندروبولوس « Alexandropoulos »، أن ينـأ بنفســه عــن منهج من سبقه في هـذا المجـال مـن خـلال إعطـاء تفسـير وتحليـل معقـول للصـور الأيقونيـة الـتي ظهرت علـى القطـع النقديـة مـن خـلال ربطهـا بالأحـداث السياسـية والعسـكرية الـتي شـهدتها المنطقة، وعـدم الاكتفـاء بتصـنيفها ووضـع بطاقـات تقنيـة لهـا، حيـث جـاء حـاملا لعنـوان نقـود إفريقيا القديمة من سنة 400 قبل الميلاد إلى غاية سنة 40 ميلادية [3].

- **النقوش**

يعتبر سجل النقوش اللاتينيـة المدونـة بالمجلـد الثـامن [4]، وتلـك المجموعـة مـن قبـل غـزال « Gsell » المعنون باسـم النقـوش اللاتينيـة للجزائـر [5]، أهـم السـجلات المعتمـدة عليهـا في هـذه الدراسة، خاصة إذا ما كانت نقوشا إهدائية لحيوانات فازت بسباقات أو نصب جنائزيـة لأشـخاص مارسوا مهنا حرة ارتبطـت بشـكل مـا بالمتوجـات الحيوانيـة والنباتيـة أومراسـم تنظيميـة لأسـواق وضرائب كتعريف زراي الجمركية إلى جانب النصب النذرية للآلهة المحلية.

[1] Charrier (L.), *Description des Monnaies de la Numidie et de la Maurétanie,* Macon, 1912.
[2] Mazard (J.), *Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque,* Paris, Arts et métiers graphiques, 1955.
[3] Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400, J.C-40 AP.J.C,* Toulouse, Presses universitaire du Mirail, 2007.
[4] Cagnat (R.), Schmidt (J.), Dessau (H.), *Corpus Inscriptionum Mauretaniae Latinarum supplementum,* VIII, Berlin, 1904.
[5] Gsell (S.) *Inscription latines d'Algérie*, T.1, Paris, 1922.

- **المعطيات الأثرية**

لإفـاء الموضـوع حقـه كـان لزامـا العـودة إلى الشـواهد الأثريـة الـتي لازالـت واضـحة للعيان على مستوى المواقـع الأثريـة وإلى تلـك المشـار إليهـا أواخـر القـرن التاسـع عشـر وبدايـة القـرن العشـرين والـتي تضـمنها الأطلـس الأثـري للجزائـر المنجـز مـن قبـل غـزال « Gsell » والصـادر سـنة 1911 [1]،كمـا تمـت الاسـتعانة بفهـارس المتـاحف الجزائريـة الـتي تـأتي في مقـدمتها الفهـارس الـثلاث لتحـف متحـف زبانـة لمدينـة وهـران، الـتي ضـمت جـل البقايـا الأثريـة سـواء تلـك الـتي تعـود إلى فـترة مـا قبـل التـاريخ أو العصـر القـديم والمكتشـفة بـالغرب الجزائري [2]، إلى جانب فهرس متحف سيرتا لمدينة قسنطينة [3].

- **المراجع**

تم تقسيم الدراسات إلى مجموعتين بسبب تنوعها وهي:

1. **المجموعة الأولى**

تتضمن هذه المجموعة مجمل الدراسات مـن كتـب وأعمـال جامعيـة بحسـب تنـوع وتعـدد جوانب الموضوع بداية بدراسة تيسو« Tissot » المنشورة أواخر القرن التاسع عشـر مـيلادي الـتي رصد فيها قائمة تضمنت أهم حيوانات ونباتات المنطقة في القديم اعتمادا على ما جاءت به المصـادر القديمة بدرجة أساسية، وما كشفت عنه أبحاث التنقيبـات الأثريـة في تلـك الفـترة، والـتي تمثلـت في الرسوم الصخرية ولوحات الفسيفساء والنقوش الكتابية. [4]

[1] Gsell(S.), *Atlas archéologique de l'Algérie*, Paris, 1911.
[2] Demaeght (L.), *Catalogue raisonnée du musée d'Oran,* I, Oran, 1984 ; Doumergue (F.), *Inventaire de la section de préhistoire du musée Demaeght*, Oran, Fouque, 1936 ; *Id., Catalogue raisonnée du musée d'Oran*, II, Oran, 1937.
[3] Hinglais (U.), *Catalogue du musée du Constantine*, Supl. II, R.S.A.C., 38, 1904, p. 1-402.
[4] Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique,* 1, Paris, Imprimerie nationale, 1886.

تلاهـــا العمـــل الموســـوعي لغـــزال « Gsell » الـــذي صـــدر علـــى فـــترات ضـــمن ثمانيـــة أجـــزاء والـــذي حمـــل عنـــوان تـــاريخ شمـــال إفريقيـــا القـــديم [1]، والـــذي لا يـــزال يعـــد أهـــم المراجـــع المرتكـــز عليهـــا في دراســـة تـــاريخ المنطقـــة القـــديم رغـــم قدمـــه، نظـــرا للكـــم الهائـــل مـــن المعلومـــات الـــتي تضـــمنها والـــتي غطـــت تقريبـــا مراحـــل فـــترة القـــديم ككـــل، بغـــض النظـــر علـــى مـــا يؤاخـــذ عليـــه عنـــد تحليلـــه كمـــا ســـنرى بـــين ثنايـــا هـــذه الأطروحـــة، وقـــد عمـــل هـــو الأخـــر جاهـــدا مـــن خـــلال الجـــزء الأول مـــن كتابـــه علـــى التعريـــف بالإطـــار الجغـــرافي لمنطقـــة شمـــال إفريقيـــا القـــديم مخصصـــا جانبـــا فيـــه للحيوانات والنباتات معرفا إياها من خلال المصادر التي أشارت إليها.

ولم يقف غزال « Gsell » عند هذا الحد بل عمد كـذلك علـى التعريـف بهـا مـن الناحيـة الباليونتولوجية من خلال أعمال بومال« Pomel » [2]، وعلـى ضـوء مـا أبانـت عنـه الاكتشـافات الأثرية التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ أو العصر القديم، كما رصد خلالها أهم صـورها بالرسـوم الصخرية. والملاحظ أن غزال « Gsell » لم يخصص مبحثا قائما بذاتـه لموضـوع الأشـجار الغابيـة على عكس موضوع المناخ والحيوانات رغم احتلالها حيزا مهما في الغطاء النباتي العام لمنطقـة بـلاد المغرب القديم، واكتفى بإدراجه فقط كعنصر جزئي خـامس في الفصـل الرابـع مـن البـاب الأول. وتطرق في الجزء الخامس إلى الاقتصـاد النوميـدي في ظـل حكـم الممالـك المحليـة وعلاقتهـا بالعـالم الخارجي وعالج في الجزء السادس موضوع طبائع وعادات سكان المنطقة قديما من مسـكن ومأكـل وملبس وكذا شعائرهم الدينية.

[1] Gsell (S.), *Histoire ancienne de l'Afrique du nord*, T. I- VIII, Paris, Hachette, 1918-1928.

[2] Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Les rhinocéros quaternaires,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1885 ; *Id., Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Bubalus antiquus,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1893 ; *Id., Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Caméliens et Cervidés*, Alger, Imprimerie P. Fontana, 1893 *; Id., Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Bœufs -Taureaux,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1894 ; Id., *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Équidés,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1897 ; *Id., Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Ovidés,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1897.

وبالموازاة تم الاعتماد على النسخة الأصلية والمترجمة من كتاب كامبس « Camps » الـذي نشر سنة 1961 تحت عنوان: في أصـــول بـلاد البربـر مـــــاسينيسا أو بدايـــات التاريـــخ [1]. وارتكز البحث في العديد مـن عناصـره علـى الأعمـال المتميـزة للـوت« Lhote » [2] وأوماسـيب « Aumassip » [3].

وكان للمراجع باللغـة العربيـة الـتي كتبـت بـالأقلام الجزائريـة علـى قلتهـا مكانـا لهـا بعملـي وعلـى سـبيل المثـال أعمـال محمـد الصـغير غـانم الـذي عكـف جاهـدا مـن خـلال مؤلفاتـه العديـدة علـى إبـراز المـوروث النوميـدي وعلاقتـه بالحضـارة البونيـة مـن كـل الجوانـب [4]. في حين انصب اهتمام محمـد البشـير شـنيتي علـى أوضـاع المنطقـة خـلال فـترة الاحـتلال الرومـاني كتلـك الدراسـة الـتي حملـت عنـوان الأوضـاع الاقتصـادية والاجتماعيـة في المغـرب الرومـاني ودورهـا في الأحـداث القـرن الرابـع المـيلادي، الـذي اسـتندت عليـه في العنصـر المتعلـق بالتشـريعات الفلاحيـة الـتي أشـارات إلى بعـض الخضـروات والأشـجار المثمـرة [5].أمـا كتابـه الجزائـر في ظـل الاحـتلال الرومـاني بحـث في منظومـة الـتحكم العسـكري (اللـيمس

[1] Camps (G), *Aux origines de la Béribérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca ar.ep.* VII, 1962 ; غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق العربي عقون، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ط.2، 2012.

[2] Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs*, Paris, Amiot Dumont, 1951 ; *Id., A la découverte des fresques de Tassili*, Paris, 1958 *; Id., Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer),* T.1-2, Alger, SNED, 1976 ; *Id., Les chars rupestres Sahariens des Syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes,* Paris, Hespérides, 1982 ; *Id., Le Hoggar, espace et temps,* Paris, Armand colin, 1984 ; *Id., Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, Monts des Ouleds –Nail et région de Djelfa,* Alger, Office du parc national du Tassili, 1984.

[3] Aumassip (G), *Trésors de l'Atlas saharien*, Alger, E.N.A.L., 1986

[4] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992؛ مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، الجزائر ،دار الهدى، 2003الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، الجزائر، دار الهدى، 2005؛ المملكة النوميدية والحضارة البونية، الجزائر، دار الهدى، 2006؛ المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ، الجزائر، دار الهدى، 2006؛ معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، الجزائر، دار الهدى، 2007؛ مواقع ومدن أثرية،الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، 2007؛ سيرتا النوميدية النشأة والتطور، الجزائر، دارالهدى، 2008.

[5] محمد البشير شنيتي، التغييرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

الموريطـاني) ومقاومـة المـور، فكـان معينـا لـي عنـدما تطرقـت إلى موقـف السـلطات الرومانيـة من النظام الرعوي وسبلها الحثيثة للحد منه أو القضاء عليه [1].

وكانت الدراسات الأكاديمية خير معين لي في تحليل بعض العناصر منها أطروحة الـدكتوراه لموزوليني « Muzzolini » حول الثيران بالصحراء الوسطى [2]، وأطروحة لحسن بودرقـا الموسـومة بالثروة الحيوانية بشمال إفريقيا القديم التي نوقشت سـنة 2002 بجامعـة الربـاط [3]، والـتي اعتمـدت عليها في العديد من المناسبات، وبالرغم أن الرسالة كما هو موضح من عنوانهـا، أنهـا تشـمل مجـالا جغرافيا يضم كل منطقة شمال إفريقيا، إلا أنه يعاب عليه تركيزه الكبير على إبراز وذكر ما أكتشـف بالمواقع الأثرية المغربية من متحجرات حيوانية، وأستشف ذلك عند معالجته مـثلا لموضـوع الفيـل، وأخبار بعض الحيوانات الأخرى.

ولم تنل المواقع الأثريـة الجزائريـة في عملـه علـى كثرتهـا وتنـوع فتراتهـا نصـيبا يليـق بهـا، فضـــلا عـــن تناسـيه في الكـثير مـــن الأحيـــان أخبـــار مملكـــة نوميـــديا قبيـــل وبعـــد الاحـــتلال الرومـاني، والأمـر نفسـه ينطبـق علـى تـونس مـا عـدى تلـك الأحـداث التاريخيـة الـتي تخـص العهد القرطاجي، وكـذا اسـتدالته فيهـا علـى الفسيفسـاء المكتشـفة بهـا. أمـا حـظ المواقـع الأثريـة الليبية من الذكر فجد نـادر كمـا لم يغطـي عملـه كـل جوانـب الموضـوع، فلـم يشـر مـثلا لا مـن قريب ولا من بعيـد للرعـي رغـم ارتباطـه الكـبير بالحيوانـات، والـذي يعتـبر عـلاوة علـى ذلـك عمـاد اقتصـاد المنطقـة قـديما. هـذا ولم أسـتثني أطروحـة مـنير الحـاج الطـاهر الـتي تحمـل عنـوان الثروة النباتية في شمـال إفريقيـا القـديم [4]، الـذي تنـاول في جانـب مهـم منهـا النشـاط الفلاحـي والنشـاطات المرتبطـة بـه وهـي غـير أساسـية في بنـاء موضـوع بحثـي، حيـث اقتصـر اعتمـادي عليها في المبحث الذي تناولت فيه الأدوية والعقاقير المستخلصة من مواد نباتية.

---

[1] محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج.1، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.

[2] Muzzolini (A), *Les bœufs du Sahara central*, Thèse 3 cycle, Aix-en-Provence, Université de Provence, 1983.

[3] لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، أطروحة دكتوراه، الرباط، كلية الآداب واللغات، 2001-2002.

[4] منير الحاج الطاهر، الثروة النباتية بشمال إفريقيا القديم، أطروحة دكتوراه، الرباط، كلية الآداب واللغات، 1999-2000.

2. المجموعة الثانية

تضم هذه المجموعة كل المقالات سواء تلك التي صدرت قديما أو حديثا بالمجلات المتخصصة والتي مست جوانب محددة في موضوع البحث كمقالات جولو « Joulaud » المنشورة بعضها بالمجلة الإفريقية وبمجلة الجمعية الجغرافية والأثرية لمقاطعة وهران [1]. كما ساهم كامبس « Camps » [2] وزوجته كامبس فابر « Camps Faber » [3]، من خلال مقالاتهما المتعددة والمنشورة بالموسوعة البربرية في التعريف بعدد لا يستهان به من حيوانات المنطقة والنبات بدرجة أقل سواء تعلق الأمر بفترة ما قبل التاريخ أو العصر القديم، وعالج كل منهما مجالات استخدام منتوجات كل منها وإلى علاقتها بالنواحي المعيشية والعقائدية، وكثيرا ما جاءت تلك المقالات مدعمة بالأشكال والصور التوضيحية، وكانت مقالتي شافية شارن المنشورتين بمجلة إفريقيا الرومانية من دعائم هذه الأطروحة من حيث الدقة التي اتسمت بها في وصف مكانة الثروة الحيوانية والنباتية ومنتوجاتهما في التجارة الخارجية. [4]

[1] Joleaud (L), Études de géographie zoologique sur la berberie, I- Les cervidés, *R.Af.,* LVI, 1912, p. 471-499 ; *Id.,* Études de géographie zoologique sur la Berberie, II- Les bovinés, *R.Af.,* LIX, 1918, p. 33-86 ; *Id.,* Études de géographie zoologique sur la berberie, III- Les hippotraginés, *B.S.G.A.O.,* 38 , 1918, p. 89-118.

[2] Camps (G.), Acridophagie, *E.B.*, I, 1984, p. 111-112 ; *Id.,* Africanae, *E.B.,* II, 1985, p. 217-221 ; *Id.,* Âne, *E.B.*, V, 1988, p. 647-657 ; *Id.,* Animisme, *E.B.,* V, 1988, p. 660-672 ; *Id.,* Bélier à sphéroïde, *E.B.,* IX, 1991, p. 1417-1433 ; *Id.,* Bubalus antiquus, *E.B.,* XI, 1992, p. 1642-1647 ; *Id.,* Cheval (origines), *E.B.,* XII, 1993, p. 1907-1911; *Id.,* Dattes/ Dattiers, *E.B.,* XV, 1995, p. 2234-2245 ; *Id.,* Fennec, *E.B.,* XVIII, 1997, p. 2752-2753.

[3] Camps-Faber (H.), Autruche, *E.B.,*VIII, 1990, p. 1176-1187 ; *Id.,* Gazelle, *E.B.,* XX, 1998, p. 2999-3007 ; *Id.,* Girafe, *E.B.,* XX, 1998, p. 3137-3147 ; *Id.,* Goundi, *E.B.,* XXI, 1999, p. 3174-3177 ; *Id.,* Guépard, *E.B.,* XXI, 1999, p. 3231-3234 ; *Id.,* Hérisson, *E.B.,* XXII, 2000, p. 3445-3451 ; *Id.,* Hyène, *E.B.,* XXIII, 2000, p. 3553-3558.

[4] Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec Rome, notes préliminaires, *Atti del XV convegno di studio Tozeur, 11-15 dicembre 2002, L'Africa romana,* XV/2, 2004, p. 973-987 ; *Id.,* Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec l'Espagne pendant le Haut Empire ; note préliminaire, *L' Africa romana*, XVI/3, Rabat, 2004, Roma, 2008, p.1413-1418.

وبناء على الإشكالية السابقة وما توفرت لدي من مادة علمية حاولنـا تقسـيم الموضـوع إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة.

ضمت المقدمة طرحا لإشكالية الموضوع مع ذكر أهميته ودوافع اختياره مـع عـرض لأهـم المصادر والدراسات الحديثة التي اعتمدتها.

خصصت الفصل الأول للدراسـة التصـنيفية للثـروة الحيوانيـة في الجزائـر خـلال العصـور القديمة وفق المنهج العلمي المتبع في تصنيف الحيوانات من قبل العلمـاء في هـذا المجـال، وهـو الأمـر نفسه الذي اتبعه لحسن بودرقا ضمن دراسته السالفة الذكر، وبعد تصنيفها بـذلت جهـدا في عمليـة التعريف بكل نوع منها وفق تسلسل كرونولوجي، وعلى ضوء ما اكتشف من متحجرات تعود إليها بالمواقع الأثرية لفترة ما قبل التاريخ وتعداد أهم صورها على الرسوم الصـخرية، لأنتقـل بعـدها إلى الفترة التاريخية التي أعتمد فيها على النصوص الإغريقية واللاتينية التي تهتم بتلك الفـترة. وعالجـت أبرز البقايا الأثرية الدالة عليها من خلال لوحات الفسيفساء خاصة، وضمنت فيه عدة أمـور تتعلـق بالحيوانات الآكلة للأعشاب(الثـدييات، البقاريـات، الأحصـنة..)، ثـم تناولـت الحيوانـات القارتـة واللاحمة والقاضمة، وأخيرا الزواحف، الطيور والحشرات.

وعمدت في الفصل الثاني للدراسـة التصـنيفية للثـروة النباتيـة في الجزائـر خـلال العصـور القديمة، حاولت فيه قدر الامكان إتباع المنهج العلمي لعلماء النبات في تقسيم النباتات. تلها التعريف بكل نوع منها من خلال المصادر الكلاسيكية والذي كثيرا مـا جـاء مقتضـبا مقتصـر في الكـثير مـن الأحيان على عبارة أو كلمة واحدة فقط، ولاستكماله أتبعته بتعريف علمي مأخود مـن الدراسـات الحديثة التي اهتمت بنباتات المنطقة، وتم تقسيمها إلى الأشجار الغابية، الأشجار المثمرة، الخضـروات والبقوليات، الأعشاب الطبية، النباتات الصناعية، وأخيرا مختلف الأعشـاب البريـة الصـالحة للأكـل والتي تظهر في فصل الربيع كالزهور والترفاس.

وعالجت في الفصل الثالث تربية الحيوانات والرعـي والزراعـة في الجزائـر خـلال العصـور القديمة، حيث تم مناقشة تربية الحيوانات والرعي من خلال تحديد واقع ممارسة الرعـي إبـان العصـر

الحجري الحديث والفترة التاريخية بعهودها المختلفة، حيث شكلت الحيوانات المستأنسة العنصر البنائي لتبني نظام معيشي واقتصادي واجتماعي معين من قبل سكان المنطقة، والذي يقوم على مبدأ تنمية وزيادة رؤوس القطعان والترحال معها لا على القنص والجري وراءها، وأسهبت خلال الفترة التاريخية في الحديث عن واقع النشاط الرعوي مع بداية هذه الفترة وإبان حكم الممالك المحلية مع الإشارة إلى موقف السلطات الرومانية منه والآليات والتدابير المنتهجة من قبلها للحد منه أو القضاء عليه. ومن تم انتقلت إلى واقع زراعة الأشجار المثمرة والخضروات ولكن بشكل مقتضب لشح المعلومات.

وتناولت في الفصل الرابع الحرف والمهن التي ظهرت خلال فترة ما قبل التاريخ والعصر القديم، التي استغلت فيها المنتوجات الحيوانية والنباتية كمواد أولية بصفة أساسية. والتي شملت الصناعة العظمية والجلدية والخشبية والنسيجية والصبغية وحرفة السلالة والحبالة، وأفردت قسما للعطارة ولصناعة العقاقير النباتية.

وشمل الفصل الخامس مكانة الإنتاج الحيواني والنباتي في التجارة الداخلية والخارجية في الجزائر خلال العصور القديمة ، ضم أولا التجارة الداخلية التي عالجت فيها تجارة القوافل والأسواق مع تحديد شبكة الطرق التي كانت وراء تنشيط الحركة التجارية في الأرياف والمدن دون أن نستثني الرسوم الجمركية من خلال وثيقة زراي. ثم عرجنا إلى الحديث عن التجارة الخارجية على مراحل مختلفة كالعهد الفينيقي، القرطاجي، وخلال حكم الممالك المحلية التي شملت دائرتها شبه الجزيرة الايبيرية والمدن الإغريقية وروما. وانتقلت إلى واقع التجارة أثناء الاحتلال الروماني، حيث أضحت الحيوانات والنباتات ومشتقاتهما موردا أساسيا لروما.

وعقدت الفصل السادس ضمن عنوان رمزية الحيوان والنبات والتوظيف الديني والسياسي والعسكري لها في الجزائر خلال العصور القديمة، عالجت فيه مكانة الحيوانات والنباتات في المعتقدات المحلية لسكان المنطقة قديما من خلال عرض المعبودات الحيوانية التي شملت كل من الكبش والثور والثعبان والقرد والأسد، وكان نصيب تقديس النبات في هذا الفصل ضعيف واقتصر

علـى سـعف شـجرة النخـل والزهـرة، وهـذا راجـع لغيـاب ورود إشـارات في المصـادر القديمـة والدراسات الحديثة عن تلك النوعية من المعبودات بالمنطقة. ومن تم ولجـت للحـديث عـن الرمـوز الحيوانية والنباتية التي ظهرت على مسكوكات الممالك المحلية خلال الفترة الممتـدة بـين نهايـة القـرن الثالث قبل الميلاد والنصف الأول من القرن الأول المـيلادي، كمـا تم الكشـف عـن ظـاهرة تقـديم الحيوانـات في الألعـاب لأغـراض سياسـية مـن أجـل الحصـول علـى الأصـوات وشـراء السـلم الاجتماعي بمدينة روما، والتي كانت تقدم قبل هذه المرحلة من قبل ملوك البربر لحلفائهم الرومان في شكل هدايا كعربون للصداقة. وأخيرا تطرقت إلى الفرس والفارس النوميدي بصفته السلاح الأكثـر نجاعة في الجيوش القرطاجية والرومانية وفرق المقاومة المحلية، وإلى بعض الحيوانات الأخرى .

وختمت بحثي بخاتمة أدرجت فيهـا النتـائج المتوصـل إليهـا. وأتبعتهـا بفهـارس متنوعـة تيسـر الاستفادة من الأطروحة.

كما أنوه إلى أنني قد ارتأيت توزيع الخرائط والصور حسب نوعيـة كـل فصـل وعنصـر منهـا، تفاديا لوضع ملاحق في آخر الأطروحة.

- **الصعوبات**

لضبط الموضوع والتحكم به خصصت بحثي لدراسة الحيوانات والنباتات البرية والقصـد مـن ذلك التحكم في الظـواهر قصـد السـيطرة عليهـا وتوجيههـا لصـالح هـذه الأطروحـة، وتجـاوزت الحيوانات والنباتات البحرية لأنهـا تحتـاج في نظـري إلى دراسـة مسـتقلة، ومـن تم حاولـت تجـاوز الصعوبات التي قد تشكل لي عائقا قويا في هذه الدراسة من حيث ضخامة المادة العلمية واقتصـرت موضوعي على الحيوانات والنباتات البرية فقط، وهي بداية لفتح المجال للباحثين في تكوين اشـكالية جديدة عن الحيوانات والنباتات البحرية.

كما لم يخل طريق هذا البحث من صعوبات وعوائق، تمثلت أساسا في قلـة المـادة المصـدرية الخاصة بشتى أنواع النباتات المتعلقة بمجال الدراسة خلال فترة ما قبل التاريخ والعصر القديم. كمـا

واجهتني مشكلة الوقوف على توحيد المصطلحات التي تم استقاؤها من مختلـف المصـادر والمراجـع، لعدم وجود اجماع فيما بينهم حول استخدام مصلح موحد.

وأود في الأخيرأن أشير إلى نقطة تتعلق بتصميم البحث وهيكلته، والقصد هنا التوازن بـين عناصر الفصول، فهو إن روعي داخل بعض الفصول والعناصـر، فإنـه لم يـراع في بعضـها الآخـر، وذلك راجع إلى طبيعة مادة كل عنصر وحظوظ كل فصل منها.

قائمة المختصرات

A.A.A., Atlas Archéologique de l'Algérie.

Ant.Afr., Antiquités africaines.

Annales E.S.C., Annales, Economies, Societés, Civilisations.

A.N.R.W., Aufstieg und Niedergang der Römischen Welt.

B.A.A., Bulletin d'Archéologique algérienne.

Bel.Jug., Bellum Jugurthinum.

B.A.I.E.P.E., Bulletin de l'association international pour l'Étude de la Préhistoire Égyptienne.

B.I.F.A.N., Bulletin de l'institut Français d'Afrique Noire.

B.S.G.A.O., Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.

B.S.H.N.A.N., Bulletin de la Société d'Histoire Naturelle d'Afrique du Nord.

B.S.B.F., Bulletin De la Société Botanique de France.

B.S.P.F., Bulletin de la Société préhistorique française.

C.I.H.E.A.M., Centre International Hautes Études Agronomitique Méditerranéenne.

C.I.L., Corpus Inscriptionum Latinarum.

C.R.A.I., Comptes rendus des Séances de l'Académie des Inscriptions et des belles-lettres.

C.T.H.S., Bulletin archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques.

D.A.G.R., Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines.

E.B., Encyclopédie Berbère.

F.A.N., Flore de l'Afrique du Nord.

H.A.A.N., Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord.

H.N., Histoire Naturelle.

H.P., Historia Plantarum.

I.L.Alg., Inscriptions latines d'Algérie.

Libyca Anthr.Préh.Ethn., Libyca Anthropologie, Préhistorique et Ethnographie.

Libyca ar.ep., Libyca archéologie- épigraphie.

I.R.S., Institut de Recherche Saharienne.

J.S.A., Journal de la Société des Africanistes

M.E.F.R., Mélanges d'Archéologie et d'Histoire.

M.E.F.R.A, Mélanges d'Archéologie et d'Histoire Antiquité.

Nat.Anim., Natura Animalium.

R.Af., Revue Africaine.

R.S.A.C., Recueil de la Société Archéologique de Constantine.

S.H.A., Scriptores Historiae Augustae.

Travaux de L.A.P.E.M.O., Travaux du Laboratoire d'Anthropologie et de Préhistoire des pays de la Méditerranée Occidentale.



الفصل الأول

دراسة تصنيفية للثروة الحيوانية في الجزائر خلال العصور القديمة

تمتعت الجزائر قديما بتنوع ايكولوجي كبير، تمثل خصوصا في كثرة الحيوانات التي استوطنت المنطقة منذ وقت مبكر، والتي بقيت مستحثاتها محفوظة ضمن الطبقات الأركيولوجية من جهة، أو مسجلة بين سطور المصادر الأدبية. وهذا ما سأحاول رصده من خلال هذا الفصل.

أولا -الحيوانات آكلات العشب « Herbivores »

1- الثدييات الكبيرة « Grandes mammifères »

1-1 - الفيـــــل « Proboscidien»

يعود أقدم تاريخ لوجود الفيلة بالجزائر إلى نهاية الزمن الجيولوجي الثالث فترة فيلافرنشيان، حيث اكتشفت متحجرات الماستودنت« Anancus Osiris » ، بعين بوشريط بالقرب من العلمة، وليس ببعيد عنه، تم العثور على بقايا لفيل أصطلح على تسميته بفيل ريكي « Elephas Reki »، بموقع عين الحنش، والذي هو في الأصل عبارة عن بحيرة تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأسفل، رفقة أدوات حجرية من صنع الإنسان الماهر، تنتسب إلى حضارة الحصى المهذبة ، هذا ما يدل على أن منطقة سطيف كانت مرتعا للفيلة [1]. لتترك المجال خلال الزمن الجيولوجي الرابع لأنواع أخرى من الفيلة وهي:

1-1-1 الفيل الأطلنطي« Loxodonta atlantica, Elephas Atlanticus »

عاش خلال فترة البلاستوسين الأسفل والأوسط، بين واحد مليون سنة و خمس مائة ألف عام قبل الميلاد [2]. عثر على بقاياه ضمن طبقات المواقع العائدة إلى الحضارة الأشولية المعروفة بصناعة أداة ذات الوجهين وهي موقع تغنيف بمعسكر، نقاوس بباتنة، بحيرة كيرار بتلمسان، بوانت بسكاد بالقرب من الجزائر العاصمة وسدراتة [3]. يتمتع بجثة ضخمة و نابان كبيران ويعتقد أن سبب انقراضه راجع إلى انخفاض الحرارة و جفاف المناخ [4] .

---

[1] Esperandieu (G.), Éléphant, *E.B.,* XVII, 1996, p. 2598 ; Saoudi (N.E.), Les *temps préhistorique en Algérie*, Alger, Daliman, 2002, p. 53-54.
[2] Joleaud (L.), Sur l'âge des éléphants quaternaires d'Algérie, *B.S.H.N.A.N.,* VI, 1914, p. 130.
[3] Joleaud (L.), Sur l'âge des éléphants quaternaires d'Algérie, *loc.cit.,* p. 131 ; Saoudi (N.E.), Les *temps préhistorique en Algérie*, *op.cit.,* p. 57-58.
[4] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 104.

2-1-1 الفيل الإيولنسيس « Loxodonta iolensis, Elephas iolensis »

ترجع متحجراته إلى فترة البلايستوسين الأعلى وبداية الهولوسين، اكتشفت بكل من سلمندار بمستغانم، موقع وادي رحة بقورايا، شرشال، بومرداس، حديقة التجارب، بابا علي، منطقة وادي الحراش، تاقورايت(بيرار سابقا) بالجزائرالعاصمة، وهي مصنفة إما على أنها موسترية أوعاترية [1].

3-1-1 الفيل الإفريقي « Loxodonta Africana, Elephas Africanus »

وجد هذا النوع من الفيلة في الجزائر خلال حقبة الهولوسين واستمر بقاؤه في المنطقة إلى غاية الفترة التاريخية، وهو أقل حجما من الفيل الآسياوي « Elephas Indicus » [2]، الذي حظي بإعجاب الكتاب القدامى من أمثال ديودور الصقلي « Doidore de Sicile » ، الذي قال في حقه ما يلي:" توجد بالهند كمية لا تصدق من الفيلة، التي تتفوق بكثير عن الفيلة ليبيا من حيث الشجاعة والقوة"، وأشار في موضع آخر قائلا:"تتميز الهند بكثرة الفيلة الكبيرة وهي أقوى من فيلة ليبيا" [3]، وأردف بومبونيوس ميلا« Poponius Méla » قائلا: "تتصف فيلة هذه البلاد(الهند) بالكبر و الضخامة مقارنة بفيلة مناطق أخرى" [4]، وفي السياق ذاته ذكر سترابون « Strabo» مايلي:" الفيلة هنا(أي الهند) أضخم و أقوى من تلك الموجودة بليبيا [5]، كما أشار بلينوس الكبير« Plinus » للفروق التي تميز الفيلة الهندية عن الإفريقية قائلا: "ترتعب فيلة إفريقيا من نظيرتها الهندية، لدرجة أنها تخشى النظر إليها، وفي العموم الفيلة الهندية أكثر طولا منها". [6]

جسد الفيل الإفريقي على الجداريات الصخرية المنتشرة بجبال الأطلس الصحراوي والصحراء منذ حوالي عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، وهو ما يقابل المرحلة الأولى من الفن الصخري المعروفة باسم مرحلة الجاموس القديم أوالرسم الطبيعي الكبير، وليس إلى سبعة آلاف سنة كما اعتقد

[1] Joleaud (L.), Sur l'âge des éléphants quaternaires d'Algérie, *loc.cit*, p. 131-132 ; p. 134.
[2] *Id.*, Sur l'âge de l'élephas africanus en Numidie*, R.S.AC.*, XLVIII, 1914, p. 20 ; Rfheinach(S.), Elephas, *D.A.G.R.,* 2, 1892, p. 536.
[3] Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique*, II, XVI ; XXXV.
[4] Pomponius Méla, *De Chorographia*, III, 7.
[5] Strabon, *Géographie*, XV, 1,45.
[6] Plinus, *H.N.*, VIII, 9.

غوتيي« Gautier »[1] . أهم تلك الصور موجود بمنطقة الجلفة ضمن موقعي عين ناقة، أين صور مع جاموسين كبيرين، وموقع ضاية المويلح رفقة كبش متوج، كما رسم بمفرده كما هو الحال بموقع زكار، تنيت بومديونة، ووادي روميلة، ولم يجمعه بالإنسان سوى مشهد واحد، تمثل في شخص مسلح بفأس يطارد فيلا عثر عليه بمنطقة بني ونيف [2]، وأجملها على الإطلاق منظر فيلة تحمي صغيرها من فهد يريد الإجهاز عليه بمحطة عين سفيسيف بجبل عمور(الصفحة35 - الصورة رقم1) [3]، زد على هذا، إحصاء لوت « Lhote » لستة تسعون رسما له بموقع وادي جرات بالطاسلي ناجر [4].

و الجدير بالملاحظة، هو عدم العثور على رسم للفيل بمنطقة الجنوب القسنطيني، مما يدعو إلى الاعتقاد، أن مهد الفن الصخري هو الجنوب الوهراني و من تم انتشر بالجنوب الجزائري شرقا والمغربي غربا [5]. ويتوافق المحيط الجغرافي لتوزيع الفيلة على الرسوم الصخرية مع ما أوردته النصوص النصوص التاريخية، بداية من هيرودتس « Hérodots » ، الذي عدد جملة من الحيوانات البرية من بينها الفيلة، التي عاشت غربي شط الجريد (Tréton) [6]، أي بجنوب بيزاكينا ونوميديا [7]، ونوميديا [7]، ويرى أرسطو « Aristote »أن مناطق انتشارها تقع بحدود المناطق المأهولة بالسكان الموجودة بالهند من جهة ومضيق جبل طارق من جهة أخرى، ومن المحتمل أنهما يلتقيان، مما يعتبر حسبه دليلا على كروية الأرض [8]، زيادة على ذلك فقد ذكر أبيانوس « Appianos » قيام أبيانوس « Appianos » قيام صدربعل بن جيسكون القرطاجي بتنظيم حملة صيد فيلة من أجل تدعيم قواته المقاتلة أمام الجيوش الرومانية، التي كانت بقيادة كورنليوس شبيون خلال الحرب البونية الثانية [9]، والتي لا شك أنها جلبت من نوميديا، موريطانيا أوجنوب بيزاكينا [10]، وفي نفس السياق

[1] Gautier (E.F.), *Le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs,* Paris, Payot, 1937. p. 39.
[2] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas saharien, op.cit.*, p. 228-229.
[3] Esperandieu (G.), Éléphant, *loc.cit.,* p. 2599.
[4] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer*), op.cit., p. 776.
[5] *Id.*, *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 229.
[6] Hérodote, *Histoire*, IV, 191.
[7] Téssot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, 1, op.cit.*, p. 367.
[8] Aristote, *De Coelo,* II, XIV, 15, D'après Gautier (E.F.), *le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, op.cit.*, p. 172.
[9] Appien, *Histoire Romaine, Le livre Carthaginois*, VIII, IX, 34.
[10] Frontin, *Stratagèmes,* IV, 7, 18.

ذكر فروتان« Frontin » أن صدربعل دخل نوميديا بقواته بحجة صيد الفيلة وأصبح سيدا لها بهذه الطريقة [1].

زد على ذلك إشارة بلوتاركوس « Ploutarkhos » لحملة بومبي « Pompée » الخاطفة التي قادته لإفريقيا من أجل القضاء على ثورة اندلعت بها و مكوثه فيها لأيام بهدف ممارسة هواية القنص بنوميديا حيث اصطاد فيلا وأسدا [2]،مما يوحي إلى أن نطاق الزيارة لم يكن بعيدا عن الساحل النوميدي. وذكر فلوروس « Florus » استعانة يوبا الأول بفيلة أتى بها حديثا من الغابات استعدادا لمعركة تابسوس لسنة 46 قبل الميلاد، التي جمعته بقوات يوليوس قيصر، إلا أنها انهزمت بسبب عدم جهزيتها للقتال [3]، وقد قص علينا لوسيان « Lucien » مغامرات فارس موري تائه يدعى ماوساكاس « Mausacas » جرت وقائعها بموريطانيا، فبينما كان يصتاد، ظهرت أمامه عدة مجموعات من الفيلة، وكيف كان سيلتهمه أسد و شرائه لأسماك رائعة من شرشال (Caesarea) [4]، (Caesarea) [4]، وهوما دعى تيسو« Tissot » إلى الاستنتاج من أن مسرح هذه المغامرة قد كان بموريطانيا القيصرية، وأن هذه الفيلة عاشت بغابات و مستنقعات حوض الشلف و على ضفاف بحيرتي زقاز وضاية الكحلة [5].

حدد بلينوس الكبير « Plinus » مواطن انتشارالفيلة فيما وراء خليج السرت الصغير وموريطانيا [6]، وحصر غوتي « Gauthier » وجودها بمنطقة الشطوط، بأعالي الساورة(وادي غير)، غير)، وادي اقرقار ووادي ميهيرو [7]، وهو ما يتناسب مع ما قاله أرسطو« Aristote » في حق الفيلة الفيلة حين قال أنها تحبذ التكاثر بجانب الأودية [8]، وكم هي كثيرة بقاياها المكتشفة بالقرب من المستنقعات والبحيرات، أين يتوفر الغذاء والماء. كما توحي بعض المواقع الأثرية المشتق اسمها من

[1] Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, 1, op.cit.*, p. 370.
[2] Plutarque, *Vie des hommes illustres, Pompée,* XII.
[3] Florus, *Histoire Romaine*, II, 13, 67.
[4] Lucien, *Comment il faut écrire l'histoire,* 28.
[5] Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, 1, op.cit.*, p. 369
[6] Plinus, *H.N.*, VIII, 11
[7] Gauthier (E.F.), *Le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, op.cit.*, p. 162.
[8] Aristote, *Histoire des animaux*, II, 7.

كلمة فيل أوالحاملة له، كقلعة الفيل (Castellum Elephantum) بغرب قسنطينة(Cirta)، ومدينة الفيلة (Elephantaria) بمتيجة، على أن هذه المناطق كانت مستقرا للفيلة قبل أن يغزوها العمران البشري. [1]

ويتصف الفيل الإفريقي عموما، برأس ممتلئ، جبهة محدبة، أذنين عريضين يغطيان كتفيه، كما يمتلك أربعة أضراس بمعدل اثنين بكل فك والمؤلفة من صفائح على شكل معين، له ثلاثة حوافر بالقائمين الخلفيين، ناباه طويلان وقويان، يتمتع بظهر مقوس يبدأ بمنخفض يقع وراء رأسه، وتظهر بنهاية ذيله كرة شعر [2]. وجدت بقاياه بكل من منطقة وادي صنهاجة العائدة إلى فترة الهولوسين الأعلى، وبمغارات العصر الحجري الحديث، كفوردلو بالجزائر العاصمة، هذا وقد عُثر على عظامه بالقرب من سكيكدة من قبل غويون « Guyon » سنة 1841ميلادية، والتي ترجع إلى الفترة التاريخية. [3]

2-1- وحيد القرن « Rhinocérotidé »

تنتمي البقايا الإحاثية لوحيد القرن المعثور عليها بالجزائر إلى صنف « Atelodus » بمعنى لا ثِنية له بالفك السفلي، و المنتشر حاليا بمنطقة السافانا الإفريقية [4]، وهو نوعان : الأول يعرف باسم « Rhinocéros de Mercki » ، الذي وجدت عظامه بطبقات الحمامات الرومانية ومغارة بوانت بسكاد بالجزائر العاصمة، والتي وُصفت ودرست من قبل العالم بومال « Pomel » الذي منحها اسم « Rhinocéros Subinermis » ، وقد عاصر الفيل الأطلنطي، ولم يتجاوز تعميره للمنطقة العصر الحجري القديم الأعلى [5]. أما النوع الثاني فمعروف باسم «Rhinocéros Mauritanicus/

[1]Joleaud (L.), Sur l’âge de l’elephas africanus en Numidie, *loc.cit.,* p. 206 ;
محمدالبشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور،ج.1، ص.291.

[2] Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d’Afrique, 1, op.cit*., p. 366 ; Esperandieu (G.), Éléphant*, loc.cit.,* p. 2599.

[3]Joleaud (L.), Sur l’âge de l’elephas africanus en Numidie*, loc.cit.,* p. 203-204.

[4] Pomel (A.), *Carte géologique de l’Algérie, Paléontologie, monographie, Les rhinocéros quaternaires, op.cit*., p. 43 ; Arambourg (C.), Les mammifères quaternaires de l’Algérie, p.67.

[5] Pomel (A.), *Carte géographique de l’Algérie, Paléontologie, monographie, Les rhinocéros rhinocéros quaternaires, op.cit.,* p. 47 ; Arambourg (C.), Les mammifères quaternaires de

« Rhinocéros simus » حسب بومال « Pomel » دائما. تم التعرف على متحجرا ته بمواقع العصر الحجري القديم الأسفل بكل من رملية تغنيف بمعسكر، بحيرة كيرار بتلمسان وأبو قير بمستغانم، وبالطبقات العاترية لمغارة البوليغون بوهران، مغارة الدببة بقسنطينة، وملاجئ المويلح بتلمسان العائدة إلى العصر الحجري القديم الأعلى، كما عثر عليه بمستويات مواقع العصر الحجري الحديث بموقع بجاية صحبة عظام الفيل الإفريقي، عين الترك بوهران، مغارة القيطنة بالعامرية ولاية عين تموشنت، أين اكتشف عظم ظفره، الداموس الأحمر بالقرب من تبسة، مما يعني أنه استمر في تعمير الناحية الشمالية من الجزائر لفترة طويلة امتدت من العصر الحجري القديم إلى غاية فجر التاريخ [1].

ظهرت صور وحيد القرن المحدودة العدد، المقدر عددها بتسعة عشر رسما فقط بجداريات الأطلس الصحراوي، بحجم يكون متوسطا أوصغيرا مقارنة بالثدييات الكبيرة الأخرى كالفيل والجاموس، مما يدل على عدم إسناد دور متفوق له من قبل السكان من الناحية الاجتماعية- الثقافية، ومن أهم جدارياته، رسم زكار، الحصباية، فجت ألبان ومردوفة اثنان [2](الصفحة 35- الصورة رقم 2)، والمدهش والغريب في الأمر، أن رسمه قد ظهر مائة وتسعة عشرة مرة بوادي جرات بالطاسيلي ناجر. متصدرا بذلك قائمة الحيوانات المجسدة بالموقع، أروعها على الإطلاق، مشهدين يتكرر فيهما أنثى وحيد القرن رفقة صغيرها الذي يتقدمها تحت حراستها، والواضح أن منطقة الطاسيلي خلال النيوليتي قد وفرت له ما يحتاجه من مياه و برك تمكنه من التمرغ في وحلها والشرب صباحا

---

l'Algérie, *B.S.H.N.A.N.,* 20, 1929, p. 67 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit*., p. 375.

[1] Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Les rhinocéros quaternaires, op.cit*., p. 43-45; Arambourg (C.), Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.,* p. 67 ; Pallary (P.), Note sur les vertèbres fossiles trouvée par M.Debruge, *R.S.A.C.,* 42, 1908, p. 150-151 ; Doumergue(F.), *Inventaire de la section de préhistoire du musée Demaeght*, *op.cit*., p. 45; Barbin (A.), Fouilles des abris préhistoriques de la Mouillah près de Marnia, *B.S.G.A.O.,* 30, 1910,p. 85 ; Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, La faune des temps néolithiques et protohistorique de l'Afrique du nord, *loc.cit.,* p. 38 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique, op.cit*., p. 375.

[2] Aumassip (G.), *Trésors de l'Atlas Saharien*, *op.cit*., p. 38-42 ; Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux erreurs d'Hérodote, La faune des temps néolithiques et protohistorique de l'Afrique du nord, *C.R.A.I.,* 1990, p. 38 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas saharien, op.cit*., p. 230.

ومساء [1]، و لم يحظى هذا الحيوان بالذكر من قبل المصادر القديمة التي تناولت موضوع حيوانات بلاد المغرب القديم.

1-3- فرس النهر« Hippotamus amphibus »

أدت التذبذبات الرطبة المزامنة للعصر الجليدي الرابع « Wurmien» ، إلى انقراض فرس النهر والفيل الأطلنطي من الجزائر، حيث حل الفيل الإفريقي محل هذا الأخير، كما استطاع وحيد القرن الحفاظ على بقاءه، في حين لم يتمكن فرس النهر من التأقلم مع التغيرات المناخية التي شهدتها المنطقة، فهو حيوان برمائي، يألف المياه بدرجة أساسية ولا يمكنه العيش دون مياه دائمة التدفق ومياه راكدة على الدوام(بحيرات)، التي كانت متوفرة طوال العصر الحجري القديم الأسفل وإلى غاية الفترة العاترية، إذ لا يتعدى عمر مستحثاته المكتشفة هذا الإطار الزمني، والتي اكتشفت بكل من موقع أبوقير بمستغانم، بحيرة كيرار بتلمسان، سيدي يونس بعين تموشنت، تغنيف بمعسكر ومحطة المنصورة بقسنطينة التي عثر بها على خمسين ضرسا لفرس النهر. [2]

إن كان هذا الأمر يصدق على المناطق الشمالية من الجزائر، فانه لا يصدق على الجهات الجنوبية، أين استطاع العيش إلى غاية العصر الحجري الحديث بدليل العثور على اثنان وعشرون رسما له بموقع وادي جرات بالطاسيلي ناجر والعائدة إلى المرحلة البقرية، وهي المراحل المتأخرة من الفن الصخري، المقدر عمرها بين ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وألفين وتسعمائة سنة قبل الميلاد، حسب ما دلت عليه نتائج الكربون المشع رقم 14(C14) الذي استعمل من أجل تزمينها. حيث وجد فرس النهر بهذه المناطق ظروفا مواتية للبقاء كالبحيرات، فقد أكتشف بعين المكان مابين ست وسبع حفر، نذكر منها على سبيل المثال لا للحصر قلتة بارتو، المقدر طولها بخمسين متر، والوديان كوادي إمهرو الذي يمتد على مسافة سبع كيلومترات بناحية إهرير، وبهضبة إغرغر التي يصب فيها وادي جرات، الذي

[1] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 778.
[2] Balout (L.), *Préhistoire de l'Afrique du nord,* Paris, Arts et métiers graphiques, 1955, p. 107 ; p .247 ; p .250 ; Chaid Saoudi (Y.), Contribution à la connaissance des faunes préhistoriques d'Algérie, *I.K.O.S.I.M.*, 1, 2012, p. 12 ; p. 17.

لعله امتلك خلال النيوليتي مستنقعات هامة، هذا وقد عثر على بقاياه بعرق أدمار بالقرب من جانت، عين قزام وعين أزوا [1] . وعلى العموم يتصف فرس النهر بجذع أسطواني الشكل بأطراف قصيرة، كما يمتلك جلدا عاريا وسميكا، له رأس كبير، يحمل خطما مجدوعا، أما أذنان فصغيران ومتحركان. [2]

1- 4- الزرافة « Giraffa Camelopardalis »

دلت الحفريات على وجود بقايا الزرافة ضمن المواقع الجزائرية العائدة إلى العصر الحجري القديم الأسفل، إذ عثر على ما يعرف اصطلاحا بـ « Libytherium Maurusium » ، وهو سلف الزرافة الحالية بعين بوشريط بالعلمة ولاية سطيف [3]، وكُشف بذات المنطقة بموقع عين الحنش*، عن فقارياتها التي سميت باسم « Girafa Pomeli »، هذا وقد أُطلق على العينات المعثور عليها برملية تغنيف بولاية معسكر مصطلح « Giraffa Camelopardalis » [4].

نادرة هي الرسوم الصخرية الخاصة بالزرافة بالأطلس الصحراوي، إذ لا نحتكم سوى على رسمين أوثلاثة لها موجودة بالجنوب الوهراني، أهمها رسم كوديت عبد الحق [5]، إلا أنها ألهمت بكثرة فناني الصحراء، حيث واكب ظهورها كل المراحل الفنية، بدء من المرحلة الطبيعية وانتهاء بمرحلة الجماليات. حيث أحصى لوت « Lhote » ما تعداده أربعة وخمسون رسما لها [6] وليس مائة وأربعة وخمسون كما ورد لدى كامبس فابر « Camps-Faber » ، أجملها الجدارية التي تتربع على مساحة مائة وعشرون مترا مربعا، والتي تظهر بها أثنتا عشرة زرافة. [7]

---

[1]Muzzolini (A.), La datation des premiers bœufs domestiques sur les figurations rupestres au Sahara central, La période bubaline, *B.A.I.E.P.E.*, 3, 1981, p. 19 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 778-779.

[2] *Encyclopédie la nature,* Milan, Hachette, 1995, p. 278.

[3] Saoudi (N.E.), *Les temps préhistorique en Algérie*, *op.cit.*, p. 53-54.

* يعود تاريخ هذا الموقع إلى أزيد من 1, 5 مليون سنة.

[4] Camps-Faber (H.), Girafe, *E.B.,* XX, 1998, p. 3137-3138 ; Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la Berberie, I, Les cervidés, *loc.cit.,* p. 497 ; Saoudi (N.E.), *Les temps préhistorique en Algérie*, *op.cit.*, p. 60.

[5] Aumassip (G.), *Trésors de l'Atlas saharien, op.cit.,* p. 90-91.

[6]Camps-Faber (H.), Girafe, *loc.cit.,* p. 3138.

[7] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, *op.cit.*, p. 779-780.

سقطت الزرافة من قائمة جرد حيوانات ليبيا لهيرودتس « Hérodots » ، مما يعني أنها كانت منقرضة خلال الفترة التاريخية. وقد عرفت في الأدبيات الإغريقية واللاتينية باسم الجمل-الفهد « Camélo-Pardalis » ، لأنها في نظر أصحابها تجمع صفات كل منهما [1]، وقد ظهرت حسب بلينوس الكبير « Plinus » لأول مرة بالسيرك الروماني سنة 46 قبل الميلاد، احتفاء بانتصارات الدكتاتور قيصر[2] « Ex Gallia, ex Aegypto, ex Ponto, ex Africa » . وقد تمكنت الجماهير الرومانية من رؤية الزرافة ست مرات، استنادا إلى غاتيي « Gatier » ، الذي تتبع في ذلك مواطن ذكرها بالمصادر الأدبية. حيث كانت تستقدم بخاصة من إثيوبيا والهند، هذا وقد ظهر رسمها بفسيفساء تعود إلى القرن الرابع الميلادي محفوظة بمتحف سطيف [3]، برغم انقراضها من المنطقة، المنطقة، فكثيرة هي الحيوانات التي رسمت على غرار هذه الأخيرة ولم تعد موجودة. وقد استمدت الزرافة شهرتها من قامتها الشاهقة التي تصل إلى خمسة أمتار وثمانين سنتيمتر، وهي بمثابة سلاحها الذي يحميها من الحيوانات المفترسة، تتميز بأطراف طويلة، صلبة وقوية، تمتلك حوافر مشقوقة، ذيل رفيع ورأس صغير، تتمتع بشفتين شديدتي الحركة تمددان وجهها، لها قرنان مستقلان، كما يمكن أن يظهر لها زوج آخر من القرون أصغر حجما خلف الأولين، تزين جلدها بقع يتراوح لونها مابين البني الفاتح والغامق. [4]

2-البقريات « Bovidés »

2-1-الجاموس القديم « Bubalus Antiquus/ Pelorovis Antiquus »

يعتبر الجاموس القديم حسب أرامبورغ « Arambourg »، أحد الحيوانات الكلاسيكية الخاصة بالجزائر [5]، حيث تم الكشف عنه لأول مرة سنة 1851 ميلادية، من قبل دوفرنوي « Duvernoy » بطمي وادي بوسالم بالقرب من سطيف، حيث تمثلت البقايا في قسمين من جمجمتين، أُطلق عليهما

[1] Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique*, II, 51, 1 ; Plinus, *H.N.,* VIII, 27 ; Dion Cassius, *Histoire Romaine,* 43, 23.
[2] Plinus, *H.N.,* VIII, 27 ; Gatier (P.L.), Des girafes pour l'empereur, *Topoi*, 612, 1996, p. 915.
[3] Gatier (P.L.), Des girafes pour l'empereur*, loc.cit.,* p. 917 ; p. 931.
[4] Camps-Faber (H.), Girafe, *loc.cit.,* p. 3138 ; p. 3140.
[5] Arambourg (C.), Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.,* p. 76.

اسم البقر القديم « Buffelus Antiquus ». تلها اكتشاف جمجمة أخرى بحوض رومال قرب عين سمارة بقسنطينة سنة1859 [1]. وبفضل العثور على هيكل عظمي شبه كامل له بمنطقة الجلفة سنة 1872 ميلادية إلى جانب دراسة الرسوم الصخرية التي ظهر بها، تمكن بومال « Pomel » وغيره من الباحثين من تحديد صفاته وإعطاء صورة واضحة عنه، حيث تم تصنيفه ضمن الحيوانات المتوحشة الضخمة.

يمتاز الجاموس القديم برأس منخفض مائل نحو الأمام، محمول على رقبة قصيرة ليس لها غبغب (اللحم الذي يتدلى تحت الحنك عند الحيوانات)، يبلغ طوله الإجمالي ثلاثة أمتار، يمتلك حاركا مقوسا مرتفع كثيرا كأن به حدبة، والذي يصل طوله إلى حوالي متر و سبعون سنتيمتر، أما خطمه فغليظ في حين تكون جبهته منتفخة كثيرا. هذا وتتموضع محاجر العينين بالقرب من منبت القرنيين الكبيرين اللذين يفوق طولهما المترين، المتخذين شكل قوس ذا حلقات. يتمتع بقوائم قصيرة خشنة وصلبة تذكراننا بأطراف فرس النهر ووحيد القرن والفيل، وبذيل قصير ونحيف بنهايته كرة شعر [2]. يألف الجاموس القديم المناطق المفتوحة من نوع السافانا، التي تؤمن له الأعشاب الطرية، إلا أنه يخشى الحرارة الشديدة، فهو بحاجة دائمة للمياه المتوفرة في المستنقعات، هذا ما يفسر وجود بقاياه العظمية بأماكن كانت عبارة عن مجارية مائية كالوديان، البحيرات، السباخ أو الأراضي الطينية. [3]

عرف الجاموس القديم منذ فترة البلستوسين الأسفل، حيث عثر على مستحثاته بموقع عين الحنش بسطيف، لكن تاريخ انقراضه لازال محل نقاش، فهناك من يرى أنه عاش إلى ما بعد فترة العصر

[1] Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Bubalus Antiquus, op.cit.,* p. 74 ; Camps (G.), Bubalus Antiquus, *loc.cit.*, p. 1642.
[2] Camps (G.), Bubalus Antiquus, *loc.cit.,* p. 1643 ; Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la Berberie, II, Les bovinés, *loc.cit.,* p. 189 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit*., p. 72-73 ; Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Bubalus Antiquus, op.cit*., p. 81-83.
[3] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit.,* p. 73 ; Muzzolini (A.), La datation des premiers bœufs domestiques sur les figurations rupestres au Sahara central, La période bubaline, *B.A.I.E.P.E.*, 3, 1981, p. 21 ; Arambourg (C.), Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.,* p. 76.



الصورة (1): مشهد فيلة تحمي دغلها من نمر- عين سفيسيف، جبل عمور.

Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,*2, Alger, ENAG, 1992, Fig.33.2



الصورة (2): رسم وحيد القرن- مردوفة اثنان، البيض.

About : http//fr.dbpedia.org/resource/Gravures Rupestres de la région d'El-Bayadh



الصورة (3): مشهد جاموسين عتيقين- كهف مكتوبة، البيض.

Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba ,* 2, Alger, ENAG, 1992, Fig.23.

الحجري الحديث وأن وجوده استمر إلى غاية الفترة التاريخية [1]، في حين يرى البعض الآخر أنه اختفى خلال العصر النيوليتي قبيل استخدام المعادن [2]، لكن السؤال الذي يطرح نفسه، في أي فترة من هذا العصر قد انقرض؟ وللإجابة عن هذا السؤال عادت الباحثة حاشي إلى دراسة الرسوم الصخرية، حيث لاحظت أن نطاق رسمه بها لم يتعدى المرحلة الأولى من الفن الصخري المعروفة اصطلاحا بالمرحلة الطبيعية مما يعني أنه انقرض من المنطقة في بداية العصر الحجري الحديث. [3]

أما موزوليني « Muzzolini » فيرى أنه قد عايش وعاصر المرحلة البقرية [4]. وأوعز سبب انقراضه للعامل المناخي، جراء الجفاف الذي بدأت تشهده المنطقة، الذي قلص المراعي ومن قيمتها الغذائية، ودفع بالحيوانات المتوحشة الكبيرة إلى الهجرة جنوبا، حيث تمكن أغلبها من بلوغ المناطق الاستوائية الأكثر ملائمة لها، في وقت اختفى فيه الجاموس القديم تماما والذي لم يستطع الهجرة. فهل يمكن الافتراض أن تكون هناك أسباب أخرى وراء انقراضه، كالأوبئة أو الصيد المفرط مثلا. [5]

إلى جانب ذلك فقد وجدت مستحثاته بمواقع البلستوسين الأوسط ضمن مخلفات الحضارة الأشولية، بموقع تغنيف بمعسكر، أبوقير بمستغانم وبحيرة كيرار بتلمسان، وبمحطات البلستوسين الأعلى، بموقع ألبروج العاتري بالجزائر العاصمة، كما تم العثور عليه بطبقات العصر الحجري الحديث بمغارات وهران، مغارة الصخرة الكبرى، مغارة الحمامات الرومانية و مجرى وادي الحميز بالجزائر العاصمة، ومغارة كاب كاربون ببجاية [6]. أما على مستوى الفن الصخري، فتم إحصاء ما مجموعه مائة واثنان وعشرون رسما، موزعة على النحو التالي، خمسة بجبال القصور بعين الصفراء، سبعة

---

[1] Camps (G.), *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara,* Paris, Doin, 1974, p. 328.

[2]. Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Bubalus Antiquus,* op.cit., p. 82 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, op.cit*., p. 216.

[3] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit*., p. 74.

[4] Muzzolini (A.), La datation des premiers bœufs domestiques sur les figurations rupestres au Sahara central, La période bubaline, *loc.cit.*, p .21.

[5] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit.,* p. 74 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas saharien, op.cit*., p. 216.

[6] Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la Berberie, II, Les bovinés, *loc.cit.,* p. 110-111 ; Camps (G.), Bubalus Antiquus, *loc.cit.*, p. 1644 ; Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Bubalus Antiquus, op.cit*., p. 77.

وخمسون بمنطقة البيض (الصفحة35 -الصورة رقم3)، خمسة بجبل عمور بناحية أفلو، خمسة وعشرون بجبال أولاد نايل جنوب الجلفة، ثلاثة بتيارت ونفس العدد بقسنطينة، سبعة بمنطقة نمامشة وتبسة، اثنا عشرة بوادي جرات و أخيرا مابين أربعة وخمسة بالأهقار. [1]

2 -2- الأبقار« Bovins »

يتخذ علماء الإحاثة وأثريو ما قبل التاريخ من شكل القرون وحجمها معيارين أساسين في التصنيف والتعريف بأنواع الأبقار التي انتشرت بالجزائر قديما، واللتان دفعتهما إلى الإجماع على وجود أربعة أصناف من الأبقار وهي كالتالي:

2-2-1- الثور البدائي أو الأرخص « Bos Primigenius »

يتمتع هذا النوع من الأبقار بحجم كبير ومستقيم، حيث يصل طول حاركه المترين وعشر سنتيمترات، قرونه طويلة وموجهة نحو الأمام يتعدى طولها الخمسين سنتيمتر، جبهته مقعرة، وهو أصغر حجما من البقر البدائي الأوروبي [2]، وتنسب إليه المستحثات المدروسة من قبل بومال « Pomel » سنة 1894، التي أطلق عليها اسم « Bos Opisthonomus » [3]، ضنا منه أنها عظام نوع آخر، وما هي في الحقيقة إلا عظام الثور البدائي. ويعتقد فريق من الباحثين من أمثال أبستان « Epstien » أن كل الأبقار تنحدر من الأرخص، الذي دُجن بمنطقة جنوب غربي آسيا، ومنها انتشر تدريجيا نحو الغرب، حيث وجدت أقدم الدلائل على استئناسه بتساليا ببلاد اليونان، التي ترجع إلى حوالي8500 سنة قبل الميلاد [4]. وهو الافتراض الذي أخذ به موزوليني « Muzzolini »كذلك، إذ يرى

[1] Camps (G.), Bubalus Antiquus, *loc.cit.,* p. 1644 ; Muzzolini (A.), La datation des premiers bœufs domestiques sur les figurations rupestres au Sahara central, La période bubaline, *loc.cit.*, p. 20 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 778.

[2] Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la Berberie, II, Les bovinés, *loc.cit.,* p. 163 ; Muzzolini (A), Le vocabulaire zoologique relatif aux bœufs en Égypte, au Maghreb et au Sahara durant l'Holocène, *B.A.I.E.P.E.*, 4, 1982, p. 32 ; Muzzolini (A), Agabi (C), Bernus (E), Bœufs (Préhistoire), *E.B.,* X, 1991, p. 1548.

[3] Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Bœufs -Taureaux, op.cit.*, p. 15.

[4] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 240.

بدوره أن كل الأبقار المتوحشة أوالمستأنسة، التي لا تزال منتشرة بمنطقة شمال إفريقيا تنحدر من الثور البدائي على غرار الثور ذوالقرون القصيرة « Bos Brachyceros » والثور الإفريقي [1]. وهو ما رفضته حاشي جملة وتفصيلا. إذ ليست هناك أية دلائل أو قرائن تأكد على استئناسه، خاصة وأنه ظهر دائما على صخور الأطلس الصحراوي في شكله المتوحش [2]، إلا أنه من المؤكد أن الثور البدائي قد عاش بالمنطقة بدون انقطاع خلال الفترة الممتدة من العصر الحجري القديم الأسفل إلى غاية العصر الحجري الحديث [3]، حيث عثر على بقاياه بمواقع العصر الأول، بكل من موقع أبو قير بمستغانم، تغنيف بمعسكر، وادي سيقان، مغارة الدببة والأروية بقسنطينة، وضمن طبقات العصر الثاني، أين وجدت عظامه بمغارات وهران(نوازو، سكان الكهوف و مغارة الغابة)، مغارة وادي سعيدة، جبل الركينة [4]. هذا وقد صور بجداريات محطة مردوفة بالجنوب الوهراني [5]، ويذهب البعض إلى الاعتقاد بأن وجوده قد استمر إلى غاية الفترة التاريخية، لكن ليس هناك ما يثبت أمر ذلك من الناحية الأثرية [6].

2-2-2- الثور الإيبيري« Bos Ibiricus »

أُطلق عليه هذا الاسم من قبل العالم سانسون « Sanson » سنة1878 ميلادية، اعتقادا منه أن أصله من شبه الجزيرة الإيبرية، وتُواجه الباحثين صعوبات كبيرة في دراسة هذا النوع، لأن مخلفاته ليست معروفة كثيرا وغير مدروسة بالقدر الكافي، وتختلف مورفولوجية الثور الإيبيري عن الثور

[1] Muzzolini (A.), Le vocabulaire zoologique relatif aux bœufs en Égypte, au Maghreb et au Sahara durant l'Holocène, *loc.cit.,* p. 24.
[2] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* II, p. 219 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit.*, p. 77.
[3] Aumassip (G), Ferhat (N), Heddouche (A), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, op.cit.*, p. 142.
[4] Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la Berberie, II, Les bovinés, *loc.cit.,* p. 164 ; p. 166 ; Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *Actes du Congrès panafricain de préhistoire,* 2, 1952, p. 570-571.
[5] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 788.
[6] Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la Berberie, II, Les bovinés, *loc.cit.,* p. 163.

البدائي، حيث يتميز بحجم صغير مقارنة بالثاني، قرونه الخشنة سميكة وقصيرة، معقوفة نحو الأمام بتقوس واحد، يمتلك وجها صغيرا، وتظهر بجانبي جبهته حدبتين، له غبغب كبير وفخذ نحيف، أطرافه قصيرة، وذو بوص موحد اللون [1].

ويرى موزوليني « Muzzolini » ، أن الثور الإبيري ما هو إلا نوع صغير من الأرخص في طابعه المستأنس، مستندا في ذلك على قانون برغمان « Bergmann » ، الذي يربط بين الحجم الصغير للحيوان والمناطق شبه الجافة أوالاستوائية، حيث خَلص إلى أن عددا من الثدييات، قد تغير وتحول حجمها العام في بداية عصر الهولوسين وذلك لأسباب مناخية، وهو ما حدث للثور البدائي كذلك [2]، في حين يذهب بعض الكتاب إلى القول بأن البقر الإبيري هو أنثى هذا الأخير [3] ، إلا أن أوماسيب، شايد سعودي وحاشي، ترفضن هاته الأطروحات تماما، فقد قامت الباحثة الأخيرة بالمعاينة الدقيقة لصور الأبقار المنتشرة بالأطلس الصحراوي، وخلصت إلى أن البقر الإبيري ليس بسليل الأرخص، مادام أنه كان معاصرا له في كل مراحل الفن الصخري من جهة، هذا ويظهر الأول في طريقه لتدجين من جهة ثانية، كما هو الحال بصخرة تيوت التي تصور أشخاصا يودون إسقاطه في حين هناك حيوانات أخرى محيطة به يتم اصطيادها، في حين يشاهد الثاني في حالة متوحشة. زد على هذا، فقد أظهرت الأبحاث الإحاثية التي أنجزت من قبل شايد سعودي على مستوى موقع غلدمان أقبو شرق بجاية، على تعايش وتلازم النوعين معا [4].

---

[1] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, op.cit., p. 76 ; Aumassip (G.), *Trésors de l'Atlas Saharien*, *op.cit*., p. 48 ; Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.,* p. 553 ; p. 556 ; Muzzolini (A.), Le vocabulaire zoologique relatif aux bœufs en Égypte, au Maghreb et au Sahara durant l'Holocène, *loc.cit.*, p. 28.

[2] Muzzolini (A), Agabi (C), Bernus (E), Bœufs (Préhistoire), *loc.cit.,* p. 1548 ; p. 1550.

[3] Aumassip (G.), Ferhat (N.), Heddouche (A.), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, op.cit*., p. 141.

[4] *Id., Ibid.,* p. 141 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit*., p. 76-77.

عمر البقر الإبيري المنطقة منذ بداية الزمن الجيولوجي الرابع ولا يزال موجودا إلى يومنا هذا، حيث تنحدر منه سلالة قالمة، وقد انتشر بالمنطقة التلية إلى غاية الأطلس الصحراوي [1]، هذا وتم اكتشاف عظامه بأغلب المواقع الأثرية، سواء أكانت عائدة إلى العصر الحجري القديم(موقع تغنيف بمعسكر، أبو قير بمستغانم، بحيرة كرار بتلمسان، بحيرة ملول بسطيف، موقع عين ميلة القفصي، وادي سيقان) أو العصر الحجري الحديث(مغارة علي باشا ببجاية، بوانت بسكاد و الصخرة الكبرى بالجزائر العاصمة، مغارة وادي سعيدة، مغارات وهران، جبل القردة ببجاية) [2]. أضف إليها صوره الكثيرة بجداريات الأطلس الصحراوي مقارنة برسومه الموجودة بالطاسيلي المتميزة بقلتها. هذا وقد دُجن محليا في فترة متأخرة، أعقبت دخول الثور الإفريقي المستأنس للمنطقة [3].

2-2-3-الثور ذو القرون القصيرة « Bos Brachyceros »

حل هذا النوع من الأبقار مكان الثور البدائي المنقرض، أثناء أونهاية الألف الأولى قبل الميلاد، والذي تنحدر منه جميع سلالات القرون القصيرة المنتشرة ببلاد المغرب حاليا بما فيها الجزائر [4]، ويعتقد أن للقرطاجيين دور في استقدامه إلى المنطقة من أحد المحطات المتوسطية التابعة لهم ببلاد الإغريق وبحر ايجه، أين كان قد انتشر خلال عصر البرونز أوما قبله [5]، كما يُحتمل مجيئه من مصر خلال عهد الدولة الحديثة. [6]

---

[1] Aumassip (G.), *Trésors de l'Atlas Saharien*, *op.cit.,* p. 49 ; Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, A*ctes du Congrès panafricain de préhistoire,* 2, 1952, p. 556 ; Muzzolini (A.), Le vocabulaire zoologique relatif aux bœufs en Égypte, au Maghreb et au Sahara durant l'Holocène, *loc.cit.,* p. 28-29.

[2] Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la Berberie, II, Les bovinés, *loc.cit.,* p. 176 ; Aumassip (G.), Ferhat (N.), Heddouche (A.), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, op.cit*., p. 141.

[3] Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.,* p. 556 ; Hachid (M), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit*., p. 121.

[4] Muzzolini (A.), Agabi (C.), Bernus (E.), Bœufs (Préhistoire), *loc.cit.,* p. 1552 ; Muzzolini (A), Le vocabulaire zoologique relatif aux bœufs en Égypte, au Maghreb et au Sahara durant l'Holocène, *loc.cit.,* p. 29.

[5] Muzzolini (A.), Agabi (C.), Bernus (E.), Bœufs (Préhistoire), *loc.cit.,* p. 1552

[6] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas saharien, op.cit*., p. 240.

أثنت المصادر القديمة على غنى المنطقة بالقطعان التي كان إحداها الأبقار والثيران، إذ جاء لدى هيرودتس « Hérodots » ذكر ثيران ذات قرون معقوفة نحو الأمام، مما يجبرها على الإرتعاء بالسير نحو الخلف [1]، وهو ما كرره بلينوس الكبير« Plinus » [2]، دون أن يتحقق من صحة هذه المعلومة، التي تعتبر أحد الخرافات أو المبالغات التي أوردها أبو التاريخ، هذا وقد روج بوليبيوس « Polybios » للثورة الحيوانية الكبيرة التي تزخر بها المنطقة، والتي لا مثيل لها في أنحاء المعمورة كلها [3]، كما تطرق أروس « Orose » لحادثة سلب القائد القرطاجي هملكار لعشرين ألف ثور خلال حملته الانتقامية ضد النوميدين المجاورين لقرطاجة المتحالفين مع ريغولوس ، والمرجح أن تكون غزوته قد بلغت المنطقة التلية بين إيدوغ وسوق أهراس وهي المنطقة المشهورة بتربية الأبقار إلى غاية يومنا هذا. [4]

4-2-2- الثور الإفريقي « Bos Africanus »

ينفرد هذا النوع من الأبقار بقرونه المرتفعة فوق رأسه، المتميزة بطولها ورفاعة نهايتها، متخذة شكل قوس أو قيثارة، يتمتع بحجم كبير لكنه نحيف، له حارك مرتفع وجبهة مسطحة وهو سريع عند الركض [5]. أدخل إلى الصحراء مستأنسا خلال فترة العصر الحجري الحديث وبالتحديد خلال المرحلة المرحلة البقرية للفن الصخري، إذ لم يصور ضمن المراحل الأولى لهذا الفن [6]، مما يعني غيابه عن المشهد الطبيعي للمنطقة خلال بداية العصر النيوليتي، ليبلغ بعدها الأطلس الصحراوي أين صور بصخور جبل ملياس، مشقوق و غارساموت، حيث أعتمد في تخطيطه على تقنية التنقيط و كذا

[1] Hérodote, *Histoire,* IV, 183.
[2] Plinus, *H.N.,* VIII, 70.
[3] Polybe, *Histoire,* XII, 3, 3.
[4] Orose, *Adversus paganos,* IV, 9,9, d'après Gsell(S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, V, p. 179-180 ; Camps (G.), *Aux origines de la Berberie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, op.cit.*, p. 40.
[5] Aumassip (G.), *Trésors de l'Atlas Saharien*, *op.cit.*, p. 48 ; Aumassip (G.), Ferhat (N.), Heddouche (A.), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, op.cit.*, p.141 ; Muzzolini (A.), Agabi (C.), Bernus (E.), Bœufs (Préhistoire), *loc.cit.,* p.1553.
[6] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit.*, p.78.

استخدام الزنجار الفاتح اللون [1]، وقد استمر وجوده إلى غاية فترة فجر التاريخ بـدليل تصـويره رفقـة شفرة حديدية. [2]

3- الأحصنة « Les Equidés»

كشفت البقايا الأحفورية على قدم سلالة الخيليات التي عاشت في الجزائر قبل فترة الهولوسين، حيث تم العثور على الهيباريون الإفريقي « Hipparion Africanus Hipparion » بموقع بوحنيفية، والذي يعود تاريخه إلى اثنا عشرة مليون سنة، كما اكتشفت عينات من قبل بومال « Pomel » أطلق عليها اسم الهيباريون السطايفي « Hipparion Sitifise » ، تعود إلى فترة البلستوسين الأعلى، بكـل من حـوض العلمـة، معسـكر وشـعبة ماطنقـا. هـذا وقـد وجـدت بقايـا سـلالة الهيبـاريون اللـيبي « Stylohipparion Libycum » ، محفوظة ضمن طبقة فيلافرنشـيان السـفلية لموقـع عـين بوشـريط وعين الحنش بسطيف، وقد عاصر هذا الأخير الحصان النوميدي« Equus Numidicus ». [3]

3-1- الحمار الإفريقي المتوحش « Equus Asinus Africanus Sanson »

ينحدر من سلالة حصان التـابتي« Equus Asinus Tabeti Arambourg »، يتميـز بنحافتـه وأضراسه الصغيرة، كما يتمتع برأس كبير نوعا ما، وخيشوم غليظ، بظهره تقاطع يمتد من الحارك، لـه عُرف قصير ومنتصب أحيانا [4]. وقد وجدت بقاياه ضمن طبقـات عصـر البلستوسـين بعـين الحـنش وتيهودان بالأهقار [5]، وكذا بطبقات عصر الهولوسين، ضمن مواقع العصر الحجـري القـديم الأعلـى بالحمامات الرومانية الكائنة بالجزائر العاصمة وعلي باشا ببجاية، إلى جانب مواقـع العصـر الحجـري

[1] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas saharien, op.cit.*, p. 242.
[2] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit.*, p.121.
[3] Camps (G.), Quelques réflexions sur la représentation des équidés dans l'art rupestre Nord-Africain et Saharien, *B.S.P.F.*, 81, 1984, p. 375 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit.*, p. 80 ; ياسمينة شايد سعودي، دراسة إحاثية كلومناطة لأحصنة (الجزائر الغربية) من العصر الحجري القديم المتأخر, *Libyca. Anthr.Préh.Ethn.*, XXXXIII, 1984-1986, p .212 ; p. 214.
[4] Camps (G.), Âne, *loc.cit.,* p. 649 ; ياسمينة شايد سعودي، المرجع السابق، ص.214
[5] Camps (G.), Âne, *loc.cit.,* p. 649 ; *Id.,* Quelques réflexions sur la représentation des équidés dans l'art rupestre nord-africain et saharien, *loc.cit.,* p. 375.

الحديث كسيدي الحسني بتيارت(كولومنطة سابقا)، مغارة الصخرة الكبرى بالجزائر العاصمة، مغارة وادي سعيدة، مغارة سكان الكهوف بوهران [1].

هذا وتم الكشف خلال الثمانينات من القرن الماضي على نوع آخر من الحمار الوحشي بموقع سيدي الحسني من قبل الباحثة ياسمينة شايد سعودي، أطلقت عليه اسم « Equus Asinus Magors » [2]، والذي تصادف مع اكتشاف الباحثين بكتاش وحجويس، لنفس الخاصيات الحمارية للأول بموقع ألوبروج العاتري بجيدرة بالجزائر العاصمة، أطلقا عليه اسم حصان المالكي « Equus Melkiensis* » [3]، كما تم التعرف عليه بموقع فلفلة بسكيكدة [4]. ولا يزال الحمار المتوحش يعيش بنواحي تبستي بليبيا، السودان والصومال [5]. هذا وقد شكل أحد مواضيع الفن الصخري، إذ ظهرت ظهرت صوره بموقع الحصباية، عين ناقة، تيوت، عين سفيسيف، والغيشة بالأطلس الصحراوي، ويعتبر رسمه بجداريات الموقع الأخير أحد روائع فن العصر الحجري الحديث، ليس بالجزائر فحسب بل بشمال إفريقيا ككل(الصفحة 48 – الصورة رقم4)، ولمح شكله بموقع تسوكاي ووادي جرات بالطاسيلي ناجر وعلى صخور موقع أغونار بالأهقار [6].

استمر وجود الحمار المتوحش إلى غاية المرحلة التاريخية، بدليل أن المؤرخ هيرودتس « Hérodots » [7]، أتى على ذكره بصفته حيوانا لا يشرب أبدا، وهو وصف نلمس من ورائه إحاء لما لما يتمتع به من جلد وصبر كبيرين يمكنانه من التكيف مع مختلف الظروف الطبيعية القاسية للصحراء،

---

[1] *Id., Ibid.*, p. 375 ; ياسمينة شايد سعودي، المرجع السابق، ص.215.

[2] Aumassip (G.), Ferhat (N.), Heddouche (A.), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, op.cit.*, p. 147.

* نسبة إلى م.مالكي أحد مجاهدي ثورة نوفمبر 1954.

[3] Camps (G.), Quelques réflexions sur la représentation des équidés dans l'art rupestre Nord-Africain et Saharien, *loc.cit.,* p. 375 ; ياسمينةشايد سعودي، دراسة إحاثية لأحصنة كلومناطة (الجزائر الغربية) من العصرالحجري القديم المتأخرالحجري القديم المتأخر، *نفس المرجع*، ص.228.

[4] نفس المرجع، ص.228.

[5] Camps (G.), Âne, *loc.cit.,* p. 648 ; Hachid (M), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit.*, p. 80.

[6] Aumassip (G.), *Trésors de l'Atlas Saharien*, *op.cit.,* p. 78 ; Lhote (H), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 233 ; *Id.*, *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 780.

[7] Hérodote, *Histoire,* IV, 192.

قانعا بما تحويه ثمار المنطقة من مياه [1]، وتبعه في ذلك لوسيان « Lucien » ، إذ يقـول:" هـي إحـدى الحيوانات التي يمكنها تحمل العطش وحرارة الشمس اللافحة" [2]، هذا وأشار أليانوس « Elianos » إلى أحد أهم ميزاتها وهي الركض السريع قائلا:" تعدو حمير موريطانيا بسرعة فائقة، وتنطلق بحيوية لا مثيلة لها، كأنها ضربة ريح، في هيئة جناح عصفور، لكنها سريعا ما تتعب، فتستسـلم أطرافهـا، ويبـدأ تنفسها بالتقطع، تفقد الحركة وينتهي بها الأمـر مسـمرة في مكانهـا" [3]. وتحـدث أريـان « Arrien » بدوره عن سرعة الحمير المتوحشة الإفريقية [4]، وسـولينوس « Solinus » ، حـين أشـار إلى إمكانيـة ترأس حمار واحد لقطيع من الإناث [5] ، وقد ظهر رسمه مجسدا على لوحات الفسيفسـاء الإفريقيـة، كتلك المكتشفة بعنابة(Hippone) وجميلة (Cuicul) (الصفحة 48 –الصورة رقم 5). [6]

2-3- الزرد « Equus Mauritanicus »

دأب العلماء في الماضي على إطلاق اسم الحصان الموريطاني« Equus Mauritanicus » ، على كل أثر من الخيليات يتم اكتشافه بشكل تعسفي فيه الكثير من التسرع، وأضحى هذا الموضوع لاحقـا مثار جدل، بعد أن أبد بعض الباحثين تحفظا شديدا على هذه التسمية التي لا تعكس شكل وسلالة هذا الحيوان، المتسم بالسمنة والقصر وبقوائمه الغليظة، المتلك لطواحن يعلوها أخدود ممـدد يتفـاوت طوله من ضرس لآخر [7] ، والذي شبهه بول « Boule » نقلا عـن شـايد سـعودي بـزرد بورشـال « Burchell »، في حين خلصت إيزنمان « V. Eisemmann » نقلا عن كامبس « Camps » ، التي عكفت على دراسة بقاياه المكتشفة بموقع تغنيف بولايـة معسـكر، إلى انتمائـه إلى سـلالة زرد كاغـا *

[1] Camps (G.), Le bestiaire libyque d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 21.
[2] Lucien, *Les Dipsades,* in œuvres complètes de Lucien de Samosate, T.2, E.Talbot (trad.), 3ed, Paris, Hachette, 1874, 2.
[3] Elien, *Nat.Anim.*, XIV, 10.
[4] Arrien, *La cynégétique*, XXIV.
[5] Solin, *Polyhistor,* XXVIII.
[6] Camps (G.), Âne, *loc.cit.,* p. 650.
[7] ياسمينة شايد سعودي، دراسة إحاثية لأحصنة كلومناطة(الجزائر الغربية) من العصر الحجري القديم المتأخرالحجري القديم المتأخر، *نفس المرجع*، ص.214.
* انقرض أحد زرد كاغا، المسمى بكوواغا أواسط القرن 19 ميلادي، وكان يتميز ببوص بني داكن، مخطط على مستوى الرأس والعنق.

« Quagga » ، مستندة في ذلك إلى الشبه الكبير الموجود بينهما من حيث شكل الأسنان والجمجمة وتعتقد الباحثة أنه قد اختفى من المشهد الطبيعي للمنطقة قبيل عصر البلستوسين الأعلى [1].

إلا أن كامبس« Camps » يرى خلاف ذلك، وأن وجوده استمر إلى غاية العصر الحجري الحديث، ولا ربما صور بجداريات الفن الصخري. وقد عثر على مستحثاته ضمن عدد كبير من المواقع، نذكر منها، مغارة الهواء الطلق، مغارة البوليغون ومغارة سكان الكهوف بوهران، مغارة وادي سعيدة، سيدي الحسني بتيارت، مغارة بوانت بسكاد والصخرة الكبيرة بالجزائر العاصمة، علي باشا، مشتى العربي ومغارة الأروية بقسنطينة. [2]

3-3- الحصان « Equus »

يتميز الفرس من الناحية المرفولجية بطول يتراوح مابين متر وأربعون سنتيمتر ومتر وخمسون سنتيمتر، برأس مجعد قليلا، ذو حافة مقعرة، كما يتصف بأذنين متباعدين وعينان كبيران، له عنق مستقيم وممدد، في حين أن حاركه طويل وقليل البروز، أما أردافه فطويلة ومائلة، علاوة على ذلك فهو يتمتع بظهر قصير وذيل طويل، ويتراوح لون بوصه في الغالب بين الرمادي الفاتح والرمادي المبقع. [3]

اختلف الباحثون حول أصل الحصان المثالي « Equus Caballus »، فهناك من يعتقد بأنه أجنبي، في حين هناك من يؤمن ويدافع بشدة عن انتماءه المحلي، ولكل من هما حججه وبراهينه التي سنحاول تلخيصها. إذ يرى الفريق الأول من أمثال غزال « Gsell » ، أرامبورغ « Arambourg » وكامبس « Camps » ، أن الحصان دخل المنطقة مع منتصف الألف الثانية قبل الميلاد(1500 ق.م)، بدليل

[1] ياسمينة شايد سعودي، المرجع السابق، ص. 214. ; Camps (G.), Âne, *loc.cit.,* p. 649 ; *Id.,* Quelques réflexions sur la représentation des équidés dans l'art rupestre Nord-Africain et Saharien, *loc.cit.,* p. 376-377 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit.*, p. 81.

[2] Camps (G.), Quelques réflexions sur la représentation des équidés dans l'art rupestre Nord-Africain et Saharien, *loc.cit.,* p. 376-377 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 1, *op.cit.*, p. 81 ; Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Équidés, op.cit.*, p. 41

[3] Spruytte (J.), Le cheval barbe, *E.B.*, IX, 1991, p. 1352.

عدم اكتشاف بقاياه بالمواقع العائدة إلى فترة الباليوليتي أوالنيوليتي، وكذا صمت النصوص المصرية القديمة، التي لم تشر إليه ما قبل الأسرة الثامنة عشرة، التي استطاع مؤسسها الفرعون أحمس (1575-1550ق.م) من طرد الهكسوس(1730-1570 ق.م) من مصر، ومن المحتمل أنهم من قام بإدخال العربة والحصان لمصر [1]. ومن تم شق طريقه غربا باتجاه شمال إفريقيا، متبعا طريقين، الأول جنوبي، يمتد من مصر باتجاه السرت الكبير ومن ثم جنوبا نحو الفزان وصولا إلى الطاسيلي ناجر فالأهقار، والثاني ساحلي باتجاه طرابلس والجنوب التونسي. [2]

أما بخصوص الرسوم الصخرية التي صورت الفرس والمكتشفة بوادي أتول شمال تمنراست، حجر أسكرام، سفيان بوحنان ومنطقة الجلفة، فقد كانت هي الأخرى محل تشكيك من قبل كامبس « Camps » ، حيث تعود حسبه من الناحية الكرونولجية إلى فترة أحدث تعرف بمرحلة الفرس في الفن الصخري، التي تمتاز برداءة الأشكال المصورة على العموم، والذي أردف قائلا، أن هذا لا يعني عدم وجود رسوم ذات جودة عالية تعود لهذه المرحلة وليس بالضرورة نسبها إلى المرحلة الطبيعية الأقدم منها*، والمثال على ذلك حجر جرف التربة ببشار، الذي يظهر رسم حصانين والمؤرخ بالقرن الخامس الميلادي (الصفحة48- الصورة رقم 6)، كما لعله يكون خطأ في عملية استقراء الرسم، فليس كل خيلي هو بالضرورة حصان [3].

غير أنّ الفريق الثاني الممثل في كل من لوت « Lhote »، أوماسيب « Aumassip » ومجموعة من الباحثين الجزائريين أمثال شايد سعودي، حجويس و بكتاش، فيرون أن تاريخ وجود الفرس بالمنطقة أقدم بكثير، إذ عثر على بقاياه بمستويات موقع ألبروج العاتري بالجزائر العاصمة، وكذا

---

[1]Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.,* II, p. 231 ; Arambourg (C.), Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.,* p. 69-70 ; Camps (G.), Cheval, *loc.cit.,* p. 1907 ; p. 1909 ; *Id*., Chars (art rupestre), *E.B.,* XII, 1993, p. 1886.

[2] Camps (G.), La cheval et le char dans la préhistoire Nord Africaine et Saharienne, *Actes du colloque de Sénanque : les chars préhistorique du Sahara, Archéologie et techniques d'attelage, du 21-22 Mars1981, Université de Provence, Aix-en-Provence,* 1982, p. 14 ; *Id.,* Cheval, *loc.cit.,* p. 1909.

* يطلق على المرحلة الأولى من الفن الصخري اسمم المرحلة الجاموسية أوالطبيعية، يعود تاريخها إلى حوالي 10.000 سنة قبل الميلاد.

[3] Camps (G.), Cheval, *loc.cit.,* p. 1908.

بطبقات الفترة المويلحية(الإيبيرومغربية) بسيدي الحسني بتيارت، والتي أطلق عليهـــا اسـم الحصـان الجزائـري« Equus Algericus ».[1]



الصورة (4): حمار متوحش- الغيشة، جبل عمور.

http://encyclopedieberbere.revue.org/docannexe/image/2503/img-1.png.



الصورة (5): فسيفساء الحمار نيكا- جميلة، سطيف.

http://encyclopedieberbere.revue.org/docannexe/image/2503/img-2.png.

[1]Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 236-237 ; Aumassip (G.), Ferhat (N.), Heddouche (A.), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, op.cit.,* p. 145 ; Bagtache (B.), Hadjouis (D.), Eisemmann (V.), Présence d'un Equus Caballin (Equus Algéricus n.sp) et d'une autre espèce nouvelle d'Equus (Equus Melkiensis n.sp) dans l'Atérien des Allobroges, Algérie, *C.R.Ac.Sc*, Paris, 2, 298/14,1984, p. 609-612 ; ياسمينة شايد سعودي، *المرجع السابق*، ص.228.



الصورة (6): رسم حصانين- جرف التربة، بشار.

Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara,* Alger, ANEP, 2005, p. 306, Fig. 386.

وبخصوص الفن الصخري، لاحظ لوت « Lhote » وجوده بالنقوش القديمة لمنطقة الأطلس الصحراوي، كغويرات بنت سالول، مولات الكهف الرحم، مغارة الأروية، ضاية المويلح التي يشاهد فيها رفقة فيل وكبش ، الحصباية وغيرها [1]. ونتيجة غياب توافق بين الباحثين، تبقى مسألة البث في أصل الحصان البربري مؤجلة بسبب قلة المعطيات الأثرية حوله.

تنوعت مواضيع النصوص القديمة التي جاءت على ذكر الفرس، فمنها من ركز على استخداماته العسكرية وطرق توظيفه في التكتيك الحربي، بدء بإشارة هيرودتس « Hérodots » خلال القرن الخامس قبل الميلاد، التي تفيد بامتلاك الليبيين لعربات مقرونة بأربعة أحصنة استغلت في مطاردة الأثيوبيين [2]. في حين ذهب البعض الآخر إلى ذكر خصاله وميزاته، التي كانت محل اعجابهم، كذكر تيتوس ليفيوس « Tittus Livius » للعلاقة الودية والحميمة التي كانت تربط الفرس بصاحبه لدرجة أنه كان يتبعه ككلب وفي [3]، ولعل أكمل وصف قيل في حقه هو ما جاء به الجغرافي سترابون « Strabo » ، حين قال:" تحارب فرسانهم بالحربة والرمح، يسوسون جيادهم بحبل بسيط مكان الشكيمة ويمتطونها بدون سروج... يستعملون أحصنة صغيرة كثيرة الحيوية والنشاط ومع ذلك فهي

[1]Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 236.
[2] Hérodote, *Histoire,* IV, 183.
[3] Tite Live, *Histoire romaine,* XXIII, 29, 5.

وديعة، بحيث يمكن اقتيادها بعصا بسيطة. يوضع برقبتها طقم خفيف من القطن أو الهلب(شعر الذنب)، الذي يربط به اللجام، وليس من الناذر رؤيتها تتبع أسيادها كالكلاب..." [1].

وفي نفس السياق يذكر أليانوس «Elianos» قائلا:"...أما بخصوص الأحصنة الليبية، فهي أسرع الأحصنة، لا تتعب، هزيلة وبدينة نوعا ما، لكنها قوية على الأقل من أجل تحمل قلة عناية السيد لها" [2]، وأشاد أبيانوس «Appianos» بغنى إفريقيا بالفيلة والجياد [3]. كما نوه نيمزيان القرطاجي «Némésien de Carthage» بالقوة الكبيرة التي يتمتع بها الحصان الموري موازاة مع تقدمه في العمر، وصموده في مضامير السباقات، لدرجة احتفاظه بعنفوان الشباب حتى في شيخوخته، وباستحقاقات التي كان يتلقاها أثناء نضجه، والتي تبقى معه حتى النهاية، حيث لا يفنى نشاطه إلا مع جسده. [4]، وقال في شأنها سليوس ايتاليكوس «Silius Italicus» ما يلي: " هنا يعدو الفرسان النومديون بحرية، فوق أحصنتهم دون زمام، التي تنصاع بعصا خفيفة وهي ذات فاعلية كالشكيمة، ويلعبون بين أذان ذوابهم." [5]، هذا وأشار سولينوس«Solinus» لجمال الخيول النوميدية الذي يباهي جمال رخامها. [6]

وارتقى ولع وحب سكان المنطقة بالأحصنة لدرجة تكريمها، إذ اكتشفت بجميلة (Cuicul)خربشة فارس على جبس جدار، أشار فيها لذكريات حصانه الأسمر المحمر [7]. هذا وأقدموا على تسميتها والاحتفاظ بنسبها وإقامة قبور لها، حيث عثر على شاهد قبر لفرس نقشت عليه العبارات التالية:

يا ابنة الجيتولية هارينا	Gatula harena prosata
يا ابنة الجيتولي ايكوينوس	Gatulo equino consata
سريعة في السباق مثل الرياح وعلى مر الأيام عذراء	Cursando flabris compara

[1] Strabon, *Géographie,* XVII, 3, 7.
[2] Elien, *Nat.Anim*, III, 2.
[3] Appien, *Histoire Romaine, Le livre Carthaginois*, VIII, LI, 223.
[4] Némésien, *La cynégétique,* P. Volpihac (trad.), Paris, les belles lettres, 1975, 279-282.
[5] Silius Italicus, *La guerre Punique*, I, 215-217.
[6]Solin, Polyhistor, XXVII, 2.
[7] *C.I.L.*VIII, 17978 ; Lassère (J.M.), Le cheval barbe à l'époque antique, *E.B.*, IX, 1991, p. 1357.

يا سبودوسا الساكنة على ضفاف ليثي [1] Speudusa, Lethen incolis

وامتــدت المكانــة النبيلــة والرفيعــة الــتي كــان يحظــى بهــا الفــرس، إلى لجــوء الملــوك النومــديين علــى ضــرب صــوره علــى ظهــر عملاتهــم [2]، هــذا وقــد عثــر بالعديــد مــن المواقــع الأثريــة الجزائريــة علــى نصــب جنائزيــة ونذريــه ، تظهــر الحصــان رفقــة صــاحبه [3] إلى جانــب ذلــك، فقــد شــكل أحــد مواضــيع الفسيفســاء الــتي زينــت أرضيات المنازل قديما (الصورة رقم 7). [4]



الصورة (7): فسيفساء الحصان موكوسوس- شرشال.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/1292/img-4.png.

[1] Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, 1, op.cit.*, p. 361 ; محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر، دار الهدى، 2008، ص.21.

[2] Mazard (J.), *Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op.cit.*, p. 30-40.

[3] Demaeght (L.), *Catalogue raisonnée des objets archéologiques du musée De la ville d'Oran, op.cit.*, p. 41n°71 ; p. 80 n°129 ; p. 176 n°509.

[4] Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel, op.cit.*, p. 63 n°48 ; Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, 1, op.cit.*, p. 361.

4- الماعز والغنم والجمال« Caprinés, Ovidés et Camélidés »

4-1- العنزة « Capra bricus »

أطلق بومال « Pomel » على البقايا العظمية للماعز المكتشفة بموقع الصخرة الكبيرة بالجزائر العاصمة اسم عنزة بروماز « Capra promaza »، وهي بنظره أصل ما يعرف حاليا بالعنزة القبائلية [1]، التي تتمتع بحجم صغير ومحدب، لها شعر طويل يتراوح لونه ما بين البني الغامق والأسود، أذنيها متدليتان، وبأنف ذو كسر بارز نوعا ما، قرونها قصيرة ومبرومة قليلا، تكون نهايتهما متباعدتين نحو الخارج، تعيش بالقمم الجبلية لبلاد القبائل، الأوراس والأطلس الصحراوي. [2]

عثر على بقايا العنزة بعدد من مواقع فترة ما قبل التاريخ، إلا أنه من الملاحظ أن المستحثات المنسوبة لها والعائدة إلى العصر الحجري القديم، قد اقتصرت على موقع واحد فقط، المتمثل في مغارة الحمام بقسنطينة المُنقبة من قبل دوبروج « Debruge» [3]، لترتفع نسبة عظامها المكتشفة بمواقع العصر الحجري الحديث، أين اكتشفت عظامها بعدد من مواقع هذه الفترة، كسيدي الحسني (كلومناطة سابقا) بتيارت، سعيدة، مغارة سكان الكهوف والهواء الطلق بوهران، جبل عين طاية والكهف الأحمر بقسنطينة [4].مما يدل على أن العنزة القبائلية كانت مستأنسة خلال الفترة النيوليتية وليست بحيوان محلي وإنما أتت من آسيا. [5]

وهناك نوع آخر من الماعز انتشر بالصحراء الجزائرية سمي اصطلاحا بهركوس مابرينوس« Hircus Mabrinus » ، سلك طريقا يمتد من مصر، أين وُجدت بقاياه بمنطقة طوخ بمصر العليا ومجسدا على عدد من جداريات هذه الأخيرة ونسبت له العديد من

[1] Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Ovidés, op.cit.*, p. 27 ; Aumassip (G.), Ferhat (N.), Heddouche (A.), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, op.cit.*, p. 144.

[2] Esperandieu (G.), Chèvre, *E.B.*, XIII, 1994, p. 1913.

[3] Joleaud (L.), Notice géologique et paléontologique sur la grotte des pigeons (Constantine), *R.S.A.C.,* 50, 1916, p. 30-31.

[4] Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.,* p. 571.

[5] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, II, op.cit., p. 226 ; Aumassip (G), Ferhat (N), Heddouche (A), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, op.cit.*, p. 143.

المومياءات تنسب له، كما تم التعرف على شكله من خلال الرسوم الصخرية المنتشرة بالنوبة، الفزان بليبيا وصولا إلى الطاسيلي ناجر، ومن أجمل صوره تلك التي تظهر فيها عنزة بأطراف طويلة ونحيلة، مرضعتا صغيرها بموقع أمقويد (الصورة رقم 8) [1]. هذا وكان لوت « Lhote » قد أحصى خمسة رسوم لها بموقع وادي جرات [2]، حيث انتشرت بكثرة نتيجة توفر الظروف المواتية لطبيعة معيشتها، التي تتطابق مع مواطن توزع قبائل الرحل أونصف مرتحلة من الجيتول [3]، والتي كناها اللاتين من أمثال جوفيناليس « Juvénalis » باسم العنزة الجيتولية [4]. ولقد نقشت صورتها على تابوت حجري وجد بسكيكدة، رفقة حيوانات المزرعة، ضمن منظر ريفي يجسد طبيعة الحقل خلال الفترة الرومانية [5].



الصوررة (8): جدارية عنزة ترضع صغيرها- أمقويد، الصحراء.

http://encyclopedieberbere.revue.org/docannexe/image/2319/img-3.png

2-4- الغنم « Ovins »

تمكن الباحث كامبس « Camps » من تحديد صفات الغنم الذي انتشر بالجزائر أثناء العصر الحجري الحديث، من خلال تفحصه لما يفوق ستين رسما صخريا له، موجود بالأطلس الصحراوي،

---

[1] Balout (L.), Esperandieu (G.), La chèvre peinte d'Amguid, *Libyca. Anthr.Préh.Ethn.*, II, 1954, p. 156-158 ; Esperandieu (G.), Chèvre, *loc.cit.,* p. 1916.

[2] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, *op.cit.*, p. 786.

[3] لحسن بودرقا،الثروة الحيوانية في شمال افريقيا القديم، نفس المرجع، ص.89.

[4] Juvénal, *Satires*, XI, 141.

[5] Esperandieu (G.), Chèvre, *loc.cit.,* p. 1913.

حيث خلص إلى أن صور تلك الكباش تشترك في شكل الجسم المتسم بالضيق والأرداف الرقيقة والطويلة، وتكون الأطراف طويلة وشاسبة(جافة)، أما الرأس فنحيف ومحدب قليلا، في حين تكون أذنين طويلتين ومتدليتين، بدايتهما مغطاة بمنبت القرنين، وللأنثى كالذكر قرون صغيرة نحيلة ذات انحناء بسيط، معقوفة نحو الخلف، لتعود باتجاه الأمام أسفل العينين، أما بخصوص فروه فلا يمكن إعطاء صورة واضحة عنه، باستثناء كبش بوعلام المكتشف بمنطقة البيض، الذي يُلحظ على حاركه ولبانه(صدره) هلب [1] طويل تقريبا، وهي الميزات التي تنطبق على الغنم ذو الشعرِ من نوع « Ovis Longipes Fritzinger » ، المنقرض حاليا من المنطقة، إلا أنه يعيش بجهات الساحل الممتدة من موريتانيا إلى تشاد. [2]

تُجمع جميع الآراء على الأصل الأجنبي للغنيمات سواء أكانت في طبيعتها المتوحشة (القريبة للإستأناس) [3] أوالمستأنسة [4]، إذ لم يعثر بالمستويات الأرضية لمواقع ما قبل التاريخ الجزائرية السابقة لفترة العصر الحجري الحديث على بقايا عظمية تعود لها، وما المستحثات المنسوبة إليها كالتي عثر عليها بموقع تغنيف بولاية معسكر ومشتى العربي العائدة إلى الفترة الباليولتية، ما هي إلا خلط بينها وبين عظام أنثى الأروية ذات الأردان « Ammotragus Lervia » ، اللتان يصعب التفريق بينهما. [5]

بينهما. [5]

ورغم هذا الإقرار مازالت مسألة انتشارها بالمنطقة محل خلاف بين الباحثين هي الأخرى، فهناك من رأى أنها قد قدمت من الشرق الأدنى القديم متبعتا الطريق الصحراوي، في حين أسس

---

[1] الهلب هو ما غلب من الشعر الذي يتخلل الصوف والوبر لدى الحيوانات

[2] Camps (G.), Le bélier à sphéroïde (gravures rupestres de l'Afrique du Nord, *loc.cit.,* p. 1419-1420 ; Id., Le jeune mouton et la mer, recherche sur les premiers navigations en méditerranée, *Travaux du L.A. P.E.M.O.,* 1986, p. 9 ; *Id.,* Les origines de la domestication dans le nord de l'Afrique *(dactylographique)*, p. 11.

[3] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien*, *op.cit*., p. 223-224.

[4] Camps (G.), Le bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* p. 1421.

[5] *Id., Ibid.,* p. 1423 ; *Id*., Le jeune mouton et la mer, recherche sur les premiers navigations en méditerranée, *loc.cit.,* p. 08 ; Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.*, p. 562 ; p. 570 ; Arambourg (C.), Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.,* p. 77 -78 ; Solignac (M.), Note sur la faune recueillie par M.Debruge à Mechta el Arbi, *R.S.A.C.,* 55, 1923-1924, p. 90.

كامبس« Camps » لنظرية جديدة مفادها أن الكباش قد بلغت الجهات الغربية للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بما فيها الجزائر عن طريق البحر، مستندا في ذلك على عامل الفخار الكاردياني « Céramique cardial »[1] المكتشف بأغلب المواقع الساحلية للمتوسط، والتي بلغها عن طريق البحر، وهي نفسها المناطق التي انتشر بها الغنم، حيث عثر على كلاهما على سبيل المثال لا للحصر ضمن مخلفات مغارات وهران وهي مغارة الغابة، سكان الكهوف، الهواء الطلق ووادي القطارة. [2]

وردت أقدم إشارة لغنم المنطقة ضمن ملحمة الأوديسة لهوميروس« Homéros » ، حيث ذكر أن نعاج ليبيا تلد ثلاث مرات في العام الواحد [3]، هذا وقد اعتبرها بوليبوس « Polybios » ثروة سكان المنطقة [4]، وتبعه في ذلك تيتوس ليفيوس « Titus Livius » [5]، كما أشار سالوستيوس « Sallustius » في عدة مواطن من مُؤلفه حرب يوغرطة إلى صلاحية نوميديا لتربية المواشي [6]، وأشاد كوريبوس « Corippus » بقطعان الأغنام والماعز التي تتوسطها التِيَسُ الطاغية ذات الوجه القبيح [7].

3-4- الأروية ذات الأردان « Ammotragus lervia »

تعتبر الأروية ذات الأردان أحد أقدم الكائنات المنتمية لجنس الغنيمات، التي عثر على مستحثاتها بالمنطقة، حيث اكتشفت بقاياها ضمن فترة البليوسين الأعلى، ليستمر وجودها طيلة فترة ما قبل التاريخ وصولا إلى الفترة الحالية، أين تنحصر أماكن تواجدها حاليا بالأطلس الصحراوي، الأهقار

[1] الفخار الكارديالي أحد أقدم أشكال الفخار المعروف، أعتمد في زخرفته على الحواف المسننة لنوع المحار المسمى كارديوم، وذلك بالضغط على سطح الآنية وهي لا تزال طرية

[2] Aumassip (G.), Ferhat (N.), Heddouche (A.), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels, op.cit.*, p. 142-143 ; Camps (G.), Le jeune mouton et la mer, recherche sur les premiers navigations en méditerranée, *loc.cit.,* p. 9-11.

[3] Homère, *Odyssée,* IV, 85, 89.

[4] Polybe, *Histoire*, XII, 3, 4.

[5] Tite Live, *Histoire Romaine*, XXIX, 31,8.

[6] Salluste, *Bel.Jugh.*, XVII ; XX ; XLVI ; XLVIII ; LX ; LXXV

[7] Corrippe, *Johannide*, II, 93-5.

والطاسيلي [1] . وقد عثر عليها بطبقات أهم مواقع العصر الحجري القديم كبحيرة كيرار، أبوقير، مغارة الدببة، مغارة الأروية، مغارة الحمام [2]، وقد ارتبط صيدها بكثرة بأصحاب الحضارة المويلحية (الإيبرومغربية)، استنادا إلى نسبة المخلفات العظمية المرتفعة المنسوبة إليها، فعلى سبيل المثال لا للحصر، قدرت نسبة متحجرا تها المكتشفة بموقع تامرهات بـ94% من مجموع الحيوانات العاشبة المعثورعليها بطبقات الموقع [3]، ولقد حافظت على وجودها ونسبها المرتفعة بمواقع العصر الحجري الحديث، كأحد أهم مصادر غذاء إنسان تلك الفترة، مما دفع ببعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنه قد تم تدجينه [4]، وقد قدر كامبس « Camps » معيار تواجدها بمواقع ما قبل التاريخ بـ 48,6، لينخفض لينخفض إلى 5,6 بخصوص الرسوم الصخرية، إذ لوحظ رسمها بجدريات منطقة قسنطينة بمحطة كهف مرياح، محطة كهف طرفانة، كهف الداموس، محطة قشقش، كهف فنطرية ومحطة عين النحاس، الجلفة والطاسيلي ناجر، في حين غابت عن رسوم جدريات جبل عمور وجبال القصور بالرغم من أنهما أحد أهم مناطق انتشارها حتى الآن، ويمكن إيعاز هذا التغييب لأسباب ثقافية. [5]

عد هيرودتس « Hérodots » الأروية ذات الأردان ضمن طائفة حيوانات بلاد الليبيين الرحل (أي الصحراء)، مُطلقا عليها اسم الكباش المتوحشة، معتقدا في ذلك أنها تنتمي إلى جنس الغنيمات [6]، وقد قدم أليانوس « Elianos » وصفا دقيقا لما سماه بالماعز المتوحش، والذي ينطبق مع مع صفات وطبيعة الأروية ذات الأردان، حيث يقول:" تمسح الماعز المتوحشة قمم ليبيا، وهي بحجم الثيران، جباهها محدبة ومستديرة، عيونها سمنجونية(بلون السماء)، قوائمها مشوهة، قرونها متصلة في القاعدة، لتتفرع بعدها في اتجاهين مختلفين، ولتنموان على الجانبين، وهي بالتالي ليست متصبة نحو

[1] Arambourg (C.), Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.,* p. 77 ; Trécolle (G.), Le mouflon, *Dactylographie,* p. 1.
[2] Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.*, p. 570.
[3] Manlius (N.), Mouflon (à manchettes), *E.B.,* XXXII, 2010, p. 5079 ; Trécolle (G.), Le mouflon, *loc.cit.,* p. 1.
[4] Trécolle (G.), mouflon, *loc.cit.,* p. 1.
[5] Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, *loc.cit.,* p. 40-41 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien*, *op.cit.*, p. 234 ; محمد الصغير غانم، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ، الجزائر، نفس المرجع، ص.126،128،133،140.
[6] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.

الأعلى كما هو الأمر عند باقي ماعز الجبل، بل تنزل مكونة عقفه وتمتد إلى غاية الكتفين، كما أنها طويلة جدا... تقفز دون عناء من قمة صخرة إلى أخرى، وهي أفضل من يستطيع النط من الماعز، وإن تصادف وأن سقطت بسبب المسافة الكبيرة الفاصلة بينها وبين المكان الذي تريد بلوغه، فان قوائمها الجد صلبة تسمح لها بالخروج معافاة من سقطتها، حتى وإن انزلقت في جُرف فإنها لن تكْسِرِ شيئا، لا قرنا ولا عظم جبهة، لأن أطرافها قوية وصلبة كالحجارة..." [1]

هذا ويبلغ متوسط الأروية ذات الأردان ما بين متر وخمسة وثلاثون سنتيمتر ومتر وستين سنتيمتر، ويقدر وزنها ما بين أربعين وخمسة وستين كيلوغراما، وقد يصل إلى مئة وخمسة وأربعون كيلوغراما. تتميز بفرو محمر على العموم، كما تملك خاصية التلون بلون المحيط الذي تتواجد به، لذكورها اليافعة قرونا كبيرة وطويلة الحجم، معقوفة متخذة شكل الحلزون، يلي لحيتها عرف طويل وكثيف يلامس الأرض أحيانا ويكون قصيرا لدى الإناث، دو لون فاتح مقارنة بشعر باقي الجسم، يمتد على كامل عنقها ولبانها(صدرها) ويغطي أطرافها الداخلية [2]. ورغم وزنها المعتبر إلا أنها تتمتع بالخفة والرشاقة في التنقل وتسلق المناطق الجبلية التي يصل علوها أحيانا ثلاثة ألاف متر، وتُحسن القفز، ويتنوع أكلها مابين أوراق الأشجار والحشائش، هذا وتسمح لها فزيزلوجيتها بالتأقلم مع كل أنواع المناخ، إذ تتحمل البرد والثلج، ولا تخشى قساوة طقس الجهات الصحراوية، فبإمكانها العيش لسنوات دون أن تشرب مكتفية في ذلك بالماء الذي تحويه النباتات [3]. هذا ما ساعدها على النجاة بنفسها من الانقراض.

4-4- الجمال « Camélidés »

كشفت الحفريات بالجزائر عن وجود نوعين من الجمال هما: جمل توماسي « Camelus Thomasii »، الذي عاش خلال العصر الحجري القديم، المتميز بطوله الكبير وقوة عضلاته. عثر

[1] Elien, *Nat.Anim,* XIV, 16.
[2] Manlius (N.), Mouflon (à manchettes), *loc.cit.,* p. 5077 ; Trécolle (G.), Le mouflon, *loc.cit.,* p. 1.
[3] Manlius (N.), Mouflon (à manchettes), *loc.cit.,* p. 5077 ; Lhote (H.), *Le Hoggar, espace et temps, op.cit.,* p. *60.*

على بقاياه برملية تغنيف الواقعة شرق معسكر مختلطة بأدوات الحضارة الأشولية، كما وجدت متحجراته في كل من عين الترك بوهران رفقة أدوات موستيرية مصنوعة من الكوارتز وبموقع أبار شعاشعة جنوب تبسة، الذي يحتمل أنه يعود إلى الحضارة العاترية [1]. أما النوع الثاني والمعروف باسم كاميلوس درومداريوس« Camelus Dromedarius » ، الذي ترجع بقاياه إلى حقبة الهولوسين، اكتشفت عظامه بكل من فوردلو والصخرة الكبرى بمنطقة الجزائر العاصمة، سعيدة، وادي سقاين بين سطيف وقسنطينة، جبل فرطاس، رمادية مدجاز اثنين بسطيف أين عثر على ضرس مكسور له بطبقات القفصية العليا، تعود إلى الألف السادسة قبل الميلاد، والملاحظ أن العينات المكتشفة للجمال تقع بشمال الجزائر وهي ليست مناطق انتجاعها الحالية [2].

ظهر الجمل بعدد من الرسوم الصخرية في شكله المستأنس، ضمن قطيع كما هو الحال برسم بريزينة بالبيض، مرسوما وفق طريقة التنقيط، أو يحمل سيده إلى أرض المعركة مثل ما يظهر برسم الطاسيلي ناجر الملون بالمغرة الحمراء، إلا أن كامبس « Camps » ومن ورائه لوت « Lhote » نسباها إلى الفترة التاريخية [3]. فهل يجوز الاعتقاد أن الجمال قد انقرضت نهاية العصر الحجري الحديث لتعاود الظهور من جديد خلال الفترة التاريخية، جراء إقدام الرومان على جلبه من منطقة الشرق الأوسط بصحبة الفرق السورية خلال القرن الثالث الميلادي، كما يذهب إليه كل من تيسو « Tissot » [4]، غزال « Gsell » [5] وغوتي « Gautier » [6]، والتي كلفت بحراسة أجزاء من الليمس السيفيري، أين قامت بنشره، مستندين في ذلك على أن النصوص الأدبية التي جاءت على ذكره تعود في مجملها إلى الفترة الممتدة بين القرن الثالث والسادس الميلادي، وصمت ما قبلها باستثناء إشارة صاحب حرب إفريقية. [7]

---

[1] Cauvet (C.), *Le chameau,* Paris, J.B. Bailliére et fils, 1925, p. 17.
[2] *Id., Ibid.,* p. 18.
[3] Camps (G.), Dromadaire, *E.B.,* XVII, 1996, p. 2544.
[4] Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, 1, op.cit., p.* 349.
[5] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* I, p. 59-61.
[6] أ.ف غوتييه، ماضي شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص.98-99.
[7] Jules César, *Bell. Afri.,* LXIII.

إلا أن هذا الرأي جوبه بمعارضة شديدة من قبل عدد من الباحثين، حيث رفض على سبيل المثال لا للحصر من طرف كوفي « Cauvet »[1]، في حين اكتفى البعض الأخر من لذن دوموجيوت « Demougeot » باستعراض وجهات النظر دون أخذ موقف[2]. ويستند الفريق القائل بجود الجمال قبل فترة الاحتلال الروماني إلى جملة من المعطيات التاريخية، والتي تبدو لي منطقية أكثر وأقرب إلى الصحة، فحقيقة أن هيرودتس« Hérodots » ، سترابون « Strabo »وبلينوس الكبير « Plinus »وسالوستيوس « Sallustius » لم يشيروا إلى وجود الجمال، وذلك راجع إلى أن المنطقة الجنوبية من بلاد المغرب القديم بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، لم تكن معروفة بالنسبة لهم مقارنة بالمنطقة الشمالية، التي كانت محل زيارة عدد منهم، كما أن العمليات العسكرية الرومانية، قد انحصرت في المناطق الشمالية، التي يصعب على الجمال التكيف والتأقلم معها، وعندما امتدى هذا التوسع المناطق الداخلية ووصل إلى أعتاب الصحراء (مسعد، بسكرة)، اكتشفوا وجودها. خاصة وأن هيرودتس« Hérodots » وبلينوس الكبير « Plinus » وغيرهم الكثير قد أغفلوا ذكر حيوانات كانت شائعة الانتشار بالمنطقة، وجزموا بعدم وجود حيوانات أخرى كالأيل والخنزير البري رغم كثرتهما بها.[3]

تعود أقدم النصوص التي أتت على ذكره إلى سنة 46 قبل الميلاد، حيث أشار صاحب حرب إفريقية إلى استيلاء يوليوس قيصر على اثنان وعشرون جملا كانت ملكا ليوبا الأول[4]، كما نوه كل من كوريبوس « Corippus »[5] وبروكوبيوس « Procopius »[6]بدور الجمال في المجال الحربي.

---

[1]Cauvet (C.), *Le chameau*, *op.cit.*, p. 18.
[2] Demougeot (E.), Le chameau et l'Afrique du Nord Romaine, *Annales E.S.C.*, XV, 1960, p. 209- 112.
[3] Hérodote, *Histoire*, IV, 192 ; Plinus, *H.N.*, VIII, 128 ; Cauvet (C.), *Le chameau*, *op.cit.*, p. 32-34 ; محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، نفس المرجع، ص. 317-319
[4] Jules César, *Bell. Afri.*, LXIII.
[5] Coripe, *La Johannide,* II, 89, 91, 209 ; IV, 816.
[6] Procope, La *guerre contre les Vandales*, I, 8, 3 ; II, 11, 5.

5- الظباء والغزلان والأيائل« Antilopes, Gaselles et cervidés »

5 -1- الظباء « Antilope »

5-1-1المهاة « Addax nasomaculatus »

وجدت بقايا المهاة المتمثلة في حنك عثر عليه بالقرب من الجزائر العاصمة ضمن رمال مجهولة التأريخ ، وفي ضرس أكتشف بموقع وادي كرمة العائد إلى الحضارة المويلحية(الإيبيرومغربية) [1]، هذا وقد ظهرت صورها المتسمة بالرداءة نوعا ما على جداريات وادي جرات، كما يعتقد أن الرسم المكتشف بموقع الكريمة بالجنوب الوهراني يعود لها [2]، وكانت تجوب في السابق المناطق الصحراوية المتمثلة في الرق والعرق، إلا أنه بسبب الصيد العشوائي ومجيء الشركات البترولية، أضحت أماكن تواجدها محصورة بناحية الأهقار، عرق أمقويد، تيهودان، أدمار وعرق قزام ومنطقة أهنات، ضمن قطعان صغيرة لا يتعدى عددها الثلاثين رأسا. [3]

ذكرت بأدبيات الكتاب القدامى من أمثال هيرودتس « Hérodots » ، الذي أشار إليها باعتبارها أحد حيوانات بلاد اللبيين الرحل والتي تستعمل قرونها في صنع الربابة، وهي الميزة التي أوردها كذلك بلينوس الكبير « Plinus » فيما بعد، إذ يقول: " ستربريكوس « Strepsiceros » المعروفة المسماة بالمهاة « Addax » في افريقيا ، لها قرون متصبة تحيط بها حُزيزات، تنتهي بحد صغير ، تصلح لصنع الربابة". [4]وجاء على ذكرها سيماك « Symmaque » سنة399-400 ميلادية، حيث طلب في إطار التحضير للاحتفال الكبير بروما جلب حيوانات غريبة، وتمنى جلب المهاة والغزلان لإضفاء الأبهة الرائعة عليه، خاصة وأنها متوفرة بكثرة بالحدود القريبة (أي موريطانيا القيصرية) [5]، وقد اكتشفت فسيفساء بتبسة تحمل صورتها إلى جانب حيوانات أخرى (الصورة رقم 9) [6].

---

[1] Vaufrey (R.), *Préhistoire de l’Afrique*, Tunis, Université de Tunis, 1969, p. 389.
[2] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l’Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 781.
[3] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *I.R.S.*, XXV, 1966, p. 42 ; Lhote (H.), *Le Hoggar, espace et temps, op.cit.*, p. 60.
[4] Hérodote, *Histoire,* IV, 192 ; Plinus, *H.N.*, VIII, 214 ; XI, 124 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 120.
[5] Symmaque, *Lettres*, T.IV, Livres IX-X, J.P.Callu (trad.), Paris, Les belles lettres, 2002, IX, 144.
[6] Gsell (S.), *Musée de Tébessa*, Paris, Ernest Leroux, 1902, p. 68, pl. IX-1.



الصورة (9): منظر جزئي لحيوان المهاة والنعامة والثور– فسيفاء تبسة.

Blas de Roblès (J.M), Sintes (C.), *Sites et monument antique de l'Algérie,* Edisud, Aix-en-Provence, 2003, p. 232.

وتتميز المهاة على العموم بطولها المتوسط، حيث يتراوح طول حاركها مابين متر وخمس سنتيمترات ومتر وخمسة عشرة سنتيمتر، وبرها رملي اللون والذي يكون فاتحا على مستوى الأرداف، تعلو عيناها مناطق بيضاء، لها قرون ذات حلقات حلزونية، تتسع لتأخذ شكل آلة الربابة، حيث يقدر طولها بثمانين سنتيمتر، وهي أقل طولا لدى الإناث، كما تتمتع بحوافر عريضة تسمح لها بالجري السريع فوق الكثبان الرملية [1].

5-1-2- الأرخ « Oryx leucoryx »

وجدت بقايا الأرخ المتمثلة في قطعة قرن برمال موقع المنصورة الواقع بالقرب من قسنطينة والعائد إلى حقبة البليوسان الأعلى(فيلا فرونشيان)، كما تم التعرف على رسمه بجداريات جبال القصوربجنوب وهران وبمحطة الأروية بقسنطينة ووادي جرات بالطاسيلي ناجر [2]. حيث يتضح من خلال الدلائل التي سقناها، أن نطاق انتشاره في الماضي، قد شمل منطقة الهضاب، الجهات شبه

[1] Joleaud (J.), Études de géographie zoologique sur la berberie, III, Les hippotraginés, *B.S.G.A.O.*, 38, 1918, p. 83 ; Trécolle (G.), Antilopes, *E.B*, VI, 1989, p. 793.

[2] Bosco (J.) et Solignac (M.), Notice sur les vestiges préhistoriques de la commune du khroub (El Haria), *R.S.A.C.*, XLV, 1911, p. 337, pl. III, 2 ; Joleaud (J.), Études de géographie zoologique sur la berberie, III, Les hippotraginés, *loc.cit.*, p. 58-62 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 781.

صحراوية والصحراوية، قبل أن ينحصر مجال وجوده حاليا بمنطقة الساحل والحدود الجزائرية – النيجرية والمالية.[1]

أدرج هيرودتس « Hérodots » الأرخ في قائمة حيوانات الليبيين الرحل وكتبه على النحو التالي « Oryes »[2]، وقام غزال « Gsell » بتصحيحه مقترحا عبارة « Oryx » ، إلا أنه حاد عن الصواب حين اعتقد أن الوصف المقدم من قبل أبو التاريخ ينطبق على المهاة « Addax » لا الأرخ« Oryx » ، باعتباره حيوانا غير صحراوي وأن قرونه الطويلة غير صالحة لصنع الربابة الفينيقية كما هو الشأن بالنسبة للأول وهو ما رفضه كامبس « Camps »[3]. وقد أخطأ بلينوس الكبير « Plinus » أثناء استعراضه لصفات الأرخ، حين أشار لامتلاكه لقرن واحد فقط متبعا في ذلك تصنيف أرسطو « Aristotelés » ، لكنه بالمقابل أصاب حينما جاء على تحديد مناطق وجوده إذ قال: " يعيش الأرخ بجهات إفريقيا المحرومة من المياه، التي يجوبها الجيتوليون وهو يستطيع الاستغناء عن الشرب".[4] وقد أكد هذا الأمر لوت « Lhote » ، الذي ساق مجموعة من الملاحظات حول الأرخ، من بينها عدم احتياجه للأكل والماء كثيرا وهو ما يتوافق مع البيئة الصحراوية التي ينتجع فيها[5]. وتطرق جوفيناليس « Juvénalis » في أشعاره للحم الأرخ الجيتولي المستطيب من قبل محبي الطعام[6]، والشاعر مارسياليس « Martialis » الذي تعرض لطريقة صيده باستعمال الكلاب.[7]

وأسهب أوبيانوس « Oppianos » في وصفه قائلا: " حيوان ذو قرون قاطعة، مازال يعيش في الغابات، هو الأرخ الشرس العدو الصريح للحيوانات المتوحشة، لونه بلون حليب فصل الربيع، والمناطق الوحيدة بوجهه الملونة بالأسود هما وجنتاه".[8] ويحتفظ متحف عنابة بفسيفساء عثر عليها

---

[1] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p. 42 ; Lhote (H.), *Le Hoggar, espace et temps*, op.cit., p. 60.
[2] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[3] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 120 ; Camps (G.), Des incertitudes de l’art aux « erreurs » d’Hérodote, *loc.cit.*, p. 50.
[4] Aristote, *Histoire des animaux*, III, 2 ; Plinus, *H.N.*, VIII, 214 ; X, 201 ; XI, 255.
[5] Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs*, Paris, Amiot Dumont, 1951, p. 75
[6] Juvénal, *Les satires*, XI, 140.
[7] Martial, *Les épigrammes*, XIII, 95.
[8] Oppien, *Cynégétique*, 445-481.

بآثار المدينة القديمة، يظهر بها زوجين من الأرخ، هذا وقد صور ضمن أخرى اكتشفت بشرشال، إلا أنها للأسف بيعت سنة 1881 ميلادية [1] (الصورة رقم 10).



الصورة (10): فسيفساء أورفي وسط مجموعة من الحيوانات- شرشال.

Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel*, Paris, CNRS, 2005, Pl. LXXXII, 193.

ويتمتع هذا النوع من الظباء بطوله الكبير، إذ يبلغ حاركه حوالي متر وخمسة وعشرون سنتيمتر، وبفرو أبيض محمر على مستوى الظهر والجوانب، في حين يكون بنيا محمر بالرقبة والأكتاف، أما بطنه فأبيض اللون، له قرنان كبيران يتراوح طولهما من ثمانين إلى مئة وخمسة عشرة سنتيمتر، يكونان متباعدين نوعا ما ومعقوفين نحو الخلف وذلك بالنسبة لكلا الجنسين [2].

5-1-3- الحيرم « Alcelaphus buselaphus »

عثر على مستحثات الحيرم في عدد من مواقع ما قبل التاريخ، سواء أكانت عائدة إلى فترة العصر الحجري القديم، كموقع تغنيف بمعسكر، بحيرة كيرار وملاجئ المويلح بتلمسان، أبوقير بمستغانم، مغارة الضباع ومشتى العربي بقسنطينة [3]، أو العصر الحجري الحديث كمغارات وهران (مغارة

[1] Dahmani (S.), Morel (J.P.), *Mosaïque d'Hippone, Annaba*, Musée d'Hippone, 1993, p. 45 ; Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel*, *op.cit*., p. 205 n° 193.

[2] Trécolle (G.), Antilopes, *loc.cit.*, p. 793.

[3] Barbin (A.), Fouilles des abris préhistorique de la Mouillah, *B.S.G.A.O.*, 30, 1910, p. 86 ; Debrguge (A.), Faune de la grotte des hyènes, *R.S.A.C.*, 42, 1928-1929, p. 182 ; Doumergue (F) ; *Inventaire de la section de préhistoire du musée Demaeght à Oran*, op.cit., p. 54-56 ; Solignac (M .), Note sur la faune recueillie par M.Debruge à Mechta el Arbi , *R.S.A.C.*, 55,1923-1924, p. 88 ; Pallary (P.), La sablière d'Aboukir, *B.S.G.A.O.*, 17, 1887, p. 47 ;

سكان الكهوف، كوارتل والقيطنة) وسعيدة (مغارة وادي سعيدة وغار أم الفرنان) [1]، مما يدل على أنه كان أحد الحيوانات الشائع اصطيادها قديما، حيث قدر كامبس « Camps » معيار تواجده بمواقع فترة ماقبل التاريخ بـ 51,4 وهو رقم بعيد كل البعد عن معيار تجسيده بالرسوم الصخرية المقدر بـ 5,5 فقط. [2]

هذا وقد خُص بالذكر من طرف عدد من الكتاب القدامى، من أمثال هيرودتس « Hérodots » [3]، أليانوس « Elianos » الذي أشار إلى وجوده بموريطانيا [4]، كما روى ديون كاسيوس« Dion Cassius » حادثة تاريخية كان أحد أبطالها حيوان الحيرم ، إذ يقول: "لما فر النومديون لجأ فانجون « Fangon » (قائد روماني) إلى الجبال، إلا أن قطيعا من الحيرم مر به ليلا، فظن أنهم أعداء وقتل، وهكذا استحوذ سكستيوس « Sextius » على المنطقة دون عناء". [5]

وقد انقرض هذا النوع من الظباء حديثا من الجزائر، وذلك خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث كانت مناطق تواجده محصورة بين المشرية وعين الصفراء [6]، وهو الذي عمر قبل ذلك المناطق الساحلية والسهبية معا أثناء فترة الهولوسين، ويتصف الحيرم المكنى محليا باسم " البقر الوحشي"، بمنظر خشن وقبيح، ذو حجم كبير، إذ يصل طول حاركه المحدب أحيانا حوالي متر وثلاثون سنتيمتر، رأس طويل وضيق، لكلا الجنسين الذكر والأنثى قرون غليظة ذات حلقات ومعقوفة نحو الخلف وأرداف مائلة. [7]

[1]Doumergue (F) ; *Inventaire de la section de préhistoire du musée Demaeght à Oran*, op.cit., p. 32 ; p. 35 ; p. 47 ; p. 50-52 ; *Id*., La grotte préhistorique de l'Oued Saida, *loc.cit.*, p. 113 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique, op.cit.*, p. 397.
[2] Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 40.
[3] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[4] Elien, *Nat.Anim*, III, 1.
[5] Dion Cassius, *Histoire Romaine*, 48, 23, 3-4.
[6] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p. 43.
[7]Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 40 ; p. 47 ; Trécolle (G.), Antilopes , *loc.cit.*, p. 793.

5-2- الغزلان« Gazelles »

عرفت الغزلان منذ فترة فيلا فرونشيان الأعلى، حيث اكتشفت أحافيرها بموقع عين الحنش، أطلق عليها اسم غزال ستفنسيس « Gazella Sitifensis » ، هذا وقد عثر على بقايا الغزال الأطلنطي « Gazella Atlabtica » بمغارة رولاند بتيبازة، ، والمنقرض زمن البليستوسين المتأخر [1].

واستنادا إلى المادة العلمية التي أحتكم عليها، فقد تم التعرف على خمسة أنواع منها، عمرت الجزائر خلال العصور الحجرية والفترات التاريخية، وصولا إلى يومنا هذا وهي:

5-2-1- غزال العادي أو العفري « Gazella dorcas »

وجدت متحجراته بملاجئ المويلح بمغنية، مغارات وهران، مغارة بوانت بسكاد ومصطفى الأعلى بالجزائر العاصمة وبوزابوين بعين مليلة [2]، كما عثر على ثلاث منحوتات له ، تعود إلى العصر الحجري الحديث الصحراوي، محفوظة بالمتحف الوطني للباردو بالجزائر العاصمة، وهي تمثال تكويوين حالة حفظه جيدة، اكتشف بموقع الهواء الطلق الواقع شمال جانت، ورأسا غزال عثر على أولهما بموقع أمكاسن سنة1951 ميلادية في حين وجد الثاني بتسوكاي [3]. قليلة هي النماذج التي أظهرته بموقع وادي جرات، ولعل مرد ذلك راجع إلى كثرته بالمنطقة، حيث كان من الطرائد العادية جدا بالمشهد الطبيعي مقارنة بالزرافة ووحيد القرن خلال النيوليتي، هذا وقد شوهدت صوره على جداريات الغرب الجزائري وهي ذات مقاييس صغيرة. [4]

ويعتبر العفري أصغر الغزلان وأكثرها رشاقة ونحافة، حيث يتراوح ارتفاعه من خمسة وخمسون إلى خمسة وستون سنتيمترعلى مستوى الحارك، ووزنه مابين خمسة عشرة وثمانية عشرة كيلوغراما، يتمتع بفرو أملس ومملوط ذو لون أصهب في الغالب، في حين يكون لون بطنه وجهات أطرافه الداخلية أبيض، يتوسطهما شريط بني غامق، يظهر بوضوح

---

[1] Camps-Faber (H.), Gazelle, *loc.cit.*, p. 3001.
[2] *Id.*, Ibid., p. 25 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 102.
[3] Camps-Faber (H.), Gazelle, *loc.cit.*, p. 3005-3007 ; عزيز طارق ساحد، المنحوتات الصحراوية للمتحف الوطني الباردو- الجزائر، حوليات المتحف الوطني للآثار، 14، 2004، ص.69.
[4] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, *op.cit.*, p. 781.

على مستوى جوانبه ومؤخرة فخديه، كما يُلحظ شريط جانبي آخر بخديه، له ذنب أسود وقرون قصيرة [1]. وهو نوعان الغزال العادي العادي« Gazella dorcas dorcas » و غزال النغلكت « Gazella neglecta » ، ويكمن الفرق بينهما في شكل القرون، حيث تكون قرون الأول مقعرة نحو الداخل ونهايتهما متقاربتان وذوحلقات كثيرة مقارنة بالثاني، التي تبدو معقوفة على شكل حرف « S» اللاتيني، زد على ذلك فان هذا الأخير يتصف بأذنين كبيرين ووبر محمر نوعا ما مقارنة بالأول. [2]

5-2-2- غزال الجبال أو الإدمي« Gazella cuvier »

هو أكبر بقليل من الغزال العادي، حيث يبلغ حاركه خمسة وسبعون ستيمتر، يتصف بوبر طويل يلائم مناطق عيشه الجبلية الصخرية، يمتلك مثل سابقه شريطا جانبيا بني اللون، يفصل بين مناطق الشعر الشقراء والبيضاء، يبلغ متوسط طول قرونه مابين خمسة وعشرون وثلاثون ستيمتر بالنسبة للذكور وهي ذات حلقات قليلة وأقل تقعرً، في حين تكون قرون الإناث رقيقة وليست بها أية حلقات [3]. عثر على بقاياه بنفس المواقع التي اكتشف بها الغزال العادي، بالإضافة إلى مغارات قسنطينة [4]. يتتشر بالأطلس الصحراوي، جبل بشار، جبال القصور، الجنوب القسنطيني والأوراس وإلى غاية الحدود التونسية. [5]

5-2-3- غزال الأحمر« Gazella rufa /G. rufifrons »

كُن هذا النوع من الغزلان بهذا الاسم بسبب الاحمرار الموجود على مستوى جبهته، وهو شبيه بالغزال العادي، إلا أنه أكبر منه حجما، إذ يتراوح ارتفاع حاركه ما بين خمسة وستون وثمانون ستيمتر، فروه أحمر أما الشريط الجانبي فذو لون أسود جميل [6]، وكثيرا ما يشكل رفقة النوع الأول

[1] Camps-Faber (H.), Gazelle, *loc.cit.*, p. 3001-3003 ; Trécolle (G.), Antilopes, *loc.cit.*, p. 795.
[2] Lavauden (L.), Les gazelles du Sahara central, *B.S.H.N*, 17, 1926, p. 14-16.
[3] Camps-Faber (H.), Gazelle, *loc.cit.*, p. 3003 ; Trécolle (G.), Antilopes, *loc.cit.*, p. 793.
[4] Lavauden (L.), Les gazelles du Sahara central, *loc.cit.*, p. 25.
[5] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p. 40.
[6] Camps-Faber (H.), Gazelle, *loc.cit.*, p. 3004.

قطعانا قد يصل عددها إلى ثلاثين رأسا، عاش في الماضي قبل انقراضه، بالحدود الجزائرية المغربية، جبال سعيدة، فرندة، الونشريس، الأوراس، إفوراس بأدرار. [1]

5-2-4- غزال الريم« Gazella leptoceros ioderi thomas »

المعروف كذلك باسم الغزال الأبيض أو غزال الكثبان، يصل ارتفاع حاركه حوالي سبعين سنتيمتر، ويتراوح وزنه مابين عشرين وخمسة وعشرون كيلوغراما، يتميز بقرون خفيفة ومستقيمة نوعا ما، وهي أنحف بكثير لدى الإناث، يبلغ طولها عموما خمسة وثلاثون سنتيمتر ويمكن بلوغها الأربعين سنتيمتر في بعض الحالات، تتمتع بفرو أصفر رملي، والذي يصبح داكنا على مستوى الشريط الجانبي، ليست له حوافر عريضة على شاكلة المهاة، على الرغم من أنه يعيش في بيئة رملية، إذ تتميز أقدماه بعرض وطول متوسطين. [2]

يعتبر الغزال الوحيد الذي لم يعثر على أحافيره بمواقع ما قبل التاريخ [3]، ولقد كان محل معاينة ووصف من قبل القادة الفرنسيين الأوائل أمثال كولب« Colomb » ، لوش« Loche » ، دوفيرير « Duveyrier » وغيرهم، ينتشر نطاقه جغرافيا بالعرق الكبير الشرقي والغربي ويسجل غيابه بمنطقة الصحراء الوسطى(الأهقار). [4]

5-2-5- غزال المهر « Gazella dama »

المسمى بغزال داما أوضبية روبار، وهو أكبر الغزلان، حيث يتعدى طوله مترا على مستوى الحارك، ويتجاوز وزنه سبعين كيلوغراما، يتمتع بعنق وأطراف طويلة، يكسو ظهره وبر أحمر اللون، في حين ينتشر اللون الأبيض بأعلى وأسفل الأرداف وكذا العنق والأطراف، كما يلاحظ غياب شريط جانبي غامق يفصل المساحات البيضاء عن الحمراء، قرونه قصيرة على شكل الربابة، يبلغ طولها

---

[1] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p. 41 ; Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs,* op.cit., p. 91.
[2] Camps-Faber (H.), Gazelle, *loc.cit.*, p. 3004 ; Lavauden (L.), Les gazelles du Sahara central, *loc.cit.*, p. 21.
[3] Arambourg (C.), Observation sur Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.*, p. 74 ; Lavauden (L.), Les gazelles du Sahara central, *loc.cit.*, p. 21 ; p. 26.
[4] Lavauden (L.), Les gazelles du Sahara central, *loc.cit.*, p. 20.

أربعين سنتيمتر وذات حلقات كبيرة [1]، اكتشفت عظامه بمغارة بوانت بسكاد بالجزائر العاصمة والفتحات الحديدية ببني صاف [2]، وتعتبر السهوب والسافانا مناطق عيشها الطبيعية، إلا أنه يحيا الآن بالمناطق الجنوبية للبلاد، حيث يظهر بشمال حمادة تندوف بين الحين والآخر، هضبة الدرعة وجنوب الأهقار. [3]

5-3- الأيائل « Cervidés »

أظهرت الحفريات وجود نوعين من الأيائل هما:

5-3-1- الأيل الجزائري« Cervus (Megaceroides) algericus »

عاش أثناء فترتي ريس « Riss » وورم « Wurm » ، وانقرض بداية الهولوسين، أطلق عليه بومال « Pomel » اسم الأيل ذو الوجنتين السميكتين « Cervus pachygenis » ، بسبب ضخامة فكه السفلي [4]، وقد اكتشفت متحجرا ته بكل من موقع الحمامات الرومانية، بوانت بسكاد والبرواقية بالجزائر العاصمة، موقع علي باشا، مغارة الدببة وأبار شعاشعة بنواحي قسنطينة، وبحمام المسخوطين، والظاهر أن هذا الحيوان الغابي لم يبلغ الهضاب والمناطق الجنوبية من البلاد. [5]

5-3-2- الأيل البربري « Cervus elaphus barbarus »

هو أقل حجما من الأيل الأوروبي، يتمتع بجسم نحيف وأنيق وقد يصل طوله متر وتسعين سنتيمتر، يمتلك رأسا ممددا، عينان واسعتان، أذنان طويلان ومدببان، رقبة طويلة، قوائم رفيعة وطويلة، بكل منها أصبعان يغطيهما حافر، لون جلده بني فاتح، يلمح على جانبي ظهره خطان من البقع

---

[1] Camps-Faber (H.), Gazelle, *loc.cit.*, p. 3004 ; Trécolle (G.), Antilopes, *loc.cit.*, p. 793.

[2] Lavauden (L.), Les gazelles du Sahara central, *loc.cit.*, p. 25.

[3] Arambourg (C.), Observation sur Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.*, p. 74 ; Camps-Faber (H.), Gazelle, *loc.cit.*, p. 3004 ; Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p. 39 ; Trécolle (G.), Antilopes, *loc.cit.*, p. 793.

[4] Arambourg (C.), Observation sur Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.*, p. 73 ; Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Caméliens et cervidés, op.cit.*, p. 30.

[5] Arambourg (C) Observation sur Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.*, p. 73 ; Camps (G.), Le cerf en Afrique du nord, *In préhistoire, anthropologie méditerranéennes*, 1992, p. 127.

البيضاء والصفراء، كما تلحظ بقعة بيضاء بطرف شاربه السفلي وأخرى بنهاية أنفه، له ذيل متوسط الطول، تحمل الذكور على عكس الإناث قرونا صغيرة عادية، تسقط نهاية كل فصل شتاء، لتبدأ بالنمو من جديد خلال شهر مارس [1]، عثر على عظامه ببحيرة كيرار التي ترجع إلى الحضارة الأشولية وضمن طبقات الحضارة الموسترية لمغارة الدببة والأروية بقسنطينة، وبملاجئ المويلح بمغنية وبموقع مشتى العربي المنتميين إلى الحضارة المويلحية(الإيبيرومغربية)، زيادة على هذا، وجد بكثرة وسط المخلفات الحيوانية بمغارات العصر الحجري الحديث، كمغارة الصخرة الكبرى ومصطفى الأعلى بالجزائر العاصمة، مغارات وهران، داموس الأحمر و غيرها. [2]

سمحت لنا هذه المعطيات، من تحديد نطاق انتشاره، التي شملت منطقة الساحل والهضاب العليا القسنطينية، والغريب في الأمر تسجيل غيابه الكلي على مستوى الفن الصخري، ويرجع سبب ذلك كونه لم يكن يوما من حيوانات المناطق شبه الصحراوية والصحراوية، كما يمكن إرجاع أسباب هذا الغياب إلى أسباب ثقافية منعت أوحرمت تصويره شأنه شأن الخنزير البري [3]، وتنحصر مناطق انتشاره في الوقت الحالي، بمنطقة الحدود الجزائرية التونسية، بالقالة، سوق أهراس وتبسة، وقد لاحظ الدكتور شاو « Shaw » أثناء زيارته للجزائر خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، وجود الأيل بالناحية الممتدة من سكيكدة إلى غاية عنابة، ولعله عاش بمنطقة القبائل الكبرى، التي تحتفظ إلى الحين باسمه الأمازيغي "إيزرزر" [4].

ولقد جانب جودا « Judas » وتيسو« Tissot » الحقيقة، حينما ذهبا إلى القول بانقراضه نهاية فترة العصور الحجرية، ليجلب من جديد إلى المنطقة من قبل الرومان خلال الفترة التي تلت نص

[1] Loche, *Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842*, 1, Paris, Arthus Bertrand, 1867, p. 62-63 ; Camps (G.), Le cerf en Afrique du nord, *loc.cit.*, p. 130.
[2] Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la berberie, I, Les cervidés, *R.Af.*, LVI, 1912, p. 477-478 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, I, op.cit., p. 102 ; Barbin A.), Fouilles des abris préhistorique de la Mouillah, *loc.cit.*, p. 86 ; Id., Fouilles des abris préhistorique de la Mouillah(Deuxième campagne), *B.S.G.A.O.*, 32, 1912, p. 399.
[3] Camps(G), Le cerf en Afrique du nord, *loc.cit.*, p. 127.
[4] *Id., Ibid.*, p. 131-132 ; Shaw (T.), *Voyage dans la régence d'Alger*, J. Mac Carthy, 2ed, Tunis, Bouslama, 1980, p. 46 ; Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la berberie, I, Les cervidés, loc.cit., p. 476.

بلينوس الكبير« Plinus » [1] ، الذي نفى فيه وجود الأيل بإفريقيا متبعا في ذلك المغلطات الواردة بشأن هذا الحيوان الواردة عند كل من هيرودتس « Hérodots » وأرسطو « Aristotelès » [2]، إلا أن جولو « Joleaud » ، غزال « Gsell » ، كامبس « Camps » وغيرهم [3]، عارضوا بشدة هذا الطرح، مستندين في ذلك على مستحثاته المعثور عليها بمواقع ما قبل التاريخ، التي ذكرناها سابقا، وإلى نصوص أخرى أتت على ذكره تعود لفرجيليوس« Virgilius » [4] ، أريان « Arrien » الذي قال: "تعيش بحدود ليبيا (الأحصنة)، وهي كثيرة مقارنة بالأيائل والغزلان التي لا تملك أية مزايا غير عادية". [5]وتطرق أوبيانوس« Oppianos » للصراع الدائم بين الأفاعي والأيائل، قائلا:" بحدود ليبيا الخصبة... إذا ذهبت بعض الأيائل للاستراحة فوق الروابي الرملية، تظهر في الحال جماعة من الأفاعي المعادية مشكلة فوجا ساما فتنقض عليها". [6].

أضف لها إشارة القديس أوغسطين للأيل إلى جانب الخنزير البري [7]، مما يعطي الانطباع بأنه قد اضطلع على المصادر التي نفت وجودهما، وأراد تصحيح الأمر. وشكل صيد الأيل أحد المواضيع المحببة لفناني الفسيفساء، هذا وقد صور بجانب حيوانات ارتبطت بالمنطقة كالضباع، الأسود، الخنازير البرية، الأرانب والفهود مثل ما هو الحال بفسيفساء جميلة(الصورة رقم11)، مما يعتبر دليلا آخر على أصله المحلي. [8]

---

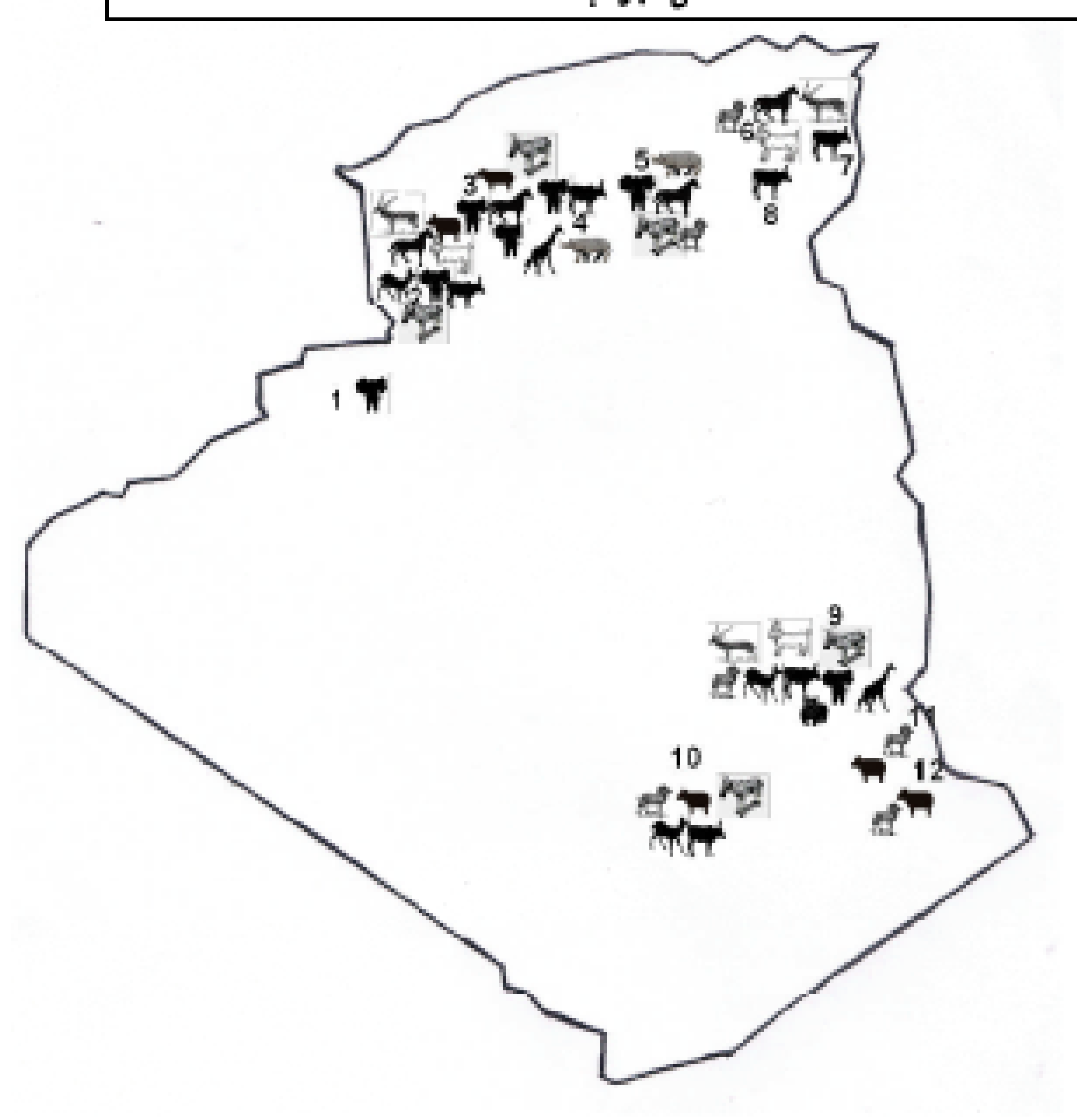
[1] Plinus, *H.N.*, VIII, 128 ; Judas (A.), Sur quelques animaux attribués ou refusés à la Libye par Hérodote, *R.S.A.C.*, 9, 1868, p. 8-9 ; Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, 1, op.cit.*, p. 347.
[2] Hérodote, Histoire, IV, 192 ; Aristote, Histoire des animaux, VIII, 28.
[3] Joleaud (L.), Études de géographie zoologique sur la berberie, I, Les cervidés, p. 478-479 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, I, *op.cit.*, p. 117 ; Camps (G.), Le cerf en Afrique du nord, *loc.cit.*, p. 129.
[4] Virgile, *Énéide*, IV, V, 153.
[5] Arrien, *La cynégétique*, XXIV, 1.
[6] Oppien, *La cynégétique*, II, 233.
[7] Saint Augustin, *Sermons*, LXX, 2.
[8] Camps (G.), Le cerf en Afrique du nord, *loc.cit.*, p. 131.



الصورة (11): فسيفاء القنص – جميلة، سطيف.

تصـــــوير الباحثة

خريطة رقم1 : الحيوانات آكلة العشب المرسومة على جداريات الفن الصخري بالجزائر
-من انجاز الباحثة-



ثانيا - الحيوانات القارتة واللاحمة والقاضمة « Omnivores, carnivores et rongeurs »

1- الثدييات القارتةOmnivores

1-1-الدب « Ursus arctos »

تنفرد منطقة شمال إفريقيا عن باقي جهات القارة، في كونها الوحيدة التي عرفت الدب، ولعله وصلها من أوروبا أثناء الفترة الجليدية المسماة ريس [1]. حيث أظهرت عملية دراسة مخلفاته المكتشفة بالجزائر من قبل أرامبورغ « Arambourg » ، وجود نوعين من الدببة، هما : الدب البني الكبير « Ursus arctos » ، الذي عمر المنطقة خلال العصر الحجري القديم الأسفل وإلى غاية الفترة الموسترية، وقد عثر على جماجمه لأول مرة بجبل طاية بالقرب من قالمة والمحفوظة بالمتحف الطبيعي لمدينة مرسيليا بفرنسا، كهف الأروية والدببة بقسنطينة، ولقد لوحظ على عظامه المكتشفة بالمغارة الأخيرة، غياب أي أثر لتهشيم أوالكسر عليها، مما يدل على أن ليس للإنسان دور في موته ولم يحدث وأن تغذى عليه، وإنما اتخذها الدب كملجئ له في حقبة لم يكن فيها الكهف مسكونا من طرف البشر، هذا وتنسب إليه البقايا العظمية المكتشفة بموقع بوانت بسكاد بالجزائر العاصمة، والتي أطلق عليها بومال « Pomel » اسم الدب الليبي « U.libycus » . أما النوع الثاني فهو أصغر حجما من الأول وهو أحد أنواع الدب البني الأوروبي، سكن المنطقة خلال الفترة الممتدة بين العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث، عثر على مستحثاته بمغارة الصخرة الكبرى بالجزائر العاصمة، أفلو بورمال وتمارهات [2].

لم يصور على الجداريات النيوليتية، ويمكن إرجاع سبب ذلك لعامل انقراضه في بداية هذه الفترة [3]، حيث لم يتسنى للإنسان التعرف عليه ومن ثم القيام برسمه، خاصة وأن بلينوس الكبير

---

[1] Camps (G.), Le bestiaire libyque d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 18.

[2] Arambourg (A.), Observation sur Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.*,p. 78-79 ;Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit.*, p. 392; Gsell (S), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 101;.27 -24. محمد الصغير غانم، سيرتا النومدية النشأة والتطور، نفس المرجع، ص

[3] Camps (G.), Le bestiaire libyque d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 18 ; *Id.*, Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 46-47.

« Plinus » أشار إلى غياب الدب بإفريقيا [1]. في حين ذهبت أدبيات كتاب آخرين على التأكيد على وجوده خلال الفترة القديمة بالمنطقة، حيث لا يمكننا اعتماد على رأيه بخصوص انعدام الدب في المنطقة، خاصة وأنه كان قد أنكر في أماكن أخرى من كتابه الثامن الخاص بالحيوانات وجود الأيل والخنزير البري، في حين كان أمرهما شائعا بالمنطقة، زد على ذلك نجده يناقض نفسه عندما يشير في فقرة أخرى، إشراك الدب النوميدي في ألعاب السيرك لسنة 61 قبل الميلاد. [2]

جاء هيرودتس « Hérodots » على ذكر الدب ضمن القائمة التي رصدها لحيوانات بلاد الليبيين الرحل [3]، وتغنى فرجيليوس « Vérgilius » في أشعاره ببعض الشخصيات القوية والشرسة المرتدية لجلد الدبة الليبية [4]، هذا وتحدث مارسياليس « Martialis » عن طاعتها للجام [5]، في حين تطرق جوفيناليس « Juvénalis » إلى عملية إشراك الدببة النومدية في مبارزات يكون فيها الشخص الند للند لها [6]، وتعرض نمزيان القرطاجي « Némésien de Carthage » لطريقة اصطيادها [7]، وأشار سولينوس « Solinus » إلى شراسة الدببة الليبية وإلى طول وبرها مقارنة بمثلات جنسها المجلوبة من مناطق أخرى، وكان قد أسهب في الحديث عن طريقة تزاوجها، عيشها وصراعها مع الثيران، ومبارزتها للصيادين الإثيوبيين بسيرك روما [8]، هذا ولم تكن عروض استعراض الدببة مقتصرة على سيرك روما فحسب، بل كان بإمكان سكان المدن بالولايات الرومانية رأيتها ضمن الألعاب المقامة بها، حيث أشار القديس أوغسطين إلى عملية إشراكها في الألعاب التي أقيمت بمدينة سوق أهراس (Thagaste). [9]

[1]Plinus, *H.N.*, VIII, 228.
[2] *Id.*, *Ibid.*, VIII, 131.
[3] Hérodote, *Histoire*, IV, 191.
[4] Virgile, *Énéide*, V, 37 ; VIII, 368.
[5] Martial, *Epigrammes*, I, 104-105.
[6] Juvénal, *Satires*, IV, 99-100.
[7] Némésien, *La cynégétique*, 306.
[8] Solin, *Polyhistor*, XXVII, 3.
[9] Saint Augustin, *Sermons*, XXXII, 20.

2-1- الخنزير البري « Sus scrofa »

وجد الخنزير البري بالجزائر مند الزمن الجيولوجي الرابع ولا يزال إلى يومنا هـذا منتشـرا بغابـات شمال البلاد ومنطقة الجلفة [1] ، يتصف بجسم طويل وقوي ، إلا أنه أقل حجما من الخنزير الأوروبي. الأوروبي. يتسم برأس ممدد وعينين وأذنين صغيرين، له نابان طويلان وقويان ورقبة قصيرة وعريضة. يملك أطرافا قصيرة بكل منها أربعة أصابع وذيل صغير، يكسو جسمه نوعين من الشعر، الأول قصير ذو لون رمادي مزرق والثاني طويل يتوزع على مستوى الظهر لونه رمـادي مُسـود [2] . وقـد صـنف بومال « Pomel » بقايا الخنزير الـبري إلى نـوعين همـا : الخنزيـر الجزائـري « Sus algériensis » والخنزير البربري« Sus barbarus » ، مستندا في ذلك على شكل الوجـه وتوجـه الأسـنان الخلفيـة، ولقد لقي هذا التقسيم معارضة شديدة من قبل أرامبورغ« Arambourg » . [3]

اكتشفت بقاياه بجميع طبقات فترة ما قبل التاريخ، بدء بالعصر الحجري القديم، حيث عثر عليه ضمن مخلفات موقع تغنيف بمعسكر، بحيرة كيرار بتلمسان، رمدية عين مليلة، وانتهاء بمغارات العصـر الحجري الحديث، كمغارات جبل مرجاجو بوهران(البوليغون مثلا)، مغارة سعيدة، مغـارة الصـخرة الكبرى بالجزائر العاصمة، مغارة الضباع [4] ، وقد قـدر كـامبس « Camps » معيـار تواجـده بهـا بــ 54,3، وهو رقم جد مرتفع وبعيد كل البعد عن معيار وجوده بالرسـوم الصـخرية العائـدة إلى نفـس الفترة والمقدرة بـ 2,75 فقط [5]، فمن مجموع مائـة وخمسـة وأربعـون محطـة للفـن الصـخري المعروفـة بالأطلس الصحراوي، هناك أربعة مشاهد ظهر عليها رسم الخنزير، وهي موقع إدريسية(زنينا سابقا)، الذي تعرض للتخريب للأسف من قبل المحاجر، جبل الدوم، موقع كرولوس سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني وكهف المسيور بسوق أهراس ضمن مشهد رائـع يحـاكي الواقـع، أيـن يظهـر زوجـا أسـد

[1] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 101 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien*, *op.cit.*, p. 234.

[2] Loche, *Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, 1, op.cit.*, p. 60-61.

[3] Arambourg (A), Observation sur Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *loc.cit.*, p. 70.

[4] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 101 ; p.104 ; Seurat (L.G.), *Exploration zoologique de l'Algérie de 1830 à1930*, Paris, Librairie de l'académie de médicine, 1930, p. 94-95 ; Debruge (A.), La faune de La grotte des hyènes, *R.S.A.C.*, 42, 1928-1929, p. 181.

[5] Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 41 ; p. 46-47.

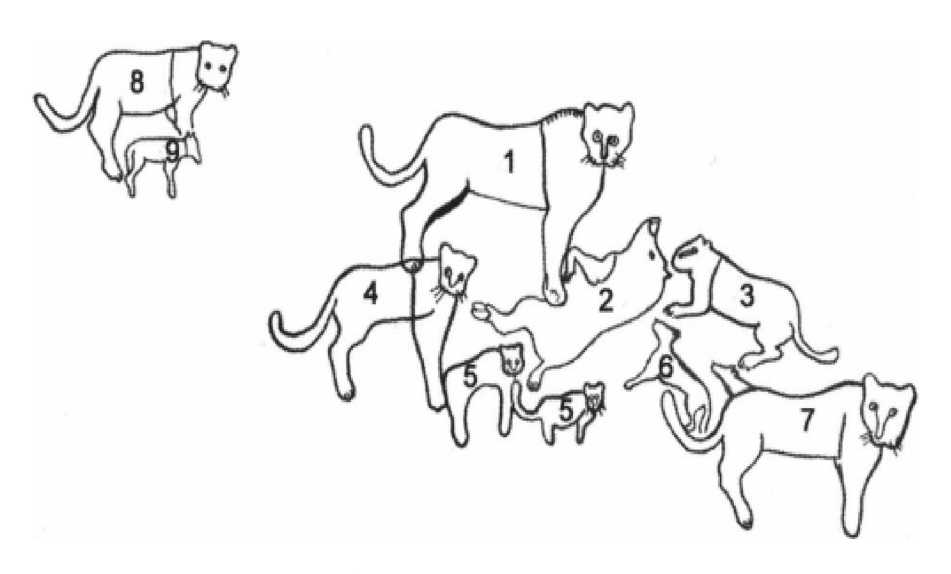
يفترسان خنزيرا، وأشبالهما تقترب منه من أجل أخذ نصيبها من الوليمة، في حين ينتظر ابن آوى في الخلف دوره لتقاسم البقايا [1] (الصفحة 79 -الصورة رقم12)، ويرجع عزوف فناني ما قبل التاريخ عن تصويره رغم وفرته في المجال الطبيعي لأسباب ثقافية تتمحور حول فكرة كره وتحريم رسم هذا الحيوان. [2]

أنكر أبو التاريخ وجود الخنزير بليبيا [3]، وتبعه في ذلك أرسطو « Aristotelès » [4]، بلينوس الكبير« Plinus » [5] وأليانوس « Elianos » [6]، دون أن يحاولوا التمحيص والتأكد من صحة ما أورده هيرودتس « Hérodots » ، ولعل مرد ذلك يعود إلى الشهرة والمصداقية التي كان يحظى بها، إلا أن هذا لم يمنع الشاعر فرجيليوس« Vérgilius » [7] و القديس أوغسطين« Augustinus » [8] من الإشارة إلى وجوده بالمنطقة، وقد ظهر رسمه على ظهر قطعتين نقديتين عثر عليهما بمقاطعة نوميديا، حيث اكتشفت الأولى على الطريق الرابط بين تبسة (Theveste) وسيقوس(Sigus)، والثانية بقسنطينة (Cirta) ، تعود للمرتزق بوبليوس سيتيوس « Publius Sittius » [9] ، كما عثر على منحوتتين له، حيث تمثل الأولى والمكتشفة بجيجل(Igilgili)، خنزير يلتهم عنقود عنب، أما الثانية فعثر عليها بمنطقة سطيف (Sitifis) سنة 1949 ميلادية، وهي ذات لون أحمر أجوري ، يقدر طولها بـ 16,5سنتيمتر [10]. أضف إلى ذلك، فقد ظهر بفسيفساء محفوظة بالمتحف الوطني للآثار

---

[1] E.B., Cochon, *E.B*, XIII, 1994, p. 2028 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien*, *op.cit*., p. 234.
[2] E.B., Cochon, *loc.cit*., p. 2028
[3] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[4] Aristote, *Histoire des animaux*, VIII, 28.
[5] Plinus, *H.N*., VIII, 228.
[6] Elien, *Nat.Anim*, XVI, 10.
[7] Vérgile, *Eneide*, I, 324; IV, 139.
[8] Saint Augustin, *Sermons*, LXX, 2.
[9] Charrier (L), *Description des Monnaies de la Numidie et de la Maurétanie*, *op.cit*., p. 26 n°74 ; p. 84 ; Mazard (J.), *Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque*, *op.cit*., p.153 n°520, n°521 ; p. 158 n°53.
[10] Gsell (S.), *Exploration scientifique de l'Algérie*, Paris, Ernest Leroux, 1912, pl.10 n°5 ; Troussel (M.), Le sanglier animal totémique, *R.S.A.C*., 70, 1957, p. 36-37.

القديمة بالجزائر العاصمة، حيث صور الخنزير وسط نباتات المستنقعات و الأراضي الرطبة، للدلالة على مكان مأواه الطبيعي، مكشرا عن أنيابه لتبيان مدى شراسته وخطورته [1]، كما كما شاع تصويره على المصابيح. [2]



الصورة (12): جدارية التهام خنزير من قبل عائلة من الأسود، كهف المسيور، سوق أهراس.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/1330/img-2.png

1 -3- القرد « Macca sylvanus »

ساهم الغطاء النباتي بشرق ووسط الجزائر، على استمرار وجود قرد الشديم بها إلى غاية يومنا هذا، إذ ينتشر بمنطقة الشمال القسيطيني وبجبال القبائل والشفا بجنوب البليدة [3]، والتي كانت مواطن سكناه منذ العصور الحجرية، حيث عثر على مخلفاته العظمية بموقع أفلوبورمل، تامرهات وبالمغارات النيولتية للجزائر العاصمة كمغارة الصخرة الكبرى [4]، ورغم كثرة هذا الحيوان بالمشهد الطبيعي

[1] De Pachetère (M.F.G.), *Inventaire des mosaïques de la Gaule et de l'Afrique*, 3, *op.cit.*, p. 108 n° 450.

[2] ستي صندوق، دراسة تنميطية للمصابيح المحفوظة بالمتحف الوطني احمد زبانة لمدينة وهران، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2006-2007، ص. 93

[3] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p. 45 ; Joleaud (L.), Le rôle des singes dans les traditions populaire nord-africaine, *J.S.A.*, 1, 1901, p .120 ; p. 124.

[4] Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit.*, p. 395.

للجزائر الشمالية إلا أننا لا نحتكم على أي رسم صخري له بالجنوب الوهراني [1]، والذي لا نجد لـه أي تفسير. والغريب في الأمر ظهوره بالجداريات الصحراوية، حيث تم التعرف على أربعة نماذج مـن فصـيلة القردحيـات « Cynocéphale » بـوادي جـرات، وعلـى نمـوذج واحـد مـن فصـيلة الهجرسيات « Cércopithèque » بنفس الموقـع، كمـا عثـر علـى رسـم النـوع الثـاني بموقـع إتينـان بالطاسيلي يعود إلى مرحلة الرؤوس المستديرة من الفن الصخري. [2]

أشار ديودور الصقلي « Diodore de Sicile » في أثناء استعراضه لأطوار الحرب الدائرة بين الدولة القرطاجية والقائد الإغريقي أغاثوكليس « Archagatus » أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ببلاد المغرب القديم إلى حادثة الرحلة الاستكشافية، التي أقدم عليها أحـد القـادة العسـكريين لهـذا الأخـير والمدعو أوماكوس « Eumachus » ، التي قادته إلى عمق التراب النوميدي ، حيث تمكن جيشـه مـن بلوغ سلسلة جبلية، يقدر طولهـا بمـأتي سـتاد (أي سـبعة وثلاثـون كيلـومتر)، كانـت مليئـة بـالقطط المتوحشة، وواصل السير إلى أن بلغ ثلاثة مدن أقدم على احتلالها والتي تحمـل اسـم "القـرد" ، وممـا لاحظه أن سكانها يحترمون هذا الحيوان ويقدرونه لدرجة أنهم كانوا يقاسمونه المسكن، ويطعمونه ممـا يأكلون، ويطلقون على أولادهم اسمه، والأكثر من ذلك أن قتله يعتبر لديهم أحد السلوكيات المشـينة وجريمة شنعاء، يحاسب مقترفها بالموت. ليسلك بعدها طريقا مختصر من أجل العودة إلى السـاحل [3] . ويرى جولو « Joleaud » أن طبوغرافية ميلة تتطابق إلى حد كبير مع ما جاء به ديـودور الصـقلي، في حين يرجح فيرو« Feraud » منطقة جيجل(Igilgili) ونواحيها [4]، وبهذا نستخلص أن رحلة القائـد الإغريقي أوماكوس « Eumachus » قد بلغت بلاد القبائل الصغرى. كما ننوه في الأخـير إلى إشـارة لوسيان « Lucien » الذي تحدث عن وجود القردة بالصحراء بجانب النعام والفيلة [5] .

[1] Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 46 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 782.
[2] *Id., Ibid.*, p. 782.
[3] Didore de Sicile, *La bibliothèque historique*, XX, 58, 3.
[4] Joleaud (L.), Le rôle des singes dans les traditions populaire nord-africaine, *loc.cit.*, p. 131 ; Féraud (L.CH.), Histoire des villes de la province de Constantine, *R.S.A.C.*,14 , 1870, p. 26.
[5] Lucien, *Dipsades*, 2.

2- الثدييات اللاحمة

2-1-السنوريات والقطط الكبيرة« Félidés »

2-1-1- الأسد « Felix leo spelaea goldfus »

عمر هذا السنوري الجزائر منذ فترة ما قبل التاريخ إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، حيث مثل الإنسان العامل الرئيسي في عملية انقراضه، إذ قُتل آخر أسد بنواحي سوق أهراس سنة1891 ميلادية [1]، ورغم تاريخ وجوده الطويل بالمنطقة، إلا أن الباحث يصطدم بقلة المستحثات الدالة عليه بالمواقع الأثرية، والتي لا تتناسب مع شهرته خلال الفترة التاريخية، إذ تنعدم بقاياه بمواقع العصر الحجري القديم الأسفل، وما نسب إليه بموقع تغنيف بمعسكر فمشكوك فيه، هذا ونادرة هي بقاياه بطبقات العصر الحجري القديم الأعلى، المتمثلة في ملجئ ألان بمحاجر الكميل بوهران العائدة إلى الحضارة المويلحية(الإيبيرومغربية)، وبمستويات القفصية لموقع مشتى العربي، سيدي الحسني بتيارت والردايف. وقد عثر على مستحثاته ضمن موقعين يتنميان إلى العصر الحجري الحديث، هما مغارة سعيدة ومغارة سكان الكهوف بوهران. [2]

احتفظت لنا الشقق الجدارية الحُثية للأطلس الصحراوي بذاكرة مصورة لا مثيل لها، فقد احتلت مجموعة السنوريات التي تضم الأسد، الفهد والنمر المرتبة الثانية بعد مجموعة البقاريات الكبيرة، إذ صور الأسد إما منفردة كما هو الحال بقبار روشيم بالقرب من بوسسمغون والحجرة المخروطة بأولاد نايل، وثنية الخروبة بجبل عمور(الصفحة88 – الصوررة رقم13) وجاتو بفقيق، الذي اعتمد رسمه لتأسيس ما يعرف لدى أصحاب اختصاص ما قبل التاريخ "بنوع جاتو" في الفن الصخري* [3]، أو

---

[1] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, 1, op.cit.*, p. 71.
[2] Doumergue (F.), La grotte de l'Oued Saida, *loc.cit.*, p. 109 ; *Id.*, *Inventaire de la section de préhistoire du musée Demaeght*, *op.cit.*, p. 35 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *I*, *op.cit.*, p. 101 ; Roubet (C.), Lion, *E.B.*, XXVII, 2008, p. 4416 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit.*, p. 393.
* نوع جاتو: هو رسم دو معايير ثابتة استعمل من أجل تشكيل ورسم السنوريات باقي السنوريات الأخرى، حيث عمد فنانو ماقبل فترة التاريخ إلى رسم جسم الأسد جانبيا، برأس ملتفت نحو الأمام، يقابل الناظر اليه، مقسوم إلى نصفين بواسطة خطين عموديين، من أجل تحديد الأنف، وبكلا الجهتين نصف دائرة ملتصقة بالخطين السابقين اللتان تمثلان العينين، ويرتفع فوق رأسه أذنان صغيران.
[3] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, 1, op.cit.*, p. 71 ; Roubet (C.), Lion, *loc.cit.*, p. 4416-4417.

ضمن مشاهد تعكس واقع الحياة البرية، كما هو الأمر بموقع كاف المسيور بسوق أهـراس، أيـن ظهـر صحبة أسرته المتكونة من لبوءة وأربعة أشـبال يقتسـمون وليمـتهم المتمثلـة في خنزيـر(الصـفحة79 – الصوررة رقم12)، أو مُحطما خاصرة ظبي فار منه، مثل ما هـو ملاحـظ برسـم زكـار [1]، أو مهاجما لقطيع من الماعز كما ملاحظ برسم أنفوس، زد على ذلك فقد صور رفقة الإنسان بالطور الأوسـط والأخير للمرحلة الجاموسية. [2]

بلغ مجال انتشار الأسد النطاق الصحراوي، إذ عاش إلى غاية بداية القرن الماضي بجوافها وبمنطقة أدرار وإيفوراس، حيث تم التعرف عليه ضمن جـداريات وادي جـرات والأهقـار مصـحوبا بكتابـة التفيناغ ومحطة تين أبو تيك بالطاسيلي ناجر. [3]

وبما أنه الأسد، فقد أخد حصة كبيرة من ذكـر المصـادر لـه، تليـق بمقامـه الملكـي الرفيـع بـين الحيوانـــات ســـواء أكانـــت مصـــادر تاريخيـــة، جغرافيـــة أو أشـــعار، إذ أتـــى علـــى ذكـــره هيرودتـس « Hérodots » ضـمن قائمـة المرصـودة لحيوانـات بـلاد الليبـيين المـزارعين [4]، وأشـار بوليبيوس « Polybios» لكثرة السباع بالمنطقة [5]، وتحـدث سـترابون « Strabo » عـن الأسـود الـتي تهاجم الفيلة الصغيرة في الصحاري، في حين أنها لا تجرأ على الاقتراب مـن أمهاتهـا [6]، وتطـرق إلى جلودها المستخدمة كمعاطف [7]، وقد أفرد بلينوس الكبير« Plinus » عدد مـن الفقـرات مـن كتابـه الثامن للأسد، عالج فيها حياته وأوصافه [8] وأنواعه [9] والأضرار الـتي يتسـبب فيهـا [10]، إلى جانـب جانب استغلاله في الحياة الترفيهية المقامة في المسارح والمدرجات الرومانية، حيث يقول:" تعتبر إفريقيا

[1] Aumassip (G.), *Trésord de l'Atlas*, op.cit., p. 30 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, 1, op.cit.*, p. 72 ; Roubet (C.), Lion, *loc.cit.*, p. 4418.
[2] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 227-228.
[3] *Id., Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 782-783.
[4] Hérodote, *Histoire*, IV, 191.
[5] Polybe, *Histoire*, XII, 3, 5.
[6] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 5.
[7] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 7.
[8] Plinus, *H.N.*, VIII, 42.
[9] *Id., Ibid.*, VIII, 46.
[10] *Id., Ibid.*, VIII, 48.

المصدر الرئيسي للأسود"[1] وقد أورد عن بوليبيوس « Polybios» الذي كان بصحبة شبيون الإميلي الإميلي « Scipion Emelien » أن أسود إفريقيا تهاجم في شيخوختها الإنسان لأنها لا تعود قادرة على مطاردة الحيوانات الضارية، علاوة على أنها تقوم بمحاصرة المدن الإفريقية، حيث شهدا صلب بعض منها من قبل السكان بغرض إخافة غيرها حتى لا تجرؤ على مهاجمتهم وإلا سوف تلقى نفس المصير[2].

هذا وقد تطرق سليوس اتاليكوس« Silius Italicus » إلى تربية الأشبال بالقصور الماسيلية باعتبارها أحد تقاليد سكان المنطقة، فقد كانوا يحسنون ترويضها ويداعبون عُروفها ويلعبون بخطومها المرعبة دون خوف[3]، ومن مآسي هذه البلاد حسب كلوديان « Claudien » أنها ابتليت بالأسود المتوحشة التي تُغير على القطعان والثيران الصغيرة هنا وهناك فتتركها نصف ميتة وتذِر جثث الرعاة مبعثرة فوق السهول[4]، كما تطرق أليانوس « Elianos » لنفس الموضوع، حيث تحدث عن شعب أبيد عن آخره من قبل الأسود المتمتعة بالحجم الكبير والجسارة والتي لا يقف أمامها أي شيء[5]، أما لوكانوس « Lucanus »[6] وأوبيانوس« Oppianos »[7] فتعرضا إلى السباع المنتشرة بالصحراء وكيفية اصطيادها، في حين أشار فرجليوس« Vérgilius » إلى الأسود التي تسكن الجبال[8]. هذا ويعتبر الدكتاتور سيلا« Sylla » أول من أطلق العنان للأسود بالسيرك الروماني بعدما كانت في السابق مقيدة[9]. كما شكل الأسد أحد المواضيع التي تم تناولها

---

[1] *Id.*, *Ibid.*, VIII, 42.
[2] Plinus, *H.N.*, VIII, 47.
[3] Silius Italicus, *La guerre Punique*, XVI, 235-240.
[4] Claudien, *La guerre contre Gildon*, in œuvres poèmes politiques, J.L. Charlet (trad.), Paris, Les belles lettres, 1975, 358-360.
[5] Elien, *Nat.Anim*, XVII, 27.
[6] Lucain, *La Pharsale*, IV, 685-686.
[7] Oppien, *La cynégétique*, III, 35 et suivre.
[8] Virgile, *Eneide*, IV, 159.
[9] Sénèque, *De la brièveté de la vie*, A.Bourgery (trad.), Paris, Les belles lettres, 2003. XIII, 6.

بكثـرة في فسيفسـاء القـنص، كفسيفسـاء تـنس (Cartenae)المحفوظـة بـالمتحف الـوطني للآثـار القديمة، شرشال(Caesarea) وجميلة(Cuicul) (الصفحة 73- الصورة رقم 11).[1]

2-1-2- الفهد « Acinonys Jabattus »

رُسم الفهد على جداريات الفن الصخري للعصر الحجري الحديث، ضمن عدد محـدود جـدا من المشاهد، قدر بخمسة نماذج ثلاثة بوادي جرات ونموذج بالأطلس الصحراوي بعين مارشال، وآخر بحجـر بريـك بجبـال القصـور(الصـفحة 65 - الصـورة رقـم 14) [2]. وقـد جـاء هيرودتـس « Hérodots » على ذكر النمور المنتشرة ببلاد الليبيين الرحل [3]، ويرى غـزال « Gsell » وكـامبس « Camps » ، أن ما قصد به أبو التاريخ هو الفهـود لا النمـور لأن هـذه الأخـيرة تسـكن المنـاطق الجبلية والغابية ولا يمكن مصادفتها بالجهات الصحراوية الجافة، خاصـة وأن الكتـاب القـدامى كـانوا يطلقون اسم بارديس[4]« Pardis, Pardaleis » والإفريقية [5] « Africanae » على مجموع السنوريات السنوريات دون تمييز والتي تضم الفهد « Guépard » والنمـر « Panthère » والـبج« Serval » والعناق« Caracal » ولربما الضبع« Hyène » كذلك [6]، هذا وينطبق الوصف المقدم مـن بلينـوس الكبير « Plinus » ، على الفهد، الذي قال في حقه مايلي:" يعتبر الفهد والنمـر الحيـوانين الوحيـدين المتميزين ببوصهما المبرقش، أما بقية الحيوانات فتمتلك لونا واحدا... لدى الفهـود بقـع كأنهـا أعـين صغيرة مزروعة على سطح فاتح ... والتي منحناها اليوم اسم المبرقش وباردوس « Pardos » وهـذا بالنسبة للذكور، وهي من الحيوانات الشائعة بإفريقيا وسوريا، وهناك من يعمـل علـى جعـل الفهـود فصيلة مستقلة يمكن تمييزها بسطحها الفاتح، هذا ولم أقف حتى الآن على فروق أخرى" [7] ، زد على

---

[1] Benouniche (F.), *Le musée national des antiquités d'Alger*, Alger, 1974, p. 38, fig.16 ; Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel*, *op.cit.*, p. 95 n°76 ; Lassus (J.), La salle à sept absides de Djemila-Cuicul, *Ant.Afr.*, 5, 1971, p. 201 fig.6 ;

[2] Camps-Faber (H.), Guépard, *loc.cit.*, p. 3231 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas saharien*, *op.cit.*, p. 227 ; *Id.*, *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, *op.cit.*, p. 783.

[3] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.

[4] Plinus, *H.N.*, VIII, 63.

[5] Varron, *Economie rurale*, III, 13, 3.

[6] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 112-113 ; Camps (G.), Le bestiaire libyque d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 22.

[7] Plinus, *H.N.*, VIII, 63.

على ذلك، فقد صور الفهد ضمن مشهد قنص للحيوانات المتوحشة بفسيفساء عنابة(Hiponne) (الصفحة89- الصورة رقم 15).[1]

ويعتبر الفهد السنوري الوحيد، الذي لا يزال منتشر برمال الصحراء الجزائرية أين يطارد فيها غزلانها وظباءها، ضمن مناطق محدودة، وهو الذي كان يمتد وجوده في السابق إلى غاية الأطلس الصحراوي، حيث شوهد بالأهقار وبخاصة جبل تفودست بنواحي إدولاس ، الطاسيلي ناجر بجهة فوردغاردل، تندوف، أدرار، ومابين تمنراست وعين صالح [2] ، ولقد جانبت السيدة حاشي الصواب حين جزمت بانقراضه منذ فترة طويلة [3]. يمتاز برشاقة ورفاعة جسمه، وقد يصل طوله عند البلوغ متر متر وعشر سنتمترات، هذا بدون الذيل البالغ خمسة وسبعون سنتيمتر، ويتراوح ارتفاع حاركه مابين سبعين وثمانين سنتيمتر، أما وزنه فيتأرجح ما بين اثنان وأربعون كيلوغراما وخمسة وستون كيلوغراما، ذو رأس صغير، عيناه غائرتان ومحطتان بالأسود، أطرافه طويلة، فروه أغبس اللون تزينه بقع سوداء شبيهة بالعين، ويقدر متوسط عمره بستة عشرة سنة، وهو أسرع الحيوانات على الإطلاق، إذ تبلغ سرعته القصوى خمسة وتسعون كيلومتر في الساعة، إلا أنه لا يستطيع الحفاظ على هذا الإيقاع لفترة أطول [4].

2-1-3- النمر « Felis Pardus »

كُشف عن مستحثاته بمستويات مواقع العصر الحجري القديم، بكل من مغارة الدببة بقسنطينة، علي باشا ببجاية، الحمامات الرومانية وعين طاية، وكذا بمواقع العصر الحجري الحديث، بجبل الركينة، الصخرة الكبرى، مغارة مصطفى الأعلى بالجزائر العاصمة، مغارة البوليغون بوهران والكاف الأحمر بقسنطينة [5]، وقد خُط شكله بجداريا ت الأطلس الصحراوي منذ المرحلة القديمة المعروفة باسم

---

[1] Dahmani (S), Morel (J.P.), *Mosaïque d'Hippone, op.cit.*, p. 32.
[2] Lhote (H.), *La chasse chez les Touareg*, op.cit., p. 129 ; *Id.*, *Le Hoggar, espace et temps,* p. 61 ; Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p. 36.
[3] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, op.cit., 1*, p. 71.

[4] Camps-Faber (H.), Guépard, *loc.cit.*, p. 3232-3233.
[5] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* I, p. 101 ; p. 104 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique, op.cit*., p. 383.

المرحلة الطبيعية، حيث ظهر فيها منفردا ومتأهبا للقفز كأن أحدا قد باغته ، على عكس الأسد الذي رسم إما بين أقرانه أو مسترخيا، أشهرها رسم مردوفة، غلموز الأبيض(الصفحة 65- الصورة رقم 16) وسفيسيف أين نشاهد نمرا يتردد في الانقضاض على دغفل تحرسه فيلة [1]، وتنحصر أماكن وجوده حاليا بأعماق المناطق الغابية البعيدة عن السكان والمليئة بقرد الشديم الذي يعتبر طعامه المفضل، وذلك بكل من بلاد القبائل الصغرى، جبال البابور وحلق خراطة، جبال سوق أهراس، الجبال المتاخمة للحدود التونسية شرق القالة وجبال الأوراس [2].

جاء على ذكره كل من بوليبيوس« Polybios » [3]، تيتوس ليفيوس« Titus Livius » [4] وبلينوس الكبير « Plinus » [5]، كما صور بالفسيفساء الجزائرية [6]، والجدير بالملاحظة، أن بعضا منها بعضا منها قد حمل صورة النمر المخطط الآسيوي، وهو الذي لم يكن يوما من الحيوانات الإفريقية.

2-1-4- العناق « Felix caracal algirus »

يعرف باسم الوشق « Felix lynx » كذلك، وهو خطأ شائع، اكتشفت بقاياه على غرار باقي السنوريات بأغلب المواقع الأثرية، نذكر منها ملاجئ المويلح بمغنية المنتمية إلى الحضارة المويلحية، مغارة وادي سعيدة وجبل فرطاس العائدين للعصر الحجري الحديث [7]، ويرى دوبوي « Dupuy » « Dupuy » ، أن آخر عناق شوهد بالجزائر، كان سنة 1930 ميلادية، بناحية بني عباس، أين تم اصطياده ولعله انقرض تماما من المنطقة [8]، في حين ترى السيدة حاشي أنه لا يزال يعيش بجبال

---

[1] Aumassip (G.), *Trésord de l'Atlas Saharien,, op.cit.*, p. 26-27 ; p. 29 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas saharien, op.cit.*, p. 227 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, op.cit., 1*, p. 72.
[2] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p. 34.
[3] Polybe, *Histoire*, XX, 3, 5.
[4] Tite Live, *Histoire Romaine*, XXXIX, 22.
[5] Plinus, *H.N.*, VIII, 63.
[6] Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel, op.cit.*, p. 97 n°76 ; p. 206 n°193 ; Lassus (J.), La salle à sept absides de Djemila-Cuicul, *loc.cit.*, p. 201 fig.6.
[7] Doumergue (F.), La grotte de l'Oued Saida, *loc.cit.*, p. 110 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit.*, p. 393.
[8] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p.34.

القصور [1] ، وقد أتى أليانوس« Elianos » على ذكر وجوده ببلاد الموريين، واصفا إياه بما يلي: " للوشق خطم مسطح أكثر مما هو عليه لدى النمور، له شعر في نهاية أذنيه، وبإمكان هذا الحيوان القيام بقفزات مدهشة ممسكا فيها بفريسته بقوة وشدة لا مثيل لها..." [2].

2-1-5- القط « Felis ocreata gmelin »

دلت الاكتشافات الأثرية بالجزائر على الانتشار الواسع للقط خلال فترة ما قبل التاريخ، حيث عثر على مستحثاته بمواقع الباليوليتي الأسفل كمغارة الدببة والأروية بقسنطينة، علي باشا ببجاية، مغارة الحمامات الرومانية وبوانت بسكاد بالجزائر العاصمة، وبالمستويات العائدة إلى العصر الباليوليتي الأعلى كموقع سيدي الحسني بتيارت بالمستويات الموليحية، وموقعي مشتى العربي ودراع مت الماء الأبيض القفصيين ، وصولا إلى العصر الحجري الحديث كمغارة البوليغون بوهران [3].

تحدث ديودور الصقلي « Diodore de Sicile » خلال سرده لأحداث حملة القائد الإغريقي أغاثوكليس على بلاد المغرب القديم، عن إقدام أحد رجالاته العسكريين على القيام بحملة استكشافية، قادته إلى عمق التراب النوميدي، أين صادف جيشه سلسلة جبلية تمتد على مسافة مائتي ستاد مليئة بالقطط المتوحشة، والتي لا يمكن لأي طائر بناء عشه بها، بسبب العداء الدائم بينهما [4] ، ويرى غزال « Gsell » ، أن المقصود من النص هو قط المرين « Chat gnanté » ، الأكثر شيوعا بالمنطقة، أو أن الأمر يتعلق بالبج « Felis serval» المعروف لدى العامة باسم القط النمر الإفريقي [5]، خاصة وأن هذا الأخير عاش بالمنطقة إلى غاية الثلاثينات من القرن الماضي، في الجبال الرطبة

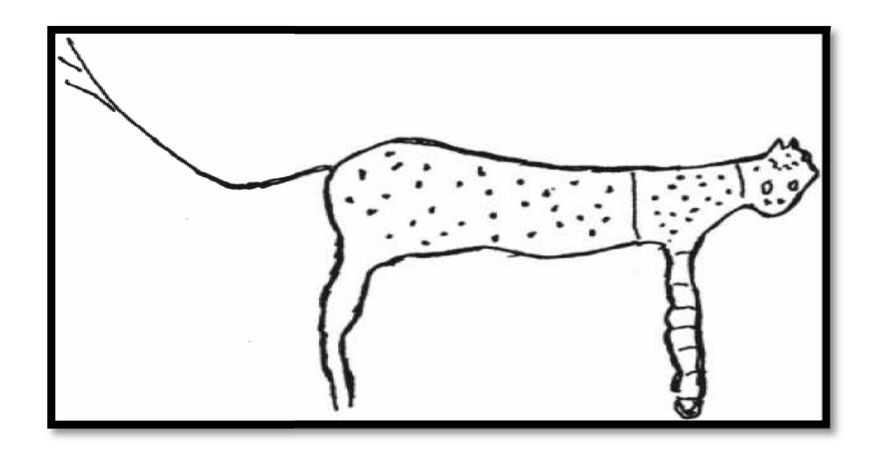
[1] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, 1, op.cit.*, p. 72.
[2] Elien, *Nat.Anim.*, XIV, 6.
[3] Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique, op.cit.*, p. 393-394 ; Morel (J.), La faune de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod, *L'Anthropologie*, fasc78, 2, 1974, p. 311.
[4] Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique,* XX, 58, 3.
[5] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.*, I, p. 113.

بنواحي عنابة القريبة من الحدود التونسية [1]، ولعلها المنطقة المتوغل فيها من قبل الإغريق خلال نهايـة القرن الرابع قبل الميلاد، وقد ظهر بفسيفساء اكتشفت بتمقاد (Thamugadi). [2]



الصورة (13) : جدارية أسد مرسوم وفق تقنية جاتو– ثنية الخروبة، جبل عمور.

Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 2, Alger, ENAG, 1992, Fig. 69.



الصورة (14): رسم فهد– حجر بريك، جبال القصور.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/1810/img-3.png.

[1] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p. 35.
[2] Gsell (S.), *H.A.A.N. op.cit.*,, I, p. 113.



الصورة (15): فسيفساء قنص السنوريات – عنابة.

Sintes (C.), *Algérie antique,* catalogue de l’exposition de 26 avril17aout 2003 Arles, Éditions du Musée de l'Arles et de la Provence antiques, 2003, p. 184.



الصورة (16): جدارية نمر – غلموز الأبيض، البيض.

Hachid (M.), *Les pierres écrites de l’Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba,* 2, Alger, ENAG, 1992, Fig. 31.

2-2 الكلبيات والضبعيات « Canidés et Hyénidés »

2-2-1- الكلب « Canis familiaris »

شهدت المنطقة منذ العصر الحجري الحديث، انتشار نوعين من الكلاب المستأنسة وهما: الكلب القبائلي« Canis matris optimae » ، المعروف كذلك باسم كلب رعاة الأطلس، الذي يتمتع بجسم قوي وخشن، عنق متين، ذيل مشعر، أطراف مستقيمة وأرجل ممددة، رأسه طويل نوعا ما، ذو خطم طويل ومُنسل، له عينان مائلتان وأذنان مرتفعان ومثلثي الشكل، يمتك بوصا خشنا و متوسط الطول على مستوى الظهر والجوانب وقصير على مستوى الرأس والأطراف، يكون أبيض اللون في الغالب، وهو كلب حراسة متيقظ جدا وعدواني إذا ما تم ربطه. أستخدم في مطاردة الطرائد السريعة، وقد انتشر بالمنطقة الشمالية والجنوبية للجزائر [1].

النوع الثاني المعروف باسم السلوقي « Lévrier » ، والذي أطلق عليه الباحث بومال « Pomel » إسم « Canis familiaris gétulus » ، والمسمى لدى المصريين القدامى بتوسم « Tessem » ، وهو أصل السلوقي الإفريقي، وقد أصبح أمره شائعا منذ نهاية النيوليتي، انتشر بالجهات الصحراوية، يتميز بجسم خميص ونحيف، رأس مخروطي الشكل وممدد، خطم رقيق، أطراف طويلة وقاسية، له أذناه منتصبان وذيل ملفوف فوق ظهره [2]. وقليلة هي البقايا العظمية المكتشفة والمنسوبة لهذا النوع من الكلاب والتي لا يتعدى عمرها العصر النيوليتي، فقد عثر على مستحثاته ضمن عدد محدود جدا من مغارات شمال الجزائر، وهي الصخرة الكبرى ونهج برو بالجزائر العاصمة، ومغارة الهواء الطلق بوهران وجبل الركينة ونفس الملاحظة تنطبق على المواقع

[1] Esperandieu (G.), Coppé (G.), E.B, Chien, *E.B.*, XIII, 1994, p. 1919 ; p. 1924 ; Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.*, p. 570.

[*] هو غير السلوقي العربي الذي أدخل إلى المنطقة .

[2] Esperandieu (G.), Coppé (G.), E.B, Chien, *loc.cit.*, p. 1920 ; p. 1923 ; Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.*, p. 570 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, op.cit., 1,* p. 84.

الصحراوية، حيث اكتشفت متحجرا ته بموقعين فقط هما، أزليك وتيهودان [1]، وعلى النقيض من ذلك نراه قد جسد بجداريات الفن الصخري، بدء بأقدم مراحله وهي المرحلة الطبيعية، لتتعدد صوره أكثر خلال المرحلة الخيلية، حيث ظهر مرتبطا ومرافقا للإنسان في مشاهد الصيد والرعي، نذكر منها صوره بالأطلس الصحراوي بعين مارشال، تيوت، مردوفة وخنقة الحجر، وبوادي جرات بالطاسيلي ناجر، حيث ظهر صحبة محارب مسلح بقوس [2]، وقد تعزز دوره أكثر أثناء الفترة التاريخية، إذ نعلم بفضل فالار ماكسيم « Valère Maxime » ، أن الملك ماسينيسا « Massinissa »، كانت تحرسه مجموعة من الكلاب [3]، وقد تعاظم شأنه إذ أضحى أحد أهم وسائل المستند عليها في عملية القنص وهذا ما نستشفه من نص نمزيان القرطاجي « Némisien de Carthage » ، حيث يقول:" تنشئ بأرض ليبيا القاحلة كلاب نشيطة، التي لا يمكنك الاستهانة بها في العمل(الصيد)". [4] هذا وكان حاضرا بمشاهد فسيفساء الصيد التي زينت أرضيات القصور و المنازل قديما. [5]

2-2-2- الثعلب « Vulpes vulpes »

يعتبر الثعلب أحد الحيوانات البرية الشائعة بالجزائر، والتي لا تزال تجوب صحرائها إلى غاية يومنا هذا. عثر على بقاياه بعدد من المواقع رفقة أنواع أخرى تنتمي لفصيلة الكلبيات، بموقع مشتى العربي، أفلو بورمال، تامرهات، سيدي الحسني، مغارة الهواء الطلق، مغارة سكان الكهوف ومغارة سعيدة [6]، ونجد في المقابل أنه تم تجاهله من قبل فناني العصر الحجري الحديث، الذين كانت تستهويهم

[1] Esperandieu (G.), Coppé (G.), E.B, Chien, *loc.cit.*, p. 1919 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 787.

[2] Aumassip (G.), *Trésord de l'Atlas Saharien,, op.cit.*, p. 80 -85 ; Esperandieu (G.), Coppé (G.), E.B, Chien, *loc.cit.*, p. 1919 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 787.

[3] Valère Maxime, IX, 13, 2 d'après Esperandieu (G.), Coppé (G.), E.B, Chien, *loc.cit.*, p. 1919.

[4] Némésien, *La cynégétique*, 228-300.

[5] Benouniche (F.), *Le musée national des antiquités d'Alger, op.cit.*, p. 38 fig.16.

[6] Debruge (A.), Faune de la grotte des hyènes, *loc.cit.*, p. 180 ; Doumergue (F.), La grotte de l'Oued Saida, *loc.cit.*, p. 109 ; *Id., Inventaire de la section de préhistoire du musée Demaeght, op.cit.*, p. 35 ; p. 38 ; p. 47 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 104 ; Solignac (M.), Note sur la faune recueillie par M.Debruge à Mechta el Arbi , *R.S.A.C.*, 55,1923-1924, p . 90 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit.*, p.392.

الحيوانات الضخمة، وقد ورد ذكره عند هيرودتس « Hérodots » في قائمة حيوانات بلاد الليبيين الرحل [1]، واصفا إياه بالثعلب الصغير، ويرى كامبس« Camps » ، أن هذا النعت يمكن أن ينطبق إما على الفنك المنتشر بالصحراء حتى الآن، المتميز بصغر حجمه أو على ثعلب الصحراء المعروف باسم « Vulpes repelli » ، والمتمتع بحجم أصغر من الثعلب العادي، ذو الأذنان الأقل طولا من الفنك [2]، كما تحدث نمزيان القرطاجي « Némésien de Carthage » على شغف الصياديين به، واصفا إياه بالماكر [3]، وقد خلدت لوحة فسيفسائية اكتشفت بشرشال(Caesarea) صورته. [4]

2-2-3- ابن آوى « Canis anthus »

يلازم ابن آوى الأسد في الطبيعة، حيث يتقدمه في الصيد، ليتنظر بعدها دوره من أجل التهام ما تبقى من الوليمة، ورغم انقراض الأسد من الجزائر، إلا أنه استطاع الحفاظ على بقائه مكتفيا بصيد الطرائد الصغيرة من الزواحف والقوارض وأكل الفواكه، فهو بحق حيوان قارت كالكلب. ينتشر بالجزائر ابن آوى الذهبي اللون « Canis aureus » ، الذي يقدر طوله بمتر واحد، وهو ذو رأس طويل ووجه مستذق، له أذنان صغيران وعينان صفراوان اللون، يقدر متوسط وزنه بعشر كيلوغرامات، وقد يبلغ أحيانا العشرين كيلوغراما، يعيش بالهضاب وبعض الجهات الصحراوية، شريطة توفر نقاط مياه قريبة، ويعتبر حيوانا ليليا، وهوسريع الركض وسباح جيد. [5]

اكتشفت مستحثاته في عدد من المواقع الأثرية لفترة ما قبل التاريخ، ابتداء من عصرالبلستوسين الأوسط كموقع تغنيف الأشولي، الخنزيرة والدببة، وصولا إلى العصر الحجري الحديث كمغارات وهران(الهواء الطلق والبوليغون)، غار أم فرنان بسعيدة، الصخرة الكبرى وفورد لو بالجزائر العاصمة [6] . هذا ولم يكن ابن آوى أحد المواضيع المفضلة لدى رسامي العصر النيوليتي، إذ ظهر ضمن عدد محدود من نماذج الأطلس الصحراوي، بمشاهد يلعب فيها دورا ثانويا، كمشهد كاف

---

[1] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[2] Camps (G) Le bestiaire libyque d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 22.
[3] Némésien, *La cynégétique,* 52 ; 307.
[4] Ferdi (S), *Corpus des mosaïques de Cherchel, op.cit.*, p. 206 n°193.
[5] Trécolle (G.), Chacal, *E.B.*, XIII, 1993, p. 1857-1858.
[6] Doumergue (F.), *Inventaire de la section de préhistoire du musée Demaeght, op.cit.*, p. 3 7-38 ; p. 50-52 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique, op.cit.*, p. 392.

المسيور الشهير بصدراتة ولاية سوق أهراس، الذي يمثل أسرة من الأسود تفترس خنزير، وهو في الواجهة الخلفية بانتظار دوره من الوليمة(الصفحة79 -الصورة رقم12)، وأسفل أسد بجدارية مردوفة بالبيض وخلف ثور بعين المويلح، هذا ونقش داخل رسم حمار بأحد صخور وادي جرات، لكن من ناحية أخرى، نجد مشهد رجل يرتدي قناع وجه ابن آوى، يعود إلى المرحلة البقرية بالطاسيلي ناجر.[1]

لا توجد ذئاب ببلاد المغرب القديم، وما الأوصاف والإشارات الواردة عند الكتاب القدامى على أنها تخصه، إنما تنطبق على ابن آوى أكثر منه [2] ، كقول بلينوس الكبير « Plinus » " بإفريقيا ومصر ذئاب صغيرة وبدون قوة". [3] وحديث نمزيان القرطاجي « Némésien de Carthage » عن صيد الذئاب الشديدة اللؤم [4]، وقد رسم إلى جانب حيوانات أخرى بفسيفساء اكتشفت بالمقبرة الغربية لمدينة شرشال (Caesarea). [5]

4-2-2- الفنك « Fenecus zerda zim »

أتى هيرودتس « Hérodots » على ذكر ثعالب صغيرة تجوب بلاد الليبيين الرحل [6]، واعتقد كامبس « Camps » ومن قبله غزال « Gsell » ، أنه لربما قصد الفنك باعتباره حيوانا صحراويا بامتياز، أو أنه تحدث فعلا عن نوع من الثعالب الصغيرة المعروفة باسم « Vulpes rupelli » ، التي تتقاسم معها نفس الحيز الجغرافي، إذ كثيرا ما يتم الخلط بينهما نظر لتشابههما الكبير. [7]

يعتبر الفنك أصغر حيوان في فصيلة الكلبيات، إذ هو بحجم القط، حيث يقدر وزنه بواحد ونصف كيلوغرام، يمتلك أذنان كبيران، يبلغ طولهما حوالي خمسة عشرة سنتيمتر، ذو فرو أغبس بلون الرمال،

---

[1]Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 235 ; *Id.*, *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, op.cit., p. 783.
[2] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I,., p.114.
[3] Plinus, *H.N.*, VIII, 64.
[4] Némésien, *La cynégétique*, 52.
[5]Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel, op.cit.*, p. 206 n°193.
[6] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[7] Camps (G.) Le bestiaire libyque d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 22 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 113-114.

شعر ذيله كث شبيه بذيل الثعلب، لذا يطلق عليه أحيانا اسم ثعلب الرمال، لأطرافه الصغيرة خمسة أصابع، ينتشر بالعرق الشرقي الكبير، يعيش ضمن جماعات يقدر عددها بخمسة عشرة فردا ضمن كل مجموعة في خنادق محفورة في الرمال، يتغذى على بقايا الحشرات وصغار الأرانب واليربوع والعضايا إلى جانب ثمار النباتات [1].

2-2-5- الضبع « Hyena »

وُجد بالجزائر نوعين من الضباع، هما الضبع المرقط « Hyena crocuta » والضبع المخطط « Hyena striata » ، حيث يتميز الأول بكبر حجمه، إذ يصل طوله إلى حوالي مائة وستون سنتيمتر، ويبلغ ارتفاع حاركه من سبعة وستون إلى سبعون سنتيمتر، وقد يبلغ وزنه الثمانين كيلوغراما، ويمكن أن يمتد به العمر إلى غاية خمسة وعشرين عاما، له عنق طويل وقوي، رأس كبير وعريض، خطم مقعر، له أذنان مستدرتا الشكل وفرو قصير وكث، يكون لونه إما مصفرا أو رماديا مبقعا بالأسود [2]، كما يملك ذيلا قصيرا، يتمتع بفك طويل وخشن يسمح له بكسر العظام الأكثر صلابة، تساعده عيونه على الرؤية الجيدة أثناء تنقله ليلا، مؤخرة جسمه منخفضة، لأن أطرافه الخلفية أقل طولا من الأمامية. يعيش في جماعات قد يصل عددها إلى ثمانية أفراد. قطن المناطق الصحراوية إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين، حيث لُمح بشمال الأهقار والطاسيلي ناجر [3].

وجدت بقاياه بأقدم مستويات المواقع الأثرية، كموقع تغنيف بمعسكر المنتمي إلى العصر الحجري القديم الأسفل، وبمغارات العصر الحجري القديم الأوسط، مثل مغارة علي باشا ببجاية، مغارة الضباع و الدببة بقسنطينة، الخنزيرة و العالية بالجزائر العاصمة وبطبقات العصر الحجري القديم الأعلى لموقع سيدي الحسني بتيارت، كما تم التعرف عليه بمواقع العصر الحجري الحديث، نذكر منها مغارة الصخرة الكبرى بالجزائر العاصمة وجبل

---

[1] Camps (G.), Fennec, *loc.cit.*, p. 2752-2753 ; Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs*, *op.cit.*, p. 133.
[2] Camps-Faber (H.), Hyène, *loc.cit.*, p. 3554.
[3] Camps-Faber (H.), Hyène, *loc.cit.*, p. 3555 ; Seurat (L.G), *Études zoologiques sur le Sahara*, Alger, la Typo-Litho et Jules Carbonel, 1934, p. 13.

الركينة [1]، في حين سجل غيابه التام عن جداريات الفن الصخري العائدة لهذا العصر رغم كثرته بالطبيعة. [2]

أما النوع الثاني المعروف باسم الضبع المخطط « Hyena striata » ، فهو ذو حجم متوسط، له رأس عريض، خطم مستدير، يتمتع بأذنين كبيرين، حاركه مرتفع مقارنة بردفه، فروه خشن ورمادي اللون مخطط بالأسود، يعيش مَثنى وفُرادى، ينتشر حاليا بناحية أدرار، اكتشفت مستحثاته ابتداء من العصر الباليوليتي الأوسط وإلى غاية العصر النيوليتي بنفس المحطات التي عثر فيها على الضبع المرقط السالفة الذكر بالإضافة إلى مغارة القطار بوهران ومغارة وادي سعيدة [3]، لكن على العكس منه ، تمكن لوت « Lhote » من التعرف على ثلاثة رسوم جسد بها الضبع المخطط بوادي جرات. [4]

هذا وكان هيرودتس « Hérodots » قد أشار للضباع بصفتها أحد حيوانات بلاد الليبيين الرحل [5]، ونوه بلينوس الكبير « Plinus » على كثرتها بإفريقيا [6]، وقال سولينوس« Solinus » بشأنها ما يلي: " تنتج إفريقيا الضبع كذلك، الذي بظهره شوك يمتد إلى غاية عنقه، مما لا يسمح له بالاستدارة، إلا بتحريك الجسم كله، يتبع الرعاة... ويفتش عن القبور من أجل نبش الجثث". [7]

2-3- الزبديات « Viverridés »

2-3-1- الرباح « Genetta genetta »

حيوان لاحم صغير، جد مألوف في المنظر الطبيعي للجزائر، يمتلك جسما خفيفا وممددا، حيث يتراوح طوله ما بين خمسين وستين سنتيمتر، وقد يصل طول ذيله إلى ثمانية وأربعون سنتيمتر، أذناه عريضتان، عيونه كبيرة وجاحظة متكيفة مع الرؤية الليلية، فروه أغبس اللون، تزينه بقع بنية

---

[1] Camps-Faber (H.), Hyène, *loc.cit.*, p. 3553 ; Debruge (A.), Faune de la grotte des hyènes, *loc.cit.*, p. 180-181 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique, op.cit.*, p. 384-385 ; p. 393.
[2] Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 46-47.
[3] Doumergue (F.), La grotte de l'Oued Saida, *loc.cit.*, p. 109 ; Camps-Faber (H), Hyène, *loc.cit.*, p. 3555-3556 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique, op.cit.*, p. 384-385.
[4] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 783.
[5] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[6] Plinus, *H.N.*, VIII, 108.
[7] Solin, *Polyhistor*, XXVII.

موزعة على أربعة أو خمسة أسطر، بظهره شريط أسود، هذا وتلمح بذيله تسع حلقات بنية تتخللها مناطق بيضاء، أطرافه قصيرة جدا تنتهي بخمسة أصابع، يمتاز بالخفة في الحركة والمشي دون إصدار صوت، يتغذى على القوارض، الحشرات والبيض. يشبه في مظهره العام القط ، من حيث الحركة والتصرف، ولقد لجئ الإنسان خلال العصر القديم وإلى غاية العصر الوسيط لعملية تدجينه بغية تكليفه بمحاربة الفئران [1]، انتشر حسب هيرودتس « Hérodots » ببلاد الليبيين الرحل [2]، وأشار إليه سترابون « Strabo » مشبها إياه بالقط من حيث الحجم والوجه غير أنه يمتلك خطما بارزا. [3]

3- القوارض « Rongeurs »

3-1- الشيهم « Hystrix cristata »

دلت مختلف تقارير الحفريات للمواقع الأثرية الجزائرية المنقبة، على وجود الشيهم بطبقات العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط، حيث تم الإشارة إليه بموقع تغنيف بمعسكر، مغارات الجزائر العاصمة (بوانت بسكاد، الحمامات الرومانية وستاز)، علي باشا ببجاية، ومغارة الدببة والأروية بقسنطينة، وخلال العصر الحجري القديم الأعلى بمستويات القفصية العليا كالمقطع، مشتى العربي ودراع مت الماء الأبيض، وبأرضيات مواقع العصر الحجري الحديث كجبل الركينة، بوزبوين، مارشال، الصخرة الكبرى، سعيدة ومغارات وهران (الهواء الطلق، البوليغون وسكان الكهوف)...إلخ، ولا يزال منتشر بالصحراء الجزائرية. [4]

جاء ذكره عند هيرودتس « Hérodots » ، بصفته أحد حيوانات بلاد الليبيين الرحل [5]، ووصفه بلينوس الكبير « Plinus » قائلا:" تنتج الهند وإفريقيا شياهم مغطاة بالأشواك على شاكلة القنافذ، لكن شوك الشيهم جد طويل، وقابل للقذف بعد تمديده لجلده، يثقب به أفواه الكلاب التي

---

[1] El Briga, Genette, *E.B.*, XX, 1998, p. 3014-3015.
[2]Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[3]Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 4.
[4]Camps (G.), Le bestiaire libyque d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 22 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 128 ; Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs, op.cit*., p. 117-118 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit*., p. 394.
[5]Hérodote, *Histoire*, IV, 192.

تطارده، وبإمكانه إصابتها ولو على بعد مسافة، يختبئ خلال شهور الشتاء وهي عادة الكثير من الحيوانات وبخاصة الدببة". [1] ولا يختلف وصف أوبيانوس « Oppianos » على ما تقدم به صاحب التاريخ الطبيعي، حيث أردف قائلا:" لا يوجد في الغابات ما هو أبشع من الشياهم... ذات الأجسام القوية، يكسو جلدها فرو من الأشواك الكثة والخشنة، على غرار مختلف أنواع القنافذ، وإذا طوردت من قبل حيوانات أقوى منها، فإنها تتبع الإستراتجية التالية، المتمثلة في نصب أشواكها وبواسطة حركة سريعة لظهورها، تقوم برشق سهامها المسننة والمؤلمة المسلحة بها... تقتل في الغالب الكلاب التي تلاحقها بفم مفتوح..."[2]

2-3-القنفذ « Erinaceus aetechiinus algirus Duvernoy »

كشفت الحفريات عن مستحثات القنفذ ضمن مستويات مواقع العصر الحجري القديم الأعلى، بملاجئ المويلح بمغنية وسيدي الحسني بتيارت وبطبقات المرحلة القفصية العليا لمشتى العربي ومدجاز(2) بسطيف، وكذا بالمحطات النيولتية(جبل فرطاس، جبل مارشال ومغارة كابولوتي بالأوراس) [3] ، هذا وقد ذكر هيرودتس « Hérodots » القنفذ ضمن طائفة حيوانات بلاد الليبيين الرحل، مصنفا إياه كقارض [4]، وتبعه في ذلك أليانوس« Elianos » [5] ، في حين أنه من آكلات الحشرات.

ويتصف القنفذ على العموم برأس صغير يقدر طوله بحوالي خمس سنتيمترات، وبفرو جارح مؤلف من سبعة ألاف شوكة، يقوم بتجديدها دوريا عند البلوغ، إلا أن هذا لا يعني أنه يفقدها دفعة واحدة، وإنما تنمو واحدة تلوى أخرى على فترات طويلة، وهي سلاحه الذي يدافع به عن نفسه ضد أي خطر خارجي وذلك بالانطواء على نفسه وتوجيه أشواكه، وهو حيوان متروبص(يسير أثناء الليل)، لا يتحرك كثيرا أثناء النهار، بل يخرج ليلا

---

[1]Plinus, *H.N.*, VIII, 125.
[2]Oppien, *La cynégétique*, III.
[3]Camps-Faber (H.), Hérisson, *loc.cit.*, p. 3465 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit.*, p. 395.
[4]Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[5]Elien, *Nat.Anim.*, XV, 26.

مـن أجـل تقليـب الأرض والبحـث عـن الغـذاء المتمثـل في الفواكـه السـاقطة علـى الأرض وبعـض الجـذور والحشـرات كالصراصـير، الديـدان والخنـافس، إلى جانـب بـيض الطيـور، وهـو يحبـذ الأمـاكن المرتفعـة والجافـة كمـا يؤلـف الوديـان، حيـث يعـيش بالمنـاطق الشـمالية والجنوبيـة للجزائر على حد السواء.[1]

3-3- القوندي « Ctenodactylus gundi »

عثر على بقايا القوندي برماديات القفصية العليا كموقـع دراع مـت المـاء الأبـيض، والمحطـات النيوليتية مثل موقع ردايف[2]، وقد اكتشف تمثال صغير له سنة 1966 ميلادية بموقع أنوولوليوا بعـرق أدمار، وهي المرة الأولى التي تم فيها اكتشاف منحوتة لحيوان كامل مصنوعة من حجرة واحدة ممـددة، حيث يقدر طولهـا بــ 28,7 سـنتيمتر[3]، ورد ذكـره لـدى هيرودتـس « Hérodots » باعتبـاره أحـد القوارض الثلاث المنتشرة ببلاد الليبيين الرحل باسم زجوريس « Zegerries » ، على حسب التسمية المحلية لسكان المنطقة[4]، بمعنى فأر التلال[5]، أو فأر التلال الأحمر، نسبة للونه الـبني المحمـر لأن الجـذر « ZGRH » ، يعني اللون الأحمر في اللهجة الأمازغية، كما أن لفظ تازغاورت« Tazaggawart » ، يحـوي الجـذر نفسـه ومعنـاه العنـاب الـبري(السـدرة) وهـو نبـات يكثـر وجـوده بالمنـاطق الجبلية(الصخرية).[6]

ينتمي القوندي إلى عائلة المشطيات « Les cténodactulinés » ، وهو ذو جسم مربوع الشـكل، مرن التركيب ومسطح، له رأس مضغوط، بذيل قصير مزود بخصلة شعر طويلة نوعا مـا، كمـا تظهـر أخريات بين أصابعه على شاكلة مشط، لأطرافه الخلفية أربعة أصـابع، ويـتراوح عـدد أسـنانه مـابين

[1] Camps-Faber (H.), Hérisson, *loc.cit.*, p. 3466 ; Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs*, *op.cit.*, p. 136.
[2] Camps-Faber (H.), Goundi, *loc.cit.*, p. 3176 ; Morel (J.), La faune de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod, *loc.cit.*, p. 311.
[3] Camps-Faber (H.), Goundi, *loc.cit.*, p. 3176 ; *Id.*, Les sculptures néolithique de l'arg d'Admer, leur relation avec celles du Tassili n'Ajjer, *Libyca Anthr.Préh.Ethn.*, XV, 1967, p. 109.
[4] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[5] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 128 ; Joleaud (L.), Etudes de géographie zoologique sur la berberie, Les rongeurs, III, les Cténodactylinés, *loc.cit.*, p. 64-65 ; Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, op.cit., 1*, p.373-374.
[6] Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 51 ; Id., Le bestiaire libyque d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 24.

عشرين وأربعة وعشرون سنا، نهاري، يتغذى على السرمقيات « Salsolacées ». يعيش في جماعات كثيرة العدد، يقطن بالمناطق الجبلية والتي قد يصل علوها إلى ثلاثة ألاف متر وبالفتحات والشقوق والصدع الصخرية والأرضيات الحثية المتطابقة، وبين أطلال المواقع الرومانية خاصة [1]، كما نصادف وجوده بالأهقار والطاسيلي ناجر، وبالشرق الجزائري كمنطقة تبسة، جبل الدير، خنشلة، بسكرة وبناحية بوسعادة [2].

3-4- اليربوع « Jaculus Jaculus »

التقط دوبروج « Debrruge » ، بقايا يربوع من موقع علي باشا ببجاية العائد إلى العصر الحجري القديم الأسفل [3] ، كما تعرف مورال « Morel » على مستحثاته من بين مجموع عظام حيوانات موقع دراع مت الماء الأبيض المنتمي إلى فترة القفصية العليا [4]، ورغم قلة الإشارات حوله بتقارير الحفريات والدراسات التي عكفت على معالجة موضوع حيوانات فترة ما قبل التاريخ، إلا أن هذا لا ينفي شيوعه بمنطقتنا قديما وحديثا، فعظامه الرهيفة والرقيقة، لا تتحجر بنفس درجة الثدييات الكبيرة، ويتميز اليربوع بطول قائميه الأخيرين مقارنة بالأولين، وبفرو أغبس اللون أو بلون الرمال، ينتشر بالهضاب العليا والعرق الصحراوي [5]، جاء على ذكره هيرودتس « Hérodots » كأحد الفئران الفئران الثلاث الموجودة ببلاد الليبيين الرحل تحت اسم ديبودس« Dipodes » [6].

3-5- الأرنب « Lepus kabylicus winton et Lepus(oryctolagus) cuniculus »

يعتبر الأرنب من أكثر القوارض انتشار وقدما بالجزائر، شمالها وجنوبها، فهناك ما يؤكد على تواجده منذ فترة البلستوسين الأعلى وطيلة فترة الهولوسين، حيث تم التعرف

---

[1] Camps-Faber (H.), Goundi, *loc.cit.*, p. 3174-3175 ; Joleaud (L), Etudes de géographie zoologique sur la berberie, Les rongeurs, III, Les Cténodactylinés, *loc.cit.*, p. 62.

[2] Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs*, *op.cit.*, p. 138 ; Joleaud (L.), Etudes de géographie zoologique sur la berberie, Les rongeurs, III, les Cténodactylinés, *loc.cit.*, p .60.

[3] Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique, op.cit.*, p. 383.

[4] Morel (J.), La faune de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod, *loc.cit.*, p. 311.

[5] Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs*, *op.cit.*, p. 137 ; Seurat (L.G), *Études zoologiques sur le Sahara*, *op.cit.*, p. 88-89.

[6] Hérodote, *Histoire*, IV, 192 ; Camps (G), Le bestiaire libyque d'Hérodote, *loc.cit.*, p. 22 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 128.

عليه وسط ركام عظام ثدييات مغارة بوانت بسكاد ومغارة محجرة ستتاز والحمامات الرومانية بالجزائر العاصمة، ومغارة علي باشا، وكذا ضمن المستويات الموسترية، المويلحية (الإيبيرومغربية) كموقع سيدي الحسني بتيارت، وبالطبقات القفصية لمحطة ردايف، بئر خنفوس، بوحايا وعين غيلان [1]. وبمواقع الفترة النيولتية كمغارة بوزبوين، جبل ركينة، جبل فرطاس، مغارة الهواء الطلق ومخبئ الأرنب بوهران ومغارة وادي سعيدة [2].

أما عن رسومه الصخرية فقليلة جدا، إذ لا نحتكم سوى على شكل واحد له بالجنوب الوهراني غير بعيد عن أفلو على الطريق الرابط بين الريشة وأنفوس، وآخر بوادي جرات، هذا ورفعت ثلاثة نماذج له من على صخور موقع تين تيريريت بالطاسيلي ناجر تعود إلى مرحلة الرؤوس المستديرة والبقرية [3]، وقد أتى تيوفراست « Théophraste » [4] على ذكره، كما كان أمر صيده من الأعمال المحبذة لدى الناس، وهذا ما نستشفه من نقيشة مداوروش « Iv(veni) bus sem(i) or leporem monstrabat et ipse » [5].

ثالثا -الزواحف والطيور والحشرات « Reptiles, oiseaux et insectes »

1- الزواحف « Reptiles »

1-1- الثعابين « Ophidiens »

جسد فنانو فترة ما قبل التاريخ الثعابين على جداريات الفن الصخري، حيث تم التعرف على أنواع منها ، وهي الأصلة الضخمة « Python » ، الأفعى « Vipère » ، الحفث « Couleuvre » [6] والمقرنة من نوع موتيلا « Mutila » ، بكل من موقع وادي جرات، تين بدجاج وجبارن [6]

---

[1] Roubet (C.), Lièvre-Lapin, *E.B.*, XXVII, 2008, p. 4412-4413 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit*., p. 394.
[2] Doumergue (F.), La grotte de l'Oued Saida, *loc.cit*., p. 110 ; *Id*., *Inventaire de la section de préhistoire du musée Demaeght*, *op.cit*., p. 38-39 ; Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit*., p. 394.
[3] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, *op.cit*., p. 783-784 ; Roubet (C.), Lièvre-Lapin, *loc.cit.*, p. 4413.
[4] Théophraste, *H.P.*, IV, 3, 5.
[5] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 127.
[6] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, *op.cit*., p. 785-786.

بالطاسيلي، أين صور صحبة الإنسان بالموقعين الأخيرين. [1] كما أتت المصادر الإغريقية واللاتينية على ذكر واحصاء جملة من الثعابين التي كانت ولا تزال متنشرة بالمنطقة، حيث اعتبروها أرض الحيات الفتاكة [2] وأعطوا تفصيلات قريبة إلى الصحة عنها وهي كالتالي:

1-1-1- المقرنة أو الهدرة « Céraste »

تعتبر أكثر الأفاعي شيوعا بصحراء الجزائر، تتواجد بالأهقار، الطاسيلي ناجر، أدراروإفراس، تحدث لدغتها جفافا في العضو الملسوع فتشله [3]، وقد ذكرها ديودور الصقلي « Diodore de Sicile » قائلا:" نجد أكواما من الثعابين التي تتلوى على نفسها، كأنها تلال من بعيد، من يصدق ذلك؟" [4] ونعتها لوكانوس « Lucanus » بالمتجولة الملتوية [5]، وقال في شأنها أليانوس « Elianos » مايلي: " المقرنة حيوان صغير، وهي عبارة عبارة عن ثعبان له قرنان بأعلى جبهته، تشبهان قرون الحلزون، لكنها ليست بالطرية، وهي في حرب ضد كل شعوب ليبيا..." [6] وأشار في موطن آخر من كتابه شخصية الحيوانات إلى إلى سمها الفتاك القاتل للحيوان والإنسان معا [7]، كما تعرض سولينوس « Solinus » لها، حيث قال في شأنها مايلي :" تعيش المقرنة بالرمال الصحراوية، تحمل أربعة قرون صغيرة، تدس بالفطرة جسمها في الرمال، حيث لا يظهر منه سوى جزء صغير يكون بمثابة طعم للطيور" [8] وهو الوصف الذي جاء به من قبله بلينوس الكبير « Plinus » [9]، هذا

---

[1] LeQuellec (J.L.), *Symbolisme et art rupestre du Sahara*, Paris, L' Harmattan, 1993, p. 223.
[2] Horace, *Satires,* II, 95 ; Lucien, *Dipsades,* 3 ; Oppien, *Cynégétique,* II, 254 ; Silius Italicus, *La guerre Punique,* I, 211-212.
[3] Doumergue (Ch. A.), Serpents du Hoggar, *Bulletin de liaison Saharienne*, 3, 1958, p .126 ; Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs*, *op.cit*., p. 164-165.
[4] Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique,* III, 36.
[5] Lucain, *Pharsale*, IX, 716.
[6] Elien, *Nat.Anim.,* I, 57 ; XVI, 28.
[7] *Id., Ibid*., XVI, 28.
[8] Solin, *Polyhistor*, XXVII.
[9] Plinus, *H.N.,* VIII, 83.

هـــذا وقـــام بِعَـــدها كـــل مـــن لوســـيان« Lucien »[1] وســـيليوس إتـــاليكوس « Silius Italicus »[2].

1-1-2- الصل « Aspic »

تعرف كذلك باسم كوبرا الناجا، تنتشر بناحية الأهقار إلى غاية يومنا هـذا، تمتـاز بسـحر ألوانهـا وبأنواعها الكثيرة، سكنت بلاد الليبيين المزارعين[3]، يصنع منهـا العفـن ولسـعتها لا دواء لهـا حسـب أرسطو« Aristotelès »[4]، وقال في شأنها لوكانوس « Lucanus » مايلي: " تقتل بالنعـاس، ذات ذات عنق منتفخ ودم كثير... تتلهف للحرارة، لا نجدها بالأماكن الباردة، وسمها محـل تجـارة رائجـة، يبحث عنه تجار ليبيا بغرض استعماله للقتل الرحيم"[5]، وتغنى بهـا لوكيـانوس « Loukianos »[6] وأوبيانوس « Oppianos »[6] ، الذي تحدث عن الصراع والعداء الدائم بينها وبين كـل مـن الأيـل والنمس الشجاع القادر على الإمساك بعنقها وتقطيعه".[7]

1-1-3- المعطشة « Dipsade »

قال في حقها أليانوس « Elianos » مايلي:" المعطشة اسمها هو الدال على الأثر الـذي تحدثـه، هي أقل حجما من الأفعى، لكنها تقتل بسرعة وبالفعـل فكـل مـن تعـرض لمصـاب لـدغتها، يحـس بعطش شديد وحرقة الشراب، يرتوي دون توقف وبسرعة ينفجر، ويقول سقراط أن المعطشة بيضـاء اللون وبذيلها خطان أسودا اللون وحسب معلوماتي بعضهم يسميها الرشـيقة « Prester » وينعتهـا آخرون باسم الحارقة « Causon » ، إذ مُنحت لهذا الحيوان أسماء عدة ولعلها كذلك صاحبة الـذيل الأسـود « Mélanouros » ومتجولـة الرمـال « Ammobats » ، وإذا سمعـتم بكنيـة اللاسـعة

---

[1]Lucien, *Dipsades,* 3.
[2]Silius Italicus, *La guerre Punique*, I, 413.
[3] Solin, *Polyhistor*, XXVII, 31 ; Doumergue (Ch.A.), Serpents du Hoggar, *loc.cit.*, p. 124 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 128.
Hérodote, *Histoire*, IV, 191.
[4] Aristote, *Histoire des animaux*, VIII, 29.
[5] Lucain, *Pharsale*, IX, 610- 700.
[6] Lucien, *Dipsades*, 3.
[7] Oppien, *Cynégétique*, III.

« Kentris » فبإمكـانكم التأكـد مـن أنهـا نفـس الثعبـان". [1]، وأردف لوكيـانوس « Loukianos» متحدثا: " أكثر الزواحف رعبا المعطشة، ذات حجم متوسـط تشـبه الأفعـى، تحـدث لـدغتها وجعـا شديدا، السم الذي تبثه خثر جدا، يحدث في اللحظة ذاتها ألاما لا يسـكنها أي شـيء، يحـرق، يعفـن، ويشعل في الجسم كله حرارة وحمى مهلكة، نصرخ كأننا ممددين فوق محرقة، لكـن المعانـاة والأوجـاع أكثر قسوة وحدة، هو العطش، الذي كان سببا في إطلاق هذا الاسم عليها، والغريـب في الأمـر، أنـه كلما شرب الملدوغ الماء زاد ظمأ ... كأننا نطفئ النار بالزيت". [2] وتغنى بها لوكانوس « Lucanus » [3] وتطـرق سـيليوس اتـاليكوس « Silius Italicus » لسـمها الأسـود الحـارق [4]، أمـا سولينوس « Solinus » فقد اعتبرها أحد أنواع ثعبان الصل « Aspic » . [5]

1-1-4- الرشيقة « Prester »

هي نفسها المعطشة حسب أليانوس « Elianos » ، إلا أن لوكانوس « Lucanus » جعلها نوعا قائما بذاته واصفا إياها بالشـرهة ذات الفـم المزبـد والمتثائـب [6]، وتطـرق سـولينوس « Solinus » لعضتها المؤدية للهلاك عن طريق انتفاخ الشخص الملـدوغ [7]، وهـي نفـس الأعـراض الـتي تُحـدثها المعطشة، هذا ما يدفعني للميل إلى ما ذهب إليه أليانوس« Elianos » . [8]

1-1-5-الأفعى « Vipère ammodyte »

عبـارة عـن ثعبـان سـام يتنشـر بـبلاد الليبـيين الرحـل [9]، لونـه بلـون الرمـال [10]، أشـار إليهـا سولينوس « Solinus » ، لكنه لم يدلي بأي معلومات عنها. [11]

---

[1] Elien, *Nat.Anim.*, VI, 51.
[2] Lucien, *Dipsades*, 4.
[3] Lucain, *Pharsale*, IX, 610, 718, 737.
[4] Silius Italicus, *La guerre Punique*, III, 312-113.
[5] Solin, *Polyhistor*, XXVII, 31.
[6] Lucain, *Pharsale*, IX, 700.
[7] Solin, *Polyhistor*, XXVII, 31.
[8] Elien, *Nat.Anim*, VI, 51.
[9] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[10] Lucain, *Pharsale*, IX, 700.
[11] Solin, *Polyhistor*, XXVII, 31.

1-1-6-المليكة أو المكللة « Basilic »

تطرق بلينوس الكبير « Plinus » ، لهذه الحية ضمن كتابه الثامن، معتبرا إياها أحد أخطر الحيوانات الإفريقية، حيث قال: " لا يتعدى طولها اثنا عشرة أصبعا(22 سنتيمتر)، توجد على رأسها بقعة بيضاء على شكل إكليل، تفر منها جميع الأفاعي عندما تسمع صفيرها، لا تزحف كباقي الثعابين بالتواء على نفسها، وإنما تتقدم واقفة على نصف جسدها ، تقتل الشجيرات دون لمسها بواسطة نفسها، تحرق العشب، تكسر الحجر، سمها لاذع وقوي، ويُعتقد أن قتلها بواسطة حربة محمولة من فوق صهوة حصان، يُحدث موت الفارس والحصان معا، إذ يسري سمها على طول الحربة، هذا الوحش الرهيب لا يقدر على الصمود في وجه السرعوب، هكذا تحبذ الطبيعة..." [1] ، وقد أكد على على خطورتها كذلك رغم حجمها الصغير أليانوس « Elianos » ، إذ يقول: " يقدر طول المليكة شبرا واحد، لكن هذا لا يمنع أكبر الثعابين من التحجر أمامها عند رؤيتها ... وإذا أمسك إنسان عصا بيده، وكان هذا الحيوان قد عظه، فان حاملها يموت". [2]واعتبرها لوكانوس « Lucanus » مرعبة باقي باقي الحيات وملكة الصحراء المغبرة. [3]

1-1-7-الأصلة « Python »

ثعبان كبير غير سام، بالغ الكتاب القدامى في وصفه ونسج الخرافات في حقه، والتي هي من وحي الخيال والأساطير القديمة، حيث أشار أرسطو « Aristotelès » للحيات الضخمة الحجم بليبيا، وأن عددا من البحارة أقروا بمشاهدتهم لعظام عدد من الأبقار المقضومة من قبلها، وبما أنها عريضة، فبإمكانها حسبهم ملاحقة ثلاثيات المجاذف بسرعة، وإسقاط البحارة في الماء بعد قلبها للسفينة [4]، وأتى سترابون « Strabo » على ذكر الثعابين التي تنمو فوق ظهورها الحشائش. [5]

[1] Plinus, *H.N.*, VIII, 78.
[2] Elien, *Nat.Anim.*, II, 5.
[3] Lucain, *Pharsale,* IX, 724.
[4] Aristote, *Histoire des animaux,* VIII, 28.
[5] Strabon, *Géographie,* XVII, 3, 5.

وتغنى كل من لوكانوس « Lucanus » وسولينوس « Solinus » بعـدد آخـر مـن الثعـابين، ضـمن أشعارهما دون إعطاء تفصيلات كثيرة عنها وهي:

حية سكيتال « Scytale » ، التي تقوم برمي وسلخ جلدها أثناء الصقيع المتناثر، وهي ذات ألـوان مختلفـة، حيـث يوقـف جمالهـا كـل مـن يراهـا، وعـلاوة علـى ذلـك فهـي تزحـف بـبطء. النعاسية« Hypnale » ، تقتل ضحاياها بالنعاس، الدساسة « Seps » ، التي يؤدي سمهـا إلى تعفـن الملـدوغ، تُـذوب اللحـم والعظـم وترتعـد مـن صـفيرها الحيوانـات الأكثـر رعبـا. هيموراس « Hémorrhois » ، تفجر لدغتها دم الضحية ولا تترك في جسمه نقطة دم واحدة. ثعبـان باريوس « Paréos » ، الذي يرسـم بذيلـه الطريـق. شورسـيدر « Chrrsydre » المخلـف للـدخان وراءه. أفعى كونشريس « Cenchris » ، التي تزحف في اتجاه مستقيم وبطنها مبقع مثل حـنش طيبـة. أمفيسـبون « Amphisboene » ذات الرئسـين، نـاتريكس « Natrix » داهيـة المتموجـات، المجنحـة « Jaculus » وهـي حـنش الزريـق. شـاميدراكون « Chamédracon » وأفعـى الفيلة « Elephantie » .[1]

1-2-التمساح « Crocodilien »

شكل مناخ الجزائر قديما، مكانا ملائما لانتشار التماسيح بها، سواء تعلق الأمر بالمنـاطق الشـمالية أو الجنوبية، إذ تم انتشال بقاياه المتمثلة في الأسنان من موقع مصطفى الأعلى بالجزائر العاصمة، العائـد إلى فترة العصر الحجري الحديث [2]، ومن المحطات الصحراوية المنتمية لنفس الفترة السالفة الذكر، هذا وصور على جداريات وادي جرات منـذ الفـترة القديمـة للفـن الصـخري المعروفـة باسـم المرحلـة الجاموسية، حيث تميزت هذه النماذج والمقدر عددها بأربعـة أشـكال بعـدم الاكتمـال والتشـوه، أمـا رسومه المكتشفة بموقع إن اتينان فتعود إلى مرحلة الـرؤوس المسـتديرة، وقـد سـجل غيابـه مـن علـى جداريات الجنوب الوهراني [3].

[1] Lucain, *Pharsale,* IX, 700 et suiv ; Solin, *Polyhistor,* XXVII, 31.
[2] Gsell (S.), *H.A.A.N. op.cit.,*, I, p. 130.
[3] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 785.

استمر وجوده ببعض المستنقعات والقلتات الصحراوية إلى غاية أوائل القرن العشرين بمنطقة إهرير، أين أقدم ضابطين فرنسيين على قتل اثنين منهما سنتي 1908 و1924 على التوالي، ولما التحق الباحث هنري لوت « Lhote » بالمنطقة سنة 1934 ميلادية، أخبره سكانها بأن الفرنسيين ، قد قضوا على ما تبقى منها، كما سمحت له الشهادات التي استقاها وجمعها من التأكيد على وجود التماسيح إلى غاية فترة قريبة من بداية القرن الماضي بالأهقار وأدرار. [1]

أشار هيرودتس « Hérodots » إلى انتشار التماسيح الصغيرة الحجم ببلاد الليبيين الرحل (أي الصحراء) المقدر طولها بثلاثة أذرع والتي تشبه كثير العظايا [2]، وجزم كل من غزال « Gsell » وكامبس « Camps » أن الوصف المقدم من طرف أبو التاريخ ينطبق على الورل « Varanus niloticus » أكثر من التمساح [3]، لكن هذا لا ينفي حقيقة وجود التماسيح بالصحراء مثل ما أشرنا إليه سلفا، والمتمتعة بالحجم الصغير، إذ كما نعلم أن صفة حيوانات المناطق الجافة، هي ضآلة الحجم مقارنة بمثيلاتها المنتشرة بالأودية والأنهار الدائمة كوادي النيل والمناطق الاستوائية. وقد أشار بلينوس الكبير « Plinus » نقلا عن يوبا الثاني « Juba II » وجود التماسيح ببحيرة تقع ببلاد الماسيسيل، وقد أهدى أحدها إلى معبد إريس بشرشال (Caesarea) والذي جلب من واد يصب بالمحيط الأطلسي. [4]

1-3- الحرباء « Lacertilienne »

لا زال وجودها رائجا بالصحراء الجزائرية، وكانت كذلك خلال العصور القديمة، لكننا لا نحتكم إلا على نص واحد فقط يعود لبلينوس الكبير « Plinus » ، الذي أفرد فقرة كاملة في وصفها، حيث يقول: " تتمتع بحجم وشكل العضاية، أطرافها ليست بالمستقيمة ولا المرتفعة، كما لا يمكن التمييز بين صدرها وبطنها، وهو نفس الأمر لدى الأسماك،

---

[1] *Id.*, *La chasse chez les Touaregs*, *op.cit.*, p. 166-167.
[2] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.
[3] Gsell (S.), *H.A.A.N. op.cit.*,, I, p. 130 ; Camps (G.), Le bestiaire libyque d’Hérodote, *loc.cit.*, p. 22.
[4] Plinus, *H.N.*, V, 51-52.

وشوك ظهرها بـارز علـى شـاكلتها، خطمهـا لا يختلـف عـن خطـم الخنزيـر، ذيلـها طويـل، تكـون نهايتـه جـد رفيعـة، وبـه انثنـاءات كـالأفعى، أضـافرها معقوفـة، حركتهـا بطيئـة مثـل السـلحفاة، أعينها غائرة في المحجـرين يفصـلهما حـد ضـيق، كـبيرة وبلـون جسـدها، لا تُغمضـهما أبـدا، تنظـر حولهـا لـيس بتحريـك بؤبـؤ العـين ولكـن بتـدوير العـين ككـل، رأسـها مرفـوع دائمـا وفمهـا مفتوح، وهـي الوحيـدة مـن بـين الحيوانـات الـتي لا تأكـل ولا تشـرب ولـيس مـن غـذائها سـوى الهـواء... وشـكلت طبيعـة لونهـا محـل إعجـاب، حيـث تغـير في الغالـب لـون عينيهـا، ذيلـها وجسـدها بالكامـل، آخـذتا دائمـا لـون المحـيط القريـب منهـا، باسـتثناء اللـون الأحمـر والأبـيض وعندما تموت يصبح لونها باهتا..." [1]

4-1- الضب « Uromastix acanthinarus »

رغـم شـيوع هـذا النـوع مـن الزواحـف بمنطقتنـا، إلا أننـا لم نعثـر علـى أي نـص قـديم جـاء علـى ذكـره، إذ لا نحـتكم سـوى علـى نـص يعـود إلى الفـترة الحديثـة (القـرن 16 ميلاديـة) مـن تـأليف حسـن الـوزان، قـدم فيـه واصـفا كـاملا للضـب، حيـث يقـول: " يعـيش هـذا الحيـوان في القفـار ويشـبه الـوزغ، طولـه ذراع رجـل وعرضـه بأربعـة أصـابع، لا يشـرب المـاء أبـدا، وإذا مـا أرغم علـى الشـرب بوضـع المـاء فيـه مـات لحينـه، بيضـه كبـيض البـيض السـلحفاة، لا سـم فيـه، رأيت أعرابا يأخذون منـه في الصـحراء، فأخـذت منـه بـدوري وذبحتـه، غـير أنـه لا يسـيل منـه دم كثير، ولا يسـلخ جلـده إلا عنـد أكلـه بعـد أن يشـوى، ولحمـه لذيـذ كلحـم الضـفدع، ولـه نفـس الطعـم، وهـو سـريع كـالوزغ، وإذا اختفـى في غـار وبقـي ذيلـه خارجـا فـلا تسـتطيع أيـة قـوة إخراجـه منـه، فالصـيادون يوسـعون الغـار بمعـول صـغير ويمسـكونه". [2] وقـد تم التعـرف عليـه بفسيفساء اكتشفت بجميلة (Cuicul). [3]

ينتمــي الضــب إلى عائلــة الجردونيــات « Agamidés » ، يقــدر متوســط طولــه مــابين خمسة وعشـرون وثلاثـون سـنتيمتر، ويمكـن أن يبلـغ الثمانيـة وأربعـون سـنتيمتر، وأن يصـل وزنـه

[1] *Id., Ibid.*, VIII, 120.

[2] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا،ج2،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص.274.

[3] Merlin (A.), Le génie au lézard de Djemila(Cuicul), *R.S.A.C.*, 68, 1952, p. 101.

إلى سبع مائة غرام، لديه رأس عريض ومثلث الشكل، جسم صلب وأطراف قوية، يتميز بذيل عريض ومزود بأشواك، يعيش بالمناطق الحارة كالأهقار، الطاسيلي وأدرار. وبإمكانه المحافظة على نشاطه كاملا في درجات حرارة تصل إلى 46 درجة مئوية، لونه الأصلي أسود، يتحول بفعل أشعة الشمس إلى أصفر ليموني أو أحمر برتقالي، يسكن بحفر منفردا ويتغذى على النباتات.[1]

1-5- السلحفاة « Chélonien »

عثر على الكثير من بقايا السلاحف بطبقات الحضارة القفصية، منها السلحفاة الأرضية « Testudo graeca » من صنف إيبرا« Ibira » وسلحفاة المياه العذبة« Enysleprosaschueigt » ، حيث استعملت دروع هذه الأخيرة بعد تهذيبها وثقبها كتمائم وأدوات [2]، فعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد جمع أربع مائة وستون عظما لها بموقع دراع مت الماء الأبيض العائد إلى مرحلة القفصية العليا، مما يوحي أن سكانه قد اعتمدوا بدرجة كبيرة في غذائهم على السلاحف، إلى جانب نسب مرتفعة من الحلازين وبيض النعام [3]. كما اكتشفت بقاياها بالمحطات النيوليتية كجبل فرطاس، الركينة، بوزابوين ومغارات وهران.[4]

تحدث بلينوس الكبير « Plinus » عن السلاحف الأرضية الإفريقية، التي يعرف اسم ترسها المستخدم في الصناعة باسم « Chersines »، والتي كانت تنتشر بصحاري إفريقيا المحرومة من المياه، حيث يعتقد أنها تعيش على الندى، في مكان لا يقوى فيه أي حيوان آخر على البقاء [5]، كما كان يتم صقل ترسها لصنع صفائح تستعمل في تغليف الأسرة وموائد المآدب [6]، وأشار أليانوس « Elianos» إلى سلاحف ليبيا المنتشرة بجبالها، والتي استغلت دروعها في صنع العود (آلة طرب).[7]

[1] Gast (M.), Fouette-queue, *E.B*, XIX, 1997, p. 2918-2919 ; Lhote (H.), *La chasse chez les Touareg*, *op.cit*., p. 169.
[2] Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, *op.cit*., p. 399.
[3] Morel (J.), La faune de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod, *loc.cit*., p. 313 ; p. 318.
[4] Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique, op.cit*., p. 400.
[5] Plinus, *H.N*., IX, XII.
[6] *Id*., *Ibid*., IX, XIII.
[7] Elien, *Nat.Anim*., XIV, 17.

خريطة رقم2 : الحيوانات القارتة واللاحمة والزاحفة الممثلة على جداريات الفن الصخري بالجزائر



2- الطيور « Oiseaux »

1-2- النعامة « Struthio camelus camelus linné »

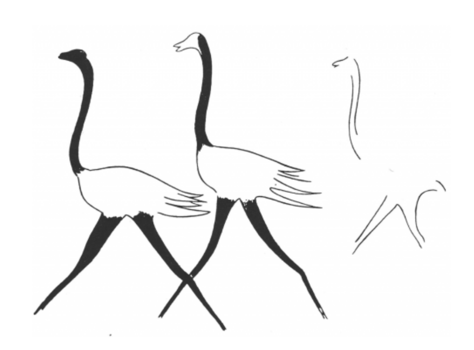
دلت مختلف اللقى الأثرية المتواترة من مستحثات، قطع بيض النعام ونقوش الصخرية، على الانتشار الواسع لهذا الطائر بالجزائر قديما، إذ اكتشفت بقاياه بأحد أقدم مواقع فترة ما فبل التاريخ، ألا وهي رملية تغنيف بمعسكر العائدة إلى حقبة العصر الحجري القديم الأسفل [1]، كما عثر على قطع بيضه بالمحطات المويلحية (الإيبيرومغربية)، إلا أن العينات المكتشفة بها قليلة جدا، والظاهر أن إنسان مشتى العربي قد استخدمه بطريقة جد محدودة، ويعود مرد ذلك إما لعدم وجوده بالقرب من أماكن إقامتهم أو بمجال صيدهم، خاصة إذا علمنا أن حضارات العصور الحجرية، كانت تختص عامة في استعمال المواد الأولية المعثور عليها بعين المكان أو بالجهات القريبة منها. لكن نجد بالمقابل احتواء الرماديات القفصية على عدد كبير من قطع بيض النعام المستهلك، والمستغل لاحقا كآنيات وحلي للزينة حيث تظهر على بعضها زخارف وثقب، والذي يعتبر بمثابة فعل حضاري ميز الحضارة القفصية [2].

لقد ازداد الاهتمام ببيض النعام خلال مرحلة القفصية العليا، إذ عثر عليه بطبقات عين باهير، هنشير حميدة وعين دكارة ودراع مت الماء الأبيض بمنطقة تبسة، حوض الطارف، السهول العليا القسنطينية، بجهة بوسعادة وأولاد نايل، سيدي الحسني وعين قادة بتيارت، ليتسع نطاق استعماله أكثر أثناء العصر الحجري الحديث، فقد وجد بأغلب محطاته، نذكر منها: مغارة بوزبوين، مغارة الضباع، مغارة جبل فرطاس بناحية قسنطينة، كاف أرمان ببجاية، الهامل ببوسعادة، وبمغارات وهران كمغارة الهواء الطلق، سكان الكهوف ومغارة الغابة، واللاتي أمطت اللثام كذلك عن مستحثاته العظمية، وبنواحي وهران مثل بوتليليس، بطيوة وأغبال، وبجهة عين تموشنت بالعامرية والمالح، ومنطقة تلمسان والغزوات، وادي سعيدة ومغارة الأروية ببريزينة ولاية البيض. [3]

---

[1] Camps-Faber (H.), *La Disparition de l'autruche en Afrique du Nord*, Trav. Du C.R.A.P.E., Alger, La Typo Litho, 1963, p. 7.
[2] *Id., Ibid.*, p. 8-9.
[3] Camps-Faber (H.), *La Disparition de l'autruche en Afrique du Nord*, *op.cit.*, p. 10-11.

لفتت النعامة انتباه رسامي النيوليتي، حيث ظهرت في جميع مراحل الفن الصخري، بداية من المرحلة الطبيعية، كما هو الأمر بوادي ذهيبيب، أين رسمت على نفس الحائط الذي حمل صورة الجاموس القديم « Babulus Antiquus »، الحصباية، خنقة هلال، المغار التحتاني، عين مارشال، عين الصفا، تيوت وسيدي عبد الله بن أحمد... والملاحظ أنه يظهر برسوم الأطلس الصحراوي المذكورة أعلاه بمفرده، على عكس الرسوم الصحراوية لوادي جرات، التي جسدت فيها ضمن جماعات صغيرة يتراوح عددها ما بين طائرين وأربعة طيور أين تظهر في حالة المشي (االصورة رقم 17) أو الركض وبمشاهد قنص، وكذا بمحطة تين تريريت بالأهقار. [1]



الصورة (17): رسم لطيور النعام – الطاسيلي ناجر.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/165/img-1.png

تعددت المصادر الإغريقية واللاتينية التي أتت على ذكر النعامة، بدء بهيرودتس « Hérodots » خلال القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كانت أحد الحيوانات الواردة بالقائمة التي خصصها لحيوانات بلاد الليبيين الرحل [2]، وجاء على ذكرها أرسطو« Aristotelès » [3]، ووصفها بلينوس الكبير « Plinus » قائلا: " طيور النعام الإفريقية والإثيوبية يتعدى طولها طول رجل فوق صهوة جوداه، وتتفوق عليه أثناء السباق". [4]، وتعرض أليانوس « Elianos » إلى طرق اصطيادها [1]،

[1] *Id., Ibid.*, p. 18-20 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 242-244 ; *Id., Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer), op.cit.*, p. 784 ; Aumassip (G.), *Trésors de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 94-100.

[2] Hérodote, *Histoire*, IV, 192.

[3] Aristote, *Histoire des animaux*, IX, 15.

[4] Plinus, *H.N.*, X, 1.

وتحدث لوكيانوس « Loukianos » عن طيور النعام الكبيرة التي تطير دون ترك الأرض، وعن عادة جمع بيضه من قبل السكان الذين يعشون بالقرب من مناطق وجوده، ليس لغرض أكله فحسب، وإنما من أجل تفريغه لغرض صنع مزهريات وأقداح، ويعتبر أكثر من ضروري بالبلاد الصحراوية، أين لا وجود للطين، وإذا كان حجم البيض كبيرا فإنهم يصنعون من كل حبة قبعتين قادرتين على تغطية الرأس [2]. هذا وقد ظهرت صورتها على قطعة بيض عثر عليها بمقابر قورايا. [3]

ويعتبر طائر النعام أكبر الطيور، ذو عنق طويل ومتعرج، فقراته قوية، ترتفع فوقه رأسه الصغيرة، له منقار مستقيم الشكل أحمر اللون، يكسو جسده ريش مرتخي ومجعد، باستثناء الأجزاء السفلية لقوائمه ومنطقة وسط الصدر المتميزة بالصلابة والخشونة، يكون لون ريشه أسودا لدى الذكور، تتخلله مناطق بيضاء غامقة على مستوى الأجنحة والذيل، واللذان يكون فيهما الريش طويلا مقارنة بأنحاء الجسم الأخرى، في حين يكون بني مائل للسواد لدى الإناث والصغار، ويعتبر أسرع الطيور على الأرض، يتحرك في جماعات من أجل البحث عن الماء خلال فصل الصيف، وهو حيوان قارت، إذ يتغذى إلى جانب النباتات على الحشرات كالجراد والعضايا، يألف المناطق السهبية وشبه صحراوية والصحراوية. ولقد أشار الرحالة الألمان والفرنسيون إلى وجود هذا النوع من الطيور ببلاد الطوارق نهاية القرن التاسع عشر ميلادي بأعداد محدودة، والذي أصبح بحكم المنقرض من المنطقة مع بداية القرن العشرين بفعل الصيد الغير مدروس، وذلك بحثا عن ريشه [4]، لكنه لازال يُلمح بمنطقة الجنوب الغربي من الجزائر، حيث اصطيد أحدها سنة 1983 ميلادية بنواحي تندوف. [5]

2-2- الحبارى « Chlamydotis undulata »

يوجد بالجزائر نوعين من طائر الحبار هما: الحبار الكبير المعروف باسم « Choriotisarabs stieberi » و الصغير المكنى باسم « Chlamydotis undulata undulata » ، يألف المناطق السهبية

---

[1]Elien, *Nat.Anim.*, XIV, 7.
[2] Lucien, *Dipsades*, 2 ; 7.
[3] Camps-Faber (H.), *La Disparition de l'autruche en Afrique du nord, op.cit.*, p. 25.
[4] Camps-Faber (H.), *Disparition de l'autruche en Afrique du nord, op.cit.*, p. 41-42 ; p. 45 ; Lhote (H.), *La chasse chez les Touareg, op.cit.*, p. 143-144.
[5]Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, op.cit 1,.*, p. 86.

أين ينمو نبات الحلفاء، وقنيط بوعمامة، ويمتد مدى انتشاره إلى غاية الصحراء [1]، يتجمع حاليا في ثلاث جهات أساسية وهي غرداية، بسكرة والبيض، وهو عرضة للانقراض بسبب الصيد المفرط [2]، تعرف عليه هوارد « Hward » بجداريات الأطلس الصحراوي العائدة إلى العصر الحجري الحديث بكل من الحصباية، واد درمل والمغار التحتاني. [3]

2-3- الحبيش « Pintade »

يتشر بالمناطق الغابية والقريبة من السباخ، ولا يزال أحد الطيور الممثلة للتنوع البيئي للجزائر [4]، عرف قديما باسم الدجاج النوميدي أو الإفريقي، حيث جاء على ذكره عدد من الكتاب اللاتين أمثال سويتونيوس « Suetonius » [5] وجوفيناليس « Juvénalis » [6]، [6]، وقد خصه بلينوس الكبير « Plinus » بالوصف التالي: " الحبيش نوع من الدجاج الإفريقي، محدب وذو ريش متنوع ، وهو من الطيور الأجنبية وآخر ما قدم على الموائد" وصرح في موضع أخر قائلا: " إن الدجاج النوميدي أحد الطيور الموجودة حاليا بايطاليا". [7]

2-4- الجوارح « Carapaces »

تضم مجموع الطيور آكلة اللحوم(القوارض، صغار الطيور والزواحف)، كطائر الباز، مرزة، الصقر، العقاب و شاهين..الخ [8]، ورغم ما تتمتع به من قوة وميزات بين أقرانها من الطيور، إلا أنها أنها همشت من قبل فناني العصر الحجري الحديث، حيث نالت النعامة حصة الأسد من حيث التجسيد في الفن الصخري، إذ لا نملك سوى صورة واحدة لطائر الباز رسمت على جداريات جبال القصور الواقعة بالجنوب الوهراني [9]، والذي قال في شأنه حسن الوزان ما يلي:" يسمى

[1] Lhote (H.), *La chasse chez les Touareg*, *op.cit.*, p. 158.
[2] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, op.cit 1*, p. 86.
[3] *Id.*, *Ibid.*, p. 86 ; Aumassip (G.), *Trésors de l'Atlas*, *op.cit.*, p. 94 ; Merzoug (S), Outarde, *E.B*, XXXVI, 2013, p. 5995.
[4] Lhote (H), *La chasse chez les Touareg*, *op.cit.*, p. 159.
[5] Suétone, *Les douze Césars*, T. II, M. Rat (trad.), Paris, Éditions Garnier frères, 1955, *Caligula*, 22.
[6] Juvénal, *Satires*, XI, 143-144.
[7] Plinus, *H.N.*, X, 74 ; 103.
[8] Lhote (H.), *Le Hoggar, Espèce et temps*, *op.cit.*, p. 61.
[9] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba, op.cit 1*, p. 87.

البازي(الأسطوري) باللغة الايطالية وتوجد هذه الطيور بكثرة كاثرة في إفريقيا، بعضها أبيض يصطاد في جبال قفار نوميديا وهو أغلاها ثمنا وأجودها، وبه تصطاد الكراكي، وتوجد منه أنواع مختلفة لصيد السماني و الحجل ومنها ما يصلح لصيد الأرانب" [1]. كما أشار بلينوس الكبير « Plinus » إلى انتشار الصقور ببلاد الماسيسيل [2]، وتحدث نمزيان القرطاجي « Némisien de Carthage » قائلا: " " تنتج ليبيا بكثرة الطيور الكبيرة" [3] والذي نلمس فيه إحاء للكواسر. [4]

2-5- النحام الوردي « Phoenicopterus ruber »

من الصدف الغير متوقعة، العثور على ثلاثة صور لهذا الطائر بموقع وادي جرات، أجملها على الإطلاق النموذج الذي أورده الباحث لوت « Lhote » تحت رقم 1601، البالغ طوله ثمانية وتسعون سنتيمتر، المتميز بطول ساقيه وعنقه وبمنقاره المعقوف، وهو من الطيور المهاجرة [5]، ولا ولا يزال يقضي فصل الشتاء بعدد من نقاط الجنوب القسنطيني. [6]

2-6- البجع

يعيش في جماعات بالقرب من الوديان والبحيرات وهو من آكلي الأسماك، وقد وجد لوت « Lhote » نموذجين له بوادي جرات. [7]

2-7- البومة « Otus brachyotus »

غابت عن الرسوم الصخرية المنتشرة بالأطلس الصحراوي، إلا أنها كانت حاضرة برسوم الفن الصخري المكتشفة بالمواقع الصحراوية كوادي جرات التي عثر بها على صورتين لها، وبجداريات تين تيريريت أين أحصي ثمانية وثلاثون شكلا لها، زد إليها رسموها المكتشفة بموقع تين تولولت، تين سماد، تين تهاد. [8]

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، نفس المصدر، ص.278.

[2] Plinus, *H.N.*, X, 22.

[3] Némisien, *Cynégétique*, 313.

[4] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit* I, p. 129.

[5] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, *op.cit.*, p. 784.

[6] Dupuy (A.), Espèce menacées du territoire Algérien, *loc.cit.*, p.48.

[7] Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, *op.cit.*, p. 785.

[8] *Id., Ibid.*, p.785 ; Hachid (M.), *Le Tassili des Ajjer, aux sources de l'Afrique, 50 siècles avant les pyramides, op.cit.*, p. 282.

2-8- الغراب « Corvus frugilegus »

تحدث أليانوس « Elianos » عن تطفل الغربان الليبية قائلا:" عندما يخشى الناس في ليبيا قلة المياه، يلجئون إلى ملئ الجرار بالمياه ووضعها فوق الأسطح، معتمدين على الهواء لحمايتها من التعفن، فتأتي الغربان من أجل الشرب منحية في ذلك أدنى من مستوى منقارها، وإذا كان مستوى الماء متدنيا جدا، فإنها تجلب شقفا تحملها بين مناقيرها ومخالبها ملقية إياها بداخل الآنية، فتترسب القطع بفعل وزنها بالقاع، في حين يصعد الماء بفعل الضغط، وهكذا تستطيع الغربان الشرب بفضل هذا الفعل البارع..." [1]. وإلى جانب العينات التي سقناها من الطيور هناك عدد لا يحصى منها، صُور بلوحات الفسيفساء كالبط، الببغاء، الهزاز والحمام. [2]

3- الحشرات « Insectes »

3-1- العقرب

يعتبر العقرب أخطر حشرة تهدد حياة أهل المناطق الجنوبية في الجزائر، حيث تؤدي لسعتها في الكثير من الأحيان إلى الموت إن غاب المصل الواقي، وهي الظاهرة التي أرهقت سكان المنطقة منذ القدم، حيث أشار الكتاب القدامى إلى مدى انتشارها الواسع بالصحراء، وإلى أنواعها الكثيرة وسمها الفتاك، وقد أشار سترابون « Strabo » إلى وجود عدد كبير من العقارب المجنحة والغير مجنحة، ذات الأحجام العجيبة والتي قد يصل طول ذيلها سبعة عقد [3]. واعتبرها بلينوس الكبير « Plinus » آفة ابتليت بها إفريقيا، حيث قال: " تمنحها رياح الجنوب أجنحة، تفتح أذرعها مستخدمتا إياها كمجاذف (للتنقل من مكان لآخر)، وقد صرح أبولودور « Apollodore » بحقيقة امتلاك بعضها لأجنحة" [4]، ولربما أنه قصد بهذا الوصف حشرة الذباب العقربي وهي من الحشرات السامة كذلك. كذلك.

---

[1] Elien, *Nat.Anim.*, II, 48.

[2] Dahmani (S.), Morel (J.P.), *Mosaïque d'Hippone*, *op.cit*., p. 32 ; Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel*, *op.cit*., p. 134 n°106 ; p. 206 n°193.

[3] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 11.

[4] Plinus, *H.N.*, XI, 89.

خريطة رقم3 :الطيور المجسدة على جداريات الفن الصخري بالجزائر



ويشاطر لوكيانوس « Loukianos » الفكرة نفسها، الذي اعتبرها بدوره أحد مصائب هذه البلاد إلى جانب الحرارة، الجفاف، العطش والثعابين الخطيرة، وهي على حد قوله نوعان، العقرب الأرضي الكبير الحجم، ذو الذيل المألف من عدد من الفقرات، والعقرب المحلق في الهواء، الذي يمتلك أجنحة غشائية على شاكلة الجراد، الزيز والخفافيش [1]. وقد أشاد فكتوردو فيتا « Victor de Vita » ، بعناية السيد المسيح لأتباعه المسحيين العابرين للصحراء المليئة بالحيوانات السامة والعقارب، إذ لم يتبادر لسمعه أن أحدا من العُباد الأتقياء قد لُسع من قِبلها. [2]

2-3- الجراد « Schistocerca gregaria »

اكتشفت بعثة أثرية سنة 1980 ميلادية، أثناء تنقيبها لطبقات النيوليتية لموقع تن هنكاتن بالطاسيلي ناجر، وجود بنيان للطهي من نوع خاص، تمثل في حجارة مستوية مرصوفة فوق طبقة من الفحم، تلتصق بالحجارة بقايا جراد [3]، مما يتبادر للأذهان أن الأمر يتعلق بعملية شي لهذه الحشرات، حيث كان بمثابة غذاء للشعوب الصحراوية قديما وحديثا ولحيواناتها. إلا أنه في المقابل شكل الخطر الدائم القادم من الصحراء بالنسبة لفلاحي المناطق التلية والساحلية، وأسوء الكوارث الطبيعية، فقد أشار بلينوس الكبير « Plinus » أن أسراب الجراد طردت شعوبا افريقية بأكملها من مواطنها [4]، وقد تعدى خطره حدود إفريقيا و بلغ أحيانا ايطاليا،حيث قال: " يتمتع الجراد بقوة البقاء على العيش، فإذا تمكن البعض منها من تجاوز البحار وعبور فضاءات كبيرة، فيغطيها بسحابة مهلكة للمحاصيل، يحرق الكثير من الأشياء، يقضم كل شيء، حتى أبواب المنازل، يأتي بخاصة من إفريقيا من أجل الإغارة على ايطاليا، فقد اضطر الشعب الروماني أكثر من مرة إلى اللجوء إلى العرافين لتداوي، خوفا من المجاعة". [5]

---

[1] Lucien, *Dipsades*, 3.
[2] Victor de Vita, *Histoire de la persécution Vandale en Afrique*, S.Lance (trad.), Paris, Les belles lettres, 2002, II, 37.
[3]Aumassip (G.), Betrouni (N.), Hachi(S.), Une structure de cuisson de sauterelles dans les pots archéologiques de tin Hanakaten (Tassili-n-Ajjer Algérie), *Libyca.Anthr.Préh.Ethn.*, XXX-XXXI, 1982-1983, p. 199-200 ; Camps (G.),
Acridophgie, *E.B.*, I, 1984, p. 111.
[4] Plinus, *H.N.*, VIII, 104.
[5] Plinus, *H.N.*, XI, 104.

وفي ذات السياق ذكر الشاعر كوريبوس« Corippus » مايلي:" تحمل رياح الجنوب « Auster » حين تهب، غمائما من الجراد، الذي يسقط وينتشر نهاية فصل الربيع بحقول ليبيا، وتدفعه رياح النوتوس « Notus » نحو البحر مدخلة إياه في زوبعة كبيرة. يرتعد المزارعون القلقون منه، إذ يخشون رؤية محاصيلهم مدمرة من قبل هذه الكارثة الخطيرة، وكذا الفواكه الطيبة والحدائق الخضراء مخربة، كما يصيب الزيتون الناضج في غصونه الطرية". [1] وأردف بول أوروز « Paul Orose » قائلا: " يتجمع عدد كبير من الجراد، الذي لا يكتفي بالقضاء التام على محاصيل الحبوب في سيقانها، والتهام كل الأعشاب مع جزء من جذورها وأوراق الأشجار رفقة السيقان الطرية، بل أنه يقضم حتى لحاء الشجر والخشب الجاف. اجتثته هبة ريح مفاجئة من الأرض وحملته مدة طويلة في الجو، متجمعا في كتل متراصة إلى غاية البحر، أين ابتلعه، لكن الأمواج عادت وقذفت به إلى السواحل بكميات كبيرة، فانتشرت الروائح الضارة بفعل جثته المتعفنة والمتحللة. وأصاب الوباء الخطير كل الحيوانات والطيور والقطعان وباقي الحيوانات أخرى، التي تبعثرت جثتها في كل مكان مما زاد في الكارثة". [2]

كما كتب القديس أوغسطين في ذات الموضوع ما يلي:" يُذكر أن إفريقيا التي أصبحت اليوم مقاطعة رومانية، قد غطها كم هائل من الجراد، والذي بعد أن التهم الأوراق والفواكه، نراه يسقط في البحر كغمامة سميكة مرعبة، يقذفه الموج ميتا فيلوث الهواء، لدرجة أن وباؤه أهلك بمملكة ماسينسا لوحدها ثمانون ألف رجل". [3] ونبه ابن بطوطة ضمن رحلته التي قادته إلى بلاد الأهقار(الهكار) إلى أعداده الكثيرة لدرجة أنه أصبح أحد مصادر طعامهم، حيث يقول في هذا الصدد :" أكل أهلها التمر والجراد، وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزن التمر ويقتاتون به ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس فإنه لا يطير إذ ذاك لأجل البرد" [4].

---

[1] Corippe, *Johannide*, II, 196 et suiv.
[2] Paul Orose, *Adversum paganos*, V, 11, 2-5, d'après Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, I, p. 136.
[3] Saint Augustin, *La cité de Dieu,* Volume 1, Livres I à X, L.Morceau (trad.), Paris, Seuil, 1994, III, 31
[4] ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدمه وحققه عبد الهادي التازي، الرباط، أكادمية المملكة المغربية، 1997، ج.4، ص. 447.

3-3- العنكبوت

تعد العناكب من الحشرات الرائجة بالمنطقة، وهي على حد تعبير سترابون « Strabo » كثيرة لدرجة يتعذر إحصاءها كما تمتاز بضخامة حجمها [1]، وقد خص أليانوس « Elianos » فقرة لوصف أحد هذه الأنواع والمسمى حبة العنب ولعله عنكبوت الرتيلاء السام، حيث قال: "يوجد فيما أعلم، نوع من العناكب التي نسميها حبة العنب، لأنها كروية الشكل نوعا ما، إذ تشبه بحق حبة العنب الناضجة، وهي كروية الشكل نوعا ما، وربما هناك سبب آخر لهذه التسمية، تعيش بليبيا وتمتلك أرجلا صغيرة، فمها يقع بوسط بطنها ويمكنها القتل في الحين". [2]

4-3- النحل

اشتهرت المنطقة بتربية الأنعام إلى جانب النحل، هذا ما نلمسه من نص الكاتب سينسيوس « Synésius » ، حين قال: " لا شيء يقطع النوم سوى صهيل الخيول، ضجيج وجلبة قطعان الماعز، ثغاء النعاج وخوار الثيران، هذا ونسمع خلال الخيوط الأولى لأشعة شمس الصباح طنين النحل الأكثر روعة من فرقة موسيقية". [3]

---

[1] Strabon, *Géographie,* XVII, 3, 11.
[2] Elien, *Nat.Anim.,* III, 36.
[3] Synésius, *Lettres*, H.Druon (trad.), Paris, Hachette, 1878, XI, 33.

الفصل الثاني

دراسة تصنيفية للثروة النباتية في الجزائر خلال العصور القديمة

تمتلك الجزائر ثروة نباتية هائلة متنوعة حسب التنوع والتباين تضاريسي والمناخي، من نباتات المناطق الرطبة، شبه رطبة، شبه الجافة والجافة، والتي سنعمد على دراستها، وذلك بعد تصنيفها حسب ما هو معمول به علميا، حيث ستشمل الدراسة كل نبات أشارت المصادر القديمة إليه، بصفته أحد النباتات المنتشرة والمميزة للمنطقة، يليها تعريف بيولوجي للنبتة، كما لن نغفل في هذا التصنيف ذكر بعض النباتات الشائعة الوجود بالمنطقة والتي أغفلت المصادر ذكرها، أو أنها أدمجتها ضمن صنف أو جنس نباتي كبير.

أولا- الأشجار الغابية

1- مستورات البذور

1-1 - البلوطيات أو السنديات « Fagaceae »

تنتمي فصيلة البلوطيات إلى شعبة مستورات البذور« Angiospermopsida » وإلى قسم ذوات الفلقتين « Dicotyledonae Angiosperomopsida » وهي أشجار ذات أوراق دائمة الاخضرار أو نفضية، تكون إما بسيطة أو ذات حواف مفصصة أو مسننة، إزهارها وحيدي المسكن، حيث يتخذ الإزهار الذكري شكلا هرميا، في حين تكون الأنثوية سنبلية الشكل، ثمارها مغطاة بقمع قاس ذي حراشف [1](الصفحة 125 – الصورة رقم 18) .

1-1-1- البلوط الدائم الاخضرار

1-1-1-1- البلوط الأخضر « Quercus ilex »

عُرف هذا النوع من الشجر عند اللاتينيين قديما باسم« yeuse »، وقد جاء وصفه عند كل من تيوفراست « Théophraste » حيث قال في شأنه ما يلي:" يطلق الأركديون اسم هيميريس «Hémiris» على شجرة تشبه البلوط الأخضر، لكن أوراقها شوكية وجد مرتخية ومتطاولة...جدعها ليس بالمستقيم، الأملس أو المرتفع ...خشبها قصير، وبلوطها حلو..." [2].

[1] عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، ، الدار البيضاء، مؤسسة الملك بن عبد العزيز آل سعود، 2012، ص .10.

[2] Théophraste, *H.P.,* III, 16, 2.



الصورة (18): شجرة البلوط.

ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم، Arabe 2771، ورقة رقم، 308.

وأشار بلينوس الكبير «Plinus» إلى وجود نوعين منه، أحدهما ينتشر بإيطاليا وهو لا يختلف عن شجر الزيتون إلا من حيث الأوراق، في حين ينتشر الثاني بالمقاطعات، وهو ذو أوراق شوكية [1]، هذا وكان سالوستيوس «Sallustius» قد أتى على ذكر بعض صفات شجر البلوط دونما أن يحدد نوعه، والتي تنطبق على شجر البلوط الأخضر، الذي يتموطن بكثرة بالناحية الغربية من مملكة نوميديا أي الغرب الجزائري، وذلك في خضم سرده لمغامرة الجندي الليغوري في جهة نهر ملوية «Muluchath »، والتي قادته إلى قمة جبل، يوجد عليها حصن، والذي صادف أن اعترضته شجرة بلوط كبيرة قال عنها : "باسقة بين الصخور، حيث أن جدعها مائل قليلا إلى الأسفل وقسمها العلوي باسق في اتجاهه نحو الأعلى وهذا طبيعي في أي شجر آخر ينبت في مثل هذه الأماكن" [2].

[1] Plinus, *H.N.*, XVI, 19.
[4] سالوستيوس، نفس المصدر، CX III

يتميز البلوط الأخضر بطوله المتوسط، الذي يتراوح ما بين خمسة عشر متر والعشرين متر، ويقدر محيطه ما بين المترين والثلاثة أمتار، مُعمر إذ يمكن أن يبلغ عمره الألف سنة، يتمتع بتاج مستدير وكثيف، يكون جدعه في الصغر أملس وذو لون أخضر باهت ليصبح في الكبر مشققا، رمادي داكن مائل إلى السواد، غني بالصباغة، أعوج وقصير، يتشعب مبكرا، جذوره وتدية وعميقة، يتراوح طول أوراقه الدائمة ما بين ستمترين وسبع ستمترات، يابسة، خضراء اللون، متشعبة الشكل، ذات حواف ملساء بعضها مسنن، إبري أو كامل، تحمل زَغبا. تتميز ثمارها المعروفة باسم البلوطة، بشكلها الممد، الأسطواني والمحزز قليلا [1].

يغطي هذا النوع من الأشجار حاليا آلاف الهكتارات بالجزائر، حيث تتواجد أهم مواطنه بالجهة الوهرانية، منطقة تيارت، فرندة، سعيدة وجبال تلمسان [2]، فبغابة سليسن يتوقف مجال انتشار الصنوبر الحلبي ويبدأ نطاق هيمنة البلوط الأخضر وصولا إلى ناحية سبدو والحدود الجزائرية المغربية، كما نجده يشغل في بلاد القبائل نفس المجال مع البلوط الفليني، ونراه مختلطا مع الصنوبر الحلبي بالشرق الجزائري بالناحية الغابية المشتركة بين الجزائر وتونس، جبال بلزمة، بوعريف، سيقاق وغرب فدالة، ويظهر منسغا خفيفا ومنحصرا بالجهة الشرقية لجبال البيبان والحضنة [3]، وهو مقرون بالصنوبر الحلبي بالأطلس الصحراوي مثل ما هو الحال بجبال الجلفة، جبال أفلو، جبل عمور، جبال القصور، جبال توية بعين الصفراء، وهو يحتل حاليا المرتبة الثالثة من حيث الثروة الغابية الجزائرية

[1] El Mahi (F. Z.), *Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques,* Mémoire de Magister en biologie, Département de biologie, Université Djillali Liabès de Sidi Bel Abbès, 2004-2005 p. 11 ; Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux,* Arles, Actes sud, 2004, p. 404-406.

[2] Louni (DJ.) Les forêts Algériennes, *Forêt méditerranéenne*, T.XV, n°1, 1994, p. 62.

[3] El Mahi (F. Z.), *Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques, op.cit.*p. 9.

بعد الصنوبر الحلبي والبلوط الفليني بمساحة تقدر بـ 345 ألف هكتار. وهو يعيش في تكافل وتـلاؤم تام مع حشرة الحزاز أو القرمزي [1].

1-1-1-2- البلوط الفليني « Quercus suber »

وصف تيوفراست «Théophraste»، شجرة الفلين قائلا: " فيما يخص أوراقها ...فهي كـبيرة مقارنة بحجم أوراق شجر البلوط القرمزي وصغيرة جدا إذا ما قورنت بالبلوط الفلـيني، وثمارهـا ضئيلة الحجم مقارنة بالبلوط القرمزي، وهي بحجم حبات البلوط الصغير لشجر القرمزي، وأكثـر حلاوة منه، لكن طعمـه مـر ضـمن نوعـه" [2]، وقـد صـنفها بلينـوس الكـبير «Plinus » ضـمن الأشجار البرية الدائمة الخضرة [3].

ويُعرف البلوط الفليني عنـد العـرب باسـم الفرنـان، وهـو أحـد أهـم أنـواع شـجر البلـوط تأقلمـا مـع الظـروف المناخيـة لحـوض البحـر الأبـيض المتوسـط، حيـث يتطلـب نمـوه حـرارة مرتفعة ورطوبة أقل، يتميز بارتفاعـه المتوسـط، إذ يـتراوح طولـه مـا بـين خمسـة عشـرة وثلاثـين مـتر، ويمكـن أن يتعـداه إذا مـا تـوفرت لـه الظـروف الإيكولوجيـة الملائمـة [4]. يقـدر متوسـط دورته الحياتية ما بـين مائـة وخمسـين سـنة ومـائتي سـنة، ويمكـن أن يتعـداه ليبلـغ ثلاثمائـة سـنة ولربمـا أربعمائـة سـنة، إذا لم ينـزع لحائـه، والملاحـظ أن نمـوه سـريع مقارنـة بـالبلوط الأخضـر، كمـا أنـه يمتـد علـى طـول الجبـال ذات التربـة النضـدية، الصـوانية أو القرانتيـة والـتي لا تكـون بالضرورة غنية بالمواد العضوية ولا يحب التربة الكلسية [5].

[1] *Mahi (F.Z.), Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques, op.cit.,* p. 10.

[2] Théophraste, *H.P.,* III, 16, 3.

[3] Plinus, *H.N.,* XVI, 80.

[4] El Mahi (F. Z.), *Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques, op.cit.*p. 15 ; Doumane (S.), Liège*, E.B.,* XXVIII-XXIX, 2008, p. 4410.

[5] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p.416 ; Doumane (S.), Liège, *loc.cit.,* p. 4409-4410.

تتمتع هذه الشجرة بجملة من الخصائص وهي، تاجها الكروي الكثيف، أوراقها التي تدوم لمدة سنتين إلى ثلاث سنوات، التي تكون إما بيضاوية، متطاولة أو رمحية الشكل، مسننة ذات أشواك [1]، ذات إزهار وحيدي المسكن. تنضج حبات البلوط وتسقط خلال الفترة الممتدة بين شهر أكتوبر وجانفي [2]، جذورها وتدية، ذات جدع صغير مكسو بلحاء مشقق رمادي اللون، ذو سمك كبير، والذي يمكن أن تبلغ سماكته ثلاثين سنتيمتر إذ لم ينزع بصفة دورية، وهو المعروف باسم الفلين، وقد تخضع الشجرة للتقشير ما بين اثنا عشر وخمسة عشر مرة على مدار حياتها، خلال فترات متباعدة تتراوح ما ين ثماني وعشر سنوات، ويكون ذلك خلال منتصف شهر جوان إلى غاية أواخر شهر أوت، والأشجار المتوسطة العمر هي التي تنتج فلينا سميكا وذو جودة عالية [3].

وتقدر المساحة المشغولة حاليا من قبل البلوط الفليني بالجزائر بـ439 ألف هكتار، موزعة على النحو التالي، 391 ألف هكتار بشرق البلاد بناحية قسنطينة وبلاد القبائل، 41 ألف هكتار الوسط و7 ألاف هكتار بالجهة الغربية [4].

1-1-1-3- البلوط القرمزي « Quercus coccifera »

قدم تيوفراست «Théophraste» وصفا كاملا حول شجرة البلوط القرمزي [5]، في حين اكتفى بلينوس الكبير «Plinus»، في عدد من فقرات كتابه التاريخ الطبيعي بالحديث عن المادة الصبغية المستخلصة من هذه الشجرة وحشرة القرمزية الملتصقة بها، حيث يقول : "يُعجز البلوط القرمزي كل المتوجات، بواسطة القرمزية وحدها، وهو عبارة عن حبة تشبه إلى حد ما عفصة

[1]Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 415-416 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 103.

[2] El Mahi (F. Z.), *Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques, op.cit.*p. 15.

[3]Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 421 ;
Doumane (S.), Liège, *loc.cit.,* p. 4409-4410.

[4]El Mahi (F. Z.), *Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques, op.cit.* p. 14 ;
Doumane (S.), Liège, *loc.cit.,* p. 4410.

[5]Théophraste, *H.P.,* III, 16, 1.

الشجرة " [1]، ويستطرد في فقرة أخرى قائلا : "نعلم أن النباتات تقدم ألوانا رائعة لصباغة العباءات، دون الحديث عن بذور غلاتي «Galatie » المجلوبة من إفريقيا ولوزيتانيا والتي تعطينا القرمزي «Kermès» المخصص لمعاطف القادة " [2].

وقد اشتق اسم هذه الشجرة من حشرة القرمزية (المغافير) التي تعيش في انسجام تام معها وتتغذى في ذلك على المادة الصبغية الموجودة بلحائها [3]، ويعتبر البلوط القرمزي المعروف عند العرب باسم القرميز، أصغر أنواع البلوطيات، يمتلك تاجا دائريا قليل الكثافة، مدغل، يتراوح متوسط ارتفاعه مابين خمسين سنتيمتر وثلاثة أمتار، ويمكنه أن يبلغ سبعة أمتار أحيانا، في حين يقدر محيط جدعه ما بين ثلاثين سنتيمتر وخمسين سنتيمتر، لحاء أغصانه الملساء المتصلبة الصغيرة رمادي اللون أما الموجود على مستوى جدعه فهو ذو لون بني مائل إلى السواد، صلب ومشقق قليلا، حواشي أوراقه البيضاوية الشكل محاط بأسنان شوكيه ذات سويقات قصيرة يابسة، بدون زغب، لامعة وذات لون أخضر فاتح، تدوم لمدة سنتين إلى ثلاث سنوات [4]، تظهر أزهارها الصفراء خلال شهر أبريل وماي ولا تنضج ثمارها إلا خلال شهر أوت من السنة الموالية [5]، الموالية [5]، والتي تأتي دائما متفرقة ونادرا ما تكون حبتان مجتمعتان مع بعض [6] ، تنمو هذه الشجيرة بالمناطق الساحلية أو الشبه الساحلية، حيث نصادفها بالأخص بالجهة الوهرانية وبالكثبان الساحلية القسنطينية، أين تلعب دورا كبيرا في تثبيت التربة الرملية [7].

---

[1] Plinus, *H.N.,* XVI, 12.

[2] Plinus, *H.N.,* XXII, 3.

[3] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 428

[4] El Mahi (F. Z.), *Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques, op.cit.,* p. 19-20 ; Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 425

[5] El Mahi (F. Z.), *Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques, op.cit.,* p. 19 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 104 – 105.

[6] El Mahi (F. Z.), *Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la = =région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques, op.cit ,* p. 20.

[7] *Id., Ibid.,* p. 18-19 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 105.

1-1-2-البلوط النفضي

1-1-2-1- بلوط الزان «Quercus faginea»

يتراوح علوه ما بين العشرين والثلاثين متر، تتمتع بجدع مستقيم وضخم عندما يُعمر، إذ من الممكن أن يبلغ قطره المترين، له تاج قبي الشكل والذي يصبح ممددا مع تقدمها في العمر، أوراقه معنقة، تمتلك حواف مفصصة، ذات أشكال وأبعاد كثيرة، قطنية من كلا الجهتين، له ثمار مغطاة بقمع. يصادف وجوده بالمناطق ذات التربة السميكة والغنية بالمواد العضوية والمناخ الرطب والشبه الرطب [1].

1-1-2-2- بلوط الأفراست «Quercus afares »

يمتلك هذا النوع من شجر البلوط قامة متوسطة، جدع مستقيم، لحاء صلب وأغصان منتصبة تحمل أوراقا نفضية تسقط خلال بداية فصل الربيع، ذات شكل متطاول أو رمحي، مسننة مثل أوراق البلوط الرومي وتحمل زغبا، يحيط بثمرته قمع حرشفي رمحي، التي لا تنضج إلا في السنة الموالية [2]، ينمو بالمناطق ذات الرطوبة العالية التي يزيد التساقط بها على ثمانمائة مليمتر من الأمطار، ويستوطن منطقة القبائل من جيجل إلى بجاية أين يختلط بأشجار الزان والفلين، وفي الحدود الجزائرية – التونسية [3].

1-2- البطم « Pistacia atlantica »

أستخدم خشب البطم قديما لأغراض مختلفة، كصنع مقابض الخناجر على حسب ما أورده تيوفراست « Théophraste » [4]. أما بلينوس الكبير « Plinus » فقد صنفه ضمن صف أحسن

---

[1] عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 103.

[2] Pomel (A.), *Nouveaux matériaux pour la flore Atlantique,* Paris, Savy, 1874, p. 391-392 ; Quezel (P.), Santa(S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, Paris, CNRS, 1962, p. 266.

[3] Louni (DJ.), Les forêts Algériennes, *loc.cit.,* p. 61 ; Pomel (A.), *Nouveaux matériaux pour la flore Atlantique, op.cit.,* p. 392.

[4] Théophraste, *H.P.,* V, 3, 12.

الأخشاب الصالحة للتصفيح [1]، هذا وكان بومبونيوس ميلا « Pomponius Méla » ، قد أشار إلى انتشار شجرة البطم بأرياف موريطانيا ببلاد الفاروزيين « Pharusiens » [2]. كما أستخدم رماد خشبه إلى غاية وقت قريب في صنع الصابون، في حين أستعمل صمغه في صناعة مداد يعرف باسم" السمق"[3].

هذا وينتمي البطم إلى رتبة الصابونيات، فصيلة البطمية « Anacardiacées» وهو شجر معمر كبير، يمكن أن يبلغ علوه الخمسة عشرة متر، وقطر محيط جدعه مترا واحدا، والذي يكون لحاؤه أملسا وذو لون أحمر في الصغر، ليتخذ لونا رماديا فاتحا إلى قرنفليا في الكبر، إلى جانب اكتسابه صلابة أكبر وحمله لشقوق عميقة، ويصبح منتجا للصمغ، له تاج كبير، يتخذ في الغالب شكلا نصف كروي كبير الحجم، حيث يغطي إيراقه أكثر من مائة وخمسون مترا مربعا من الأرض. يمتلك جذورا يصل عمقها أحيانا الستة أمتار، هذا ما يساعده على مواجهة مختلف الظروف المناخية المختلفة والأكثر قساوة. أوراقه النفضية، مسطحة رمحية الشكل لا تحمل أية تسنن، ذات لون أخضر داكن بالجهة العلوية في حين يكون فاتحا بالجهة السفلية [4].

أما ثمارها المعروفة بالعامية باسم " الخضري" نسبة إلى لونها الأخضر الداكن المكتسب أثناء نضوجها، فهي بحجم حبات الجلبان، بيضاوية الشكل نوعا ما ومسطحة، إلى جانب كونها غنية بالزيت [5].

ينمو البطم بجميع أنواع الأتربة ما عدا الرملية، حيث يظهر في شكل باقات صغيرة أوفرادا بالأطلس التلي، الهضاب العليا، الأطلس الصحراوي وفي الصحراء كالأهقار بمقربة البرك المائية، فهو نبات يألف المناخ الشبه الجاف، الجاف، الرطب والشبه الرطب [1]،

---

[1]Plinus, *H.N.,* XVI, 84.
[2]Pomponius Méla, *De Chorographia*, III, 10, 4.
[3]Fetati (A.), *Dynamique végétale du taxon Pistacia atlantica Desf.ssp.atlantica dans la région nord occidentale oranaise ; aspects morphologiques, botaniques et valorisation,* Thèse de doctorat, Faculté des sciences de la nature et de la vie, université Djilali Liabès à Sidi Bel Abbes, 2012*,* p. 135.
[4]*Id., Ibid.,* p. 22-24.
[5]Belhadj (S.), les pistacherais Algériennes : état actuel et dégradation, *Cahiers options méditerranéennes,* n°56, 2001, p. 107. /http://om.Ciheam.org /om/PDF/c56/01600161pdf

1-3- الدردار الريفي« Ulmus campestris»

وردت إشارة مقتضبة عن خشب الدردار عند بلينوس الكبير « Plinus » ، حين وصفه قائلا: " يتميز المران بليونته والبلوط الأخضر بصلابته، وهما الميزتان اللتان تتجمعان في الدردار المبحوث عنهما". [2]

توجد ثلاثة أنواع من الداردار تسير نحو الانقراض [3] ، وهي الدردار الجبلي، الزندي والريفي، وهذا الأخير هو الذي ينمو بمنطقتنا، والمعروف باسم الدردار الأحمر، والمسمى كذلك في بعض جهات البلاد باسم السل أو أسلن، يتمي إلى رتبة الورديات وفصيلة الدردريات، وهو شجر معمر إذ من الممكن أن يبلغ خمسمائة سنة [4]، يتميز بعلوه الكبير، الذي يتجاوز أحيانا ثلاثين متر، في حين يقدر محيط جدعه بمتر واحد فأكثر، يكون خشنا، مستقيما وأسطواني الشكل، عار من الأوراق، هذا ويتمتع بلحاء أملس ورمادي اللون، إلى غاية سن العاشر من عمره، إذ بعدها ستظهر عليه أتلام طويلة وعميقة مع تقدمه في العمر، مع اكتسابه لونا بنيا مسودا، أما أغصانه فقوية، مرتفعة ذات زوائد فلينية طويلة على شكل جوانح، مكونتا تاجا كبيرا نوعا ما وكثيف، تحمل أوراقا نفضية، لها سويقات، صلبة، خشنة الملمس بسبب الوبر الذي يكسوها، كثيرة العروق، ذات تسنين مضاعف، مستدقة الرأس، تتخذ شكلا بيضاويا أو رمحيا.

أزهار الدردار خنثوية ليس لها أعناق، صغيرة، حمراء داكنة أو قرمزية اللون، تزهر خلال فترة الممتدة بين شهر فبراير وأفريل على أغصان السنة الماضية قبل ظهور الأوراق، تكون متجمعة في شكل حزم [5]. يصبح الدردار الريفي مثمرا عندما يبلغ خمسة عشر أو العشرين سنة من عمره،

---

[1]Fetati (A.), *Dynamique végétale du taxon Pistacia atlantica Desf.ssp.atlantica dans la région nord occidentale oranaise ; aspects morphologiques, botaniques et valorisation, op.cit.,* p.38-41.

[2]Plinus, *H.N.,* XVI, 84.

[3] Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, Paris, Hachette, 2008 p. 115.

[4] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 930.

[5]Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 928-932 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, 1, *op.cit.,* p. 275 ; Maire (R.), *F.A.N.*, *op.cit.,* VII, p.136-137 ; حسان قبيسي، معجم الأعشاب والنباتات الطبية، بيروت دار الكتب العالمية، 2007، ص. 110.

حيث تتصف ثماره بكونها يابسة، مجنحة وذات بذرة واحدة [1]، علاوة على ذلك فهو شجر لا يحب التواجد ضمن غطاء نباتي كثيف، بل ينمو منعزلا بالهضاب الخصبة، وعند حوافي المجاري المائية والسباخ، أين تكون التربة مشبعة بالمياه، ويصادف وجوده بالأوراس وجبال تلمسان [2].

1 -4- الحور الرجراج « **Populus Tremula linnaeus** »

يعرف خطأ لدى عامة الناس باسم الصفصاف، وكان بلينوس الكبير « Plinus » قد عدد ثلاثة أنواع من شجر الحور وهي الحور الأبيض « Populus alba» الحور الأسود «Populus nigra» والحور الليبي «Populus tremula» [3] وما هو في نظر ريفال « Rival » سوى الحور المنتشر بالجزائر [4]. هذا وقد أشار غزال « Gsell » بأطلسه لعدد من الأماكن التي حملت قديما اسم شجرة الحور، منها مجرى مائي يقع بغرب الغزوات يدعى« Popleto Flumen »، كما ذكر مكانا بغير بعيد عن تيمقاد (Thamugadi)، عرف باسم الحور« Popleto » [5].

وهو أحد الأجناس المنتشرة بغرب البحر المتوسط وبالأخص بشمال إفريقيا، سمي بالرجراج لأن أوراقه تهتز لأدنى هبة ريح، تنتمي هذه الشجرة إلى رتبة المليبغيات فصيلة الحوريات «Sabicaceae » وهي عقانية ونفضية [6]، تمتلك حوافا ممددة، كما تتمتع بنمو جد سريع، قامتها متوسطة تتراوح ما بين عشرين وثلاثين متر، جهازها الجدري مداد، لحاؤها رمادي أملس والذي يتشقق مع الوقت، أوراقها صغيرة دائرية إلى بيضاوية الشكل، محززة الجوانب، مستدقة الأطراف، تتميز بلونها البرونزي المائل إلى الزهري، والذي يصبح أخضرا بداية فصل الصيف فأصفر خلال الخريف، مجهزة بسويقة طويلة ومسطحة، ويعتبر الحور الرجراج من الأشجار ذات الإزهار الثنائي المسكن، الذي يتخذ شكل قدات يبلغ طولها خمس سنتيمترات، تظهر بأوائل فصل الربيع قبل

---

[1] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 930 ; Maire (R.), *F.A.N.*, Paris, Paul Le chevalier, 1961, VII, p. 135.

[2] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 932 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, 1, *op.cit.,* p. 275.

[3] Plinus, *H.N.,* XVI, 85.

[4] Rival (M.), *La charpenterie navale Romaine,* Paris, CNRS, 1996*,* p. 68.

[5] Gsell (S.), *A.A.A,* F. 27 n°29; F. 30 n° 2; *Id.*, *H.A.A.N, op.cit.,* I, p. 144.

[6] Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, *op.cit.,* p. 137 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 121-122.

الأوراق، حبوبها صغيرة محاطة بشعيرات قطنية بيضاء، محبوسة في عليات، والتي تتحرر نهاية الربيع [1]، لا نجد الحور الرجراج منتشرا في الطبيعة على مساحات شاسعة، بل في شكل باقات صغيرة بجبال البابور، و بالحدود الجزائرية المغربية، وعلى حواف الوديان، السواقي والبحيرات [2].

1 -5- المران ذو الأوراق الرفيعة « Fraxinus angrestifalia »

أتى الشاعر فرجليوس «Virgilius » على ذكر شجر المران الذي كان يعتبر أحد أهم الأشجار المنتشر بالغابات قديما، حيث أنشد يقول:« يُزين المران غابتنا، الصنوبر حدائقنا، الحور الأنهار، والتنوب قمم الجبال» [3]، كما كانت الخصائص التي يتميز بها خشبه والمتمثلة في المرونة، الانطواء والمتانة وراء شيوع استعماله في مجالات عدة منها صناعة الحراب والرماح، فقد ذكر كوريبوس «Corippus» أن القائد صولوموث كان يلوح برمح من المران

« Solumuth sequitur, quem Cum non prendre posset traxineam torquens per campos eminus hastam»[4]

هذا وينتمي شجر المران إلى رتبة الشفويات، وهو من فصيلة الزيتونيات «Oleaceae»، التي تشتمل على أربعمائة نوع نباتي، يتميز المران ذو الأوراق الرفيعة، بنموه الجد سريع، يتراوح علوه ما بين عشر وعشرين متر، تاجه كبير وكروي الشكل [5]، لحائه أملس، ذو لون بني رمادي في الصغر والذي يتخذ لونا أسود في الكبر، حاملا شقوقا عمودية، أغصانه متباعدة وخفيفة، أزهاره خنثوية وثنائية المسكن، عنقودية الشكل، تظهر خلال فصل الصيف على أغصانه التي لا تزال عارية [6]، أما البراعم فذات لون بني قاتم، في حين تتخذ أوراقه نفضية، لونا بنفسجيا خلال فصل

---

[1] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, 1, *op.cit.,* p. 259 ; Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, *op.cit.,* p. 137.

[2] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, 1, *op.cit.,* p. 259 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* I, p. 144.

[3] Virgile, *Les bucoliques,* VII, 65.

[4] Coripe, *Johannide,* VIII, 612

[5] عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص.186 – 187.

[6] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales, 2, op.cit.,* p.739 ; Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, *op.cit.,* p. 160.

الخريف، والتي تكون معنقة، على شكل ريشة محاطة بأسنان دائرية الأطراف قليلة العمق يكون لونها أخضر داكن في الربيع، حيث يبلغ طولها عشر سنتيمترات، ثمارها يابسة، وحيدة البذرة، مزودة بجناح رقيق وطويل يشبه لسان الطير ومسطحة الشكل، تتجمع في شكل عنقود متدلي وتدوم طوال الشتاء [1]، تنتشر شجرة المران بجبال الأوراس، بلزمة وجبال الحضنة [2].

1 -6- الأثل « Tamarix »

تمتلك هذه الشجرة الصغيرة والصلبة، جدعا قويا متفرعا ابتداء من القاعدة ، تحمل أغصانها أوراقا حرشفية إبرية أو حلقية الشكل، تظهر أزهارها على هيئة قُدد كثيفة تتجمع في شكل عناقيد بقمم السيقان، تكون إما بيضاء أو وردية اللون، عُلبية تعلو حبوبها قنزعة، وقد تم إحصاء إحدى عشرة نوعا منها ينمو بالمنطقة [3]، أهمها ثلاثة وهي:

1-6-1- الأثل العديم الأوراق « Tamaris aphylla »

سمي بهذا الاسم لأن أوراقه لا تظهر إلا على شكل أغمدة أسطوانية محيطة بالأغصان ذات لون أخضر فضي، مما يعطيها مظهرا مفصليا، يتخد إزهاره شكل سنابل متجمعة في عثكول غير كثيف، في حين تكون ثماره العنبية هرمية الشكل، التي لا يتعدى حجمها ثلاث مليمترات [4].

1-6-2- الأثل الفرنسي « Tamarix gallica»

يتميز بأزهاره الرباعية الأجزاء، وبقدده لا عنقية، التي تنمو فوق الخشب القديم أو على سيقان السنة الماضية، أزهاره وردية ذات أسدية أرجوانية [5] .

---

[1] Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, *op.cit.,* p. 160 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 187.

[2] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, Paris, CNRS, 1963, p. 739.

[3] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 688 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 120.

[4] نفس المرجع، ص. 120

[5] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 690.

1-6-3- الأثل الإفريقي « Tamarix africana »

يتصف بعلو يتراوح ما بين ثلاثة وخمسة أمتار، يتمتع بأوراق ذات حواف شفافة وأزهار ثلاثية الأجزاء، على شكل قُدد معلقة، تنمو بقمم الأغصان المعمرة وبلون أبيض [1]، وتعيش أغلب أنواع الأثل بالمناطق الجافة، كالهضاب العليا، الأطلس الصحراوي والمناطق الشبه صحراوية، لكن بمحذات الوديان، المستنقعات والسباخ [2]، إذ تحب التربة الغنية بالملح، والظاهر أن شيوع هذه الشجرة بالمنطقة، كان وراء إطلاق اسمها قديما على مركز عرف باسم « Tamariceto »وهو ذراع زق التر حاليا، الواقع على الطريق الرابط بين البرواقية (Tanaramusa) وسور الجراب (Rapidum) [3].

1 -7- العناب « Zizuphus lotus »

أطلق الكتاب الإغريق واللاتينيين على حد السواء اسم اللوتس « Lotus » على شجرة العناب، وقد مدحوا كثيرا ثمارها الحلوة وأسهبوا في الحديث عن صفات هذه الشجرة وفوائدها، إلى حد نسج الأساطير والحكايات حولها، فقد وردت إشارة إليها من قبل الشاعر هوميروس « Homéros » ضمن الأوديسة خلال حديثه عن رحلة عودة أوليس« Ulysse » إلى الديار، حيث تصادف أن تذوق ثلاثة من رفاقه العناب « Lotus » لدى قبيلة اللوتوفاج « Lotophages » فلم يكن لهم بعدها من رغبة، سوى البقاء معهم والأكل منه ونسيان طريق العودة إلى الأبد [4].

هذا وقد أشار تيوفراست « Théophraste » إلى العناب في خضم بحثه عن النباتات بصفة دقيقة، لا تدعو لأي لُبس أو خلط بينه وبين نبات آخر، وهي ليست عادته دائما، حيث قال في شأنه ما يلي: " العناب بليبيا شائع جدا وجميل جدا مثل الصامور والتمر في بعض الجهات...

[1] *Id., Ibid.,* p. 690 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 121.
[2] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales, 2, op.cit.,* p. 698-690.
[3] Gsell (S), Thanaramusa (Berrouaghia), *R.Af.*, 53, 1909, p. 22.
[4] Homère, *Odyssée,* X, 91-97.

تتميز شجرة العناب بقامتها الجيدة التي تساوي أو أقل بقليل من شجر الإجاص، لها ورق مقصوص يُذكر بأوراق البلوط القرمزي، خشبه أسود، أنواعه كثيرة والفرق بينها يمكن في ثمارها، وهي التي تكون بحجم حبة الفول، نضوجها مثل العنب، إذ تغير لونها في كل مرة، يتشكل على شاكلة عنيبات الريحان، ويكون ملتصق بالأغصان جنبا إلى جنب ومن الناحية الغذائية...فهو حلو ولذيذ عند التذوق، غير ضار، بل علاوة على ذلك فهو مفيد للبطن، ويصنع منه الخمر" [1].

وأردف قائلا: "يقول البعض الآخر أن العناب شجر مدغل وكثير الأغصان، يمتلك جدعا كبيرا، ثماره تحوي نواة كبيرة الحجم، وهو من الخارج ليس بكثيف اللب، لكنه نوعا ما قاس...ولا يمكن الاحتفاظ بخمره أكثر من يومين أو ثلاثة أيام*...يصنع من جذوره العميقة مقابض للخناجر وصفائح، في حين يستخدم خشبه في صنع شبابات أولوس (نوع من المزامير) وكذا أشياء أخرى" [2] ، والظاهر أن بلينوس الكبير « Plinus » قد أخذ الكثير عنه حينما تطرق لنبتة اللوتس « Lotus » ومجالات استغلالها حيث أجده يشترك معه في الكثير من المعلومات والتفاصيل الخاصة بها [3].

أضف إلى ذلك، فقد تقدم كاتب إغريقي آخر وهو بوليبيوس« Polybios » بشرح وافي عن شجرة العناب التي قال في حقها يلي: "هو عبارة عن شجيرة خشنة وشوكية، أوراقها صغيرة، خضراء شبيهة بأوراق النبق، ثمارها التي لا تزال خضراء تشبه عنيبات الريحان، لكنها عندما تنضج تصبح بحجم حبات الزيتون المدورة، تكتسب لونا محمر وتحوي بداخلها نواة طويلة" [4].

ويتنمي العناب من الناحية البيولوجية، إلى فصيلة العنابيات « Rhamnaceae » وهو عبارة عن شجيرة شوكيه يتراوح ارتفاعها مابين ثلاثة أمتار وستة أمتار، إلا أنه من الممكن أن يبلغ في بعض الحالات الثمانية أمتار، جذورها قوية ومتشعبة كثيرة الأشواك، ذات لون أبيض يميل إلى الرمادي، تظهر على سيقانها الفتية نوع من الزغب، ورقها صغير، أجرد، لا يتعدى طوله ست

---

[1] Théophraste, *H.P.,* IV, 3, 1.

*Plinus, *H.N.,* XXII, 23 رفع بلينوس الكبير مدة الاحتفاظ به إلى عشرة أيام

[2] Théophraste, *H.P.,* IV, 3, 4.

[3] Plinus, *H.N.,* XXII ,33.

[4] Polybe, *Histoire,* XII, II, 2.

سنتيمترات، بيضاوي الشكل، أملس يسقط في فصل الشتاء. أزهارها صغيرة خنثوية منتظمة صفراء اللون، ثمارها نووية وكروية الشكل، تكتسب لونا بنيا إلى محمر عند النضوج، تشبه في حجمها حبة الزيتون، وهو نبات يزرع كما ينبت طبيعيا بالهضاب العليا و الواحات الصحراوية [1].

1-8- الريحان « Myrtus communis »

أتى الكتاب اللاتينيون على ذكر أماكن انتشاره ومجال نموه الطبيعي من أمثال سالوستيوس « Sallustius » الذي ذكر قائلا: "ومن هناك تقع سلسلة من الجبال جدباء بطبيعتها موازية للنهر، تركها الناس دون زراعة، وتظهر فيها إلتواءات صخرية تمتد على مدى البصر، تغطيها أشجار الزيتون البري، الريحان وأنواع أخرى من الأشجار التي تنبت في الأراضي الجافة والرملية " [2]، وأنشد الشاعر كوريبوس « Corippus » من القرن السادس الميلادي يقول: " تملئ أشجار الريحان العقيمة والزيتون البري ذو الأوراق المرة الوديان الجافة " [3].

ويعرف هذا النوع من الشجر بمنطقة المشرق العربي باسم الآس، وهو ينتمي علميا إلى فصيلة الآسيات « Myrtaceae »، جنيبي، إذ لا يتعدى ارتفاعه الثلاثة أمتار، يمتلك جدعا كثير التفرع، أغصانا متقابلة تحمل أوراقا دائمة الخضرة، متقابلة اثنتين-اثنتين ونادرا ما تكون ثلاثة ملساء، صلبة، لامعة ومسننة، تتخذ شكلا خيطيا، رمحيا أو بيضاويا، تتمتع بطول كبير، نصلها يحتوي على غدد تفرز زيتا عطرا، تظهر أزهارها البيضاء أو الوردية الصغيرة خلال شهر ماي وجوان، وهي إبطية ومُعنقة، تفوح منها رائحة زكية، ثمارها لحمية وعنبية، تكون إما بيضاوية أوكروية الشكل، ذات لون أسود لذيذ المذاق [4]. ينتشر بالمناطق الحصوية الرطبة، ونادرا ما نجده بالصحراء باستثناء جبال الأهقار والطاسيلي ناجر. [5]

---

[1]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 618 ; p. 620 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 165.

[2]Salluste, *Bel.Jug.,* XLVIII ; XLVIII ، سالوستيوس، حرب يوغرطة، نفس المصدر

[3]Corippe, *Johannide,* V, 572.

[4] حسان قبيسي، معجم الأعشاب والنباتات الطبية، نفس المرجع، ص.69، عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 149.

[5]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 636-637.

1- 9- الرند « Laurus nobilis »

صنف بلينوس الكبير « Plinus » شجر الرند إلى جانب شجر التوت واللبلاب، ضمن الأشجار الدافئة التي يمكن الحصول منها على النار بمجرد الفرك [1] ، ويعرف هذا الشجر بتسميات أخرى وهي ورق الغار وورق سيدنا موسى، ويمكن أن يبلغ ارتفاعه العشرة أمتار، خنثوي وثنائي المسكن، يتميز بجدعه ذو اللحاء الأسود أو الرمادي الداكن الغير المشقق، حتى وإن تقدم به العمر، في حين أن خشبه أصفر باهت [2]، فروعه منتصبة تحمل أوراقا دائمة الخضرة، عطرة، لامعة من الأعلى، متطاولة ورمحية الشكل، صلبة مسننة متموجة الأطراف ومستدقة الرأس نوعا ما، ذات سويقات، أجردة وقصيرة تكون حمراء في الغالب، لها عرق مركزي ذو لون أخضر باهت، يقدر طولها بعشر سنتيمترات، إزهاره خيمي، بحيث تظهر أزهاره البيضاء خلال شهر جانفي إلى غاية شهر أبريل، تحمل عدة أسدية صفراء تتواجد على مستوى إبط أوراق السنة الماضية، ثماره بحجم حبة الكرز سوداء اللون بداخلها نواة واحدة، تتموضع في شكل عناقيد جميلة يتم قطفها في فصل الخريف [3]، يتوطن سفوح الجبال والغابات الرطبة، حيث نجده منتشرا بكثرة بالتل القسنطيني ووسط الجزائر. [4]

1- 10- الصامور « Paliurus »

جاء تيوفراست « Théophraste » على ذكر الصامور كونه أحد الأشجار الشائعة بليبيا والتي تستخدم كوقود [5]. وتتصف هذه الشجيرة الصغيرة التي يتراوح طولها ما بين متر وثلاثة أمتار والمدغلة، بسيقان متعرجة، وأوراق شوكية إما نفضية أودائمة الخضرة، بيضاوية الشكل،

[1]Plinus, *H.N.,* XVI, 76.
[2]Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, *op.cit.,* p. 111 ; Maire (R.), *F.A.N.* XI, Paris, Paul Le chevalier, 1964, p. 262-263.
[3]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 376 ; Maire (R.), *F.A.N.*, *op.cit.,* XI, p.262-263 ; Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, *op.cit.,* p. 111 ; حسان قبيسي، معجم الأعشاب والنباتات الطبية، نفس المرجع، ص.247.
[4]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 376.
[5]Théophraste, *H.P.,* IV, 3, 1-2.

خضراء لامع لونها، بحواف مسننة نوعا ما، أزهارها إبطية تنمو في شكل عناقيد مرتخية ومتفرعة، ذات ثمار بحجم حبة البندق تملك جناحا دائريا، تنمو طبيعيا بالعلمة ومليانة [1].

2 -عاريات البذور

2-1- الأرز الأطلسي « Cedrus atlantica »

نال خشب الأرز النوميدي سمعة طيبة لدى المعماريين والحرفيين القدامى، باعتباره أحد أنواع الأخشاب المبحوث عنها، التي لا تتعرض للفناء، فهو يتمتع بدرجة مقاومة وحفظ استثنائيين، فقد صنفه تيوفراست « Théophraste »[2] ، وبلينوس الكبير « Plinus »[3]،كأحد أجود الأخشاب الصالحة لبناء العمائر الخاصة والعامة على حد السواء، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد ذكر هذا الأخير، إلى أن شهرة معبد أبولون بأوتيكة (Utica)، تعود لكون عوارضه المصنوعة من الأرز النوميدي لا تزال قائمة إلى غاية القرن الأول الميلادي، بالرغم من مرور 1178سنة على تاريخ تأسيسه [4]، زد على ذلك فقد أشار فيتروف « Vitruve » إلى استخدامه في صنع الأشياء التي تتعرض للاحتكاك الدائم وكذا الكتب، علاوة على ذلك فإن التحف والأثاث المصنوع منه يكون في مأمن تام من هجمات السوس والدود [5].

وتوجد علميا في العالم أربعة أنواع من شجر الأرز « Cedrus » فقط، وهي أرز الهيملايا « Cedrus deodara » الأرز اللبناني « Cedrus libani » الأرز القبرصي « Cedrus berevifolia » وأرز الأطلس« Cedrus atlantica »، الذي ينمو بجبال الأطلس المغربية وبعدد من مناطق الجزائر باستثناء الناحية القسنطينية [6]، ويعد من الأشجار العظيمة والمعمرة التي يقدر

[1]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 618.
[2]Théophraste, *H.P.,* V, 7, 4.
[3]Plinus, *H.N.,* XVI, 76.
[4] *Id., Ibid.,* XVI, 79.
[5]Vitruve, *Les dix livres d'architecture*, C. Perrault (trad.), 2ed, Liège, Pierre Mardaga, 1979, II, 9, 13.
[6]Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 310-312 ; Gast (M.), Cèdre, *E.B.,* XII, 1993, p. 1834.

طولها في الغالب أربعين متر، والذي من أن الممكن تتجاوزه بكثير ليصل علوها الخمسة والستين متر، في حين يقدر محيط جدعها بمتر واحد [1].

يتصف شجر الأرز في الصغر بلحاء أملس بني والذي يكتسب مع تقدمه في العمر سماكة، شقوقا وحراشف بنية داكنة، في حين يتميز تاجه بشكل مخروطي ينتهي بسهم معقوف نوعا ما والذي يصبح ممددا أخدا شكل المائدة في الكبر. أما أغصانه فمتقابلة، ممددة وطويلة جدا، ذات فروع قصير موزعة في شكل واحد، تحمل أوراقا إبرية دائمة الخضرة تكون يابسة، حادة، خضراء أو مزرقة اللون، تتجمع في شكل باقات أو أزهار كثيفة، يقدر طولها بسنتيمترين فأكثر. أزهاره أحادية المسكن، تتموضع في قمة الفروع القصيرة، حيث تكون الذكرية منها في شكل قدد بيضاوية مصفرة، في حين تتخذ القدد الأنثوية لونا أخضر مزرق أو أرجواني، والتي تصبح صنوبرات بيضاوية أو إهليجية الشكل، بطول يقدر بثلاثة عشر سنتيمتر وعرض يصل إلى تسع سنتيمترات، ذات قمة مبتورة أو على شكل سرة، لها حراشف ليفية رقيقة، في هيئة مراوح متراصة جدا، مكونة سطحا أملسا، بكل منها بذرتين مثلثي الشكل ومجنحتين، ولا تنفصل الصنوبرات الناضجة عن الفروع، إلا بعد مرور حولين كاملين عن تاريخ تلقيحها، محررتا بذلك البذور التي بداخلها [2].

ويشكل شجر الأرز غابات بالمناطق التي يتراوح ارتفاعها ما بين ألف وأربعمائة متر وألفين وستمائة متر، أين يتواجد مقرونا بشجر البلوط الأخضر، الطقوس والحور وذلك بكل من جبال جرجرة، البابور، الحضنة، الأوراس، الأطلس البليدي وجبال الونشريس حيث تقدر مساحته حوالي مائة وخمسون ألف هكتار [3] .

---

[1]Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 134.

[2]Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 134-135 ; Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 310 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit., 1*, p. 38.

[3] Maire (A.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 136 ; Emberger (L.), Contribution à la connaissance des cèdre et en particulier du Déodora et du cèdre de l'Atlas, Revue botanique appliquée et d'agriculture coloniale, 198, 1938, p. 78 ; p. 87-89 ; Gast (M.) Cèdre, *loc.cit.,* p. 1834-1836.

2-2-العفص « Tetraclinis auticulata, Thuya »

لقد أشاد الكتاب الإغريق واللاتينيين على حد السواء، بخشب شجر العفص العطر الذي كان يملئ الأجواء عَبقا عقِب احتراقه [1]، هذا ويعتبر تيوفراست « Théophraste » أول من قدم وصفا له يحوي الكثير من الدقة ويمجد مزايا خشبه، الذي كان مبحوثا عنه من أجل صناعة هياكل المباني والرياشة « L'ébénistre » حيث قال عنه ما يلي: " التيون« Thyon » والمعروف باسم التويا « Thuya » . . ..يشبه السرو من حيث الأغصان، الأوراق، الجدع، الثمار، والأصح أنه مثل السرو البري...وننوه كذلك أنه أستغل منذ القدم في صنع بعض الأسقف(الغماء)، خشبه عامة غير قابل للتعفن، لكن الجزء الأكثر جودة هو الجدع، الذي تنحت منه الأشياء الأكثر إتقانا " [2]، وما يستشف من هذه الفقرة، أن أول مرة أستغل فيها خشب العفص الذي أطلق عليه الإغريق اسم التويا « Thuya » كان كمادة للبناء، كما أن ورود عبارة "الأشياء الأكثر إتقانا" بآخر الفقرة دون تحديد أنواعها، يحمل إيحاء لما سيكون له من صيت وشهرة لا نظير لها خلال الفترة الرومانية، في صنع التحف الثمينة [3] .

فكان لابد من انتظار القرن الأول الميلادي، لتحديد هوية هذه الأشياء، التي لقيت رواجا كبيرا في العالم الروماني، وأصبحت رمزا للثراء والبذخ الفاحش، ألا وهي موائد العفص، التي أتى على ذكرها أغلب الكتاب اللاتينيين وفي مقدمتهم بلينوس الكبير « Plinus » الذي أفرد عددا من فقرات كتابه الثالث عشر من مؤلفه التاريخ الطبيعي، للحديث عن شجرة التويا، المعروفة باسم « Citrus » لديهم، متطرقا فيها إلى أشهر من امتلك أو اقتنى موائد العفص من ملوك وساسة، مع ذكر أوصافها، أحجامها وأثمانها التي كانت تساوي ثروة حقيقية تقدر بآلاف السيسترس« Sestreces » [4*]

---

[1]Homère, Odyssée, V, 59 ; Plinus, *H.N.,* XIII, 1.
[2]Théophraste, *H.P.,* V, 3, 7.
[3]Amigues (S.), *Études de botanique antique,* Paris, De Bocard, 2002, p. 268-269.
[4] Plinus, *H.N.,* XIII, 29.
* سأتطرق إليها بكثير من التفصيل خلال الفصل الرابع، ضمن الصناعة الخشبية – صناعة الأثاث

ومن جهة أخرى أشار لوكانوس « Lucanus » لغابات العفص، التي تعتبر على حد تعبيره أغلى ما يملكه الموريون، الذين يجهلون حسبه قيمتها، مكتفين بالاستراحة تحت ظل أوراقها وأن الفضل في استغلال هذه الغابات المجهولة، يعود إلى السواعد الرومانية التي حملت الفؤوس، للبحث عن ما يصنع البذخ الروماني المتمثل في موائد الولائم، والذي تطلب الذهاب إلى أقصى حدود العالم [1]، ولابد من الوقوف هنا برهة للإشارة، أن ما ذكره لوكانوس« Lucanus » في حق سكان المنطقة بإلصاق صفة الجهل والخمول بهم، فيه كثير من التجني، لذا فلا بد من التذكير بأن الرومان هم من كان وراء استنفاذ شجر العفص من جبال الونشريس « Ancorarius » بالكامل على عهد بلينوس الكبير « Plinus » حسب ما جاء في شهادته [2]. هذا وقد تطرق لوكانوس « Lucanus » إلى وصفها في موضع أخر من شعره قائلا: "وُضعت على أثفية مصنوعة من أنياب الفيل البيضاء، موائد دائرية من خشب جبال الأطلس، وهي من الجمال لدرجة أن قيصر لم يرى مثلها حتى بعد انتصاره على يوبا" [3].

كما كانت محل إشادة بترون « Pétrone » [4] ومارتياليس« Martialis » الذي أتى على ذكرها أكثر من مرة ضمن أشعاره، حيث قال: "...من أجل رؤية مائة مائدة موريطانية تقف على أرجل عاجية ليبية... " [5]، " ليس هناك هدية أجمل من استلام مائدة عفص من غابات الأطلس" [6]، "مائدة القيقب(تتكلم): حقيقة أنه ليست لي عروق، ولا ابنة غابات موريطانيا، لكني لكني وجدت نفسي بأفخر الولائم" [7]، "أنياب الفيل(تتحدث)، رفعت هذه الأنياب ثيرانا ثقيلة، وتسأل، إذا كان بمقدورها رفع موائد العفص الليبية؟" [8].

---

[1]Lucain, *Pharsale,* IX, 426-430
[2]Plinus, *H.N.,* XIII, 29, 3
[3]Lucain, *Pharsale,* X, 144-145.
[4]Pétrone, Satiricon, 119.
[5]Martiale, *Épigrammes,* IX, 23.
[6]*Id., Ibid.,* XIV, 89.
[7]*Id., Ibid.,* XIV, 90.
[8]*Id., Ibid.,* XIV, 91.

وقد صنف العفص من قبل علماء النبات ضمن فصيلة السرويات « Cupressaceae » ، وهو شجر متوسط الطول إذ لا يتعدى علوه الخمسة عشرة متر، في حين يقدر قطر جدعه بمتر واحد، ذو نمو جد بطيء، مدغل، تاجه كثيف إلا أنه لا يعطي ظلا كبيرا [1] والذي يصبح هرمية الشكل مع تقدمه في السن، جدعه متعرج ومتفرع من القاعدة [2]، يحمل شقوقا طولية، أغصانه خضراء مسطحة ومفصلية، تلتصق بها أوراق حرشفية، متراكبة فوق بعضها ومتقابلة مثنى مثنى، أزهارها وحيدة المسكن بيضاوية أو مخروطية الشكل، غالبا ما تتواجد بأطراف الأغصان منفردة، تظهر في الخريف على هيأة ازهرات هرّية [3] لتصبح ثمارا خلال الصيف في شكل صنوبرات كروية ذات لون أخضر مزرق مكسوة بجبب، تملك كل ثمرة أربعة حراشف قلبية الشكل، تحوي بذورا لكل منها جناحين عريضين [4].

وما يميز شجر العفص عن باقي جنس المخروطيات (الصنوبريات)، مقدرتها على إعطاء فسائل جديدة من أصلها، إذا ما تعرض ساقها إلى القطع على مستوى قدمها أو الحرق، وهو ما حمى هذه الشجرة من الانقراض وساعدها على البقاء واحتلال مناطق واسعة من شمال إفريقيا. تنمو تقريبا بكل أنواع الأتربة كالكلسية والصخرية الفقيرة المتكونة من القرانيت، الشيست والكوارتز لكنها بالمقابل تتحاشى التربة الثقيلة والمناخ الرطب [5]، ويبدأ مجال انتشارها ابتداء من المناطق الساحلية إلى غاية علو ألف ومائة متر، وذلك بالروابي التلية والسفوح الجبلية، من بلاد

---

[1] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 108 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 91.

[2] Amigues (S.), *Commentaire du livre V, Ch.3, du Théophraste, recherche sur les plantes , 3,* Paris, les belles lettres, 1993, p. 72.

[3] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 108 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 34 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 91.

[4] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 109 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 34 ; Amigues (S.), *Commentaire du livre V, Ch.3, du Théophraste, recherche sur les plantes, op.cit., 3,* p. 72

[5] Terras (M.), Labani (A.), Khiloufi (B.), Adda Hanifi (N.), Dynamique phytoécologique du Thuya de Berberie face à l'incendie, *Forêt méditerranéenne*, XXIX, n°1, 2008, p. 34 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 91

القبائل شرقا إلى غاية الجهة الوهرانية غربا [1]، مع تسجيل غياب كلي لها بالمنطقة القسنطينية [2]، وهي تتربع على مساحة تقدر بمائة وثلاثة وأربعون ألف هكتار، محتلتا بذلك المرتبة الرابعة بعد الصنوبر البحري، البلوط الأخضر والبلوط الفليني [3].

2 -3- الصنوبر « Pinus »

تضم تشكيلة شجر الصنوبر ما يقارب مائة وعشرون نوعا، تشترك في بعض الخصائص كونها دائمة الخضرة، ذات ارتفاع كبير، تاج مخروطي الشكل في الغالب وأغصان دوارية وأفقية، لها أوراق إبرية مجتمعة في غمد بمعدل اثنتين، ثلاثة ، أربعة أو خمسة أوراق، تتجمع أزهارها في مخاريط ذكرية وأخرى أنثوية محمولة على نفس الشجرة، ثمارها على شكل مخاريط بيضاوية- أسطوانية الشكل تسمى " بالصنوبرة" تتألف من حراشف متراصة بكل منها بذرتين مجنحتين بيضاويتي الشكل [4] (الصفحة - الصورة رقم 19)، ومن أشهر أنواع الصنوبر المنتشر في الجزائر، ثلاثة وهم:

2-3-1 الصنوبر الحلبي « Pinus halepensis »

قام تيوفراست « Téophraste » بذكر أهم ميزات الصنوبر الحلبي قائلا: "والظاهر أن الفرق بين الصنوبر الحلبي والصنوبر الأسود، يكمن في مظهره البراق، وخفة كثافته، قامته المتواضعة جدا، ساقه الأقل استقامة، أزد على ذلك حمله لصنوبرات صغيرة جدا أكثر انتصابا، أما لوزه فجد راتنجي ، وخشبه فاتح يشبه خشب التنوب وهو ليس بدبق (لزج) على الإطلاق، وإليك نقطة أخرى تجعله متميزا تماما عن الصنوبر

[1] Terras (M.), Labani (A.), Khiloufi (B.), Adda Hanifi (N.), Dynamique phytoécologique du Thuya de Berberie face à l'incendie, *loc.cit.,* p. 34, Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 109.
[2] Amigues (S.), *Commentaire du livre V, Ch.3, du Théophraste, recherche sur les plantes, op.cit., 3,* p. 71.
[3] Terras (M.), Labani (A.), Khiloufi (B.), Adda Hanifi (N.), Dynamique phytoécologique du Thuya de Berberie face à l'incendie, *loc.cit.,* p. 33.
[4] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 969 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 87.

الأسود، إذ يعتقد البعض، أن هذا الأخير لا ينمو مجددا إذ ما احترقت جذوره عكس الصنوبر الحلبي " [1].

وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة حلب السورية، رغم أنه قليل الوجود بمنطقة شرق المتوسط، إذ يعتبر الجزء الغربي منه الموطن الرئيسي لانتشاره، يتصف بارتفاعه البالغ العشرين متر، وبمحيط جدعه المقدر بمتر ونصف والذي يكون ملتويا ومتعرجا مكسوا بلحاء رمادي فضي في سنين عمره الأولى ليصبح محمرا مع تقدمه في السن، يحمل شقوقا وحراشف [2]، والذي يكون غنيا بالصباغة [3]، ويمتد التغيير الفزيولوجي إلى تاجه كذلك، الذي يكون مخروطي الشكلفي الصغر ليصبح غير منتظم، ممدد وعار من الأسفل في الكبر. فروعه رفيعة وقليلةالكثافة، تحمل أوراقا إبرية خضراء فاتحة بمعدل ورقتين في كل غمد [4].



الصورة (19): شجرة الصنوبر.

ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم، Arabe 2771، ورقة رقم، 806.

---

[1] Théophraste, *H.P.,* III, 9, 5.
[3] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 992 ; p. 998 ; Maire (R.), F. A. N., *op.cit.,* 1, p. 141.
[3] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 1001.
[4] *Id., Ibid.,* p. 972 ; Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 141.

يقدر طول الورقتين مـا بين عشرة وستة عشرستيمتر [1]، تتميزان بكونهما نحيلتان ومرتخيتان، ذات تسنن خفيف ورأس صلب، تدومان لمدة سنتين.أما أزهارها فمتطاولـة وأسـطوانية الشـكل، تزهر خلال فصل الربيع، لتمنح ثمارا في خريف السنة الموالية، في حـين أن صـنوبرياتها (ثمارهـا) فمعلقة تميل نحو الأسفل، لها حراشف مصفرة، تبقى ملتصقة بالفروع لعـدة سـنين، تحـوي بـذورا رمادية مبقعة بالأسود ذات أجنحة بنية [2].

ينمو الصنوبر الحلبي في شكل غابات بالمناطق ذات المنـاخ الجـاف والشـبه الجـاف، في التربـة الكلسية أو الفقيرة كالصخور، حيث لا يتطلب عيشه الكثير من الرطوبة، بـل علـى العكـس مـن ذلك، فهو حساس جدا للبرد، وضربات الصقيع المفاجئة، حيث يصادف وجوده بالمناطق الداخلية الشرقية من سوق أهراس، الونزة، الأوراس، بلزمة، جبال الحضنة، البيبان، وبالجهة السـاحلية مـن بجاية إلى غاية وادي أغريون وبالمنطقة الغربية من السـاحل فالهضـاب العليـا وصـولا إلى الأطلـس الصحراوي [3].

2-3-2-الصنوبر البحري « Pinus pinaster »

أوفـى تيوفراسـت « Téophraste » الصـنوبر البحـري حقـه مـن الوصـف، وهـذه بعـض المقتطفات التي أتت على ذكر أهم خصائصه،"يضم الصنوبر نمـوذجين أحـدهما مـزروع والآخـر بري، وبدَوره هذا الأخير يشمل نوعين همـا صـنوبر إيـدا« Ida » والصـنوبر البحـري... القليـل الكثافة، عديم الصلابة وذو اللحاء الأملس المستعمل في دباغة الجلود، وهو ما يتفرد بـه عـن بقيـة الأنواع، أما فيما يخص إبره(أوراقه) فهي دائرية، تنفتح واسـعا بسـرعة...خضـراء...وخشـبه أكثـر صلابة" [4].

في حين وصفه بلينوس الكبير « Plinus » قائلا:" الصنوبر البحـري مـا هـو إلا نـوع مـن الصنوبر البري يتمتع بارتفاع جد رائع، كثيف ابتداء من الوسط ... يعطي الكثير من الراتنج ونجده

---

[1] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 39.
[2] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 141 ; Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 998.
[3] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 141.
[4] Théophraste, *H.P.,* III, 9, 1.

بالسهول" [1]. هذا وقد أوصى المهندسون على ضرورة صنع قنوات نقل المياه من خشب الصنوبر فبردمه في التراب يدوم لعدة سنوات [2].

هذا ويصل طول هذا النوع من الصنوبريات عندما يتقدم به العمر إلى ثلاثين متر، وبمحيط جدع يتراوح من أربعة إلى خمسة أمتار، يكتسب خلالها لحاؤه السميك لونا أحمرا بنفسجيا، ذا أثلام عميقة حمراء اللون، عكس ما يكون عليه في الصغر والتي يكون خلالها رماديا، إلى جانب تمتعه بتاج هرمي والذي يصبح غير منتظم وممدد عندما يشيخ، أوراقه الإبرية قاسية، خضراء داكنة أو مزرقة، شوكية لامعة، مزدوجة في الأغماد تدوم فوق الأغصان لمدة ثلاث سنوات [3]. أزهاره أحادية المسكن، تكون فيه الذكرية صفراء اللون، بأسدية على شكل حراشف في سنابل كثيفة أما الأنثوية فتمتلك حراشف حمراء أو بنفسجية، تزهر خلال الربيع ولا تصبح مثمرة إلا في خريف السنة التالية [4]، أما صنوبره (ثماره) فكبير الحجم ومدبب الشكل، يكون ممددا أو منتصبا على الفروع، حيث يتراوح طوله من عشر سنتيمترات إلى ثمانية عشر سنتيمترا، يتألف من حراشف هرمية الشكل بها بذور سوداء مجنحة. ويعتبر أكثر أشجار الصنوبر الغنية بالراتنج، إذ يحتوي خشبه الأحمر على أقنية عديدة وكبيرة جدا يمكن مشاهدتها بالعين المجردة على شكل خطوط حمراء [5]، يألف التربة الكلسية والرملية حيث لا يتطلب نموه أتربة غنية [6]. ينتشر بنواحي القالة [7].

2-3-3- الصنوبر الموريطاني « Pinus mauritanica »

يعتبر الصنوبر الموريطاني أحد أنواع الصنوبر الأسود المعروف في العالم يتميز بطوله الفارع البالغ العشرين متر [8]، ويمكن أن يتجاوز هذا الرقم بكثير ليصل علوه الخمسين متر [1]، أما محيط

[1] Plinus, *H.N.,* XVI, 17.
[2] *Id., Ibid.,* XVI ,81.
[3] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 141 ; Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 990.
[4] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 144210 حسان قبيسي، معجم النباتات والأعشاب الطبية، نفس المرجع، ص.
[5] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 141 ; Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 973 ; p. 994.
[6] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 991.
[7] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 144
[8] Maire (M.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 147.

محيط جدعه المستقيم، فيقدر بخمسة وسبعون سنتيمتر، يتسم بأوراق لينة مقوسة أو مستقيمة، تكون كل اثنتين في غمد واحد، حيث يتراوح طولها ما بين ثمانية وخمسة عشر سنتيمتر، الصنوبرة (الثمرة) صغيرة لا يتعدى طولها السبع سنتيمترات، يحتوي خشبه على أقنية راتنجية عديدة [2]، تلمح هذه الشجرة بالغابات الجبلية المتوسطة الارتفاع، والتي تكون تربتها كلسيه وذات مستوى رطوبة عال، حيث نجدها محصورة بجبال جرجرة بأعالي قمة تيقونتيف، و عدد منها مشتت بطويلات [3].

2 -4- التنوب النوميدي « Abies numidica »

قال بلينوس الكبير « Plinus » في شأن التنوب أو شجر الشوح كما هو معروف عند البعض الآخر ما يلي: " تكمن قوة خشب التنوب في وضعيته العمودية، فهو جيد لصنع ألواح الأبواب والعديد من أشياء النجارة". [4] ويضم هذا الجنس عدة أنواع نادرة في منطقة المتوسط وأخرى واسعة الانتشار، تتوزع بالمناطق المعتدلة من النصف الشمالي للكرة الأرضية، أما فيما يخص شمال إفريقيا، فإننا نجد نوعان محليان هما التنوب المغربي « Abies maroccana » الخاص بالمغرب الأقصى [5]، التنوب النوميدي« Abies numidica » ، بالجزائر، ويتصف هذا الأخير بحجمه المتوسط، حيث يقدر طوله في الغالب ما بين عشرين وخمسة وعشرين متر، وبمحيط جدع يصل إلى متر ونصف، ذو لحاء رمادي أملس في الصغر، ليصبح مكسوا بقشرة مشققة حرشفية ذات لون بني أسمر عند الكبر، تاجه مخروطي الشكل مسطح القمة، يمتلك أغصانا عديدة دواريه وعمودية يتراوح لونها بين الأخضر الزيتوني والبني، أجردة، ذات تشققات خفيفة. [6]

---

[1] عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 89.

[2] Maire (M.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 147.

[3] *Id., Ibid.,* p. 147 ; *Atlas des parcs nationaux Algériens,* publié par le parc national de Théniat El Had, Tissemsilt, 2006, p. 21.

[4] Plinus, *H.N.,* XVI, 82.

[5] عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 86 -87.

[6] Maire (R.), *F.A.N., 1, op.cit.*, p. 130 ; p. 132 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 38 ; Siziani (Y.), Le Sapin de Numidie, Agence nationale pour la conservation de la nature, *www .uicmned.org/web/Documents /awarensess/44, PDF,* p. 1.

أوراق التنوب النوميدي « Abies numidica » دائمة الخضرة إبرية الشكل، كثيفة وقصيرة حيث يتراوح طولها ما بين الواحد والاثنان سنتيمتر، مستديرة الطرف ويابسة، تتوزع حول الفروع، متجهة كلها نحو الأعلى، ذات لون أخضر داكن، بوجهها السفلي خطان أبيضان. يزهر شجر التنوب خلال فصل الربيع ولا تكون ثماره الأسطوانية ناضجة، إلا خلال خريف السنة المقبلة، والتي تكون متطاولة وأسطوانية الشكل حيث يقدر طولها من ثلاثة عشر سنتيمتر إلى عشرين سنتيمتر [1].ينحصر تواجده بجبال البابور بجهة بلاد القبائل الشرقية على ارتفاع ألف وثلاثمائة متر بالمستويات الجبلية الرطبة، مختلطا بشجر الزان كما يصادف بسفوح تابور [2].

2- 5- العرعر « Juniperus»

يحتل شجر العرعر مكانة هامة، ضمن المشهد الطبيعي للجزائر (الصفحة 153 – الصورة رقم 20)، حيث يتواجد ابتداء من الكثبان الرملية الساحلية شمالا إلى غاية حواف الصحراء جنوبا، إذ يعد إيكولوجيا أحد أهم الأشجار الخاصة بحوض البحر الأبيض المتوسط، وبحكم انتشاره بجميع أنواعه المختلفة في المنطقة، فقد كان خشبه منذ القدم ولا زال مادة خام كبيرة، استخدمت في مجالات وصنائع عديدة، كالصناعة الحربية مثلا، فقد أشار الشاعر "كوريبوس" « Corippus » إلى أن الفرسان الموريين كانوا يحملون معهم زوجا من الرماح المصنوعة من خشب العرعر الصلب [3]، كما ورد ذكره بأدبيات الجغرافيين والرحالة العرب من أمثال: أبي عبيد الله البكري [4]، وهناك أربع أربع أنواع منه تستوطن الجزائر وهي:

2-5-1- العرعر الفينيقي « Juniperus phoenicea »

يعرف كذلك باسم العرعر الأحمر، يتراوح علوه ما بين متر واحد وثلاثة أمتار عموما، لكن من الممكن أن يبلغ ارتفاعه من ثمانية أمتار إلى عشرة أمتار، في حين يقدر محيط جدعه بستين

[1]Maire (R.), F.A.N., 1, p. 132 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 38 ; Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, *op.cit.,* p. 97.
[2]Maire (R.), *F.A.N.*, *op.cit.,* 1, p. 132 ; Siziani (Y.), Le Sapin de Numidie, Agence nationale pour la conservation de la nature, *loc.cit.,* p. 1-2.
[3] Corippe, *Johannide,* II ,150.
[4] أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، نفس المصدر، ص. 254.

سنتيمتر، معمر ووحيد المسكن [1]، يتميز بتاج مخروطي الشكل وكثيف، جدع قصير، له قشرة ذات لون أسمر داكن أو رمادي بني ومشققة طوليا وليفية [2]. أغصانه كثيفة جدا تتخذ شكلا أسطوانيا ولونا بنيا عندما تكون فتية، يمتلك أوراقا إبرية حرشفية، شائكة مثل بقية أنواع جنسه، متقابلة، مفصلية وكضرية عليها حبب مزرق، تأتي ملتصقة بالأغصان، وهي دائمة الخضرة [3]، ثماره حمراء تميل إلى السواد متطاولة وغير منتظمة الشكل [4]، يزهر خلال فصلي الشتاء والربيع ولا يعطي ثمارا إلا في غضون صيف السنة المقبلة، يحبذ التربة الصخرية، حيث نجده بكثرة بالهضاب العليا والأوراس، وناذر الوجود بجبال البابور [5].



الصورة(20): شجرة العرعر.

ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم، Arabe 2771، ورقة رقم، 821.

[1] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 144 ; Gast (M.), Quezel (P.), Genévrier, *E.B.,* XX, 1998, p. 3017.

[2] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 144 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص.94.

[3] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 115 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 34

[4] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 115 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 94.

[5] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 115 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 36 ; Gast (M.), Quezel (P.), Genévrier, *loc.cit.,* p. 3017.

2-5-2- العرعر الفواح « Juniperus thunifera »

نعت بهذا الاسم نسبة للرائحة العطرة التي تنبعث من خشبه وأوراقه، وهو من الأنواع المهددة بالانقراض، يمكن أن يفوق علوه العشرين متر، وأن يبلغ محيط جدعه الخمسة أمتار، والذي يصبح أعوجا مع تقدمه في السن، معمر، أحادي أو ثنائي المسكن ومدغل، يمتلك أوراقا إبرية، حرشفية الشكل متقابلة مثنى مثنى [1]، يزهر خلال فصل الربيع متخذا شكل مخاريط هرمية بيضاوية الشكل، ولا يعطي ثمارا إلا في خريف السنة المقبلة وهي ليست شبكية الشكل، تتمتع بلون أخضر مزرق [2]، نجده حاضر بالمناطق التي يتراوح ارتفاعها ما بين ألف وسبعمائة متر وثلاثة آلاف ومائتي متر كأعالي جبال الأوراس وجرجرة [3].

2-5-3- العرعر الكادي « Junipérus oxycedus»

يقدر طوله بعشرة أمتار ومحيط جدعه بمتر واحد الذي يكون جد متفرع، ثنائي المسكن، أوراقه ممددة إبرية الشكل، يبلغ طولها ما بين واحد وثلاث سنتيمترات، يظهر على وجهها العلوي خطان أبيضان، في حين يحمل وجهها السفلي كُضَر، تُزهر خلال فصل الربيع، متخذة شكلا كرويا أو بيضاويا، ولا تظهر ثمارها إلا في خريف السنة المقبلة فتكون ذات لون أحمر [4].

2-5-4- العرعر الشائع « Junipérus communis »

يعتبر هذا النوع الأصغر ضمن جنسه، إذ لا يتعدى طوله المترين والنصف، ذو دغل كثيف، ثنائي المسكن، تغطي جدعه قشرة رمادية خشنة، تظهر أغصانه على شكل حزمة منتصبة

---

[1] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 36 ; Gast (M.), Quezel (P.), Genévrier, *loc.cit.,* p. 3018 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص.95.

[2] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 116 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 36 ; Gast (M.), Quezel (P.), Genévrier, *loc.cit.,* p. 3018 ;عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص.95.

[3] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 38 ; Gast (M.), Quezel (P.), Genévrier, *loc.cit.,* p. 3018.

[4] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 111 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 34 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص.95

يكون لونها في البداية بني فاتح، لتكتسب فيما بعد مع تقدمها في العمر لونا رماديا-بنيا ولحاء مشقق طوليا وحرشفيا ، أوراقه هو الآخر إبرية دائمة الاخضرار يابسة، ممددة وكثيرة الكضر بجهتها السفلية في حين لا تحمل جهتها العلوية سوى خطا أبيض واحد، عكس العرعر الكادي [1].

تظهر أزهاره الصفراء خلال شهر أبريل وماي، صغيرة الحجم، تتجمع في شكل قدد عند إبط الأوراق ولا تصبح مثمرة إلا في خريف السنة المقبلة فتكون خضراء ومن ثم زرقاء داكنة، مكسوة بجبب وتحمل بأعلاها شقا نجميا [2]، ويتواجد هذا النوع بكامل أنحاء الجزائر بالكثبان الرملية الساحلية، الهضاب والجبال [3].

2- 6- الطقوس «Taxus baccata»

استغل خشب الطقوس قديما من أجل صنع الأقواس لتميزه بالصلابة والليونة معا [4]، ويعد حاليا من الأشجار النادرة جدا بحوض البحر الأبيض المتوسط، ومع هذا لا يزال منتشرا ببعض جهات البلاد، بمنطقة القبائل الكبرى والصغرى، ومن سكيكدة إلى غاية الحدود التونسية، وبالجنوب القسنطيني [5].

وينتمي هذا النبات إلى صف الصنوبريات، رتبة السرويات، فصيلة الطقسوسيات، يتميز بمنظره الهرمي والذي يصبح مع الوقت غير منتظم، يتراوح ارتفاعه ما بين العشرة والعشرين متر، ويقدر محيط جذعه بمتر واحد، والذي يكون مخددا في الغالب و بني محمر، أغصانه أفقية، تتموضع عليها أوراق دائمة الخضرة خيطية الشكل، مشتتة، موزعة في اتجاهين متقابلين، تمتلك سويقات جد صغيرة، مستدقة ومرتخية الرأس، ثمارها لحمية كثيرة العصارة، تتخذ لونا أحمر عند النضوج بها

[1] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 110-111 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 96.
[2] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 110-111 ; حسان قبيسي، النباتات والأعشاب الطبية، نفس المرجع، ص. 228
[3] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 36
[4] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. 106 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 33-34 ; Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, *op.cit.,* p. 76.
[5] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit., 1*, p. 34.

نواة واحدة ذات لون أخضر زيتوني، يزهر خلال شهر مارس وأبريل، حيث يطلق إزهار الذكري لقاحا يشكل سحابة بيضاء في الهواء. [1]

ثانيا - الأشجار المثمرة

1- التين « Ficus carica »

يرى غزال « Gsell » ومن تبنى طرحه أن شجرة التين (الصفحة 157- الصورة رقم 21) وجدت في شكلها البري في شمال إفريقيا منذ القدم**، وأن الفينيقيين، هم من كان وراء عملية زراعته عن طريق جلب أصناف جديدة من المشرق، واستخدام تقنية التأبير التي نقلوها إلى المنطقة ولقنوها لليبيين [2]، وبالرغم من أن هذا الرأي يحمل شطرا من الحقيقة، كون شجرة التين إحدى أنواع الأشجار الأصيلة بالمنطقة إلى جانب شجرة الزيتون، الكروم، اللوز والرمان، إلا أن شطره الثاني فيه تجني كبير في حق سكان المنطقة، إذ لم يعد من المقبول الأخذ بالصورة النمطية التي رسمها المحتل الفرنسي بمنظريه ومفكريه عن شعوب المنطقة، ونقلها ضمن البحوث والرسائل الجامعية وكأنها مسلمات وحقائق ثابتة، واعتبار الفرد الجزائري خاصة والمغاربي عامة، إنسانا بدائيا، جاهلا، غير خلاق، وغير ذلك من الأوصاف والنعوت التي تحط من شأنه وقيمته، وكأنه بحاجة دائمة إلى معلم يأتيه من وراء البحار، لينتشله من براثين الجهل، ويعلمه أبسط أساسيات الحياة وأسهل التقنيات الصناعية والزراعية.

وبالمقابل هناك من الباحثين من حاول أن ينأ بنفسه عن هذا الرأي، ويكون أكثر موضوعية من أمثال غبريال كامبس « Camps » حيث يقول في هذا الصدد ما يلي: " أعترف أنني لا أفهم لماذا التمسك بالقول في موضوع شجر التين...أن البونيين هم من كان وراء تعليم زراعة هذه الشجرة الأهلية في وضعها البري، وأنهم علموهم على الخصوص تأبير التين، الذي لا يزال في بلاد البربر

---

[1] Maire (R.), *F.A.N., op.cit.,* 1, p. p106 ; Russel (T.), Culter (C.), *L'encyclopédie mondiale des arbres*, *op.cit.,* p. 74.

* الحقبة الجيولوجية الثالثة

[2] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* IV, p. 31.

إلى الآن، وكأن الإخصاب لا يمكن أن يتم طبيعيا** وكأن البربر كانوا في حاجة له، منتظرين التعليم البوني، راضين بصحة ممارسة التأبير ليعملوا به، وبالتالي التفكير في أن كل التقنيات الفلاحية حتى البسيطة منها كلها أجنبية عن بلاد البربر، وأن هذا الشعب مجرد تماما من أي مبادرة لا أساس له" [1].



الصورة (21): شجرة التين.

ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم، Arabe 2771، ورقة رقم، 806.

أغرم الرومان كثيرا بالتين الإفريقي « Ficus africana » منذ أيام السيناتور كاتون « Caton » الذي وظفه كحجة من أجل إقناع مجلس الشيوخ بضرورة إعلان الحرب على العدو القرطاجي، الذي يقبع بالقرب من روما، سائلا إياهم ، هل " يمكنكم التخمين متى قطفت هذه الفاكهة ؟...إذن فعلموا أنها كانت في قرطاجة منذ ثلاثة أيام، فكم هو العدو قريب من جدراننا" [2]

** تعتبر حشرة آبرة التين « Blastophaga psenes » المسؤول الأساسي على تلقيح أزهار التين للمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 109.

[1] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 175.

[2] Plinus, *H.N.,* XV, 20, 1.

وقد أوصي بزرعه إلى جانب تين قاديس « Cadix » وساغنطة « Sagante » في الأرض الخصبة أو الصلبة [1] ، هذا ويشير بلينوس الكبير « Plinus » على ضرورة غرس تين المستنقعات بالأراضي الطباشيرية أو المكشوفة، وعلى أن يغرس التين الإفريقي، الهرقلي والساغنطي والشتوي بالتربة الخصبة أو المسمدة [2].

وكان يأكل التين إما طازجا أو مجففا، حيث يمكن الاحتفاظ به لفترات أطول واستهلاكه في غير موسمه. وفي هذا الموضوع خصص كولومال « Columelle » الفصل الخامس عشر من الكتاب الثاني عشر، من مصدره « De re rustica » لطرق تجفيف وحفظ التين، فبعد قطف التين يوضع على حصائر من القصب ليجفف على أشعة الشمس لأيام ليجمع وهو لا يزال ساخنا في أوعية مدهونة بالقطران، بين طبقتين من الشمار اليابس ومن ثم تغلق بإحكام وتوضع في مخازن جافة. في حين كان يفضل البعض بعد قطفه واقتلاع ذيله، القيام بتجفيفه جزئيا على ضوء أشعة الشمس، ليجمع لاحقا في أحواض من الفخار أو الحجر ليضاف إليه السمسم (الجنجلان)الحمص، بذور الينسون، الشمار والكمون، ومن ثم يداس بالأقدام المغسولة، حتى يصبح عجينة، يلف بعدها في أوراق التين ويربط بواسطة الأسل أو أي عشب آخر، ويفرش على حصائر ليجف من ثم يخبىء في مزهريات مطلية بالقطران، أما البعض الآخر من الأفارقة والإسبان، فكان يكتفي بشق التين بواسطة قصبة قاطعة أو بواسطة الأصابع، ليجفف ومن ثم يُرص في مزهريات وذلك بعد تسطيحه [3].

وفي ذات السياق ذكر فارون « Varron » قائلا:"...في هذه الحالة نصف التين الصالح للأكل والمجفف جيدا في حبال صغيرة، مربوطة في شكل سلاسل، وبالإمكان جعلها في رزم وإرسالها أينما شئنا، ويكفي وضعها في التربة من أجل الحصول على مشتلة من أشجار التين، لهذا تين شيو (Chio) وشالكيس(Chalcis) (منطقتين تقعان ببحر إيجه)، ليديا (Lydia) (مقاطعة بآسيا

[1] Caton, *De l'agriculture,* VIII, 1.
[2] Plinus, *H.N.,* XV, 19, 4.
[3] Columelle, *De l'agriculture,* XII, 15.

الصغرى)، إفريقيا وعدد من أقطار ما وراء البحار قد هاجرت إلى إيطاليا"[1]. كما لم تكن الاحتفالات والأعياد الدينية الرومانية كاحتفاء بالإله ساتورنوس « Saturnus » تخلو من شتى أنواع الأطعمة والفواكه ذات الجودة العالية، التي جادت بها مختلف مقطعات روما، والتي شكل التين الليبي أو الإفريقي أهمها[2]، هذا وأشار بترون « Pétrone » خلال حديثه عن صُوَر البروج إلى رسم برج الأسد المتوج بتين من إفريقيا « Super leonem Ficus Africana »[3]. وكم كان هو رائع تسلم شخص لمزهرية مملوءة بتين معقد قادم من ليبيا[4].

هذا ويعتبر شجر التين من الناحية العلمية النوع الوحيد، الذي يمثل جنس فيكوس « Ficus » في المنطقة المتوسطية، والمنتمي إلى صنف التوتيات « Moraceae » وهو عبارة عن شجيرة يتراوح طولها عادة ما بين ثلاثة وأربعة أمتار، حوافها مدغلة، جدعها قصير أعوج في الغالب، تكسوه قشرة ملساء رمادية أو شهباء، أغصانها المتدلية جد قوية، تحتوي كل أجزائها من فروع، أوراق وثمار على حلباب (لبن) أبيض لادغ[5].

تتمتع أوراقها النفضية المتقابلة بسويقات، وهي ذات ملمس خشن، بسبب الزغب الرقيق الذي يكسو سطحها، لها عروق سعفية الشكل وفصوص عريضة عميقة يتراوح عددها ما بين ثلاثة وسبعة فصوص[6]، يمتد طولها من ثمانية إلى خمسة عشر سنتيمتر، أما عرضها فيقدر ما بين أربع وعشر سنتيمترات، وجهها العلي ذولون أخضر غامق جميل، في حين يكون السفلي ذو لون أخضر باهت[7]، أزهارها العديدة، ثنائية المسكن ووحيدة الشبق*، محبوسة في قرص لحمي أجوف، أجوف، يصل طوله إلى ثماني سنتيمترات، مخضر يميل أحيانا إلى الأزرق المسود، كمثرية الشكل،

[1]Varron, *De l'agriculture*, I, 41.
[2]Martiale, *Épigrammes,* VII, 53.
[3]Pétrone, *Satiricon,* 35.
[4]Martiale, *Épigrammes*, IV, 46 ; VII, 53.
[5] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 587 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 109.
[6] *Id., Ibid.,* p. 587 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 275
[7]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 275 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 109.
* نعت يطلق على الزهرة التي تكون من شق واحد إما ذكري أو أنثوي

والتي تعطي ثمارا تعرف بالتين [1]. ينمو هذا النوع من الشجر ويتأقلم مع جميع البيومناخات، بما فيها الصحراوي، أنواعه كثيرة أشهرها ما يعرف باسم الباكور، ذو الحجم الكبير، الشتوي الكروي الشكل، ذو اللون الأخضر الضارب إلى الرمادي أو الأحمر، والتين الأسود طويل الشكل [2].

2- اللوز « Prunus amygdalus »

يشكك الكثير من الباحثين في وجود شجرة اللوز ببلاد المغرب القديم قبل مجيء الفينيقيين (الصفحة 161- الصورة رقم 22)، مانحين هؤلاء الأخرين كالعادة الريادة في عملية جلبها من آسيا الغربية وزرعها بالمنطقة [3]، بالرغم من أن لا شيء حتى الآن يدعو إلى الاعتقاد بأنها ليست شجرة أهلية ببلاد البربر على حد تعبير كامبس « Camps » [4]، بل على العكس من ذلك، فالخصائص المميزة لهذه الشجرة والمشجعة على التكاثر والازدهار تتناسب وطبيعة تربة المنطقة والظروف والظروف المناخية التي ساقها الكتاب اللاتينيون أثناء تطرقهم لطرق زراعة شجر اللوز من جهة، والتي استندوا فيها على أدبيات ماغون القرطاجي من جهة ثانية، فجاءت معلوماتهم حولها متشابهة إلى حد كبير، والتي سأقدمها بصفة مجملة.

حيث أوصى كل من كولومال « Columelle » بالاديوس« Palladius » وبلينوس الكبير « Plinus » . بزرع شجر اللوز خلال شهر جانفي وفبراير بصفة عامة، لا لعلة سوى أنه يزهر قبل كل الأشجار، ويفضل أن يكون ذلك في التربة الصلبة الجافة والصخرية أين يكون المناخ جد حار، يكون فيها موجها نحو الجنوب، فهو يعدو عقيما ويموت إذا ما بذر في التربة الخصبة أو الرطبة، وقبل موعد الزرع لا بد من نقع حبات اللوز في الماء المعسل الكثير العذوبة، أو في نبيذ

---

[1] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 587 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales, 1, op.cit.,* p. 275 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 109.

[2] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales, 1, op.cit.,* p. 275 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 109.

[3] Evreinoff (V.A.), Quelques observations biologiques sur l'amandier, *Revue international de botanique appliqué et d'agriculture tropicale*, 359-360,1952, p. 443-445.

[4] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 177.

العسل المخفف ليوم واحد وإما تغطيسها في الروث (الدبال) السائل لمدة ثلاثة أيام، ومن ثم توضع في الحفر ثلاثة بثلاث في شكل مثلث تكون فيه حبات اللوز متباعدة عن بعضها البعض مقدار شبر واحد، ترش بعدها كل عشر أيام حتى تنبت.[1]



الصورة (22): شجرة اللوز.

ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم، Arabe 2771، ورقة رقم، 603.

بالرغم من عدم ذكر خبراء الزراعة الثلاث السالفي الذكر، لاسم المنطقة بصريح العبارة، إلا أن ما سقته سالفا على لسانهم، يدعو إلى الجزم بأن الحديث كان عن شجرة اللوز، أضف إلى هذا احتكامي على نص يعود إلى أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، لمؤلفه عبد الغني ابن إسماعيل النابلسي، صاحب كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة، الذي استند فيه المؤلف على الكثير من المصادر القديمة والوسيطية فجاءت نصائحه حول كيفية زراعة شجر اللوز مماثلة لما ذكره اللاتينيون، لكن الإضافة التي يحملها نصه، هو ذكره للجزائر صراحة حيث يقول:" واللوز يحب

[1] Columelle, *De l'agriculture*, V, 10 ; Palladius, *De l'économie rurale*, II, 15 ; Plinus, *H.N.,* VII, 30,4 ; XVII, 1.

الأرض الرخوة، وينمو فيها والجزائر خير أرض له ويغرس في الجبال لأنه يحب البرودة وكذلك يغرس في الرمل، ويمكن غرسه حبا وذلك بأن ينقع ثلاثة أيام في زبل مبلول ثم يخرج وتوضع كل واحدة في حفرة...وإذا نقع حبه ثلاثة أيام قبل غرسه في الماء والعسل حل طعمه، ولا بأس من وضع ثلاث حبات معا في كل حفرة، وينقل بعد عام إلى الأحواض ثم ينقل بعد عامين إلى محل غرسه واللوز يورق ويزهر قبل الأشجار كلها..." [1].

علاوة على هذا، تنتمي شجرة اللوز إلى عائلة الورديات « Rosacées » ، حيث لا يتعدى ارتفاعها المترين، شبه شوكية، تمتلك جدعا وأغصانا ملساء في الصغر، والتي تتشقق مع تقدمها في العمر، أوراقها نفضية، متطاولة أو بيضاوية الشكل، ذات حواف مسننة، تزهر ورودها في شهر يناير على الأغصان الطرية منفردة، متخذة شكل جرس، خماسية البتلات والسبلات، أما الأسدية فيتراوح عددها ما بين خمسة عشر وثلاثين، لها سيقان معلقية أجردة، يتراوح طولها مابين واحد واثنين سنتيمتر وبيضاء اللون [2]، تختلف ثمار شجر اللوز وبذوره من حيث الشكل، الحجم، قساوة القشرة والمذاق، وذلك بحسب الأنواع، فتكون القشرة مثلا صلبة قاسية لدى البعض ولينة طرية عند البعض الآخر، أما البذور فهي إما حلوة أو مرة المذاق [3]، ينمو تقريبا بكامل التل الجزائري، وبالمناطق الجافة الصحراوية في نطاق الواحات إذا ما سقي [4].

3- الرمان « **Punica granatum** »

تزرع شجرة الرمان تقريبا بكامل المناطق الجزائرية [5] (الصورة 23)، ورغم هذا فهي ليست أصيلة طبيعيا بشمال إفريقيا، حيث يعود أصلها ومهد زراعتها إلى الجنوب الغربي من آسيا الصغرى، ومما لاشك فيه أن الفينيقيين هم من كان وراء إدخالها إلى المنطقة، باعتبارهم أوائل

---

[1] عبد الغني ابن إسماعيل النابلسي، علم الملاحة في علم الفلاحة، مخطوط محفوظ بمكتبة الكونغرس بالولايات المتحدة الأمريكية، ص. 28، المكتبة الرقمية العالمية
Www .wdl .org/ar/item/4271/PDF

[2] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 457-458 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص.134.

[3] نفس المرجع، ص. 135.

[4] نفس المرجع، ص. 135; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 458.

[5] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *1*, *op.cit.,* p. 636.

المكتشفين للحوض الغربي للمتوسط [1*]، أين تأقلمت جيدا مع مناخ المنطقة، لدرجة أن ثمارها اعتبرت فاكهة بونية بامتياز وحملت اسمها حيث عرفت لدى الرومان باسمين هما التفاحة البونية « Mala punica » [2] أو التفاح الرماني « Mala granata » [3] وكُنت شجرتها باسم الشجرة البونية « Arbor punica » [4]، وما هو إلا انعكاس لازدهار زراعتها بالمنطقة، التي قدمت أجود أنواع الرمان والذي لقي رواجا وسمعة كبيرة في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وفي هذا المنحى، يذكر بلينوس الكبير« Plinus » قائلا:" تنمو التفاحة البونية بإفريقيا في نواحي قرطاجة، والمعروفة لدى البعض الآخر باسم الرمان، وهي ذات أنواع، حيث يطلق اسم أبيران« apyrène » على التي لا تملك نواة ليفية وهي أكثر بياضا، وذات بذور لذيذة، تفصلها أغشية قليلة المرارة، أما بقية أنواع الرمان، فتشترك في نفس التركيبة مثل أقراص العسل، وينقسم الرمان ذو النواة، إلى خمسة أنواع: الحلو، اللاذع، المختلط، الحامض والخمري" [5].



الصورة (23): شجرة الرمان.
ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم، Arabe 2771، ورقة رقم، 202.

---

[1] Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, op.cit., 1,* p. 296 ; Gsell (S.), *H.A.A.N, op.cit.,* IV, p. 33 ; Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 682.

[*] يرى الدكتور محمد العربي عقون خلاف ذلك حيث ذكر ضمن تعقيباته حول ما جاء به الباحثون الأجانب في موضوع شجرة الرمان قائلا:" نحن نرد على الجميع، أن فاكهة الرمان أسماها اللاتين التفاح البوني لأن البونيين هم الذين كانوا يسوقونها، والرومان عرفوها بواسطة التجار القرطاجيين ومن هنا جاءت تسميتها بهذا الاسم، وهذا لا ينفي احتمالا كبيرا أنها شمال إفريقية ". أنظر غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 176.

[2] Caton, *De l'agriculture,* VII, CXXVI ; Plinus, *H.N.,* XIII, 34 ; Columelle, *De l'agriculture,* XII, 41, 1.

[3] Columelle, *De l'agriculture*, XII, 41, 1 ; XII, 46, 5-6.

[4] Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, op.cit., 1, op.cit.,* p. 296.

[5] Plinus, *H.N.,* XIII, 34.

هذا واحتلت فاكهة الرمان، صدارة قائمة الفواكه المحببة لدى الرومان إلى جانب العنب والتين، حيث لم تكن لتغيب عنها موائد ولائهم وحفلاتهم [1]، كما كانت أحد الهدايا المفضل تقديمها من أجل التقرب من شخص ما لقضاء مصلحة أو كعربون صداقة وتعبير عن المحبة، وهو ما يوحي إليه مارتياليس« Martialis » ضمن أشعاره قائلا:" ليست الأغصان الليبية من بعثت لك بالرمان والعناب وإنما أشجار حديقي نومنت « Nomente » "[2] وفي نفس السياق " أرسل لك بالرمان المقطوف من أغصان أطراف حديقتي وبهذا العناب المولود عندي، فما حاجتك بالتي تأتي من ليبيا" [3].

ولرغبتهم في الحفاظ عليها نظرة وطيبة مدة أطول، حتى بعد انقضاء موسمها، تداولوا جملة من الوصفات، وهي في الأساس تعود إلى عالم الفلاحة القرطاجي ماغون، التي أعاد كولومال « Columelle » تقديمها والمتمثلة في الكيفيات الثلاث التالية :أولها تغطيس حبات الرمان الملفوفة في الكتان أو الحلفاء اللازبة في مياه البحر المغلية، إلى أن تفقد لونها، ومن ثم تسحب وتجفف على ضوء أشعة الشمس لمدة ثلاث أيام، تعلق بعدها في مكان بارد، وعندما يحتاج إليها، تنقع في الماء البارد العذب، مدة ليلة ونهار كامل قبل موعد تقديمها [4]، ثانيها: طلي حبات الرمان المقطوفة حديثا بطبقة سميكة من طين الفخار، وعندما يجف التراب تعلق في مكان بارد، وقبل تقديمها، تغطس في الماء من أجل التخلص من الطين [5]، ثالثها: وضع الرمان في قاع جرة من التراب الجديد الجديد ومن فوقه طبقة من نجارة شجر الحور أو البلوط الأخضر الغير المكدس وذلك بالتناوب حتى تمتلئ الجرة، ومن ثم تغلق بعناية وتسد بالطين [6]. هذا وقد أنتج الرومان من الرمان خمرا عن عن طريق تمليح بذوره وطهي عصارته على نار هادئة إلى غاية أن تنخفض كميته إلى النصف، ليحتفظ به مركزا ضمن جرار مطلية بالقطران من الداخل وبالجبس من الخارج [7].

---

[1]Martial, *Epigrammes*, I, 44.
[2]*Id., Ibid.,* XIII, 42.
[3] Martial, *Epigrammes,* XIII, 43.
[4]Columelle, *De l'agriculture*, XII, 46, 5.
[5]*Id., Ibid.,* XII, 46, 5.
[6]*Id., Ibid.,* XII, 46, 6.
[7]Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 685.

وتتصف شجرة أو جنيبة الرمان المنتمية إلى الفصيلة الخثرية « Lythraceae » وإلى عائلة الرمانيات « Punicaceae » مرفولوجيا بارتفاع يتراوح مابين المترين والخمسة أمتار [1]، سيقان متعرجة كثيرة التفرع، ذات لحاء مصفر، رقيق وحرشفي، أغصان متدلية منتهية بأشواك [2]، تحمل أوراقا نفضية تسقط خلال فصل الشتاء، مرتبة في الشكل أزواج أو مجموعات متقابلة، متطاولة أو بيضاوية الشكل، رقيقة، ملساء ولامعة، تميل في بعض الأحيان إلى اللون الأحمر، أزهارها كبيرة الحجم، يقدر طولها مابين العشرين والخمسة والعشرين مليمترا، ذات كأس جرسي الشكل، متفرع ذو خمسة إلى سبعة فصوص ونفس العدد من البتلات وأسدية عديدة، تتمتع بلون أحمر قرمزي، لا عنقية تنمو منفردة بأطراف الأغصان، أو متجمعة مثنى وثلاثا والتي تزهر خلال شهر جوان وجويلية، لتصبح ثمارا في فصل الخريف، والمتصفة بكبر حجمها وشكلها الكروي، ذات قشرة بنية تميل إلى الأحمر الفاتح، متوجة بكأس دائم، تضم الكثير من الحبوب اللامعة [3]، المتميزة بأذواق وألوان مختلفة بحسب أنواع ضروب شجر الرمان، نذكر منها على سبيل المثال: السفيري، الزهري، العظمي [4].

4- النخيل « Areccaceae »

هي من الأشجار الأهلية بالجزائر، تنقسم إلى نوعين أحدهما بري يدعى بالدوم، « chamaerops humilis » عديم القيمة الغذائية، والذي ينمو طبيعيا بكامل الحوض الغربي للمتوسط، والثاني معروف اصطلاحا باسم النخل التمري« Phoenix dactylifera » ذوالقيمة الاقتصادية الكبيرة والذي يزرع في نطاق الواحات الصحراوية (الصفحة 167- الصورة رقم 24).

---

[1] *Lieutaghi (P.), Le livre des arbres, arbistes etarbrisseaux,op.cit.,*p. 680 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit., 1*, p. 636.

[2] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p. 680 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 152.

[3] Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbrisseaux, op.cit.,* p 680, Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit., 1*, p. 680 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 152.

[4] نفس المرجع، ص. 152.

4-1- الدوم « chamaerops humilis »

تضمنت نصوص تيوفراست « Théophraste » إيحاءات أو إشارات ضمنية كثيرة حول نبتة الدوم، عند معالجته لموضوع النخيل، وذلك من خلال التشخيص الوصفي لها بداية من ثماره الصغيرة التي هي بحجم حبات الحمص [1]، ليشير بعدها بصفة أدق إليه قائلا: "بالنسبة للنخيل الذي يقال أنه قزمي « Chamaerripheis» يمثل في الحقيقة نوعا آخر...يستمر في الحياة حتى بعد قطع قلبه، كما تعطي جذوره فسائل جديدة بالرغم من خضوعها للتحفيف، هذا ويتميز في ذات الوقت بثماره وأوراقه هذه الأخيرة تكون مُحلقة وخفيفة، مما يسمح باستعمالها في ظفر السلال والقفاف... ". [2] وقد اقتصر بلينوس الكبير « Plinus » خلال القرن الأول الميلادي على ترديد ما جاء به سلفه تيوفراست قائلا:" نطلق اسم القزمي « Chamaerepes » على النخل القصير ذو الأوراق العريضة جدا والمرتخية، والتي تستخدم بكثرة في صنع مشغولات السلالة..." [3].



الصورة (24): شجرة النخيل.

ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم، Arabe 2771، ورقة رقم، 680.

---

[1] Théophraste, *H.P.,* II, 6.
[2] [2]Théophraste, *H.P.,* II, 11 ; Amigues (S.), *Études de botanique antique*, *op.cit*., p. 266.
[3] Plinus, *H.N.,* XIII, 39.

حمل هذا النوع من النبات تسميات عديدة، أشهرها النخل المروحي، النخل القزمي ونخل فرعون من قبل الطوارق وجيرانهم [1]، تتميز بكونها شجرة معمرة، عديمة الساق في الغالب، مشكلة أجمات أو شجيرات صغيرة قزمية لا يتعدى ارتفاعها أربعين سنتيمتر، متجمعة في شكل باقات، لكن بمقابل ذلك يمكن أن نصادف دوما ذا جدع يمكن أن يمتد طوله ليبلغ ارتفاعه العشرة أمتار ومحيط جدعه خمسة وعشرين سنتيمتر، إذا ما توفرت له الحماية، خاصة بالقرب من الخلوات، المزارات والأضرحة، وهي أماكن تتمتع بالاحترام من قبل الأشخاص الذين يزرونها، مما ينعكس إيجابا على الغطاء النباتي الذي ينمو حولها، فلا تتعرض للقطع أو التخريب أو كأن تكون مرتعا لقطعان الماشية [2]، أوراقه المعروفة باسم السعف، كبيرة تتخذ شكل مروحة مطوية مزودة بسويقات تكون إما شوكية أو لا شوكية، أزهارها ثنائية المسكن، في هيئة قدد طويلة أسطوانية الشكل ذات حراشف متراكبة، اثنان قاعدين و الآخرين يحتلان مكانا أعلى من الأولين، الأزهار الذكرية صفراء اللون، في حين تتخذ الأنثوية لونا أخضر.أما الخنثوية فمخضرة [3]، ثمارها صغيرة الحجم في شكل عُنيبيات صفراء أو حمراء اللون، وحيدة النواة، لبها صلب وليفي بمثابة عاج طبيعي، ذات قشرة حلوة بذوق الطحين [4].

ويعتبر الدوم النوع الوحيد من ضمن عائلة النخليات، الذي يمكنه التقدم شمالا والعيش خارج إطار الصحاري والمناطق الحارة فهو يألف البيومناخات الشبه الجافة، الجافة، الشبه الرطبة والرطبة [5].

---

[1]Gast (M.), Doum, palmier, *E.B.,* XVII, 1996, p. 2534.

[2]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit., 1*, p. 178 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 206.

[3]*Id., Ibid.,* p. 178; Gast (M.), Doum, palmier, *loc.cit.,* p. 2534.

[4] *Id., Ibid.,* p. 2534.

[5] *Id., Ibid.,* p. 2535 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 206.

4-2-النخل التمري « Phoenix dactylifera »

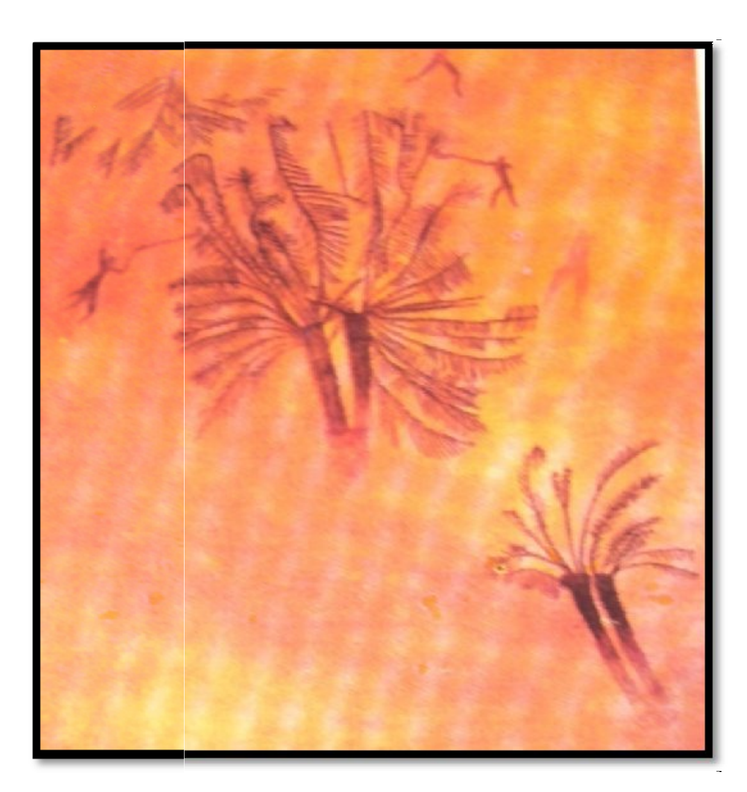
سار كامبس « Camps » حدوى غـزال « Gsell »[1] عنـدما اعتـبر شـجرة النخـل التمـري "ليست بهبة إفريقية لإفريقيا " على حد تعبيره، والذي وجدته سـابقا يـدافع علـى الأصـل المحلـي لبعض أنواع الأشجار المثمرة كـاللوز والـتين، أراه عنـدما يتنـاول موضـوع النخيـل، يشـير إلى أن موطنها الأول هو الصحراء الشرقية، الذي انطلقت منه تقاليد زراعتها لتنتشر في عمـوم الصـحراء دون أن يحدد ظروف انتشارها [2]. مهملا الأسباب المناخية والطبيعية الـتي تجعـل منهـا نباتـا محليـا، والتي تتطابق مع الظروف السائدة بمنطقة شبه الجزيرة العربية وبلاد مـا بـين النهـرين، وهـي كلـها مناطق انتشاره الأصلية وذلك على طول الحزام ذو المناخ الجاف والصحراوي الممتد مـن المغـرب الأقصى غربا إلى غاية إيران شرقا، حيث اكتسبت هذه الشجرة وتمورها قيمة اقتصادية كبيرة لـدى شعوب هذه المناطق منذ القدم، فعلى سبيل المثال لا للحصر، صـورت علـى الجـداريات المصـرية عراجين للتمر في أيدي الخدم أو دافعي الضرائب [3].

أما في الجزائر فقد اكتشف مشهد لجني التمور بوادي جرات بالطاسيلي ناجر يعـود إلى فـترة عربات الركض الطائر« chars de galop volant » [4] (الصفحة 170– الصـورة رقـم 25)، ممـا يؤكد على عراقة زراعته بالمنطقة، و هو أقدم بكثير من القرن الخامس قبـل المـيلاد، عنـدما تحـدث هيرودتس « Hérodots » في أكثر من مناسبة عن واحة أوجيلة « Augila » الليبية الواقعة علـى بعد250 كيلومتر من السرت الكـبير، والـتي كانـت القبائـل النازامونيـة « Nasamans » تشـد الرحالة إليها من أجل جني التمور، أين يتنشر النخل الضخم ذو التمـر الكـثير، تـاركين قطعـانهم ترعى عند ساحل البحر [5]والظاهر أن المسافة الفاصلة بين واحـة وأخـرى كانـت تقـارب عمومـا مسيرة عشرة أيام، حيث يقول أبو التاريخ "وبعد الأمونيين وعلى مسافة عشر أيـام وعلـى امتـداد

---

[1] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* V, p. 204.
[2] غبريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 167-168.
[3] نفس المرجع، ص. 168.
[4] Lhote (H.), *Les chars rupestres sahariens des Syrtes au Niger par le pays des Gramantes et des Atlantes*, Paris, Les Hespérides, 1982, p. 63.
[5] Hérodote, *Histoire,* IV, 172.

الطوق الرملي، يوجد تل ملح، شبيه بالموجود عند الأمونيين، وماء وسكان يعيشون حولـه يسـمى هذا الموقع أوجيلة ...وانطلاقا من أوجيلة وعلى مسافة عشر أيام أخرى يوجد تـل ملحـي حولـه مياه متدفقة وعدد كبير من أشجار النخيل المثمرة على غرار الأماكن الأخرى..." [1].



الصورة (25): مشهد لجني التمور- وادي جرات.

Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara*, Alger, ANEP, 2005, p. 336, Fig. 441.

وما ذِكره لواحة أوجيلة « Augila » الليبيـة فقـط، دون تسـمية بقيـة الواحـات الواقعـة إلى الغرب منها مع إقراره بوجود أماكن أخرى مشابهة لها، مرده إلى الاحتكاك الإغريقـي بشـرق ليبيـا القديمة منذ وقت مبكر. في حين أن الجزء الغربي الذي يلي الواحة كان مجهولا بالنسبة لهم وبخاصة مناطقه الداخلية، كما أحتكم على إشارات صريحة تعود إلى تيوفراسـت « Théophraste » وهـو كاتب إغريقي كذلك من القرن الرابع قبل الميلاد، على أن شـجر العنـاب، الصـامور والنخـل في بعض الجهات، أنواع مألوفة بليبيا [2]، كما يورد بصريح العبارة قائلا: " بناحيـة ليبيـا أيـن لا تمطـر

[1] Hérodote, *Histoire,* IV ، 183-182 مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)،الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2008،

[2] Théophraste, *H.P.,* IV, 3, 1.

(أي الصحراء) ومن ضمن عدد النباتات التي تنمو بها، نذكر النخل الكبير والجميل، الموجود على الأقل بالبساتين أين يوجد الماء الأجاج والأرض الرطبة، القليلة العمق... والماء هنا عذب جميل.." [1].

ويبدو أن الواحات المنتشرة، بجنوب بلاد البربر قد هيئت لسكانها شروط الحياة المدنية المستقرة منذ وقت مبكر، وهو غراسة الأشجار المثمرة وفي مقدمتها النخيل [2]، حيث قدم بلينوس الكبير « Plinus » ، مثالا لواقع الزراعة بإحدى المدن التونسية الداخلية وهي قابس (Tacape)، يصلح لأن يعمم على بقية الواحات وهو الأمر الذي لا يزال معمولا به حتى الآن، حيث تغرس تحت النخلة بعض الأشجار المثمرة، الفصة، الذرة والشعير... [3]، حيث يقول في هذا الصدد ما يلي : "هنا تحت النخلة الكبيرة تنمو شجرة الزيتون و بأسفلها شجرة التين وتحت شجر التين شجرة الرمان وبأسفل شجرة الرمان كرمة وتحت الكرمة يزرع القمح فالخضروات وفي الأخير الأعشاب البقولية وهذا كله في نفس السنة، حيث كل واحدة تنمو تحت ظل الأخرى" [4].

وقد خصص بلينوس الكبير « Plinus » عددا من الفقرات من الكتاب الثالث عشر لأنواع أشجار النخيل أوصافها المرفولوجية، كالجدع، السعف، الثمار، طريقة تكاثرها، مجالات استعمالها واستغلالها وغراستها، وقد اخترت نصين فقط، حيث يتحدث في الأول عن نوعية تمر إفريقيا قائلا:" النخيل، نجدها حتى في أوروبا، وهي جد مألوفة بايطاليا، لكنها ذات مذاق لاذع، في إفريقيا الثمار حلوة المذاق لكنها تفقد طعمها بسرعة..." [5]، ومما يفهم من كلامه، أنه سريع التلف ولا يمكن الاحتفاظ به مطولا بل لابد من استهلاكه في عين المكان، أما النص الثاني المختار من قبلي فيتطرق فيه إلى كيفية اعتلاء قمة النخلة من قبل سكان الواحات قديما والتي لا تزال مستعملة حتى وقتنا

[1] Théophraste, *H.P.,* IV, 3, 5.
[2] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* V, p. 203.
[3] عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 207.
[4] Plinus, *H.N.,* XVIII, 51, 1.
[5] *Id., Ibid.,* XIII, 6.

الحاضر حيث يقول : "يقوم الفرد بإحاطة نفسه والشجرة معا بقرص من السوحر وبهذه الطريقة يصعد إلى الأعلى بسرعة رائعة" [1].

هذا ويتألف النخل التمري من جدع قوي وعظيم، باسق في السماء، حيث يمكن أن يصل طوله إلى ثلاثين مترا، وبقطر يتراوح ما بين خمسة وثلاثين وأربعين سنتيمتر، مكسو ببقايا السعف (الجريد) القديم اليابس، تاجه دائم الخضرة، سعفه مزود بشوك مستقيم وصلب أصفر اللون، أزهاره ثنائية المسكن، ثماره المعروفة باسم التمر أو البلح متطاولة أو أسطوانية الشكل [2]، يزرع في إطار الواحات الصحراوية، حيث لا يتعدى انتشاره الأطلس الصحراوي وجبال الأوراس شمالا، أين تتوفر جملة من العوامل المشجعة على نمو أنواعه الكثيرة وبالتالي إعطاء محصول جيد وهي: الهواء الجاف، السقي الجيد والمنتظم، التربة الغرينية والطميية التي تحتوي على طبقات ذات تركيبة رملية، كما أنه علاوة على ذلك يتحمل جيدا التربة المالحة. هذا ومن الضروري جدا أن تتوفر له درجات حرارة مستقرة فمثلا التمر من نوع دقلة نور يتطلب درجة حرارة تقارب الثلاثين درجة مئوية خلال فترة الستة أشهر التي يستغرقها نضج العرجون [3]، هذا ما جعل الصحراء الجزائرية، أحد أهم المناطق المصدرة للتمور عالميا، ذات الجودة العالية والسمعة المحترمة، حيث يقدر عدد أشجار النخل التمري بالملايين، فقد تم إحصاء نصف مليون شجرة نخيل بمنطقة واد سوف، بكل من عاصمتها الوادي وقمار، ونفس العدد بواحات ورقلة، وتحتضن منطقة ريغ ومركزها تقرت لوحدها حوالي مليون ونصف مليون نخلة، هذا وسجل مجموع 750 ألف نخلة بمنطقة الزاب الغربي بكل من بسكرة، طولقة، دوسن وولاد جلال، 250 ألف نخلة بالزاب الشرقي، 230ألف نخلة بمنطقة ميزاب وعاصمتها غرداية، ونصف مليون نخلة بتوات ومركزها أدرار القولية بـ 200ألف نخلة، القرارة بـ 400 ألف نخلة، تيدكلات بـ 250 ألف نخلة، التي تعتبر مخزن منطقة

---

[1] Plinus, *H.N.,* XIII, 7.

[2] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit., 1*, p. 178 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 206.

[3] Camps (G.), Dattes/ Dattiers, *E.B.,* XV, 1995, p. 2234.

الأهقار، إلى جانب ذلك، تضم واحات الساورة، كتغيت، بني عباس، مازار، إغلي وكـرزاز عـددا هاما من النخيل، إلا أن حشرة البيوض أضرت بها كثيرا [1].

ثالثا - الخضروات والبقوليات

1- البصل « Allium cepa »

أشار بلينوس الكبير « Plinus » إلى وجود نوعين أساسيين مـن البصـل علـى عهـده، همـا البصل الأخضر « Allium fistulosum » المستعمل في التتبيل وقـد عـرف عنـد الإغريـق باسـم جتيون « Getion » وباسم البلكنام « Pallacanam » من قبل اللاتينيين، والذي يزرع خلال شهر مارس، أفريل وماي، والبصل ذو الرأس « Caepa » الذي يزرع بعد الاعتدال الخريفـي وأنواعـه مصنفة حسب مميزاتها والمسماة باسم بلدانها، حيث يـأتي في مقـدمتها بصـل إفريقيـا يليهـا بصـل غاليـا (Gallica)، بصـل ناحيـة تسـكولانا (Tusculana) ، بصـل أسـكالونيا (Ascalonia) بفلسطين، وفي الأخير بصل منطقة أميترنينا (Amiternina) بوسط ايطاليـا، وأفضـل أنواعـه تلـك التي تتمتع بشكل دائري ولون محمر إذ تكون هذه الأخيرة أكثر لاذعـة مـن البيضـاء [2]، ويـذكر في موضع آخر قائلا: " نميز بين بقية أنواع البصل من حيث اللون، الحجم، المذاق، وهناك أنواع منهـا يمكن أكلها نية، على سبيل المثال بصل شرزوناز توريـك « chersonèse taurique » يليهـا بصـل إفريقيا المفضل كثيرا ومن بعدها بصل أبولي..". [3]

« Suauitate, quippe cum quidam crudi mandantur, ut in chevroneso taurica, posthos in Africa nati maxime laudantur, mox Apuli ».

ويصنف هذا البقل الزراعي المعمـر ضـمن فصـيلة الثوميـات « Alliaceae » ، يتكـون مـن جذور خيطية الشكل، ومن ساق أرضية مستديرة ومنتفخة ، بداخلها قرص لحمي مخروطي قليلا، تعرف باسم البصلة، مؤلفة من أوراق لحمية متراصـة محمولـة علـى قـرص، والـتي تتخـذ شـكلا أسطوانيا ومقعرا في نفس الوقت. عند نهاية موسم النمو الخضري، تخرج منه ساق كاذبة، تحمل في

---

[1] Camps (G.), Dattes/ Dattiers, *loc.cit.,* p. 2236-2239.
[2] Plinus, *H.N.,* XIX, 32, 3.
[3] *Id., Ibid.,* XIX, 30, 2.

نهايتها إزهارا كرويا مكونا من أزهار خيمية بيضاء اللون، وهو ضربان الأبيض والأحمر، وكل منهما يضم أنواعا عدة [1]، ولا يزال أصله البدائي مجهولا حتى الآن [2].

2- الثوم « Alluim sativum »

تعتبر بلدان البحر الأبيض المتوسط موطنه الأصلي، رغم أنه لم يعثر بها حتى الآن على النوع البري الذي تأتى منه. هذا ويعتقد بعض الباحثين أن موطنه الأصلي هو مصر، رغم عدم العثور على جنسه البري بها، إذ أن مجمل ما أكتشف فيها لا تتعدى كونها بقايا مزروعة، لكن هذا لا ينفي على الإطلاق أن أصله ليس ببعيد عن منطقة البحر الأبيض المتوسط [3]. ويقول بلينوس الكبير « Plinus » في حقه ما يلي: " ينمو الثوم خاصة في الحقول وهو علاج جيد لكثير من الأمراض ومغطى بالكامل بواسطة جملة من القشور الرقيقة جدا والمفصولة، مشكل من تجمع لعدد من الأنوية والتي تملك كل واحدة منها غلافا خاصا، مذاقها لاذع...يترك مثل البصل رائحة كريهة والتي تزول بطهيه...وتصنف أنواعه حسب فترات نضجها منها الثوم المعروف لدى الإغريق باسم الثوم الكريتي« Aluim Cypruim » ...والذي داع صيته خاصة في إفريقيا" [4]. وقد اهتدى القدامى إلى استخدام طرق عدة من أجل الاحتفاظ بالثوم لفترات أطول ومنعه من الإنبات كتعليقه فوق الفحم المشتعل أو فوف القش [5].

وينتمي هذا النبات العشبي كذلك، إلى نفس فصيلة البصل، وهو ثنائي الحول، يتميز ببصلته الموجودة تحت الأرض والمؤلفة من عدة فصوص بيضاوية أو هلالية الشكل، مغطاة بغشاء أبيض [6]. يمتلك ساقا لينة يتراوح طولها ما بين عشر و الأربعين ستيمتر،

---

[1]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit., 1*, p. 189 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 212.

[2]De Candolle (Alph.), *Origines des plantes cultivées*, 3ed, Paris, Revue et augmentée, 1886. p. 52.

[3]*Id., Ibid.,* p. 51-52.

[4] Plinus, *H.N.,* XIX, 34, 1.

[5] *Id., Ibid.,* XIX, 34, 5.

[6]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit., 1*, p. 209.

أوراقه شريطية، أجردة ومسطحة أما أزهاره البيضاء فمتجمعة فوق رأس صغير يكون مغطى بغشاء قبل تفتحها.[1]

3- الخيار « Cucumis sativus »

يرى بعض العلماء أن أصوله تعود إلى بلاد التتار والهند، دونما تقديم أدلة عن ذلك، لكن الأكيد أنه زرع بها منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، ولم يعرفه الصينيون إلا حوالي القرن الثاني قبل الميلاد، وقد زرع الإغريق الخيار كذلك الذي أطلقوا عليه اسم سيكوس « Sikuos » في حين منحه الرومان اسم كوكوميس « Cucumis».[2]

وقد شغف الإمبراطور تيبريوس بحب الخيار لدرجة أن مائدة طعامه اليومي لم تكن لتخلو منه، ولضمان توفره على مدار السنة، لجأ المزارعون إلى إتباع نظام زراعي شبيه بنظام البيوت البلاستيكية الآن حيث كانوا يزرعونها في صناديق مجهزة بعجلات تمكنهم من تعريضها للشمس في أوقات مناسبة، وعندما يحل فصل الشتاء بأمطاره ودرجات حرارته المنخفضة، تجر باتجاه أماكن أكثر ملائمة لحمايتها كالمصاطب الصخرية، هذا وقد أوصى الكتاب الإغريق القدامى بنقع بذور الخيار يومين قبل موعد زرعه في الحليب المعسل حتى يكتسب مذاقا حلوا [3]، وقد تميز الخيار المزروع بإيطاليا بلونه الأخضر وبصغر حجمه مقارنة بالخيار المنتج بالمقطعات الرومانية الكبير الحجم وذو اللون العسلي أو الأسود والتي يتقدمها الخيار الإفريقي المثمر بكثرة على حد تعبير بلينوس الكبير « Plinus ».[4]

زيادة على ذلك، ينتمي الخيار إلى فصيلة القرعيات « Cucurbiteceae » التي تشمل كل من أنواع القرع وفواكه البطيخ، وهو نبات عشبي معمر حولي وزاحف، بسبب سيقانه الواهنة

[1]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit. 1*, p. 210 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 212.
[2]De Candolle (Alph.), *Origines des plantes cultivées*, *op.cit.,* p. 210-211.
[3] Plinus, *H.N.,* XIX, 23, 1.
[4] *Id., Ibid.,* XIX, 23, 2.

الزغباء، يمتلك أوراقا كبيرة مثلثة الشكل، أزهاره عريضة أحادية المسكن وصفراء اللون، ثماره متطاولة أسطوانية الشكل محدبة الطرفين [1].

4-الخرشوف « Cynara carduncululus »

يحمل هذا النوع النباتي المنتمي إلى فصيلة النجميات « Asteraceae » مسميات عدة منها الأرض الشوكي، القرناع أو القرنون كما هو متداول في اللهجة الجزائرية، وكان الإغريق قد أطلقوا على الخرشوف اسم كينارا « Kynara » أو كيناروس « Kynaros » في حين عرف لدى اللاتينيين باسم كاردوي « Cardiu » ، وتعتبر منطقة شمال إفريقيا موطنه الأصلي، بنوعيه البري والمزروع ، حيث تأتى هذا الأخير عن طريق تدجين أصناف برية منه [2]، حيث أشار أتيني« Athénée » إلى أن جنود بطليموس الخير « Ptolemée Euergetes » خلال القرن الثاني قبل الميلاد، أثناء حملة قادته إلى نواحي من قورينائية، قد قطفوا نبات الخرشوف وأكلوه بعد أن نزعوا أشواكه [3]، وبالرغم من أن المجال الطبيعي لموطن الخرشوف يقع بمحاذاة مصر إلا أنه من المشكوك فيه أن هؤلاء قاموا بزراعته، والظاهر أن انتشاره في آسيا كان خلال فترة جد متأخرة[4].

ولا ريب أنه شكل أحد أهم الزراعات الحقلية ببلاد المغرب بنواحي مدينة قرطاجة، حيث كانت عائداته تقدر بستة آلاف سيسترس على حد ذكر بلينوس [5]، ولمضاعفة الإنتاج نصح بضرورة غرسه خلال فصل الخريف، عن طريق زرع البذور قبل السابع من شهر مارس، لتنقل الشتلات بعدها إلى مستقرها النهائي لتواصل نموها قبل الثالث عشر من نوفمبر، واللجوء إلى تسميدها إذا ما أحب المزارع ذلك، حتى تصبح أفضل، أما الطريقة الأنجع في تصبيرها "حتى لا

[1] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 894 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص.189.

[2] De Candolle (Alph.), *Origines des plantes cultivées*, *op.cit.,* p. 74 ; Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, *op.cit., 1*, p. 299.

[3] Athénée, *Les deipnosophistes,* II, 84.

[4] De Candolle (Alph.), *Origines des plantes cultivées*, *op.cit.,* p. 75.

[5] Plinus, *H.N.,* XIX, 43.

نبقى يوما واحدا بدون خرشوف" حسب تعبير هذا الأخير، فتتمثل في وضـعها في الخـل الممـزوج بالعسل المضاف إليه بذور نبات الحلتيت والكمون [1].

والخرشوف نبات معمر، يتمتع بأوراق خيطية ذات شدفات (شقوق) رمحية الشكل، تنبـت مـن الجدر الموجود مباشرة بالقرب من مستوى سطح التربة، كما يتميز زيادة على ذلـك، كونـه لحمـي وسميك، أزهاره أحادية المسكن محمولة علـى سـيقان، تتجمـع في شـكل رؤيـس كـروي، محـاط بقنـابات كبيرة مخيطيـات ، متراكبة ومشوكة قليلا [2]، ينمو الخرشوف في البيومناخات الرطبة، الشبه الرطبة والشبه الجافة، التي تكون تربتها غنية بالطمي [3].

5- الهليون « Asparagus »

يصنف الهليون في رتبة الزنبقيات « Liliaceae » إلى جانب البصـل والثـوم، وضـمن عائلـة الهليونات « Asparagaceae » ويعرف لدينا باسم السكوم، ينمو الهليـون ضـمن نطـاق جغـرافي واسع يمتد من السواحل إلى غاية الأطلس الصحراوي، في الغابات، المراعي، الأحراش والهضاب، فكان بذلك محل أنظار سكان المنطقة منذ القديم، الذين لم يتوانوا عـن أكلـه في شـكله الـبري أولا والمزروع ثانيا، والذي أشاد بفوائده الكتاب القدامى من أمثال أتـيني « Athénée » الـذي قـال في حقه ما يلي: " نصادف الهليون في السباخ والجبال وأفضله ذلك الـذي ينمـو طبيعيـا مـن غـير أن يزرع، يستعمل من أجل معالجة كل الأمراض الباطنية، تتميز الأنواع المزروعـة بارتفاعهـا الكـبير، حيث يمكن أن يصل ارتفاعها إلى غاية اثنا عشر قدما بالبلاد الجتولية، إلا أننـا نجـدها بـالقرب مـن سواحل الأطلس تمتلك ساقا قويتا كالحلتيت الكبير، حيث يقدر طولها حوالي عشرين ذراعـا" [4]، أما بلينوس الكبير« Plinus » فقد اكتفى بسرد بعض أسماء الهليـون الـبري، حيـث أطلـق عليـه البعض اسم كورودا « Corruda » والبعض الآخر اسم الهليون الليبي، في حـين عرفـه الأثينيـون

[1]Plinus, *H.N.,* XIX, 43.
[2]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 1010-1011 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 194.
[3]نفس المرجع، ص. 194
[4]Athénée, *Les deipnosophistes*, II, 62.

باسم أرمينوم « Orminum » والذي يتميز بخصائص عديدة يمكن إجمالها في الصلابة، كبر الحجم، وبياض اللون [1].

زيادة على ذلك، يعتبر إحدى النباتات التي تمتاز بقدرتها على التكاثر التلقائي وأحد أنواع الخضار الربيعي [2]، وهو نبات عشبي، معمر، حولي أو متعدد السنوات، يتمتع بلون أخضر مزرق، يمتلك ساقا أرضية شبيهة بالجذر، تسمى اصطلاحا باسم الجذمور والذي يكون إما قصير أو زاحف، له سيقان محلقة كثيرة الفروع، مدغل وشائك كثيرا، أوراقه (الردينات) على شكل حراشف إبرية خيطية رمحية أو بيضاوية الشكل، أزهاره الجرسية الصغيرة تكون إما أحادية المسكن، ثنائية المسكن أو خنثوية، تتألف من كم ذابل يدوم طويلا وستة أسدية، ثمارها غنية تكون إما حمراء أو سوداء اللون وكروية الشكل [3]، أنواعه كثيرة أغلبها برية كلهليون الأبيض « Asparagus albus» والسكوم المتسلق « Asparagus altissimus » [4]

وبموزاة ذلك، تم تدجين أحد أصنافه وهو الهليون دو الأوراق المستدقة « Asparagus acutifoluis » وهو عبارة عن شجيرة صغيرة ذات سيقان وفروع بيضاء اللون والتي يؤكل منها براعمها الصغيرة فقط [5].

6- الفول « Vicia Faba »

هو من النباتات الأصيلة ببلاد المغرب القديم، ويعتقد إلى حد كبير أنه دُجن من نوع بري « Fava vulgaris »، حيث أشار الطبيب ترابوت « Trabut » خلال رحلته العلمية التي قادته إلى ناحية سرسو بالجلفة رفقة زميله الأستاذ باتونديي « Battondier » شهر ماي من السنة 1893م،

---

[1] Plinus, *H.N.*, XX, 43, 1.

[2] حسان قبيسي، النباتات والأعشاب الطبية، نفس المرجع، ص. 376.

[3] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.*, p. 208 ; Maire (R.), *F.A.N, op.cit.*, 5, p. 215 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 213.

[4] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.*, p. 208-209 ; عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 213.

[5] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.*, p. 208 ; حسان قبيسي، المرجع السابق، ص. 376

أن نسوة المنطقة يقمن بجمع فول صغير [1]، وهو نفسه الفول البري الذي تحدث عنه من قبل عالم النبات موني « Muny » نقلا عن دوكاندول« De candolle » حيث ذكر وجود فول ينمو طبيعيا بنواحي وهران [2]، والمتميز بالخصائص التالية، فهو عشب حولي، يقدر طوله مابين خمسة عشر سنتيمتر وعشرين سنتيمتر، متفرع من القاعدة، أوراقه مركبة من زوج أو زوجين من الوريقات المدببة الرأس، أزهاره ذات كأس أنبوبي قصير، بيضاء مبقعة بالأسود، ثماره المتمثلة في القرون القصيرة جدا، حيث يقدر طولها بحوالي خمسة وثلاثون مليمتر، تكون في البداية خضراء ثم يسود لونها لاحقا، تحمل بذرتين يفصلهما غشاء قطني خفيف ويصبح لونها أسود لامع عند تمام نضجها خلال شهر جوان ، وهي جد صلبة حيث أنها تنتفخ بصعوبة في الماء وطهيها ليس بالجيد [3]، أضف إلى ذلك لاحظ ترابوت « Trabut » أن عينات الفول التي تم جمعها من مواقع فترة ما قبل التاريخ مماثلة لفول سرسو [4]، وهو ما يتطابق كذلك كليا مع إشارة بلينوس الكبير« Plinus » العائدة إلى القرن الأول الميلادي، حيث ذكر وجود فول بري بموريطانيا ذو بذور صلبة يصعب طهيها [5].

احتل الفول مرتبة شرفية عالية، ضمن صنف الخضروات [6]، بسبب فوائده واستعمالاته الكثيرة، فقد كان غذاء أساسي للإنسان، حيث صنع من طحينه الخبز وحضرت منه العصيدة [7]. كما شكل أحد أطباق الطبقة البسيطة من العمال، باعتباره نباتا طاقويا، يمد الجسم بالسعرات الحرارية والبروتينات اللازمة التي يحتاج إليها الفرد أثناء القيام بالأعمال الشاقة كالفلاحة والعمل الحرفي [8]، إلى جانب ذلك قُدمت قرونه وسيقانه التي تظهر مبكرا خلال الربيع كعلف للماشية [9]والخنازير [1]، هذا ويعتبر الفول نباتا مخصبا للأرض التي يزرع بها [2].

---

[1] Trabut (M.L.), L'indigénat de la fève en Algérie, *B.S.B.F.,* 57, 1910, p. 425.
[2]De Candolle (Alph.), *Origines des plantes cultivées*, *op.cit.,* p. 253.
[3]Trabut (M.L.), L'indigénat de la fève en Algérie, *loc.cit.,* p. 426-427.
[4] *Id., Ibid.,* p. 427.
[5]Plinus, *H.N.,* XVIII, 30, 4.
[6] *Id., Ibid.,* XVIII, 30, 1.
[7]*Id., Ibid.,* XVIII, 30, 1.
[8]Martial, *Épigrammes,* X, 48, 16.
[9]Plinus, *H.N.,* XVIII, 30, 3.

وقد أوصى بلينوس الكبير « Plinus » على ضرورة أن ينوب فلاحة الحبوب غرس الفول كل سنتين من أجل تخصيبها [3]، وهو ما أكد عليه كولومال « Columelle » كذلك، إلا أنه رفع فترة المناوبة إلى ثلاث سنوات [4]، كما شكل أحد مكونات السماد المحضر والمؤلف من الحشفة، البسيلة، القش، الفول، أوراق البلوط الخضر والبلوط [5]. وللاحتفاظ بالفول لفترات أطول، أوصى كل من فارون « Varron » وبلينوس الكبير « Plinus » على إتباع الوصفة التالية والمتمثلة في تركه لمدة فوق الألواح الخشبية ومن ثم يوضع في جرار من الزيت مطينة بالرماد [6].

ينتمي الفول حسب علماء النبات إلى فصيلة الفراشيات « Papilionacées »، والذي يتمتع بطول قد يصل إلى ثمانين سنتيمتر، بساق مضلع بأربعة أوجه، منتصب، قوي، أجرد، أجوف وذو لون أخضر، يسود عند الجفاف، يحمل أوراقا بيضاوية مركبة من زوج أو ثلاثة أزواج من الوريقات، أزهاره الكبيرة معنقة بيضاء اللون مبقعة بالأسود، متجمعة في شكل عناقيد كثيفة جدا، خنثوية مجهزة بخمس بتلات وبنفس العدد من السبلات وبعشر أسدية، ثمارها عبارة عن قرون معقفة قليلا، يتراوح طولها ما بين عشر سنتيمترات وعشرين سنتيمتر، لحمية مبطنة بزغب أبيض، ذات لون أخضر يتحول إلى السواد عندما تجف كليا، بداخلها بذور بيضاوية الشكل، خضراء باهتة اللون والتي تتخذ لونا بنفسجيا عند تمام نضجها [7].

7- الحمص « Cicer arientinum »

تعتبر منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط موطنه الأصلي، ومنه انتشرت زراعته في باقي أنحاء العالم، حيث مارست الحضارات التي قامت على ضفافه زراعته منذ أقدم العصور. وقد

---

[1]Martial, *Épigrammes*, III, 47, 12 ; Varron, *De l'agriculture*, II, 4 ; Plinus, *H.N.,* XVIII, 30, 1 ; XVIII, 7, 1 ; XVIII, 50, 3.
[2]Gsell (S.), *H.A.A.N, op.cit.,* 1, p. 168.
[3]Plinus, *H.N.,* XVIII, 50, 3.
[4]Columelle, *De l'agriculture,* II, 10.
[5]Plinus, *H.N.,* XVII, 6, 5 ; Caton, *De l'agriculture*, XXXVII, 2.
[6]Varron, *De l'agriculture*, I, 13 ; I, 58 ; Plinus, *H.N.,* XVIII, 73, 4.
[7]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 463 ; Costo, Fiche descriptive de Vicia Faba, *Tela botanica.org/bd tfx-nn-7158.*

اشتهرت منطقة شمال إفريقيا بنوع من الحمص الذي حمل اسم الحمص البوني Punicum »[1] « cecer ، والذي تطرق كولومال « Columelle » إلى مواعيد زراعته حيث قال في شأنه ما يلي: " لابد من زراعة أنواع الحمص كحمص الكبش أو البوني خلال الفترة الممطرة من شهر مارس في تربة غنية خصبة، وينهك هذا النوع من الخضروات التربة كثيرا، لذا ينصح بعض خبراء الفلاحة بعدم زرعه، ولكي ينمو بسرعة يفضل نقع بذوره في الماء ليلة قبل موعد البذر"[2] . ومن ناحية أخرى لقد تم استغلال هذا النوع من الحمص الإفريقي الذي كان يحتفظ به لفترات طويلة في المخازن كغذاء للأرانب البرية الموجودة بالحدائق، وذلك بعد تبليله بماء المطر[3].

ويتمي الحمص علميا إلى فصيلة الفراشيات « Papilionacées » وإلى عائلة الفوليات « Fabaceae »، وهو نبات حولي صغير الحجم لا يتعدى ارتفاعه الخمسين ستمتر، ذوأغصان متعددة ومتفرعة عن الساق، أوراقه زغبية مركبة من وريقات صغيرة مسننة ريشية الشكل، خضراء اللون، أزهارها الفراشية الشكل منفردة صغيرة الحجم وبيضاء اللون، خنثوية، تتألف من خمس بتلات وأسدية عديدة، يفوق عددها غالبا العشرة أسدية. ثمارها بيضاوية الشكل، متكونة من مصرعين تضم من حبة إلى حبيتين من الحمص[4].

رابعا – الأعشاب الطبية

1- الكمون « Cuminum cyminum »

الكمون نوعان البري والمزروع، وهو من النباتات الأصيلة بمنطقة الحوض البحر الأبيض المتوسط[5]. ولقد أفرد بلينوس الكبير « Plinus » في تاريخه الطبيعي قسما لنبات الكمون المتميز ببذوره الضيقة الأنبوبية الشكل، وعرج على أفضل فترات زراعته، وأجود أنواعه. حيث قال في

---

[1]Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, *op.cit., 1*, p. 300.
[2]Columelle, *De l'agriculture,* II, 10.
[3]*Id., Ibid.,* IX, I, 8.
[4]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *op.cit., 1*, p. 462-463 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص.146.
[5]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit., p.* 667.

هذا الصدد ما يلي: " يعتبر الكمون من ضمن التوابل الوحيدة القادرة على محاربة إفرازات المعدة، ينمو على سطح التربة ملتصق قليلا (أي زاحف) ومن تم يرتفع في السماء، ولا بد من زراعته خلال أواسط فصل الربيع بالمناطق السهلة الحرث والحارة خاصة. وهناك نوع بري ينعته البعض باسم الريفي، في حين يطلق عليه البعض الآخر اسم الأفيوني « Thebaicum » ... ويحض كمون كربوتانيا « Carpetania »(بشبه الجزيرة الايبيرية) بمكانة مرموقة بعالمنا (أي الإمبراطورية الرومانية)، كما يحتل بالمقابل كمون إثيوبيا وإفريقيا مرتبة رفيعة، ويفضل البعض الآخر كمون مصر" [1].

ويصنف هذا النبات الحولي ضمن فصيلة الخيميات وعائلة القصبريات « Apiaceae » ، يتمتع بنمو جد محدود، حيث يتراوح ارتفاعه ما بين العشر ستمترات والعشرين ستمتر، أوراقه مركبة ورفيعة، ذات لون أخضر داكن [2]، أزهاره الصغيرة تكون إما بيضاء اللون أو قرمزية، متجمعة بمعدل ثلاث إلى خمس زهرات في شكل خيمي، ثماره إهليجية الشكل لا يتعدى طولها الستة مليمترات، ذات حواف خيطية الشكل ولون أخضر زيتوني غير لامع، عطرة، ذات مذاق مر قليلا [3].

2- الزعتر « Thymus »

أشار تيوفراست « Théophraste » إلى انتشار نبات الزعتر بكثرة في المناطق الليبية التي تشهد تساقطات مطرية كثيرة، أين ترتاع حيوانات برية كالأرانب البرية، الغزلان والنعام [4]، وقد أتى على ذكره بلينوس الكبير « Plinus » قائلا: " يوجد نوعان من الزعتر، أحدهما أبيض اللون وأخر داكن، يزهر خلال الانقلاب الصيفي، فيأتي النحل من أجل جمع الرحيق... أما الأمطار

[1] Plinus, *H.N.,* XIX, 47.

[2] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit., p.* 667 ; Lieutaghi (P.), *Le livre des bonnes herbes,* Arles, Actes sud, 2004, p. 161.

[3] Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales*, *2*, *op.cit.,* p. 667 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 159.

[4] Théophraste, *H.P.,* IV, 3-5.

فتؤديه وتضر به كثيرا لأنها تتسبب في إسقاط أزهاره، ولا يمكننا رؤية بذور الزعتر المتميزة بصغر حجمها الشديد" [1]. وفي موضع أخر استطرد قائلا:" يجنى الزعتر وهو لا يزال مزهرا ويجفف في الظل، وهو نوعان الأبيض ذو الجذور الليفية الذي ينمو على المنحدرات التلية وهو المفضل كثيرا والثاني داكن أكثر يحمل أزهارا سوداء اللون" [2].

ويضم نوع النبات الزعتر نحو ثلاثمائة جنس، وهو نبات زاحف يتوسد الأرض أومنتصب فوقها، ومن الأعشاب المعمرة العطرية ومخشوشبة من عائلة الشفويات « Lamiceae » ، التي لا يتعدى طولها الثلاثين سنتمتر [3]، يتمتع بسيقان ليفية ملتوية ومتفرعة ابتداء من القاعدة، تحمل أزهارا صغيرة بيضاء أو وردية اللون، لا يتعدى طولها الستة مليمترات، خنثوية في الغالب، وأوراقا دقيقة ومتقابلة تكون خضراء من الأعلى وبيضاء من الأسفل ومنعطفة الحواف، مزغبة قليلا ورمحية الشكل وهو نوعان البري والمزروع [4]. ولقد سميت أصنافه الشهيرة بحسب المناطق التي ينمو بها، والأكثر شيوعا في الجزائر الزعتر البري « Th.Namidius » والزعتر الجبلي« Th. Algeriensis » والزعتر الشائع « Th. Vulgauis »، المعروف كذلك باسم زعتر الحدائق والمستعمل بكثرة في الطهي والطب، وينتشر بصفة عامة بالمناطق المتوسطية والصحراوية، فهو من النباتات التي تتأقلم جيدا مع تربة ومناخ المنطقة [5].

---

[1]Plinus, *H.N.*, XXI, 31.

[2]*Id., Ibid.*, XXI, 89.

[3]Bendaida (KH.), *Inventaire du genre Thymus et caractérisation de son cortège floristique dans les monts de Tessala (wilaya de Sidi Bel Abbès-Algérie occidental),* Mémoire de Magister, Université Djilali Liabès, de Sidi Bel Abbès, Faculté des Sciences, 2008-2009, p. 32 ; Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales, 2, op.cit.*, p. 784.

[4]Bendaida (KH.), *Inventaire du genre Thymus et caractérisation de son cortège floristique dans les monts de Tessala (wilaya de Sidi Bel Abbès-Algérie occidental), op.cit., p.* 25 ; عبد القادر حليمي، النباتات الطبية في الجزائر، نفس المرجع، ص. 259

[5]*Id., Ibid., p.* 25 ; p. 27.

1-الحبق « Ocimum basilicum »

تطرق بلينوس الكبير « Plinus » إلى بعض ميزات نبات الحبق الذي يمكن أن يتأتى من بذرة أو فسيلة [1]، كما أنه يمتلك بذورا ذات قشور صلبة يصعب تجفيفها. ويقال أن الوقت الأنسب لزراعته يكون خلال احتفالات باريليبيوس « Parilibius »(21 ابريل)، ويفضل البعض زراعته خلال الخريف، وفيهم من ينصح بزراعته في الشتاء على أن تسقى حبوبه بالخل [2]. ومن جهة أخرى يصنف الحبق ضمن النباتات التي تنبت بسرعة. إذ يزهر برعمه في اليوم الثالث من عملية البذر، كما أنه يبقى مزدهرا لفترة طويلة، حيث يبدأ بفقدان أزهاره عبر مراحل ابتداء من القاعدة [3]، وينصح عند قطعه عدم لمسه بحديدة [4]. ويشير المؤلف نفسه أن الأفارقة يزعمون أن الشخص الذي يلدغه عقرب في اليوم الذي تناول فيه الحبق لا يمكن إنقاذ حياته [5].

وعلاوة على ما ذكره لنا بلينوس الكبير « Plinus » ، فإن هذا النبات يتصف بعلو لا يتعدى الأربعين سنتمتر، وبأوراق عطرة بسيطة، ذات أزهار بيضاء شفوية الشكل [6].

2- الكبار « Capparis spinosa »

أشار بلينوس الكبير « Plinus » إلى بعض خصائص الكبار بقوله: " الكبار عبارة عن شجيرة ذات خشب جد صلب، بذرته عبارة عن غذاء جد مألوف، وفي كثير من الأوقات نقطف معها الساق، ولا بد من تجنب الأنواع الغريبة، لأن كبار بلاد العرب قاتل، أما الإفريقي فضار باللثة.." [7]. ويفضل حسب ذات المؤلف زرع الكبار في الأماكن الجافة، في أرض محاطة بخندق مزين بالحجارة من كل الجوانب، وبهذا تنتشر النبتة على كامل الأرض، تزهر في فصل الصيف لتحافظ على خضرتها إلى غاية شهر ديسمبر [8].

---

[1] Plinus, *H.N.*, XXI, 36.
[2] *Id.*, *Ibid.*, XIX, 36-44.
[3] *Id.*, *Ibid.*, XIX, 31-35.
[4] *Id.*, *Ibid.*, XIX, 57.
[5] *Id.*, *Ibid.*, XIX, 48.
[6] عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 183.
[7] Plinus, *H.N.*, XIII, 44.
[8] *Id.*, *Ibid.*, XIX, 48.

ويضيف كولومال « Columelle » أن الفترة الأنسب لجني الكبار هي فترة الاعتدال الربيعي من أجل استخدامه في التتبيل، وذلك بعد تمليحه ووضعه في الظل حتى يفقد مياهه ومن ثم نغسله في عصارته أو بواسطة نقع شديدي الملوحة يوضع فوقه، يكبس بوضع أثقال عليه، ويحفظ بعدها في مزهرية. [1]

إلى جانب ما ذكره كولومال « Columelle »، يمكن التنويه بأن هذا النبات له ارتفاع لا يتعدى المتر ونصف، ومتفرع وذو أغصان متدلية تحمل أوراقا بيضاوية الشكل، بها أشواك مستقيمة أو مقوسة وأزهاره بيضاء أو وردية اللون مؤلفة من أربعة بتلات والعدد نفسه بالنسبة للسبلات، ثماره عنبية، يألف البيومناخات الدافئة والمعتدلة بمنطقة المتوسط، أين تكون التربة غير سميكة أو صخرية [2].

3- الاشقيل « Scilla maritima »

شكل الاشقيل أحد النباتات البرية التي استخدمت قديما لإضفاء نكهة طيبة على الطعام ولمداواة بعض الأمراض [3]، ولم يذكر الكتاب القدامى الكثير عن مميزات هذه النبتة باستثناء أن بصلها كبير الحجم، وليس بحامز، ومنه نوعان يستعملان في التطبيب، منها الاشقيل الذكري ذو الأوراق الكبيرة البيضاء، والاشقيل الأنثوي ذو الأوراق الداكنة، والنوع الثالث يسمى بـ « epiménidienne » ذو الأوراق الضيقة والصلبة وهو صالح للأكل. وأن أطرافه مغطاة بالكامل بالأوراق، ينمو بالمناطق الجبلية أو القريبة من البحر [4]، وقد انصرف الكتاب إلى الحديث عن مختلف الوصفات المحضرة منه كالخمر وخل الاشقيل، وهو ما أفصح عنه كولومال « Columelle » وبالاديوس « Palladius » ، وهي التي لا تختلف عن بعضها البعض إلا من حيث بعض التفاصيل الطفيفة، فعلى سبيل الذكر يتم تحضير خمر الاشقيل بعد قطفه بأربعين يوم

---

[1] Columelle, *De l'agriculture*, XII, 7.
[2] عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 125.
[3] Plinus, *H.N.*, XIX, 30.
[4] Palladius, *De l'économie rurale,* VIII, 6 ; Plinus, *H.N.*, XIX, 30.

قبل موعد قطاف العنب، ويقطع بعدها إلى أجزاء جد صغيرة على شاكلة جذور الفجل ومن ثم يعلق في الظل ليجف، وتضاف بعدها كمية منه إلى أمفورات الخمر [1].

في حين كان يقوم البعض الأخر بصف أوراقه في خيط ونقعها في الخمر مدة أربعين يوما [2]، وهذا النوع من الخمر المنكه بالاشقيل مفيد للسعال القديم، يلطف البطن، ويساعد على إفرازات البلغم، يسكن ألام الطحال، يجلي النظر ويسهل الهضم [3].ومن ناحية أخرى يوصى بتحضير خل الاشقيل المعد للتتبيل باستعمال بصله الأبيض الطازج، وذلك بعد تنقيته من الأجزاء الصلبة والخارجية، ومن ثم تقطيعه إلى قطع جد صغيرة، ينقع في مزهرية من الخل المركز محكمة الغلق مع تعريضها للشمس مدة أربعين يوما ليصفى بعدها ويوضع في مزهرية أخرى [4].

ولقد أورد ابن البيطار الاشقيل تحت اسم أخر وهو العنصل [5]، وهو عشبة بصيلة معمرة من فصيلة الزنبقيات، وهو ذو نوعين الذكري ذو البصلة الحمراء، والأنثوي ذو البصلة البيضاء، وقد يصل وزن البصلة إلى الكيلوغرامين، وهي تتألف من لفائف سميكة تتموضع فوق بعضها البعض، كثيرة المياه، تخرج منها أوراق قرصية مستطيلة تشبه أوراق الكرات، قنابية خضراء اللون، يتراوح عددها بين الثلاثة والستة أوراق، طول الواحدة منها يقارب الخمسين ستمتر، أزهارها فردية سداسية البتلات بيضاء اللون، اهليجية الشكل ومثلثة الجهات، ذات ثلاثة فصوص تحوي بذورا كثيرة [6].

4- الدرياس « Thapsia ganganica »

خص بلينوس الكبير « Plinus »، نبات الدرياس المعروف باسم بونافع قائلا: "العشبة المعروفة باسم التابسيا « Thapsia » ما هي إلا نوع من الحلتيت، ذات أوراق شبيهة بأوراق

---

[1]Columelle, *De l'agriculture*, XII, 33.

[2]Palladius, *De l'économie rurale*, VIII, 6 ; Lacroix (F.), Afrique ancienne, *R.Af.*, XIV, 1870, p. 118.

[3]Columelle, *De l'agriculture*, XII, 33 ; Palladius, *De l'économie rurale*, VIII, 6.

[4]Palladius, *De l'économie rurale*, VIII, 8.

[5] ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، ص. 399.

[6] عبد القادر حليمي، النباتات الطبية في الجزائر، المرجع السابق، ص. 242.

الشمار، بساق أجوف لا يتعدى طوله القصبة الواحدة، تشبه ثمارها ثمار الحلتيت، جذرها أبيض اللون ومشروم الأطراف. تفرز التابسيا حليبا وعند سحقها تعطي عصارة بما فيها القشرة، كل أجزائها سامة... والتابسيا الإفريقية هي الأكثر طاقوية" [1]. وزيادة على ذلك تنتمي هذه النبتة إلى عائلة الخيميات، وتتصف بامتلاكها لأوراق متباعدة، ملساء ريشية الشكل سميكة ومجوفة قليلا بنصل عميق التفصيص مكسو بزغب أبيض، وبجذمور خشن السمك، وثمار مجنحة مفرطحة، يزيد طولها على الستيمتر الواحد [2].

5- الحلبوب « Euphorbia officinarum »

أفرد بلينوس الكبير « Plinus » ضمن مؤلفه التاريخ الطبيعي عددا من الفقرات لنبتة الحلبوب « Euphorbia » ، والذي نسب سر اكتشاف خصائصها العلاجية لطبيب الملك يوبا الثاني، حيث يقول في هذا الصدد ما يلي: " كان يوبا والد بطليموس أول من حكم الموريطانيتين والذي فاقت شهرته الأفاق بسبب أعماله الأدبية، حيث أعطى الكثير من التفاصيل عن الأطلس، وأشار إلى نبتة تعرف باسم أوفورب نسبة لاسم طبيبه الذي اكتشفها، والذي أثنى كثيرا على الخصائص العجيبة لعصارة حليب هذه النبتة التي تقوي البصر" [3] ونجده يشير في مقام آخر إلى أن الملك يوبا الثاني هو من اكتشف خصائصها العلاجية وسماها باسم طبيبه الإغريقي أوفربيوس « Euphorbius »تكريما له [4] ، وبسبب ولعه بالعلوم ومن ضمنها الطب، فقد أنجز حولها مصنفا يعالج فيه فوائدها العلاجية، حسب ما أستشفه من تعبير بلينوس الكبير، والذي وصفها بإيجاز قائلا: " هي مستقيمة مثل المزراق ولها أوراق أقتثة" [5] .

وبموازاة ذلك نجده يسهب كثيرا في الحديث عن طرق استخلاص عصارتها عن بعد، تجنبا لتأثيرها القوي، حيث تشرط وتحزز من مسافة بعيدة نوعا ما بواسطة عصا طويلة مجهزة برأس

[1] Plinus, *H.N.*, XIII, 43.
[2] عبد القادر حليمي،المرجع السابق، ص. 256.
[3] Plinus, *H.N.*, V, 1, 16.
[4] *Id.*, *Ibid.*, XXV, 38, 1.
[5] *Id.*, *Ibid.*, XXV, 38, 1.

حديدي، مع وضع وعاء من جلد الماعز بأسفل النبتة لجمع العصارة السائلة الشبيهة بالحليب، والتي تصبح عندما تجف كاللُبان. [1]

كما يتمتع الأفراد الذين يشرفون على جمعها بنظر ثاقب، وهي علاج ناجع في مداواة لدغات الأفاعي، أينما كان موضع العضة، ولتأكد من أن عصارة الحلبوب خالصة وغير مغشوشة والتي كثيرا ما عمد الجيتوليون إلى إضافة الحليب إليها، يتم وضعها فوق النار، فان انبعثت منها رائحة كريهة، فهذا دليل على أنها مزيفة، وتشبه في انكسارها انكسار الأمونياك، وإذا ما تذوق شخص كمية قليلة منها، فان ذلك يترك في فمه حرارة تستمر طويلا، لترتفع عبر مراحل حتى تؤدي في النهاية إلى جفاف الحلق. [2]

كما جاء ديوسقوريدوس على ذكر أن الملك برناس هو أول من تذوق طعم الأوفورب، إلا أنه لم يذكر شيئا عن سبب تسمية النبتة بهذا الاسم، ولعل اسم برناس ما هو إلا تحريف لاسم يوبا الثاني [3] ، والذي اعتبرها ابن البيطار نقلا عن الطبيب الإغريقي المذكور أعلاه شجرة شبيهة بشجرة القثاء، ذات أوراق تشبه أوراق الكرفس التي تعتبر أدق منها، وهي شجرة مملوءة بصمغ مفرط الحدة [4]، والجدير بالإشارة أن طريقة جمعها التي أوردها ديوسقوريدوس شبيهة إلى حد كبير بالطريقة التي جاء بها بلينوس الكبير « Plinus » التي سقناها سلفا، حيث يقول الكاتب الأول في هذا الصدد ما يلي : " يعمد القوم لاستخراجه إلى كروش الغنم، فيغسلونها ويشدونها إلى ساق الشجرة، ثم يطعنونها عن بعد بمزراق، فينصب منها صمغ كثير على المكان كأنه ينصب في إناء، وقد ينصب منه في الأرض لحميته في خروجه". [5]

---

[1] *Plinus,H.N XXV,38,1.*

[2] , XXV, 38, 2.

[3] البيضاوية بلكامل، مصادر ابن البيطار الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، نبتة الفربيون نموذجا، مائدة مستديرة في موضوع: الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الاسلامي في العصر الوسيط، الدار البيضاء، مؤسسة لآل سعود 18-21دجنبر2008، الرباط، منشورات عكاظ، 2011، ص. 156.

[4] ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المصدر السابق، ص350

[5] البيضاوية بلكامل، المرجع السابق، ص. 156-157.

صنفه العلماء المختصون في علم النبات ضمن شعبة مستورات البـذور، رتبـة ثنائيـات الفلقـة وضمن نطاق عائلة الفربيونات « Euphorbiacées »، وهو من الأعشـاب الصـمغية السـامة [1] ، وهو يتصف على العموم بساق رفيع أملس يتفرع ابتـداء مـن القاعـدة، أوراقـه بيضـاوية الشـكل متقابلة أو متبادلة، أزهاره أحادية المسكن وتكون ثماره في الغالب عبارة عـن كبسـولات. جـذوره رفيعة أو سميكة ذات درنات جذرية، يصادف وجوده في الأراضي البائرة والسفوح الجبلية [2]

خامسا- النباتات الصناعية

1- الحلفاء اللازبة « Stipa tenacissima »

بدأت عملية استغلال الحلفاء اللازبة من قبل القـدامى خـلال فـترة جـد متـأخرة، حيـث لم يتعدى استعمالها الحـرب الأولى الـتي خاضـها القرطـاجيون باسـبانيا علـى حـد بلينـوس الكـبير « Plinus » [3]، وهي عبارة عن عشب يتكاثر طبيعيـا ولا يمكـن زراعتـه لأنـه مـن النـوع الأسـل الخاص بالأراضي الجافة ومنتوجها الوحيد ، كما لا يمكن بذر نوع أخر بجانبها، وهي حسـبه مثـل الوباء لهذه الأراضي [4].

وتتميز الحلفاء اللازبة الإفريقية مقارنة بالايبيرية بقصر طولها مما جعلها عديمة القيمة في أعين القدامى... ومع هذا صنع الفلاحون منها أسرتهم وأحذيتهم وأوقدوا منها نارهم ومشاعلهم، كما صنع منها الرعاة ألبستهم. والحلفاء اللازبة مضرة للحيوانات باستثناء الأطراف الطرية، ومن أجل اقتلاعها يتوجب على الفرد وضع سويقات برجليه وقفازات بيديه وأن يتجهز بقضيب عظمـي أو عصا حتى تسهل عليه عملية ليها حوله، والفترتين الأنسب لاقتلاعها همـا فصـل الشـتاء والفـترة الممتدة بين الخامس عشرة من ماي وثلاث عشر من جوان. وتعد الفترة الثانية مرحلة نضجها التام مما يسهل من عملية اقتلاعها [5].

---

[1] نفس المرجع، ص. 170.
[2] عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 155.
[3] Plinus, *H.N.*, XIX, 7, 1.
[4] *Id., Ibid.*, XIX, 7, 1.
[5] *Id., Ibid.*, XIX, 7, 1.

تربط بعها الحلفاء اللازبة لمدة يومين وهي لا تزال خضراء، لتفك في اليوم الثالث حيث يتم تعريضها للشمس كي تجف ومن ثم تعاد عملية ربطها في حزم، وبعد إدخالها تغمر في ماء البحر أو الماء العذب في حالة عدم توفر الأول، ثم تجفف تحت أشعة الشمس ليتكرر تبليلها مرة أخرى، تخزن بعدها في برميل وتسقى بالماء الساخن، ومن ثم تجفف وهي واقفة وتضرب لاحقا، وبذلك تصبح جاهزة للتشكيل حسب رغبة الشخص ، والجدير بالملاحظة أن خاصية الحلفاء اللازبة لا تتبدل في المياه أو البحر [1].

2-القصب « Arundo phragmites »

خصص بلينوس الكبير « Plinus »، ضمن تاريخه الطبيعي نصيبا للنباتات ذات الساق القصبي، وفي مقدمتها القصب بأنواعه فمنه القصير، الطويل، النحيل، والسميك الحجم، كما يعتبر عدد أوراقه وألوانه ميزات فارقة بين أجناسه الكثيرة، والتي سميت بحسب الجهات التي ينمو بها، والتي أذكر منها على سبيل المثال قصب جزيرة كريت، قصب لكونيا « Laconia » بشبه جزيرة بلاد الإغريق، قصب أداركا « Adarca » بايطاليا، والأكثر شهرة وانتشارا ضمن هذه الأنواع ككل القصب العملاق « Arundo donax » المتميز بكثرة سيقانه والذي يعيش فقط بالمناطق الرطبة كالسباخ والمستنقعات وعلى ضفاف الوديان، أما النوع المفضل والمبحوث عنه بكثرة كان قصب المناطق الجافة [2].



الصورة (26): نبات القصب.
ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم، Arabe 2771، ورقة رقم، 505.

[1] Plinus, *H.N.*, XIX, 8, 1.
[2] *Id.*, *Ibid.*, XVI, 66, 1-4.

استغلت سيقان القصب منذ وقت مبكر في صنع المزامير قبل أن يتم تعويضها بمادة العظم والمعدن كالفضة. ولأغراض الصيد المختلفة، فقد كان قناصوا الطيور يحبون استعمال قصب منطقة بانورموس « Panhormos » الكريتية لصنع شراكهم، في حين كان صيادو السمك يفضلون استخدام قصب منطقة أباريتانة « Abaritana » الإفريقية [1]، ويعتقد أنه قصب منطقة الأوراس حاليا [2]. كما وظفت سيقانه كدعائم لأشجار الكروم [3] .

يصادف هذا النبات العشبي المعمر المنتمي إلى فصيلة النجليات بكل أنحاء الجزائر، سواء كانت قريبة من المجاري المائية أو بالمناطق الصحراوية، فهو يتمتع بطول كبير قد يصل إلى الستة أمتار وبعثكول مرتخي، وسبيلات مستقلة لكل منها زهرتين، أوراقه شريطية ورمحية الشكل. أضف إلى ذلك فهو من النباتات الجذمورية القوية [4].

3- الأسل « Juncus »

عدد ماغون « Magon » نقلا عن بلينوس الكبير « Plinus » أنواعا من جنس الأسليات « Juncaceae » في مقدمتها الأسل الكبير « Schoenus mariscus » والمعروف كذلك باسم أسل المستنقعات « Mariscus » المستعمل بكثرة في ظفر الحصائر. ولقد نصح ماغون « Magon » بقطعه خلال الفترة الممتدة بين شهر جوان ومنتصف شهر جويلية [5]، وبضرورة تجفيفه في الشمس ابتداء من اليوم الثالث من قطعه إلى غاية أن يبيض لونه مع الحرص على إدخاله كل يوم قبل غروب الشمس [6].

أما الأسل البحري « Juncus maritimus » الذي نعته الإغريق باسم أوزيشونوس « Ozyschoenos » ويشتمل على ثلاثة ضروب منها : الأسل المسنون، الأسل

---

[1]Plinus, *H.N.*, XVI, 66, 6.

[2]Chastagnol (A.), *La fin du monde antique*, Paris, Nouvelles Éditions Latines, 1976, p. 236.

[3]Plinus, *H.N.*, XVI, 67, 1.

[4]Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales, op.cit., 1*, p. 115.

[5]Plinus, *H.N.*, XXI, 69.

[6]*Id., Ibid.*, XXI, 68.

العقيم أو الذكري كما ينعته الإغريق، وأسل أوكسيس « Oxys »، الأسل الأنثوي المعروف باسم ميلاكرانيس « Mélancranis » ذو البذور السوداء وهو أكبر وأكثر تفرعا من السابق [1]، الأسل الحلال « Scirpus holoschoenus » المتميز بضخامة حجمه وفروعه الكثيرة، ويحمل ثمارا شبيهة بالبيض مربوطة ببعضها البعض، وينمو هذا النوع جنبا إلى جنب مع الأسل البحري، في حين ينمو أسل أوكسيس « Oxys » بمعزل عنهما. ويمكن اعتبار الأسل الحلال من أجود أنواع الأسليات الصالحة لصناعة السلال لأنه خفيف ولحمي في الوقت نفسه [2].

ويترك الأسل الفواح « Andropogon shoenanthus » الدائري الشكل على اللسان مذاقا حامضا وخمريا، يضم عدة أصناف أفضلها الأسل النبطي يليها الأسل البابلي، أما الأكثر رداءة فهو الأسل الإفريقي العديم الرائحة [3]. وفي الأخير الأسل البحيري أو الغديري « Scirpus palustris » الذي استخدمه صيادو إفريقيا في صنع أشرعة قواربهم، هذه الخيرة التي كانت تربط بطريقة غريبة تتمثل في ربط السارية بالجهة المقابلة لكوثل(المؤخرة) السفينة، وهذا ولقد استغله الموريون لتغطية أكواخهم المعروفة باسم المباليا [4].

وعموما تعيش جل أنواع الأسل في المستنقعات أو على ضفاف الأنهار أو البحيرات أوالضايات ذات المياه العذبة أو القليلة الملوحة والمالحة استثنائيا، ولقد صنفه علماء النبات ضمن رتبة مستورات البذور ووحيدات الفلقة « Angiospermopsida Monocoty le donae »، يتراوح طول سيقانه ما بين القصر والطول، ولا يتعدى ارتفاعها في بعض الأنواع المترين، وتكون في العادة ملساء وصلبة، ذات أوراق شريطية تنمو ابتداء من القاعدة، ولبعض أنواعه جذور جذمورية قوية، أزهاره صغيرة لها قنابيات تظهر في قمة السيقان، خشوية ذات ثلاثة أجزاء [5].

---

[1]Plinus, *H.N.*, XXI, 69.
[2]*Id., Ibid.*, XXI, 69.
[3]*Id., Ibid.*, XXI, 72, 1.
[4]*Id., Ibid.*, XXI, 70, 1.
[5]Maire (R), *F.A.N, IV*, Paris, Paul Le chevalier, 1957p. 255 ; عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 197.

4- الصفصاف « **Salix** »

نوه بلينوس الكبير « Plinus » إلى وجود العديد من الأنواع في صنف نبات الصفصاف المعروفة كذلك باسم السوحر، فمنه من يتمتع بأغصان ذات علو كبير على شكل عصي طويلة متطايرة، استخدمت كدعائم لكرم العنب ووظف لحائه المقطوع إلى أشرطة وسيور في صنع الأربطة، واستخدمت الأغصان الرفيعة لبعض الأنواع كعيدان مرنة للربط وفي انجاز تحف رائعة من السلالة. ونظرا لتمتعه بخاصية الصلابة كان من ضمن المواد الأساسية التي تدخل في صناعة القفاف والعديد من الأواني الريفية. أما النوع الثاني والمعروف بالصفصاف الأبيض « Salix alba » فقد شُكلت منه الأواني ذات الأثمان المعقولة مقارنة بالتي تصنع من الجلد المدبوغ، وهو جيد لصنع الكراسي المريحة للظهر [1].

يتخذ الصفصاف شكل أشجار أو شجيرات متناثرة هنا وهناك على ضفاف الأنهار، السواقي، البحيرات أو في شكل باقات كثيفة أو على حوافي الطرقات، تكون أغصانه عادة مرنة سهلة اللي، أوراقه رمحية مستطيلة الشكل، أزهاره صفراء أو مائلة إلى الاخضرار، ثنائية المسكن، على شكل قدد منتصبة تظهر قبل ظهور الأوراق، الثمار علبية جرداء، لازندية تقريبا لها مصراعين تحوي الكثير من البذور القطنية [2].

سادسا- نباتات برية أخرى

1- البرواق « **Asphodelus microcarpus** »

يعتبر البرواق عشبا بريا معمرا، يتميز بأوراقه المتطاولة والضيقة في ذات الوقت، وببصلة شبيهة باللفت الصغير الحجم [3]، وتمثل البذور والبصل الأجزاء الصالحة للأكل، وذلك بعد تحميص الأول وطبخ الثاني تحت الرماد، يضاف إليها الملح والزيت، كما يمكن بشره مع التين [4].

[1] Plinus, *H.N.*, XVI, 68, 1.

[2] حسان قبيسي، النباتات والأعشاب الطبية، نفس المرجع، ص. 215، عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 123.

[3] Plinus, *H.N.*, XXI, 48, 1.

[4] *Id., Ibid.*, XXI, 48, 1.

ولقد نصح ماغون « Magon » بقطع البرواق في نهاية شهر مارس وبداية شهر أفريل قبل الإزهار وكبر البذور، وبفلق السيقان وتعريضها للشمس خلال اليوم الرابع وجعلها في حزم حينما تجف [1]. كما يعتقد أن زراعته أمام باب الإكارة* يحفظ سكانه من سوء الطالع [2].

وعرف البرواق تحت اسم آخر وهو الخنثى لدى ابن سينا حيث قال في وصفه مايلي:" ورقه كالكراث الشامي وله ساق أملس على رأسه زهر، وله ثمرة طوال مستديرة كالبلوط وهو حريف [3]. يعيش بالأراضي البور وحواف الغابات بالمناطق التلية الجزائرية وبخاصة بناحية قسنطينة [4]، ينتمي إلى عائلة الزنبقيات يتصف بعروق منتفخة في شكل أدران مملوءة بالماء، أوراقه تخرج من أصل واحد كورق البصل وهي كثيرة متباعدة ولحمية النسيج ويصل طولها الخمسين سنتيمتر، دقيقة النصل مستطيلة مجوفة، تحمل أزهارا بيضاء اللون، بذورها بحجم حبات الحمص الصغير ومستديرة الشكل [5].

2- العسلوج « Scolymus hisponicus »

أورد سترابون « Strabon » قائمة مجملة بأسماء بعض الأعشاب البرية الصالحة للأكل باعتبارها من الخضروات التي تنمو بموريطانيا، من ضمنها نبات العسلوج « Scolymus » العملاق المقدر طوله باثني عشرة قدما(خمسة أمتار)، وبمحيط يبلغ الأربعة أشبار(ثلاثين سنتيمتر) [6]، وهو مخالف تماما لما جاء به بلينوس الكبير « Plinus » في وصفه للعسلوج، إذ لا يتعدى ارتفاع حسبه الذراع الواحد [7] ومرد ذلك راجع إلى أن سترابون « Strabon » على مدار كتابه السابع عشر كان دائما يلصق صفة كل ما هو عجيب وعملاق من حيوانات ونباتات لما

---

[1] *Plinus,,* XXI, 48. 2.

* أرض مستأجرة بطريقة المزارعة، تقسم غلتها بين المؤجر والمستأجر.

[2] *Id., Ibid.*, XXI, 48, 1.

[3] ابن سينا، الأدوية المفردة والنباتات من كتاب القانون في الطب، تقديم جبران جبور، بيروت، منشورات مؤسسة المعارف، 1971، ص. 319.

[4] Lacroix (F.), Afrique ancienne, *loc.cit.*, p. 118.

[5] عبد القادر حليمي، النباتات الطبية في الجزائر، نفس المرجع، ص. 63.

[6] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 4 ; Amigues (S.), Végétaux étranges au remarquables du Maroc antique d’après Strabon et Pline l’ancien, *Ant.Afr.*, 38-39, 2005, p. 43.

[7] Plinus, *H.N.*, XXII, 43, 1.

يعرف بليبيا وقد صنفه بلينوس الكبير « Plinus » كأحد النباتات الشوكية التي يمكن زراعتها في الحدائق من أجل الاستفادة من خصائصه العلاجية، حيث يتمتع جنسه دائما بسيقان كثيرة وأوراق عديدة جانبيه شوكية وجذور سوداء حلوة المذاق ويعتبر حسب إراستوستان « Ératosthène » بمثابة طعام للفقراء [1]. ويصادف هذا النوع النباتي بكل المناطق البيومناخية وهو ثنائي الحول، يمتلك أوراقا متموجة ومفصصة ذات أشواك، إزهراره رؤيسي الشكل به أزهار صفراء اللون، ويضم جنسه نوعان حيث تظهر على الثاني بقع بيضاء على مستوى الأوراق والسيقان، هذه الأخيرة تؤكل نية أو مطبوخة بعد تقشيرها [2].

3- اللوف « Arum italicum »

أشار سترابون « Strabo » إلى اللوف في خضم عده للنباتات البرية العملاقة والخضروات المنتشرة بموريطانيا [3]، واعتبره تيوفراست « Théophraste » من قبله نباتا نباتا بقلي، يستهلك منه درنه وأوراقه بعد غليها في الخل [4]، في حين أثنى بلينوس الكبير « Plinus » كثيرا على خصائصه العلاجية العديدة، دونما تقديمه لوصف وافي عنه، باستثناء ذكره لرائحته القوية التي تؤدي إلى الإجهاض، وأن درناتة الأنثوية صالحة للأكل مقارنة بالذكرية المتميزة بصلابتها حيث يستغرق طبخها مدة أطول [5]. وفضلا عن ذلك يتميز درن هذا الأخير بشكله كروي، ويتمتع بأوراق كبيرة ممددة، لامعة ولحمية [6]، ولقد ولقد كان السكان المحليون يأكلونه إلى غاية وقت قريب، وذلك بعد تعريض جذوره للشمس أو إلى بخار الماء المغلي لكي يفقد حمازته [7].

---

[1]Plinus, *H.N.*, XX, 99 ; XXII, 43, 1.

[2] عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 193.

[3] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 4.

[4]Théophraste, *H.P.*, VIII, 12, 2.

[5]Plinus, *H.N.*, XXIV, 92.

[6]Amigues (S.), Végétaux étranges au remarquables du Maroc antique d'après Strabon et Pline l'ancien, *loc.cit.*, p. 42.

[7]Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, 1, op.cit.*, p. 301.

4-اللانجبار « Serpentaire »

اكتفى سترابون « Strabo » بذكر اللانجبار بصفته عشبا بريا صالحا للأكل يكثر وجوده بموريطانيا [1]، في حين كان تيوفراست « Théophraste » من قبله قد اعتبره نباتا ساما، يقتصر استخدامه في مجال التطبيب فقط [2]. هذا وقد قال عنه ديوسكوريد « Dioscoride » مايلي: " يستهلك بذر اللانجبار كخضار حتى من قبل الأصحاء، يؤكل مطبوخا أو نيا، سكان جزر البليار يخلطون بذوره المطبوخة مع كمية من العسل، ليقدمونه في احتفالاتهم في شكل حلويات" [3]، وعلاوة على ذلك يتمتع بساق طويل مبقع وتفوح من أزهاره رائحة كريهة [4].

5-الجزر البري « Daucus mauritanicus »

جاء سترابون « Strabon » على ذكر سيقان الجزر البري الصالحة للأكل والمنتشرة بكثرة بموريطانيا تحت اسم ستافيلينوس « Staphylinus » دون تقديم أية تفاصيل أخرى [5]، والتي تقدم بها لاحقا ديوسكوريد « Dioscoride » ضمن توطئة موجزة حوله قبل الحديث عن خصائصه العلاجية حيث يقول:" يتميز بنظام إزهار خيمي شبيه بالشبت مزين بأزهار بيضاء، يوجد بمركزها جزء صغير ذو لون أرجواني، له جذور بحجم الإصبع، وبطول شبر(22 سنتيمتر) رائحته زكية ويؤكل مطبوخا" [6]. وينطبق هذا هذا الوصف مع ما ذكره علماء النبات المعاصرين، وعلاوة على ما ذكره الكتاب القدامى أشاروا إلى طوله الذي قد يبلغ المتر ونصف، وساقه المنتصب المتفرع، والحامل لأوراق مفصصة على شاكلة أوراق الجزر المزروع [7].

---

[1] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 4.
[2]Théophraste, *H.P.*, VII.12, 2.
[3]Dioscoride, II, 166, d'après Amigues (S.), Végétaux étranges au remarquables du Maroc antique d'après Strabon et Pline l'ancien, *loc.cit.*, p. 42.
[4] *Id.*, *Ibid*., p. 42.
[5]Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 4.
[6]Dioscoride, III, 52, d'après Amigues (S.), Végétaux étranges au remarquables du Maroc antique d'après Strabon et Pline l'ancien, *loc.cit.*, p. 43.
[7]Lieutaghi (P.), *Le livre des bonnes herbes*, *op.cit.*, p. 155-156 ; Amigues (S.), Végétaux étranges au remarquables du Maroc antique d'après Strabon et Pline l'ancien, *loc.cit.*, p. 43; حسان قبيسي، النباتات والأعشاب الطبية، نفس المرجع، ص. 118.

6- البسباس « Foeniculum vulgare »

يعتبر كتاب الجغرافيا لسترابون « Strabo » المصدر الوحيد الذي نوه إلى نبات البسباس البري العملاق باعتباره أحد الأعشاب المألوفة الوجود بموريطانيا [1]، دون الحديث عن مميزات وخصائص استخدامه، فهو نبات عشبي حولي معمر وعطر، قد يصل طوله إلى المترين ونصف [2]، تنتظم أزهاره الصفراء في شكل خيمات عند طرف الساق الذي يكون كثير التفرع لامع ومليء، يمتلك أوراقا طويلة خيطية خضراء زرقاء قائمة ورخوة. ثماره خضراء مصفرة، بذره غليظ مغزلي الشكل [3].

7- زهرة السوسن « Iris »

يزخر الغطاء النباتي الجزائري بعدد لا يحصى من الأزهار، إلا أن المصادر القديمة اقتصرت على ذكر زهرة السوسن « Iris » فقط، التي لقيت شهرة ورواجا كبيرا في العالم الروماني حيث قال في حقها بلينوس الكبير « Plinus » مايلي:" تعتبر الجذور الجزء الوحيد العطر في زهرة السوسن، المستعمل في العطارة والطب، والسوسن المفضل كثيرا هو سوسن إليريا(الجزء الشمالي من البلقان)... يليها في المرتبة الثانية سوسن مقدونيا المتميز بطوله الكبير وبياض لونه ونحافته، وفي المرتبة الثالثة سوسن إفريقيا ذو الحجم الكبير ضمن نوعه والمذاق الشديد المرارة" [4]. وأضاف في موضع أخر قائلا: " هناك بعض الأزهار تحتفظ برائحتها لفترة أطول حتى بعد جفافها مثل السوسن، لدرجة أنه يعطر الشجر بالكامل" [5]. ولهذه الزهرة ضروب كثيرة تشترك في امتلاكها لجذور بصلية الشكل أو جذمورية [6].

---

[1] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 4.

[2] Amigues (S.), Végétaux étranges au remarquables du Maroc antique d'après Strabon et Pline l'ancien, *loc.cit.*, p. 43.

[3] حساني قبيسي، النباتات والأعشاب الطبية، نفس المرجع، ص. 208، عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب، تقييم وبيومناخات ووظائف وقيم واستخدامات، نفس المرجع، ص. 161.

[4] Plinus, *H.N.*, XXI, 19, 1.

[5] Plinus, *H.N.*, XXI, 18, 1.

[6] عبد المالك بنعبيد، المرجع السابق، ص. 210.

8-الترفاس « Tuber niveum »

أسهب الكتاب القدامى في الحديث عن فطر الترفاس « Tuber » الذي اعتبروه ظاهرة طبيعية غريبة، وصنفه بلينوس الكبير « Plinus » على رأس قائمة الروائع التي تنتجها الأرض، فهو يتوالد ويعيش من دون جذور وغير مثبت في التربة بأي ليف ولا ملتصق بها، ملفوف بلحاء، ينمو عادة بالمناطق الجافة الرملية المغطاة بالأشواك، يتعدى حجمه عادة حبة السفرجل حيث يتجاوز وزن الحبة منه الرطل الواحد، وهو نوعان الرديء المغطى بالرمال المضر بالأسنان والجيد، كما يمكن التمييز بين شتى أنواعه من حيث اللون الذي يكون إما أحمر، أسود أو أبيض من الداخل. وأفضل وأجود أنواع الترفاس تلك القادمة من إفريقيا [1]، وقد أرجع الكتاب القدامى تكاثر هذا النوع من الفطريات إلى الأمطار الرعدية المصحوبة بالزوابع الرملية، إلى جانب عاملي الحرارة والمياه الجوفية [2]. ويتوجب جمعها في السنة ذاتها، ويفضل أن يكون في فصل الربيع حيث تكون في كامل جودتها [3]. وصنف الشاعر مارتياليس « Martialis » الترفاس ضمن قائمة الفطريات الثانوية [4]، وأنشد في حقه الشاعر جوفيناليس « Juvénalis » قائلا: " أيها الليبي احبس احبس قمحك، وأوقف ثيرانك لكن ابعث لنا بكمئك" [5].

وأشار بلينوس الكبير « Plinus » وأتيني « Athénée » إلى فطر يسمى باسم ميزي« Misy » ، وما هو إلا أحد أشهر أنواع الترفاس المتميز برائحته الشبيهة برائحة اللحم ومذاقه الشهي [6].

---

[1]Plinus, *H.N.*, XIX, 10, 1-2 ,11.
[2] Dib (S.), *Étude du pouvoir antimicrobien et mycorhizien de deux espèces de Terfez : Tirmania pinoyi (Maire) Malencon et Terfezia leptoderma Tul*, These de doctorat, Université d’Oran, Faculté des sciences, département de Biothechnologie, 2012, p. 9.
[3]Athénée, *Les deipnosophistes*, II, 60.
[4]Martial, *Épigrammes*, XIII, 50.
[5]Juvénal, Satires, V
[6]Plinus, *H.N.*, XIX, 12 ; Athénée, *Les deipnosophistes*, II, 60.

الفصل الثالث

تربية الحيوانات والرعي والزراعة في الجزائر خلال العصور القديمة

تفطن الانسان منذ وقت مبكر إلى امكانية استفادة من الوسط البيئى الذي يعيش فيه وعدم الاكتفاء بالنشاط الاقتصادي القائم على صيد الحيوانات وقطف وجمع الثمار. الذي يكون مرتبطا بالمواسم ودرجة وفرتها في الطبيعة، فلحماية نفسه من الحاجة لجئ إلى استئناس وتربية الحيوانات وإلى تدجين مختلف أنواع النباتات البرية الصالحة للأكل، وبعد محاولات عديدة مع أنواع وأصناف مختلفة حيوانية ونباتية، نجح في تدجين بعضها، والتي أصبحت تشكل مصدر ثرائه من جهة ومحل طمع غيره من جهة أخرى.

أولا- تربية الحيوانات والرعي

1- تربية الحيوانات في العصر الحجري الحديث

لا يمكننا معالجة موضوع تربية الحيوانات وظاهرة الرعي في فترة العصور الحجرية دون التطرق لظاهرة تدجين الحيوانات من قبل إنسان تلك الفترة، حيث بدأت المحاولات الأولى لاستئناسها منذ العصر الحجري الأوسط « Épipaléolithique » لتصبح تربيتها أمرا واقعا ومألوفا ابتداء من أواسط العصر الحجري الحديث [1]، هذا العصر الذي يعتبر منعطفا فارقا في تطور الحضارة البشرية ومعه بدأت دورة حضارية تختلف عن سابقتها [2]. تمكن أثناءها إنسان العصر النيوليتي من إحداث تعديلات على أدواته الحجرية المصنعة، فظهر ما يعرف باسم الفؤوس المصقولة ورؤوس السهام، مع ظهور وشيوع استعمال الفخار، فضلا عن تدجين الزراعة واستئناس الحيوانات [3]. وبذلك يستحق هذا العصر أن نطلق عليه مصطلح "الثروة الإنتاجية" بجدارة [4].

---

[1] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 88.

[2] محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (صور ماقبل التاريخ و فجر التاريخ)، ج 1، الجزائر، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص. 190-192

[3] نفس المرجع، ص190. ; Cornevin (M.), Les néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique, *B.S.P.F.*, 179, 1982, p. 399 ; Despois (J.), Les peuplement préhistorique de l'Afrique du Nord, d'après M.L. Balout, *Annales de géographie*, 66, 1957, p. 458.

[4] محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، نفس المرجع، ص. 180، محمد السيد غلاب ويسري الجوهري، الجغرافية التاريخية، عصر ما قبل التاريخ وفجره، القاهرة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 1997، ص. 277.

ويجهل الكثير عن البدايات الأولى التي قادت الإنسان إلى استئناس أنواع معينة من الحيوانات دون بعضها الآخر، وعلى ما يبدو أن الخطوة الأولى في الاستئناس قد أخذت مباشرة من الصيد، بدليل أنّ الإنسان في فترة ما قبل التاريخ عاش بالقرب من قطعان الحيوانات، أين كان يصطاد منها ما يسد حاجاته الحياتية، وصار ملازما لها ويتبعها خلال هجراتها الطبيعية. و هذا التعايش المشترك والتلازم الطويل بينهما، دفعه إلى التفكير في إعادة نماءها و تكاثرها [1] وذلك عبر مراحل كان أولها الصيد. ومن الإشارات الدالة على ذلك جدارية من تيمنزوزين، تمثل شخصين متنكرين ومنطلقين في عملية الصيد. والصيد هنا من أجل الاستئناس وليس الافتراس، وقد اقتضت العملية أن يتنكرا في زي حيوان. حيث يضع الشخص الموجود في أعلى اللوحة حبلا برقبة الحيوان. هل يا ترى كانا يستهدفان في هذه العملية حصانا، بقرة، زرافة، أم حيوان آخر ؟أم كل هذه الحيوانات مجتمعة [2] (الصفحة204 – الصورة رقم27).

وثانيها حجز الحيوانات الصغيرة الضعيفة والأكثر وداعة من مجموع الحيوانات المتوحشة، تليها عملية ترويضها ولعله حاول مع جميعها أين نجح مع البعض منها وفشل مع البعض الآخر، ومن ثم استئناسها، انتهاء بتربيتها من خلال خلق ظروف حياتية مواتية ومناسبة لها، لتصبح في آخر المطاف ملكا له [3]. وسأركز فيما يلي على دعامتين أساسيتين هما البقايا العظمية والفن الصخري في عملية التطرق للحيوانات المستأنسة والمرباة في الجزائر خلال العصر الحجري الحديث.

---

[1] Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara*, Alger, ANEP, 2005, p. 225.

[2] محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (صور ماقبل التاريخ و فجر التاريخ)، ج 1، نفس المرجع ، ص. 265.

[3] عبد الحميد بعيطيش، علاقة إنسان الطاسيلي بالوسط الطبيعي في الفترة النيوليتية، منتدى ملوزة، 2012/03/12
Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.*, p. 225 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, op.cit.*, p. 89-90 ; Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.*, p. 551 ; Aumassip (G.), Tauveron (M.), Vernet (R.), L'élevage au Sahara, *In, Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels,* Paris, L'Harmattan, 1994, p. 137-138.



الصورة (27): شخصين متنكرين – تيمنزوزين، جبارن.

محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (صور ما قبل التاريخ و فجر التاريخ)، ج 1، وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص. 265.

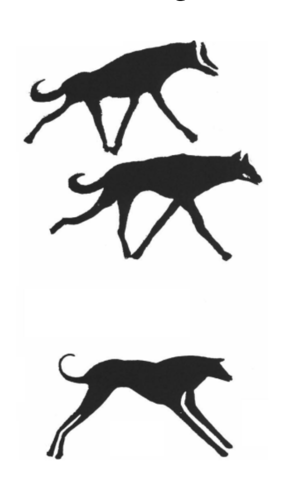
1-1- الحيوانات المستأنسة

1-1-1- الكلاب

تعتبر مرحلة استئناس الإنسان للكلب الخطوة التقدمية الأولى التي ستساعده على الانتقال إلى المراحل الموالية التي تخص تدجين أنواع أخرى من الحيوانات، وأقصد بذلك مرحلة إنتاج الطعام وممارسة الزراعة والعيش في قرى. ومن جهة أخرى كيف استطاع الإنسان فرض سيطرته على هذا الحيوان وجذبه إلى نطاق حياته الاجتماعية؟ وهو الأمر الذي مازال مثار اختلاف حتى اليوم، لكن من المتفق عليه بين الباحثين أن قضية ترويضه بدأت عن طريق ربط الجراء بالقرب من أماكن عيشه، ولربما جاءت الخطوة الأولى من جانب الكلب نفسه وليس الإنسان، وذلك من قبل بعض الكلاب البرية الصغيرة التي كانت تتردد على أماكن سكناه أو التي يعسكر بها، لتلتقط بعض

الطعام والعظام، وأظهرت بذلك بعض اللين لتتطور العلاقة بينهما إلى درجة الألفة، بعدما أصبح يقدم لها وجبة من الطعام إلى أن وصل إلى درجة الاستئناس الكامل فأصبحت صديقة له [1].

وقد اكتسب الكلب أهمية خاصة لدى الإنسان، بسبب تميزه بصفة الوفاء للسيد، ومن ثم توفير الحماية له أثناء الفترات التي يكون فيها نائما أو غير منتبه، كما استخدم في صيد الحيوانات، وفي هذا الشأن أذكر على سبيل المثال لا للحصر، جدارية عثر عليها بوادي جرات، يظهر فيها صياد رفقة كلب خاضع من نوع السلوقي، يرمي بمرتدة « boomerang» على ما يبدو باتجاه ثور دون أن يرعبه [2]، ولعله مارس حراسة ورعاية قطعان الماشية منذ وقت مبكر[3]. إذ عثر في المستوى الأعلى لمغارة كابلوتي بخنقة سيدي محمد الطاهر بالأوراس على بقايا عظمية لكلب إلى جانب عظام الماعز والغنم [4]، ومن المحتمل أنه أستأنس محليا [5].



الصورة (28): جدارية لكلاب مستأنسة – تامادجرت، الطاسيلي ناجر.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/2236/img-3.png

---

[1] محمد السيد غلاب ويسرى الجوهري، الجغرافية التاريخية، عصر ما قبل التاريخ وفجره، نفس المرجع، ص. 243.

[2] Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara*, *op.cit.*, p. 226 ; Aumassip (G.), Tauveron (M.), Vernet (R.), L'élevage au Sahara, *loc.cit.*, p.148.

[3] محمد السيد غلاب ويسرى الجوهري، الجغرافية التاريخية، عصر ما قبل التاريخ وفجره، نفس المرجع، ص. 243.

[4] Roubet (C.), *Économie pastorale préagricole en Algérie orientale*, Paris, CNRS, 1979, p. 385.

[5] Camps (G.), *Les Civilisations Préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara*, Paris, Doin, 1974 , p.275 ; Aumassip (G.),Tauveron (M.), Vernet (R.), L'élevage au Sahara, *loc.cit.*, p.148.

1-1-2- الخنازير

يعتقد أن الخنزير المدجن ببلاد المغرب القديم بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة كان من خنزير محلي والذي وجد بكثرة منذ فترة وورم « Wurm»[1].

1-1-3- الأبقار

يرجع استئناس البقر حسب التحاليل التي أجريت على فحم الخشب المكتشف أسفل الجدران المرسومة له بالأهقار والطاسيلي أكاكوس باستعمال الكربون رقم 14 (C14) ، إلى ما بين 7500 و3700 سنة قبل الميلاد، ومن هذا المنطلق يمكن الجزم واعتبار الجبال الصحراوية كموطن بدائي لاستئناس البقر، وهذا ما يجعلنا نمتنع عن الحديث عن هجرة للثور المستأنس من آسيا[2]. ومن ناحية أخرى تحتل صور الثور الأليف مكانا بارزا في الفن الصخري، حيث منح اسمه لمرحلة منه اصطلح على تسميتها بفترة البقريات (6000- 4000 سنة قبل الميلاد)، بسبب غلبة صوره على هذه المرحلة والتي تعرف كذلك باسم "مرحلة الرعاة"، وفيها خلف هؤلاء الفنانين رسوما منقولة عن الطبيعة بكل أمانة وبحرص بالغ مع الحفاظ على جميع التفاصيل الدقيقة للحيوان وفي وضعيات مختلفة وهي إما جامدة أو تتحرك، مما يدل على شدة قوة الملاحظة لديهم من جهة، ومعايشتهم لها عن قرب من جهة أخرى[3]. وفي هذا الصدد تم إحصاء ستة آلاف رسم له بمنطقة الطاسيلي ناجر لوحدها[4].

ولقد كشفت الرسوم الصخرية عن بعض الجوانب التشريحية الدالة على أنها ثيران مدجنة، منها الأثداء الكبيرة، والتشويه والتغيير الاصطناعي الذي أحدثه الإنسان على القرون. إذ أضحت صغيرة، معقوفة نحو الأمام، أو غائبة كليا ذات أجسام نشيطة، جميلة

---

[1] Camps (G.), *Les Civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, op.cit.*, p. 275 ; لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص.201.

[2] Cornevin (M.), Les néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique, *loc.cit.*, p. 399.

[3] هنري لوت، لوحات تيسيلي، تعريب أنيس زكي حسن، طرابلس، مكتبة الفرجاني، ص. 61، ص.204.

[4] Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.*, p.239.

ونحيفة [1] وبيوص (الجلد) مُبقع. وبخصوص الميزة الأخيرة، فقد تمكن دوبي « Dupuy» ودونيس « Denis» ضمن دراسة حديثة لهما، من إحصاء عدد لا بأس به من الثيران ذات الجلد المبقع « Robe de pie» بالطاسيلي ناجر التي يرجع تاريخها إلى بداية الألفية الرابعة قبل الميلاد، أي بألف سنة قبل بداية عهد الدولة القديمة بمصر [2]، وقد صبغت هذه البقع في الغالب بالأبيض، كما استعملوا اللون الأحمر، الأصفر، الأخضر، وحتى الأزرق لإظهار بعض التفاصيل [3](الصفحة 208- الصورة رقم 29).

كما نلمس ملامح استئناسها من خلال الإكسسوارات والزوائد التي أضيفت إليها، كالقلائد بالأعناق. وعلى سبيل التنويه عثر على رسم بصفار بالطاسيلي ناجر، أين أضيف لقلادة الثور رمز على شكل حرف « V» اللاتيني والذي لعله يكون رمزا للتمييز أو حجاب أو تعويذة للحماية(الصفحة 209- الصورة رقم30)، بالإضافة إلى النوط، الشكال، البردعة، العقال والدوائر فوق الرؤوس [4]، أزد على ذلك استغلالها في الركوب والترحال، حيث أطلق عليها هووارد « Huard» اسم "الثيران الممطية"، فقد عثر بالطاسيلي على لوحة جميلة، تظهر نساء يركبن ثيرانا ذات عدة ترحال كاملة، تتمثل في سروج مزينة، حياصات « Croupieres» ، وضينات وأزمة موصولة بصدورها. هذا واكتشفت بالجنوب الوهراني ثيران ممطية تعود إلى مرحلة البقريات المتأخرة، نذكر منها ثور مردوفة الذي يقدر طوله بخمسة وعشرين ستيمتر ، وهو يحمل حِملا دائري الشكل، وثور آخر بعين مارشال الذي رسم فوق ظهره قوسان لربما يكونان لحمولة أو سرج. [5]

---

[1]Hachid (M.), *Les pierres écrites de l’Atlas Saharien, op.cit.*, p. 89 ; Cornevin (M.), Les néolithiques du Sahara central et l’histoire générale de l’Afrique, *loc.cit.*, p. 444 ; هنري لوت، لوحات تيسيلي، نفس المرجع، ص.204.

[2]Dupuy (C.), Denis (B.), Les robes des taurins dans les peintures de la Tassili –n- Ajjer (Algérie) : polymorphisme ou fantaisies ?, *Cahier de l’A.A.R.S.*, 15, 2011, p. 45.

[3] هنري لوت، لوحات تيسيلي، نفس المرجع، ص. 61، ص. 204.

[4] Ferrah (A.), *L’Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.*, p. 234 ; Hachid (M.), *Les pierres écrites de l’Atlas Saharien, op.cit.*, p. 89.
ك. ابراهيمي، تمهيد في ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير شنيتي ورشيد بورويبة، الطباعة الشعبية للجيش، 2007، ص. 126.

[5]Huard (P.), Nouvelles figurations Sahariennes et Nilo- Soudanaises des bœufs porteurs, montés et attelés, *B.S.P.F.*, 65, 1968, p. 115 ; p. 117 ;.ك.ابراهيمي، المرجع السابق، ص. 126.

1-1-4 الغنم و الماعز

تعتبر الدراسات الأوروبية الإنسان المغاربي غير قادر وقاصر على استئناس الحيوانات المتوحشة، وفي مقدمتها فصيلة الغنميات. حيث يعتقدون أن الغنم المستأنس الموجود دخيل على المنطقة، وهو ما ذهب اليه جل الباحثين من أمثال إليه اسبرنديو « Esperandieu »[1] وكامبس « Camps»[2]. ما نحين الأسبقية في ذلك لمنطقة الشرق الأدنى أو تركيا، أين تم العثور على أقدم آثار لتدجينها، والتي تعود إلى الألف السابعة قبل الميلاد، لتسلك طريقها إلى البلاد المغرب القديم برا أو بحرا[3].



الصورة(29): جدارية قطيع من الأبقار بألوان مختلفة –جبارن، الطاسلي ناجر.

Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara*, Alger, ANEP, 2005, p. 300, Fig. 378.

[1] Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.*, p. 565.
[2] Camps (G.), *Les Civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara, op.cit.*, p. 275.
[3] مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ) ، نفس المرجع، ص.88.



الصورة (30): بقرة مبقعة تحمل طوقا – صفار، الطاسيلي ناجر.

Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara*, Alger, ANEP, 2005, p. 277, Fig. 277.

إلا أن واقع الأبحاث أبان عكس ذلك، ومما لا شك فيه ستسقط فرضية الأصل الأجنبي للماعز والغنم، كما سقطت من قبله نظرية الأصل الأجنبي للحصان كما سنرى لاحقا. فلقد تم العثور بمغارة كابلوتي خنقة سيدي محمد الطاهر بالأوراس على بقايا عظمية يقدر مجموعها بـ 12050 قطعة، تعود في غالبيتها إلى الأغنام والماعز، وذلك بجميع المستويات الأربعة للمغارة المنقبة، حيث ترجع البدايات الأولى لتردد الإنسان عليها إلى منتصف الألف الخامسة قبل الميلاد، كما دلت الأبحاث التي أجرتها روبي « Roubet» على العظام، على قيام الإنسان بجزر هذه الماشية وهي صغيرة وهي لم تكن قد بلغت السنتين، مما أدى بها الاعتقاد بوجود ذبح انتقائي،

وبهذا ألا يمكن اعتباره احتمالا على أنها مستأنسة ؟ ولعله حدث قبل الألف الخامسة قبل الميلاد [1] وفي وقت لم يعرف فيه الإنسان الذي عاش بالأوراس امتدادا خارج منطقته محليا أو قاريا، هذا ولا يستبعد الباحث أركل الذي نقب موقع شهيناب بالسودان في الخمسينيات من القرن العشرين، أن يكون الماعز قد أستأنس بمنطقة دوارف بالصحراء الجزائرية [2] . وعلاوة على ذلك تظهر بوضوح مقدمات استئناس الماعز والغنم على الصور العائدة إلى فترة تعرف بما قبل مرحلة البقريات أو ما قبل الرعي والمعثور عليها بوادي جرات بالطاسيلي ناجر، الجنوب الوهراني والأطلس الصحراوي، فقد خلص كل من هووارد « Huard» وألارد « Allard» إلى وجود إشارات لبداية رعي الأغنام برسوم جبال أولاد نايل [3].

1-1-5- الأحصنة

ساد الاعتقاد إلى وقت قريب بالأصل الأجنبي للحصان المستأنس من قبل المؤرخين والباحثين الفرنسيين أمثال غزال « Gsell»، لوت « Lhote»، إسبرانديو « Esperandieu» وغيرهم [4]، وبالرغم من أن هناك من شكك في هذه النظرية كغوتيي« Gautier» بقوله: " ليس بوسعنا تصور إفريقيا بدونه". [5]، إلا أنه لم يقدم سندا يضحد هذه الفكرة. فقد كان من المسلم به أن الحصان دخل بلاد المغرب القديم مستأنسا قادما من مصر، وذلك خلال النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد، وأن الهكسوس هم من جلبه لمصر، وهذا الأمر عار من الصحة تماما، بدليل أن الدراسات والاكتشافات الأخيرة أبرزت بأن الحصان البربري حدث تدجينه من حصان محلي متوحش، كما خلصت الأبحاث الجينية التي أجريت على سبعة سبعين فرسا إلى حدوث استئناس

[1] Roubet (C.), *Économie pastorale préagricole en Algérie orientale, op.cit.,* p. 384 ; p. 392-393 ; p. 410.

[2] Arkell (A.J.), *Shaheinob*, London, Oxford University, 1953, p. 15-16 نقلا عن محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، ص. 179.

[3] Cornevin (M.), Les néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique, *loc.cit.,* p. 444 ; Huard (P.) Allard (L.), Les figurations rupestres de la région de Djelfa (sud-Algérois), *Libyca Antr, Préh, Ethn.*, XXIV, 1976, p. 97-111.

[4] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.*, I, p. 229-234 ; Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, *loc.cit.*, p. 567 ; هنري لوت، لوحات تيسيلي، نفس المرجع، ص. 194.

[5] أ.ف غوتييه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، طرابلس، 1970، ص.130.

محلي له، فقد اقترح الباحثون الأمريكان انفصالا لفرع الحصان البربري، حوالي 500 ألف سنة قبل الميلاد، وترى الأستاذة شايد سعودي نقلا عن أوماسيب « Aumassip» أن الأمر ربما حدث ديناميكيا محليا، مكن من ولادة وتجديد الأنواع، وما يعزز هذا الطرح كذلك موقف الباحثين الإسبان الذين منحوا للحصان الإيبيري أصلا إفريقيا [1].

6-1-1- الجمال

استأنست الجمال خلال الألف الثالثة قبل الميلاد في الشرق الأدنى القديم، والذي انتشر لاحقا ببلاد المغرب القديم على نطاق واسع خلال الألف الأولى، حيث ظهر على جداريات الفن الصخري في شكله المدجن [2]، نذكر منها صوره بمنطقة هيروفاك بالأهقار أين نشاهد استعماله كوسيلة للركوب، ومقتاد بزمام موصول برقبته [3](الصفحة 212- الصورة رقم31).



الصورة (31): جدارية تمثل استغلال الجمل كوسلة للركوب- الصحراء.

Lhote (H.), Gravures, peintures et inscriptions rupestre du Kaouar de l'air, et de l'Adrar des Iforas, *B.I.F.A.N.*, 14, 1952, p. 128.

---

[1] Aumassip-kadir (G.), Les chevaux anciens du Maghreb, communication présentée au 5° salon du cheval d'El Jadida, *www.vfzb.de/Wissen/Kadr_2012_Jadida.pdf*, p. 4 ; p. 9.

[2] لخضر بن بوزيد، الجمل في ماقبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة الآثار الإلكترونية، بتاريخ 2013/05/14، ص. 4-5، ص. 10.

[3] Lhote (H.), Gravures, peintures et inscriptions rupestre du Kaouar de l'air, et de l'Adrar des Iforas, *B.I.F.A.N.*, 14, 1952, p. 128.

2 -1 - الرعي

على محك ما ذكرته سابقا حول استئناس الإنسان لكثير من الحيوانات محليا، أضحى بمكان عدم التسليم الكلي بالمهد الآسيوي الأوروبي لتدجينها. وقد أحدث هذا الأمر تغيرات في النمط الحياتي والاجتماعي للإنسان، وظهرت مجتمعات رعوية تعيش وراء الحيوان وليس عليه، وانصبت جهودها على تكاثر القطيع بفعل الرعاية والرعي [1]، ويظهر هذا جليا في منطقتين بالجزائر شمالا وجنوبا .

فقد دلت الحفريات التي أجريت بمغارة كابلوتي خنقة سيدي محمد الطاهر بالأوراس، أن أجيالا من الرعاة استخدمتها كملجأ يقيها المطر والضباب طيلة ألفي سنة [2]، فقد كانوا أنصاف رحل، يرتحلون رفقة عدد صغير من الغنم والماعز، أين يستقرون عند السفح الجنوبي للأوراس بخنقة سيدي محمد الطاهر من بداية فصل الربيع إلى غاية حلول فصل الخريف، لترتاع ماشيتهم من الأعشاب الطرية الغضة للمنطقة، ليغادروها مع حلول فصل الشتاء، هذا الانتجاع والحراك المتعاقب نحو الجنوب أوالشمال *، كان يحدث بحسب الفصول وهو النمط الذي صار عليه مجتمع ما قبل الزراعي، اعتمد في غذائه على جمع الأعشاب والفواكه المتوفرة بالمنطقة بكثرة، وعلى استهلاك لحوم قطعانهم الصغيرة من خلال ذبح الخراف، النعاج والماعز، المتراوح عمرها مابين السنتين والثلاث سنوات، كما كانوا يصطادون الخنازير، الثيران، الأرانب ...الخ ويجمعون الحلزون والسلاحف [3] .

وفي ذات العصر الحجري الحديث، عاشت أقوام بالصحراء الجزائرية على رعي الأبقار بدرجة أولى والأغنام بدرجة ثانية، والتي كانت ترتحل معها بحثا عن الكلأ والماء. ويقول في هذا الصدد بالدور «Baldur» " أنه وجد خلال رحلاته عبر الصحراء، تراكمات حجرية، تنتشر في السهول الصحراوية وهي بقايا سكنية لرعاة البقر الرحل في العصر الحجري الحديث، وتتمثل في

[1] محمد الطاهر العدواني، الحروب والأسلحة في عصر ماقبل التاريخ وفجر التاريخ إلى 1000 ق.م، نفس المرجع، ص.24.
[2] Roubet (C.), *Économie pastorale préagricole en Algérie orientale, op.cit.*, p. 392-393.
* هو النمط الذي أبقى عليه سكان الشاوية حتى الآن
[3] Roubet (C.), *Économie pastorale préagricole en Algérie orientale, op.cit.*, p. 486 ; p. 489-490.

مواقد لتحضير الطعام دون استعمال الأواني الفخارية، إذ تسخن الصخور على النار ويشوى عليها اللحم مثلا. واعتمادا على دوريتها نميز ثلاث مراحل، المرحلة الأولى امتدت مابين 8500 و5800 قبل الميلاد، لتتكاثر هذه التراكمات في المرحلة الثانية الممتدة بين 5800و 5300 قبل الميلاد ، وفيها اشتدت حركة الرعاة، لتصبح أقل خلال المرحلة النهائية التي امتدت لغاية 3800 سنة قبل الميلاد بسبب الجفاف المتزايد" [1].

كما عثر لوت « Lhote» على كومة من الرماد في كهف مرسوم الجدران، ولم تكن تلك الكومة من الرماد إلا مخلفات الرعاة وقد استخرجت من الكومة فضلات البقر، الرماد، وعدد من العظام، كانت من بينها أضلاع الثيران وأسنانه [2]، ولم يتبع سكان الطاسيلي ناجر أية إستراتيجية خاصة في تربية البقر، وتركوها تتزاوج وتتكاثر بكل حرية مع الأبقار التي ترغب فيها دون تدخل أو مراقبة من الراعي، حيث لم يكن يُفرض انتقاء صارم للفحل، هذا ما يفسر التحول والتغير المستمر في لون الجلد وشكل القرون، حيث لم يكن هناك أي اصطفاء طبيعي « Panmixie» [3].

ولقد خلف هؤلاء الرعاة الذين كانوا فنانين بحق جداريات عديدة بالكتل الجبلية بالأهقار والطاسيلي، تعكس واقع حياتهم اليومية أذكر منها : جدارية مرسومة بالأحمر والأبيض، بها خمسة وستون بقرة تتحرك بشكل قطيع صحبة راعيها وهي بطول أربعين قدما [4]، وأخرى عثر عليها بأوزيناري تجسد مجموعة من الرعاة في عملية البحث عن المراعي والعيون، حيث يشير الشخص الذي في المقدمة إلى مراعي من بعيد، ورسوم منطقة تاكدوماتين، أين صور مشهد لرعاة يجتهدون في جعل الأبقار في خط واحد (الصفحة 215 –

---

[1] Baldur (G.), Foyers néolithiques et paléoécologie au Sahara, *C.N.E.H, Actes du colloque* international de Béni –Abbés, 1983, p. 175-185 نقلا عن بشير قفاف

[2] هنري لوت، لوحات تسيلي، نفس المرجع، ص.63.

[3] Dupuy (C.), Denis (B.), Les robes des taurins dans les peintures de la Tassili –n- Ajjer (Algérie) : polymorphisme ou fantaisies ?, *loc.cit.*, p. 45.

[4] هنري لوت، لوحات تسيلي، نفس المرجع، ص. 49 ،ص. 205.

الصورة رقم32). وأضيف إليها في الأخير مشاهد ايهرن التي جسدت بها قطعان كبيرة من الأبقار والأغنام [1].

وبالمقابل غير رعي القطعان واقتيادها اليومي إلى المراعي نمط عيش الإنسان، وظهرت روابط اجتماعية جديدة، حيث أضحى الرعي عملا عائليا كما هو موضح في جدارية صفار بالطاسيلي ناجر التي بها رسم أب رفقة ابنه يرعيان البقر(الصفحة209-الصورة رقم30) ونشاط حلب الأبقار حيث يجلس الحلابون على مناضد صغيرة [2]، ولقد كبرت العائلة مع الوقت وأصبحت عشيرة تشترك في الرعي والمسكن وتمارس نشاطاتها الاعتيادية كما هو الحال برسم صفار بالطاسيلي ناجر، وأدى الحرص على زيادة ونماء عددها، ظهور ملكيات من القطعان رمز ثراء تلك الأقوام [3] (الصفحة 216- الصورة رقم33). وتنامت بذلك ظاهرة الرعي بالصحراء وأصبحت ثقافة، عرفت باسم " حضارة الرعاة"، وحدث هذا في زمن كان فيه المناخ رطبا والعشب والمياه متوفرة بكثرة لها وللحيوانات التي قاسمتها المكان،كالفيلة، وحيد القرن، أفراس النهر والزرافات. ومع مرور الزمن وتغير المناخ الذي أصبح جافا، بدأت أماكن الارتعاء تقل موسما بعد موسم [4].وتماشيا مع هذه الوضعية عجلت القطعان من جهتها هذا الأمر، فمن المعلوم أن الأبقار تقتلع بشواربها الأعشاب والحشائش من الأسفل إلى الأعلى، وحتى الجذور في بعض الأحيان، وتأتي الأغنام على ما تبقى بقضم الحشائش من الجذور وتكشط الماعز بحوافرها الأرض بحثا عن ما تبقى منها، علاوة على التهامها أولى براعم الأشجار. فهذا الرعي الغير المنظم أدى إلى التصحر وفرض على الرعاة شد الرحال إلى مناطق أخرى [5].

---

[1] Lhote (H.), *A la découverte des fresques de Tassili, op.cit.*, p. 120 عبد الحميد بعيطيش، علاقة إنسان الطاسيلي بالوسط الطبيعي في الفترة النيوليتية، نفس المرجع

[2] Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.*, p. 232, p. 234 ; ليونال بالو، الجزائر في ما قبل التاريخ، ترجمة محمد الصغير غانم، الجزائر، دار الهدى، 2005 ، ص. 171.

[3] Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.*, p. 235 ; محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م -1000 ق.م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة، 2008، ص. 57.

[4] Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.*, p. 245-246 ; هنري لوت، لوحت تسيلي، نفس المرجع، ص. 64.

[5] Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.*, p. 247 ; هنري لوت، المرجع السابق، ص. 65.



الصورة (32): مشهد لرعاة الأبقار – تاكدوماتين، الطاسيلي ناجر.

Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara*, Alger, ANEP, 2005, p. 242, Fig. 288.



الصورة (33): عودة القطيع من المرعى – الطاسيلي ناجر.

Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara*, Alger, ANEP, 2005, p. 247, Fig. 301.

2- واقع النشاط الرعوي في بداية العصور التاريخية و إبان حكم الممالك البربرية

2-1- مصطلح الرعي والرعاة في المصادر القديمة

تعتبر النصوص الإغريقية وعلى رأسها روايات هيرودتس « Hérodots»، أول من أطلق اسم نومادس « Nomadas»، بمعنى الرعاة على سكان المنطقة من الليبيين [1] للدلالة على صفة ونمط حياتي قائم على البداوة والترحال، إلا أن المصادر الإغريقية اللاحقة ككتابات بوليبيوس « Polybios» وديودور الصقلي« Diodore de sicile» ، قد استخدمتها كمصطلح للدلالة على مجموعات إثنية، فقد أطلق الأول هذه التسمية على مجموع سكان بلاد المغرب القديم عامة [2]، في حين اكتفى الثاني بذكر مشاركة النومديين في حروب جرت نهاية القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد [3]، مكتفين في ذلك بإسباغ الواقع المعيشي القديم لتلك الشعوب بجعله اسم علم، ليقتصر فيما بعد على مجموع قبائل الماسيل والماسيسيل، اللتان شكلتا نواة ما يعرف باسم المملكة النوميدية التي مدت نفوذها على المنطقة الممتدة مابين حدود الدولة القرطاجية شرقا ووادي ملوية (Mulucha) غربا [4].

كما سار الكتاب اللاتينيون حدوا المؤرخين الإغريق في ذلك، حيث أطلقوا مصطلح نوميداي « Numidae » ، في صورة اسم علم للدلالة على هاته الشعوب وملوكها كماسينيسا، صفاقص، ماكيبسا ويوغرطة ... [5]، من أمثال تيتوس ليفيوس « Titus Livius» [6]، وسالوستيوس « Sallustius» ، في خضم حديثه المطول عن أصل

---

[1] Herodote, *Histoire*, IV, 181 ; 186 ; 188.
[2] Polybe, *Histoire*, I, 19,3 ; I, 31,2 ; Desanges (J.), *Catalogue des tribus des Africains de l'antiquité classique de l'ouest de Nil*, Dakar, Publication de la section d'histoire, 1962, p. 126.
[3] Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique*, XII, 80,3 ; XX, 38-39 ; XX, 55,4.
[4] مها عيساوي، المجتمع اللوبي القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة منتوري، 2009-2010، ص. 263 ، جيهان ديزانج ، البربر الأصليون، تاريخ إفريقيا العام، مج2، حضارات إفريقيا القديمة، مطابع كانالي، تورينو، 1985، ص. 446.
[5] Desanges (J.) *Catalogue des tribus des Africains de l'antiquité classique de l'ouest de Nil*, op.cit, p. 127 ; 186 ص. ، نفس المرجع ، غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ،
[6] Tite Live, *Histoire Romaine*, XXVI, 48, 21.

أصـل النومـديين [1]، وبلينـوس الكـبير « Plinus» ، حيـث قـال:" تمتـد حـدود نوميـديا بـدء مـن وادي الأمســاغا (Ampsaga) ويعــود الفضــل في شــهرتها لماسينيســا، وقــد سمــى الإغريـق هـذا البلـد باسـم ميتـاغونيتيس « Métagonitis»، في حـين أطلقـوا علـى النومـديين اسـم الرحـل « Nomades» ، لأنهـم لا يتوانـون عـن تغـيير مـراعيهم باسـتمرار، جـاعلين المابالـيا بمعنـى مســاكنهم فـوق العربـات" [2].وهـو السـياق الـذي سـارت عليـه كتابـات فرجيليوس « Virigilius» [3] وسيليوس الإيطالي « Silius Italicus» [4] وغيرهم.

وخلاصة القول أن هذه الروايات تعتبر براهين دامغة على أن هذه الشعوب كانت رعوية في نظر الإغريق واللاتينيين على حد السواء [5].

2-2 – القبائل الرعوية ومواطن انتشارها

أجمعت واتفقت الإشارات المستقاة من المصادر على الإمكانيـات الفلاحيـة الهائلـة والهامـة التي تمتعت بها نوميديا في شقها المتعلق بتربية الحيوانات حيث فرضت البداوة نفسها كنمط معيشي على السكان، بحكم الظروف المناخية والبيئية إذ يقول سالوستيوس « Sallustius» باختصـار" إن أرض إفريقيا صالحة للرعي، وهي الشاغل الأكبر لقطاع واسع من الأفارقة" [6]، ويردف في موضع موضع آخر من مؤلفه حرب يوغرطة قائلا: "يتعهد النوميديون بعنايـة القطعـان أكثـر ممـا يعتنـون بزراعة الأرض" [7]. وقد لاحظ بوليبيوس « Polybios» من قبله أهميتهـا لـدى النوميـديين [8]، [8]، حيـث اكتسـت تربيتهـا أهميـة كـبيرة لـديهم لدرجـة أنهـا شـكلت مصـدر ثـرائهم الأول والأساسي [9].

---

[1] Salluste, *Bel.Jug*, XVIII.
[2] Plinus, *H.N.*, V, 22.
[3] Virgile, *Eneide*, IV, 320 ; 535.
[4] Silius Italicus, *La guerre Punique*, I, 215.
[5] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, V, p. 174.
[6] Salluste, *Bel.Jug*. XVII.
[7] *Id.*, *Ibid.*, XC ;Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, 5, p. 175.
[8] Polybe, *Histoire*, XII, 3, 3-4.
[9] Tite Live, *Histoire Romaine*, XXIX, 31, 8.

وعلى صعيد ثان، ساقت المصادر في مضمونها سبب آخر لذلك، حتم على السكان تبني هذا النمط الاقتصادي القائم على تربية الحيوانات، وهو الحيوانات المفترسة. وفيما يبدو فقد أسهب سترابون « Strabo» في الحديث عن هذه الظاهرة الخطيرة التي كانت تأرق الرعاة والمزارعين، وبمثابة وباء يهدد قطعانهم، إذ يقول : "يعتبر الأمير (ماسينيسا) أول من حضر النوميديين وكيفهم مع الحياة الزراعية ...إلى هذا الحين كان النومديون يمتلكون أراضي جد خصبة، إلا أن الحيوانات المتوحشة قد غزتها، لذا فكان بمكان القضاء عليها من أجل زراعة هذه الأرض بكل أمان...والذين كانوا يحبون من قبل حياة اللصوصية دون حد، تاركين الأرض للزواحف والحيوانات المفترسة، مجبرين طواعيتا على تبني حياة التنقل والترحال لا أكثر ولا أقل على شاكلة كل الشعوب التي تعيش تحت رحمة الفقر، الجفاف وقسوة المناخ". [1] .

ولقد كان النشاط الرعوي متأصلا في المجتمع النوميدي قديما، حتى لدى السكان الذين انخرطوا في العملية الزراعية بالمناطق التلية والغابات، وهم من أطلق عليهم روبيفا « Rubuffat» اسم" الحضر الرعاة"، الذين كانوا يتركون مساكنهم خلال فترة معينة من السنة، للالتحاق بسكن ثان معلوم دائم وهو ما يعرف باسم الإنتجعات « Transhumants» [2] بالمناطق التلية، أين تستطيع الماشية العيش طوال السنة، فهناك سهول ذات مراعي في فصل الشتاء بمحاذاتها جبال وغابات ذات مراعي صيفية، فالقبيلة التي تملك هذه وتلك بإمكانها أن تسوق قطعانها إليها بالتعاقب، وتجد بها زيادة على ذلك مناخا لطيفا معتدلا خلال الشتاء ورطبا صيفا، وهؤلاء الرعاة الذين يمتلكون الماء والعشب الوفير يربون بالخصوص الماشية الكبيرة من الثيران والخيل [3].

[1] Strabon, *Gégraphie*, XVII, 3, 15; غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 186-187.
[2] Rubuffat (R .), Nomadisme et archéologie, *Colloque dans l'Occident Romain, Ier siècle av. J-C.-Ive siècle ap.J.-C., École Française de Rome, 3-5 décembre 1987, Rome*, 1990, p. 232-233.
[3] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, V, p. 176.

زد على ذلك أن زراعة الحبوب لا تتطلب جهدا إنسانيا إلا خلال فترتين من السنة عند الحرث والحصاد، فكان من السهل على النوميدي الجمع بين الفلاحة والرعي [1]. في حين تنتشر قبائل أنصاف الرحل بسهوب الأطلس الصحراوي، وهي المناطق التي لا تتلقى كميات كافية من الأمطار وبذلك يتحركون ضمن نطاق محدود بين السهول شتاء والمرتفعات صيفا، حيث تتسم أماكن مرعاها بالتغير الدائم من سنة لأخرى، تكون ذات مسافات طويلة أو قصيرة [2].

خلاصة القول، إن البدو الرحل الذين لا يملكون مساكن قارة، دائمي البحث عن الكلىء والماء لمواشيهم، يتحركون داخل أراضي تكون صغيرة أو شاسعة، وهم الذين أوردتهم مصادر القرن الثاني قبل الميلاد تحت اسم الجيتول «Gaetulii» ، الذين حلوا محل مربي الأبقار الذين صورتهم الرسوم الصخرية النيوليتية [3]، يوجدون بجنوب موريطانيا، نوميديا ومقاطعة إفريقيا الرومانية [4]، إذ تنحصر أماكن انتجاعهم ما بين قبائل الغرامنت شرقا و المحيط الأطلسي غربا [5]، وهم يشبهون كثيرا العرب الرحل على حد تعبير الجغرافي سترابون « Stralo» [6] ولا يتنقلون كثيرا مقارنة بقبائل النجريت « Nigrites» على حسب زعم بومبنيوس ميلا « Pomponius Mela » [7]وقد وصفهم الشاعر فرجيليوس« Virgilius» قائلا:"بأن لهم قطعان ترعى ليلا ونهارا طيلة شهور، ويحملون بأنفسهم مساكنهم، مواقدهم وأسلحتهم" [8].

ولقد كانوا يعبرون جبال الأطلس الصحراوي مرتين في السنة من الجنوب إلى الشمال خلال الربيع، ومن الشمال إلى الجنوب في فصل الخريف، ويبلغون في تحركاتهم

---

[1] *Id., Ibid.*, p. 118; محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، نفس المرجع، ص. 111- 113.

[2] Rebuffat (R.), Nomadisme et archéologie, *loc.cit.*, p. 232 ; غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 169-170.

[3] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 157.

[4] Gsell (S.), *H.A.A.N*, *op.cit.*, V, p. 117 ; Rubuffat (R.), Nomadisme et archéologie, *loc.cit.*, p. 232.

[5] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، نفس المرجع، ص. 160.

[6] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 19.

[7] Pomponius Méla, *De Chorographia*, III, 104.

[8] Virgile, *Géorgiques*, III, 339-345.

السهول العليا بالقرب من قسنطينة (Cirta) [1]، نتجت عنه فوضى وفتن تولدت نتيجة هذه الهجرات، وقد اجتهد ملوك نوميديا وعلى رأسهم ماسينيسا في تنظيم تنقلات وتحركات هؤلاء البدو الكبار ومنعهم من ارتكاب تجاوزات مبالغ فيها [2]، وتتألف ماشيتهم من الحيوانات القنوعة والصبورة، كالماعز، الغنم، والحمير، كما يمتلكون الخيل رغم شدة متطلباتها [3].

2-3- الإنتاج الحيواني خلال حكم الممالك البربرية

2-3-1-الخيل

نالت الخيل حصة الأسد من الذكر في المصادر القديمة، علاوة على ذلك فهو الحيوان الأكثر تصويرا على النصب والعملة، فقد اكتسب النومديون من ورائه شهرة كبيرة على مستوى المحيط الداخلي لبلاد المغرب القديم (أي القرطاجيين) والخارجي بحوض البحر الأبيض المتوسط، ولقد شكلت تربيته أحد أولويات المملكة النوميدية إلى جانب تطوير الزراعة و إنمائها، وشغل حيزا كبيرا من اهتمام ملوكها مباشرة لما فيه ضمان لاستمرارية حكمهم ومصدر قوتهم الدائم، وليس أدل على تلك القيمة العالية للخيل عندهم التي وصلت إلى درجة قيامهم بإحصاء سنوي للأمهار، والذي قدر بمائة ألف مهر حسب سترابون « Strabo»[4]، وهو رقم مبالغ فيه، حيث اقترح غزال « Gsell»[5] بدلا منه رقم عشرة ألاف مهر، ومن المحتمل جدا أنها كانت عبارة عن أتوات وضرائب عينية، فرضها الملوك على رعياهم [6].

وفي هذا المنحى عثرنا على إشارة لدى تيتوس ليفيوس « Titus Livius» ، مفادها أن الملك صفاقس، قد جهز جيشا جديدا بعد هزيمته بمعركة السهول الكبرى سنة203 قبل الميلاد،

---

[1] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص. 160.
[2] Gsell (S.), *H.A.A.N*, *op.cit.*, V, p. 178.
[3] Gsell (S.), *H.A.A.N*, *op.cit.*, V, p. 177.
[4] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 19.
[5] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, V, p. 181-182.
[6] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع ،ص. 252.

يتضمن رجالا وخيولا من عنده [1]، كما كان بإمكان مدينة قسنطينة (Cirta) أن تضع تحت تصرف الملك ماكيبسا « Macipssa» عشرة ألاف فرس [2]. وإلى جانب ذلك امتدت العناية إلى تربية الحمير والبغال التي تتطلب عناية أقل مقارنة بالأحصنة [3].

2-3-2- الغنم و الماعز

كانت تربية الغنم والماعز بالمنطقة مضرب الأمثال لدى الكتاب القدامى، فقد أشار هوميروس أن نعاج ليبيا تلد ثلاث مرات في السنة [4]، وقال بوليبيوس« Polybios» عنها:" في هذه البلاد توجد الخيول، الأبقار، الغنم وحتى الماعز وهي من الكثرة لدرجة أنني أعتقد أن لا مثل لها في كامل المعمورة قاطبة" [5]، ويضيف قائلا:" وعلة ذلك أن الكثير من من القبائل الليبية لا تهتم بالمنتجات الزراعية، وتعيش من قطعانها ومع مواشيها" [6]، وكثيرا وكثيرا ما كانت تختلط الماعز بقطعان الغنم وهو الأمر الذي مازال موجودا حتى الآن وقد ازدهرت تربية الغنم بالمناطق الداخلية التي لا تتحصل على كميات وافية من التساقطات المطرية، وقد تنامت رؤوس قطعان الماشية، وأصبحت رمزا لثراء سكان المنطقة من النومديين، حيث كان بمقدورهم الاقتصاد في قطعانهم، لأنهم لا يعتمدون في غذائهم على لحم مواشيهم، وإنما كانوا يتحصلون على كميات اللحم التي يضفونها إلى طعامهم النباتي من صيد الطرائد وما أكثرها بالمنطقة [7].

أما عن السلالة المرباة فهي الغنم البربري « Barbarine» المتميز بالذيل العريض المنتهي بكتلة من الشحم والصوف الذي يكون إما خشنا أو ناعما، والذي ظهر رسمه على عدد من النصب [8].

---

1 Tite Live, *Histoire Romaine*, XXX, 7, 11.
2 Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 19.
3 Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, V, p. 181.
4 Homère, *Odyssée*, IV, 85, 89.
5 Polybe, *Histoire*, XII, 3, 4-5.
6 *Id.*, *Ibid.*, XII, 3 , 3 -4.
7 Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, V, p. 169.
8 *Id.*, *Ibid.*, p.197.

2-3-4- الخنازيـــر

رغم وفرتها بالمنطقة، إلا أننا لا نحتكم على أية نصوص تؤكد تربيتها من قبل النوميديين، ولعل أن هؤلاء قد امتنعوا عن أكل لحمها أسوة بالمصريين والقبائل الليبية الشرقية، أو تأثرا بالفينيقيين الوافدين الجدد على المنطقة [1].

2-3-5- الأبقـــار

وجدت تربية الأبقار بالمنطقة مكانا ملائما لازدهارها، فقد انتشرت بالمناطق الصحراوية، ثيران ذات قرون معقوفة نحو الأمام للحد أنها تضطر إلى الرعي مدبرة نحو الخلف [2]، ويؤكد سترابون « Strabo» "امتلاك الجيتوليين لثيران ذات أعناق طويلة جدا مقارنة مما هي عليه بأي مكان آخر" [3]، وكانت من الكثرة لدرجة أن القائد القرطاجي هملكار قد فرض سنة 254 قبل الميلاد على القبائل التي تحالفت مع القنصل الروماني ريغولوس« Rigulus» بعد أن صلب شيوخهم، دفع ألف تالينت فضي وتقديم عشرين ألف رأس من البقر كضريبة حرب، وقد شكك غزال « Gsell» في هذا الرقم واعتبره مبالغ فيه، إلا أن كامبس « Camps » اعتبره رقما مقبولا، خاصة وأن الأول قد اعتمد في تشكيكه على الرقم المقدم من قبل أروز بول « Orose Paul» ومقارنته بواقع تربية الأبقار بتونس والجزائر في أوائل القرن العشرين والتي هي أقل بكثير [4]، والتي تعتبر مقارنة في غير غير محلها، لأنه من غير الممكن مقارنة أرقام تعود إلى أواسط القرن الثالث قبل الميلاد بأخرى أحدث، خاصة وأننا نعلم أن الإحصائيات تتغير بصفة دورية [5].

ويظهر أن الأبقار كانت تربى بشكل واسع بمنطقة الشرق الجزائري وبالمناطق الواقعة إلى الجنوب من عين الصفراء وعين الحمراة [6].

---

[1] Hérodote, *Histoire*, IV, 44 ; Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, V, p.178.
[2] Hérodote, *Histoire*, IV, 183 ; مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن اللبيين (الأمازيغ) ، نفس المرجع، ص. 62
[3] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 19.
[4] Paul Orose, *Adversos*, IV, 3, 9 d'après Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, V, p. 179.
[5] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع ،ص. 55-56، ص. 141.
[6] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، نفس المرجع ، ص. 19 ، نفس المرجع، ص.141.

3- موقف السلطات الرومانية المحتلة من النشاط الرعوي

3- 1 -وضعية الأراضي الرعوية قبيل الاحتلال الروماني

جرت محاولات موفقة من قبل الملوك النوميديين لتنظيم الرعي وتشجيع الرحل على الاستقرار وامتهان العمل الفلاحي بموازاة الرعي. حيث أشادت في ذلك المصادر بدور الملك ماسينيسا« Massinissa » في هذا المجال، رغم تأصُل ظاهرة البداوة بالمجتمع النوميدي [1]، إذ يقول في هذا الصدد بوليبيوس « Polybios» : "إليك أعظم و أجمل ما فعله (ماسينيسا)، فكل نوميديا كانت من قبله غير نافعة، وغير قادرة بطبيعتها على إعطاء منتجات زراعية، فهو الأول والوحيد، الذي أبرز كل إمكانياتها الإنتاجية وبالقدر الذي تمنحه غيرها من المناطق، كاشفا عن قيمة مساحات كبيرة جدا" [2]. كما نوه أبيانوس « Appianos» بأعمال ماسينيسا قائلا : "تمكن من استصلاح مساحة شاسعة، وكان النوميديون من قبله يقتاتون عل الحشائش البرية، لأنهم لا يمتهنون الزراعة." [3].

لكن هذه المصادر التي تطرقت للرعي والزراعة بمملكة نوميديا، أغفلت النظام والكيفية المتبعة في استغلال الأراضي الرعوية من قبل قبائلها، هذا ما دفع بالمؤرخين والباحثين المحدثين إلى القيام بإسقاط ومقارنة بين واقع حياة البدو الحالية وتحركاتهم مع واقعها في القديم، خاصة وأن الظروف المناخية التي تحكمت بشكل كبير ومباشر في الرعي وتناميه، لا تزال قائمة حتى الآن [4]، حيث يرى غزال « Gsell» أنه لربما كانت تعقد اتفاقيات بين قبائل مزارعة وأخرى من الرحل، تتحصل بمقتضاه هذه الأخيرة على حق الانتجاع في قسم من أراضي الأولى كمراعي، مجانا أو

[1] محمد البشير شنيتي، نوميديا و روما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، الجزائر، كنوز الحكمة، 2012، ص286.

[2] Polybe, *Histoire,* XXX, 16,7-8.

[3] Appien, *Histoire Romaine, Le livre Carthaginois,* VIII, 106.

[4] Lassère (J.M.), *Ubique Populus, peuplements et mouvements de population dans l'Afrique Romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146a.c-235 p.c,),* Paris, C.N.R.S., 1977, p. 349.

مقابلة ضريبة معينة، كما يمكن أن يكون هذا الاتفاق بين قبيلتين إحداهما بالتل والأخرى بالسهوب، فتضمن كل واحدة منهما بالتالي حق الانتفاع بأراضي الأخرى بالتناوب صيفا وشتاء [1]. كما تحكمت ظروف بيولوجية في تربية الماشية وضبط حركتها السنوية، والتي تتمحور حول قطبين اثنين أحدهما جنوبي يضم الأطلس الصحراوي ووديان الصحراء الشمالية، أين تتوفر مراعي الشتاء الضرورية لتنشئة القطعان الصغيرة حتى تقوى على المشي مسافات طويلة نحو التل، ويرتكز الثاني، بالسهول العليا الزراعية التلية، حيث تتزامن الإقامة فيه مع وفرة الغذاء لتسمين الخراف وبيعها و تسويق صوفها [2]، ولم يكن هناك مكان للملكية الفردية، فالمراعي تبقى تحت تصرف العشيرة ككل وتتوزع المواشي حيث يوجد الكلأ[3].

3-2- آليات روما للحد من الرعي

3-2-1- التدابير العسكرية

3-2-1-1- الليمس والتحصينات العسكرية

كان الاحتلال الروماني ممنهجا في عملية الاستيلاء على الأراضي، فبعد القضاء على الكيان النوميدي سنة 46 قبل الميلاد، وإنهاء حكم مملكة موريطانيا الصوري سنة 40 ميلادية، اعتبرت أراضيها من الناحية القانونية ملكا للشعب الروماني «Ager Publius Populi Romani»، شأنها في ذلك شأن المقاطعات الرومانية الأخرى، مما كفل لها حرية التصرف وإطلاق يدها بالمنطقة من حيث تأجيرها والاستفادة من عائداتها أو توزيعها على القادمين الجدد من إيطاليا في إطار سياسة الإستيطان [4]، وفرض نمطها الحضاري القائم على الزراعة والعمران المدني، ونبذ جميع أشكال التحرك البشري، التي يصعب مراقبته، التحكم فيه وفرض الضرائب عليه، وهو الذي لم تكن لتقبل به قبائل المنطقة التي ألفت حياة البداوة والترحال دون قيد أو شرط

---

[1] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, V, p. 74.

[2] محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، نفس المرجع، ص. 539-540

[3] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، نفس المرجع، ص.177.

[4] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، الجزائر، دار الحكمة، 2003، ص. 170.

والتردد على مراعيها في مواسم معينة من السنة لاستكمال دورتها الاقتصادية في رحلة الربيع شمالا ورحلة الخريف جنوبا [1].

هذا ما أدى إلى الاصطدام بين نمطين حضاريين مختلفين، اعتمدت خلالها روما على قوتها العسكرية التي جوبهت من لدن قبائل المنطقة بمقاومة شرسة وتزامنت مع وصول المعمرين الجدد، منها ثورة الجيتوليين (3-6 ميلادية)، وثورة المزالمة بقيادة تاكفاريناس (17-24 ميلادية) مما نبه الرومان إلى ضرورة التحكم في هذه الفئة المستعصية من الأهالي عن طريق استخدام الوسائل العسكرية، عند تمديد خريطة الاستيطان والتعمير بجهات سكان مربي الماشية، ومن هنا بدأت علاقة القوة التي برزت في تاريخ المغرب الروماني بين الليمس والبدو [2].

وفي هذا المضمار بدأت المؤسسة العسكرية الرومانية في إنشاء الحصون، القلاع والأبراج وشق الطرقات في المناطق الداخلية، لحماية الأراضي الزراعية، ومراقبة معابر البدو المؤدية نحو الشمال، ولم تسلم حتى الأراضي القليلة الخصوبة التي دحرت إليها القبائل من عملية المسح والكنترة، كلما تهيأت الظروف الملائمة لاستصلاحها والاستفادة منها، تحت مضلة التشريع القانوني السالف الذكر، وقد تزايدت وتيرة التوسع الروماني خلال القرن الثاني والثالث ميلادي، بمقاطعة نوميديا وموريطانيا القيصرية، بغرض سد وتلبية حاجيات جهاز الأنونة المتزايدة، وتنويع الخريطة الزراعية، بعدما كانت تعتمد من قبل على الحبوب" بزيتنتها " (غرس أشجار الزيتون) من جهة، ومنع القبائل من التردد عليها صيفا طمعا في قشها وحشفها « Les chaumes» من جهة أخرى [3]، فضلا عن حل المشاكل الاجتماعية عن طريق توطين الجند المسرحين « Veterani» بعد انتهاء مدة الخدمة العسكرية، والوافدين الجدد من ايطاليا، بالإضافة لإرضاء نهم الأباطرة،

---

[1] نفس المرجع، ص. 172-173، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، نفس المرجع، ص. 287.

[2] محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، نفس المرجع، ص. 288.

[3] Lassère (J.M.), *Ubique Populus, peuplements et mouvements de population dans l'Afrique Romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146a.c-235 p.c,), op.cit.*, p. 357.

أعضاء مجلس الشيوخ والطبقة الأرستقراطية الراغبين في حيازة أراضي أكبر وتوسيع ممتلكاتهم بالمنطقة [1].

كما شجعت التشريعات الفلاحية على استصلاح الأراضي الزراعية، ذات القيمة الإنتاجية الضعيفة، فقد مكن قانون مانكيانا « Lex Manciana» المزارعين من حيازة أراضي التي لا تزال حرة خارج الإطار الكنتوري « Conturiae » والتابعة للبراري « Saltus» ، ومن التي لم تفلح من طرف الذين أخذوا عنها عقودا [2].

ولامس بذلك الليمس السيفيري حواف الصحراء، وأقيمت القلاع والحصون والأبراج بالقرب من منابع المياه، من أبار وينابيع ووديان وعند معابر ومسالك البدو نحو التل، مثل قلعة مسعد (Castellum Dimidi) جنوب مدينة الجلفة بالقرب من وادي جدي وهي بالغير البعيدة عن الطريقين الهامين اللذين تسلكهما القوافل، إذ يتجه الأول شمالا نحو مودجرا والجلفة، ويمتد الثاني من الأغواط باتجاه الحضنة مرورا بعين الريش والغاهرة، إلى جانب حصن مجدل المطل على بحيرة يجتمع فيها البدو بمواشيهم في فصل الجفاف وحصن عين الحمام الذي أنشأ لغرض مراقبة السهوب من الناحية الجنوبية وحصن القهرة الواقع على الضفة اليسرى لوادي شعير النابع من جبال أولاد نايل والزيبان الغربية، طبنة، القنطرة وقلعة التخوم وبسكرة ... الخ [3].

هذا وبلغ الليمس السيفري بموريطانيا القيصرية منطقة سرسو [4]، وهو بذلك يتطابق مع الحدود الشمالية لهجرات البدو الحالية [5]، وقد أوكلت السلطات الرومانية حماية الليمس الجنوبي

---

[1] محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، نفس المرجع، ص. 88-98.

[2] محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية....، نفس المرجع، ص. 106-107.

[3] Benabou (M.), *La résistance Africaine à la romanisation*, Paris, François Maspero, 1976, p. 172 ; محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، نفس المرجع، ص. 132، محمد الصغير غانم، مواقع ومدن أثرية، الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، 2007، ص.7-15، بنت النبي مقدم، سياسة الرومان اتجاه قبائل بلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2001-2002، ص. 76-77

[4] Lassère (J.M.), *Ubique Populus, peuplements et mouvements de population dans l'Afrique Romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146a.c-235 p.c.), op.cit.*, p. 355; بنت النبي مقدم، سياسة الرومان اتجاه قبائل بلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، نفس المرجع، ص. 72؛

[5] Lassère (J.M.), *Ubique Populus, peuplements et mouvements de population dans l'Afrique Romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146a.c-235 p.c.), op.cit.*, p. 350.

الصحراوي لفرق الهجانة المساعدة والنبالة السوريين منذ عهد الإمبراطور ألكسندر سفيروس « Alexander Severus»، وذلك لتشابه بيئة ومناخ المنطقة التي كلفوا بحراستها بمناخ بادية الشام التي قدموا منها، المتسم بالجفاف وشدة حرارة الطقس [1] .

وننوه في الأخير، أن طبيعة ليمس مقاطعة نوميديا، يختلف تماما عن ما هو عليه بموريطانيا القيصرية فهو بهذه الأخيرة عبارة عن طريق استراتيجي يربط بين عدد من المراكز العسكرية، بحيث يبعد الواحد عن الآخر مسافة تتراوح بين ثلاثين أو خمسة وثلاثين كيلومتر، لمراقبة الرحلات الموسمية للقبائل المرتحلة باتجاه الشمال، بحيث لا يمكننا الحديث بهذه المقاطعة عن دحر أو طرد للبدو، وهو العكس ما حدث بنوميديا التي اتخذت بها السلطات العسكرية الرومانية منذ مطلع القرن الثاني ميلادي تدابير صارمة، تمثلت في إنشاء خنادق و أبراج قريبة من بعضها البعض للحد من تنقلهم نحو الأراضي الزراعية، وحرمانهم بالتالي من مراعي الشمال التي كانوا معتادين عليها من قبل [2]، فاضطر الكثير منهم إلى تغيير وجهته نحو السهول الغربية ومرتفعات الأطلس الصحراوي الغربية وسفوحها الجنوبية وهوامش الصحراء [3] .

3-2-1-2- شبكة الطرق

رُبطت المراكز العسكرية بطرق عرضية وأخرى طولية متعامدة معها، تضمن للفرق المرابطة بها عملية التحرك بسهولة أثناء قيامها بالأعمال المنوطة بها من مراقبة وحراسة وبالتالي السيطرة على حركة البدو [4]. وفي هذا المقام لا يسمح لنا المجال بالحديث مطولاعن شبكة الطرق بمقاطعتي نوميديا وموريطانيا القيصرية التي ربطت المدن الساحل والتل بمعسكرات ومدن الداخل والتي كانت تشهد توسعا دائما يتماشى مع التقدم الذي كانت تحرزه الفرق العسكرية في عمق تراب هاتين المقاطعتين [5]، فبجنوب نوميديا تم شق طريق

---

[1] Benabou (M.), *La résistance Africaine à la romanisation, op.cit,* p. 172 ; p. 175 ; محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، نفس المرجع، ص. 291

[2] Leschi (L.), Rome et les nomades du Sahara centrale, *IRS,* 1, 1942, p. 55.

[3] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، نفس المرجع، ص. 170.

[4] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، نفس المرجع، ص. 173.

[5] ينظر

يصل بين طبنة (Thubunae) وبرج أسوم (Ausum) ، ومن معسكر الدوسن إلى هذا الأخير باتجاه الغامرة، عين الريش، وقلعة مسعد (Castellum Dimmidi). وقد تم وصل معسكرات موريطانيا القيصرية بالطريق العرضي الكبير الذي يربط أراس(Aras) ، غريمدي صانيق (Uzinaza) بوغار، سيدي الحسني (Columnata)، ومن عيون سبيبا باتجاه تخمارت (Cohor Breucorum) ، البنيان (Ala Milaria) ، تمزوين (Lucu) باتجاه سيدي على بن يوب (Kaputtassacura)، أولاد ميمون (Altava) ، تلمسان (Pomaria)، وصولا إلى مغنية (Numerus Syrorum) [1].

3-2-2-الإجراءات السياسية

3-2-2-1-توطين ورسم حدود القبائل

عملت السلطات الرومانية إلى حصر القبائل في أطر جغرافية معينة، تكون معلومة بالنسبة لها، وهي أشبه بالمحتشدات الفسيحة على تعبير محمد البشير شنيتي لدواعي أمنية ، حتى تضمن هدوء واستقرار المناطق الحديثة العهد بالاستعمار، وإبعادها عن أي تحالف مع القبائل التي لازالت تقاوم الهيمنة الرومانية من جهة ولدوافع اقتصادية من جهة ثانية [2] ، وذلك بتحويل أفراد هذه القبائل إلى يد عاملة أجيرة « Proretaria» موسمية تعمل بالضياع الكبرى « Latifundia» والمستثمرات الفلاحية، المتربعة على أكبر المساحات الزراعية التلية والرعوية التي تم استصلاحها، عن طريق الزراعة الشجرية، التي تسلقت الهضاب وغطت السهوب ولامست الكثبان الرملية في الجنوب النوميدي [3]، والتي كانت ملكا للأباطرة وأثرياء الطبقة الأرستقراطية من أعضاء مجلس الشيوخ، طبقة

Salama (P.), *Les voies romaines de l'Afrique du Nord*, Alger, Imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, 1951.

[1] Lassère (J.M.), *Ubique Populus, peuplements et mouvements de population dans l'Afrique Romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146a.c-235 p.c), op.cit.*, p. 355.

[2] محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، نفس المرجع، ص. 290.

[3] نفس المرجع، ص. 95.

الفرسان وكذا الجند المسرحين، وبذلك كانت تلك اليد العاملة الرخيصة تقطع البلاد طولا وعرضا بحثا عن العمل في حقول الزيتون وبراري القمح [1].

يرى المؤرخ لاسير « Lassère» أنّ أول عمل توطيني للقبائل حدث في عهد القنصل ماريوس « Marius» ، هذا الأخير منح أراضي للجيتول الذين تحالفوا معه خلال حرب يوغرطة (112–105 ق.م)، حتى يضمن عدم تحالفهم مع القبائل الرعوية النوميدية، ومن ثم القيام بغارات على مقاطعة افريقية القديمة [2]، والذي أضحى منهجا سياسيا واضح المعالم منذ عهد الأسرة الفلافية، حيث دأبت السلطات الرومانية على رسم الحدود و توطين القبائل، على غرار ما حدث لقبيلتي السوبوربوس « Suburbures» والنيكيفس « Nicives» الجارتين، اللتان كانتا تنتجعان بالجنوب الشرقي القسنطيني، استنادا على معلمين حدوديين، الأول اكتشف سنة 1955 بمنطقة عين البرج (Tigisis) ، وعثر على الثاني سنة 1967 بمنطقة عين عبيد (بئر الفرج)، يعودان كلاهما إلى عهد الإمبراطور فسباسيانوس « Vespasianus» منحا بموجبهما للقبيلتين أراضي تابعة لمستوطنة قسنطينة (Cirta) ، ولقد أشرف على العملية الليغاتوس توليوس بومبنيانوس كابيتو «Tullius Pomponianus Capito » [3].

إلا أن برتيي « Berthier» الذي عكف هو الآخر على دراسة نصي المعلمين السالفي الذكر، يمتلك رأيا مخالفا من الواجب علي عرضه، وهو أن غرض السلطات الرومانية من هذه العملية ليس إحلال هاتين القبيلتين بمنطقة محدودة، وتخليهما عن نشاطهما المعتاد، وإنما كان الهدف منه تخصيص مراعي صيفية لها ببعض أراضي قسنطينة [4]. وفي المنحى ذاته تعرضت قبيلة النتابوتس

[1] Lassère (J.M.), *Ubique Populus, peuplements et mouvements de population dans l'Afrique Romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146a.c-235 p.c), op.cit.*, p. 36 ; محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، نفس المرجع، ص. 291. مها عيساوي، المجتمع اللوبي القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، نفس المرجع، ص. 435

[2] Lassère (J.M.), *Ubique Populus, peuplements et mouvements de population dans l'Afrique Romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146a.c-235 p.c.), op.cit.*, p. 351.

[3] Lancel (S.), Suburbures et Nicives : Une inscription de Tigisis, *Libyca.ar.ep.*, III, 2, 1955, p. 290-29 3 ; Berthier (A.) Nicives et Suburbures : Nomades ou sédentaires, *B.A.A*, .3, 1968, p. 295.

[4] Berthier (A.) Nicives et Suburbures : Nomades ou sédentaires, *loc.cit.*, p. 297-298.

« Nattabutes» إلى التوطين بقلعة بوعطفان المحاذية لوادي الشارف وأم قريقش التي تبعد عن الأولى بنحو ثلاثة عشر كيلومتر [1]. كما أشار ديزانج « Desanges» في محض تعليقه على الكتاب الخامس لبلينوس الكبير « Plinus» أن هذه الأخيرة قد قطنت المناطق السهبية التي سكنها النوميديون في القرن الأول ميلادي حيث وجدت آثارهم على بعد عشرين كيلومتر من الجنوب الشرقي لعنونة (Thibilis) [2]، وتم إحلال قبيلة الصابوبيداس« Saboides» بقسنطينة (Cirta) [3]، ورسمت حدود أراضي قبيلة زيميزس « Zimizes» ، التي تنتهي بمكان يبعد بخمس مائة قدم[*] عن قلعة فكتوريا (Castellum Vectoria) ، ولعلها أقيمت على أراضي كانت من قبل تابعة لها [4]، هذا وقد خضعت أراضي قبيلة المزالمة « Musulami» لرسم حدودها ثلاث مرات متتالية، سنة 116 ميلادية، أشرف عليها الليغاتوس أكيليوس سترابو « L.Acilius Strabo» ، تفصل الأولى بين أراضي القبيلة ومستوطنة حيدرة (Ammaedara) والثانية بين أراضيها ومستوطنة سوق أهراس (Madauros) أما الثالثة فكانت بين أراضيها وأراضي الإمبراطور [5].

3-2-2-2- دحر القبائل

مست سياسة الدحر نحو المناطق الجذباء والتخوم الصحراوية، القبائل التي قاومت بشراسة سياسة التعديلات الزراعية، نزع الملكية وكافة أشكال الحيازة التي تهدف إلى رومنة المنطقة وتغيير وجهها العام [6]، وصار هذا المصير العقابي من نصيب قبيلة المزاملة « Musulami» الكبيرة، التي التي وصفها بلينوس الكبير « Plinus» بأنها في تعداد شعب كبير [7]، رافضتا الهيمنة الامبريالية على

---

[1] Benabou (M.), *La résistance Africaine à la romanisation, op.cit.*, p. 442 ; p. 463 ; Desanges (J.), *Catalogue des tribus des Africains de l'antiquité classique de l'ouest de Nil, op.cit.*, p. 124.

[2] Desanges (J.), *Commentaires de Pline l'ancien, H. N.*, V, p. 328.329.

[3] Benabou (M.), *La résistance Africaine à la romanisation, op.cit.*, p. 462 ; Desanges (J.), *Catalogue des tribus des Africains de l'antiquité classique de l'ouest de Nil, op.cit.*, p.127.

[*] أي ما مقداره 740 متر

[4] Benabou (M.), *La résistance Africaine à la romanisation, op.cit.*, p. 399.

[5] بنت النبي مقدم، سياسة الرومان اتجاه قبائل بلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، نفس المرجع، ص.67.

[6] مها عيساوي، المجتمع اللوبي القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، نفس المرجع، ص. 435.

[7] Plinus, *H.N.*, V, 30 ; محمد البشير شنيتي، محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، نفس المرجع، ص. 69.

علـى أراضـيها، ويتجلـى ذلـك مـن رسـالة تاكفاريـنـاس « Tacfarinas» المتحديـة لجـبروت الإمبراطور تيبريوس « Tibirius»، مهددا إياه بـإعلان حـرب لا هـوادة فيهـا، إن هـم لم يعيـدوا الأراضي المستولى عليها [1]. والتي شتت وطوردت فروعها إلى الأقاليم السهبية الفقيرة بعد هزيمتهم سنة 24 ميلادية [2]. ونالت قبيلة نوميديا « Numidae» الجزاء نفسه وهي التي كانت تنتجع بمنطقة الشمال القسنطيني وتونس الحالية، حيث فتتت وطردت إلى جنوب الولاية، فقد أنـزل قسـم منهـا بخميسة (Thubursicu Numidarium) ، التي أضحت بمثابة عاصمة لها، وقد نالت شرف الترقية إلى مصف البلدة الرومانية خلال عهد الإمبراطور تراجانوس « Trajanus» ، مما يدل على رومنة القبيلة ، كما رصد وجودها بعـين زواويـن(Cellae) [3]، هنشـير قرقـور(Masculala) والشـمال الشرقي لجميلة(Ciucul) .

وليس هذا فحسب فهناك من القبائل من نزح إلى المناطق الجنوبية طواعية لرفضـها فكـرة التخلي عن النمط المعيشي الذي نشأت عليه ورفضها لمبدأ الترومن وتكاثرت أعدادهم فيمـا وراء الليمس الروماني، والذي ثقلت وطأته على التحصينات الرومانية جراء استمرار المقاومة المسـلحة لهؤلاء، والتي تُوجت في آخر المطاف باسترجاع أملاكهم المسلوبة بالقوة [4].

ثانيا- الزراعة

قليلة هي المعلومات التي زودنا بها المؤرخـون الكلاسـكيون حـول موضـوع زراعـة الخضـر والفواكه بالمنطقة، حيث احتلت مرتبة ثانية في كتابتهم، مانحين الأولوية والأهمية في ذلك إلى ثلاثية القمح، الزيتون والكروم، ولعل مرد ذلك راجع إلى أن الأولى كانت موجهة إلى الاستهلاك المحلـي أكثر منه إلى التصدير مقارنة بالثانية، بالرغم من أن بعض أنواع الخضر والفواكه الإفريقية قد نالـت

[1] Tacite, *Annales*, III, LXXIII.

[2] محمد البشير شنيتي، محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، نفس المرجع، ص. 69.

[3] Desanges (J.), *Catalogue des tribus des Africains de l'antiquité classique de l'ouest de Nil, op.cit.*, p. 128 ; نفس المرجع، ص. 69

[4] محمد البشير شنيتي، محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، نفس المرجع، ص. 292، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص. 173 ، جيهان ديزانج، البربر الأصليون، نفس المرجع، ص. 486.

شهرة كبيرة لدى الطبقة الأرستقراطية الرومانية بما فيهم الأباطرة. وقد امتدى نقص المعطيات بدوره إلى الدراسات الحديثة التي طلعتنا فقط بذكر أسماء الخضر والفواكه بصفة مجملة ومقتضبة في سياق عام يشمل منطقة شمال إفريقيا ككل.

1- الأشجار المثمرة

بالرغم من أن الحبوب قد احتلت مرتبة متميزة في قطاع الزراعة بالجزائر القديمة، إلا أنه كان للأشجار المثمرة مكانا لها، وذلك بضواحي المدن الكبرى كقسنطينة (Cirta) وتبسة (Theveste) وبالمناطق الساحلية [1]، كما أفردت لها مساحات بالمستثمرات الفلاحية المعروفة باسم الدومان والتي تعتبر انعكاسا لثراء هذه الأخيرة من حيث تنوع صور استغلال الأرض من حبوب وأشجار مثمرة وخضروات بالإضافة إلى الحدائق [2].

أما بخصوص مقدار المساحات المخصصة لزراعة الأشجار المثمرة فلا أعرف عنها شيئا باستثناء شجرة الزيتون وكرمة العنب واللتان لا تشكلان جزءا من موضوع دراستنا، أما بالنسبة لباقي الأشجار كالرمان، الجوز وغيرهما، فلا نحوز على أي ذكر لها سواء أكان ذلك بالمصادر الأدبية أو الوثائق الأثرية وبخاصة النقائش، ماعدا شجرة التين، التي وجدت إشارة إليها ضمن قانون مانكانا الزراعي « Lex Manciana»، الذي شجع في جانب من بنوده على استصلاح أراضي البور والمهملة، حيث تم السماح في البند السابع منه لمستصلح الأرض (المزارع) المغروسة تينا، بحق الانتفاع بإنتاجها مدة خمس سنوات، على أن يقوم بعد انقضاء السنة الخامسة من الانتفاع بإنتاجها بتقديم قسط منه إلى مسيري العقار بناء على تقدير هؤلاء كما ورد في البند الخامس والسادس من القانون [3]، مما يوحي إلى أن المساحة التي كانت مفرودة لزراعة أشجار التين كانت

---

[1] Decret (F.), Fantar (M.), *L'Afrique du nord dans l'antiquité*, Paris, Payot et rivages, 2ed, 1998, p. 135.
[2] *Id., Ibid.*, p. 135.
[3] Courtois (C.), Leschi (L.), Perrat (CH.), Saumagne (CH.), *Tablettes Albertini*, Paris, Arts et métiers graphiques, 1952, p. 126-127 ; Picard (G.CH.), Rougé (J.), *Textes et documents relatifs a la vie économique et sociale dans l'empire romain 31avant J-C.225 après J-C*, Paris, S.E.D.E.S, p. 123 ; محمد البشير شنيتي، التغييرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، نفس المرجع، ص. 78.

كبيرة لدرجة فرض ضرائب عليها كمثلها من شجرة الزيتون والعنب، إلا أنه ليس بمستطاعي تعميم هذا الحكم ليشمل باقي الأشجار المثمرة الأخرى في ظل غياب ذكر لها بالوثائق الأثرية.

لكن على ما يبدو أن أشجار كالرمان واللوز قد زرعت على مقربة من منازل إقامة ملاك الأراضي المعروفة باسم فيلا روستيكا « Villa Rustica»، على غرار نمط المزارع المعمول به في وقتنا الحالي بالمناطق التلية، أما في المناطق الجنوبية، فنجد أن نطاق زراعة الأشجار المثمرة قد انحصر بالواحات، حيث قدم لنا بلينوس الكبير « Plinus»، وصفا رائعا حول طريقة الاستغلال الزراعي بالواحات، فباستثناء شجرة النخيل التي تعتبر الواحة بيئتها الطبيعية، نجده قد أتى على ذكر أشجار الزيتون، التين، الرمان وكروم العنب إلى جانب القمح والخضروات، التي تتطلب كلها مناخا معتدلا، وقد أرجع ذات المؤلف نجاح هذه الطريقة الزراعية إلى عامل أساسي وهو الظل الذي كانت توفره كل نبتة للأخرى [1] ، ومما نستشفه من النص كذلك، أنه لم يتم تخصيص مساحات للحبوب وأخرى للأشجار المثمرة والبعض الآخر للخضروات، وإنما تشترك كلها في نفس المساحة الزراعية، وهو الطابع الذي لا زال معمولا به بواحات الجنوب إلى غاية يومنا هذا.

2- الخضروات

شحيحة إن لم نقل هي منعدمة المعطيات المستقاة من المصادر الأدبية والوثائق الأثرية، التي لم تذكر شيئا عن زراعة الخضروات بالمنطقة قديما، إذ لا نحتكم سوى على إشارة واحدة، تشير إلى الفول ضمن قانون مانكيانا الزراعي « Lex Manciana» ، حيث جاء في البند الرابع منه ذكر للقسط الضريبي المفروض تأديته إلى الملاك « Domini»، المستأجرون « Conductores» أو الوكلاء « Vilici» على الأرض المزروعة فولا والمقدر بالربع والمأخوذ من البيدر «Fabae exarea partem qu…tam» [2] في حين يقدر القسط المفروض تقديمه على القمح والشعير بالثلث،

[1] Plinus, *H.N.*, XVIII, 51, 1.

[2] Courtois(C.), Leschi (L.), Perrat (CH.), Saumagne (CH.), *Tablettes Albertini*, *op.cit.*, p. 124 ; Picard (G.CH.), Rougé (J.), *Textes et documents relatifs a la vie économique et sociale dans l'empire romain 31avant J.-C.225 après J-C, op.cit.*, p. 122 ; محمد البشير شنيتي، التغييرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، نفس المرجع، ص77.

والذي يستنتج منه أن المساحات المخصصة لزراعة الفول كانت كبيرة بحجم الأراضـي المخصصـة لزراعة الحبوب، فقد كان غداء هاما للإنسان والحيوان على حد السواء [1]، علاوة على أنه مخصـب للأرض التي يزرع فيها [2].

[1] Plinus, *H.N.*, XVIII, 30, 1-3 ; Varron, *De l'agriculture*, II, 4 ; Martial, *Les épigrammes*, III, 47, 12.
[2] Plinus, *H.N.*, XVIII, 50, 3 ; Columelle, *De l'agriculture*, II, 10.

الفصل الرابع
استخدام الثروة الحيوانية والنباتية في المجالات الحرفية بالجزائر خلال العصور القديمة

لم تكن الحيوانات والنباتات مصدرا غذائيا للإنسان فحسب، بل امتدت أناملـه إلى مخلفاتهمـا، من أجل إعادة تشكيلها واستعمالها في حياته اليومية، وظهرت بذلك الحرف والصنائع المختلفة، التي كان أساس مادتها الأولية الحيوان والنبات.

أولا- الصناعة العظمية

اتخذت حضارات العصر الحجري القديم الأعلى من العظم مادة أولية جديدة في إنتاج الأدوات، منهية بذلك احتكار الحجارة في صناعة هذه الأخيرة، الذي دام لعهود طويلة، وقد تنوعت مصادر استخلاصه وتعددت مجالات استعماله، ويأتي في مقدمتها.

1- العظام الحيوانية ومواد أخرى

بادر أصحاب الحضارة المويلحية* في بادئ الأمر على استعمال عظام طويلة مقوسة طوليا أو قضبان مفصولة من العظم، يتم صقلها بالكامل أو يقتصر على جزء منها، وتباعا لذلك اتصفت الأدوات المنتجة من قبلهم بالطول وقلة العرض، حيث تكون قاعدتها دائرية، بيضوية أو إهليجية، وقد صنفت إلى ثلاث عائلات كبيرة بحسب شكل نهايتها وهي الأدوات الثاقبة ذات النهاية الحادة، الأدوات المثلمة ذات النهاية الملساء أو الدائرية والأدوات القاطعة ذات الحد المائل [1].

وقد أضحت الأدوات العظمية أكثر تنوعا خلال الحضارة القفصية حيث وجدت المخارز، القاطعات، الإبر وبدرجة أقل السكاكين والخناجر، والأدوات المعروفة خطأ باسم المناجل [2]، وقد أكتشف أول منجل منها بمغارة البوليغون بوهران، حيث قدم دومارغ « Doumergue» ، وصفا كاملا لها ضمن مقالة نشرت بمجلة الجمعية الجغرافية الأثرية لمقاطعة وهران، و هي عبارة عن فقرة ظهرية لحيوان الحيرم، مجوفة بها ثُلم عميق، يتسع ثم يضيق، غرست به حجارة حادة من الصوان كي تكون بمثابة أسنان للمنجل [3]، لتتوالى بعدها الاكتشافات، حيث عثر على شبيهاتها بموقع مشتى

---

* أفضل استعمال اسم المويلحية نسبة لموقع المويلح بمغنية بدل من استخدام مصطلح الإيبرومغربية

[1] كلود براهيمي، تمهيد ما قبل التاريخ في الجزائر، نفس المرجع، ص. 59.

[2] نفس المرجع، ص. 84، غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 125.

[3] Doumergue (F.), La grotte de Polygonne, *B.S.G.A.O.,* 47, 1627, p. 248, Pl. 25.

العربي، سيدي الحسني (كلومناطة سابقا) وعين كيدة [1] والجدير بالملاحظة لجوء القفصيين إلى تنويع مصادر العظم، وامتدت يداه إلى الأسنان والعظام البشرية، فقد أزاحت الكثير من التنقيبات اللثام عن قطع عظمية آدمية خضعت للصقل وإعادة التشكيل، إذ عثر بموقع مشتى العربي عن قطعة من جمجمة مصقولة ومثقوبة، كما صقلت قصبة ساق كي تصبح خنجرا، هذا وقد عثر على عظم قفا منشور ومصقول بمجاز [2]، وقد اتسعت مجالات استعمال العظم خلال الفترة النيوليتية، حيث صنعت منه خطاطيف صنارات صيد الأسماك [3]، كما لم يعد استخدامه مقتصر على الأدوات ذات الصلة بالحياة المعيشية للأفراد فقط، حيث وظف كحلي للزينة إلى جانب مواد أخرى، كدرر قشور بيض النعام، الغوريات، الحجارة والودع، وامتد نطاق الصناعة العظمية إلى مواد أخرى تحمل نفس تركيبة العظم، فقد استغلت حسكات الأسماك التي تملك ثقب بقاعدتها كإبر، وفقراتها كدرر [4].

كما استخدمت القواقع البحرية كأمشاط لتزيين الفخار النيوليتي، عن طريق غرز حواف الصدفة المسننة في العجينة الطرية [5]، ووظفت بعض أنواعه كحلي، وعلى سبيل الدلالة نشير هنا إلى أصداف سكابوفود « Scaphopodes» ، النابيات « Dentales» وصفيحيات الخياشم بأشكالها المختلفة، والتي تكون عادة مثقوبة طبيعيا، مما يُسهل من عملية استعمالها كأقراط ونوط، وقد وجدت بكثرة ضمن مواقع الحضارة المويلحية، ويظهر أن بعضا منها قد حدث عليه تعديل من خلال حك صفقه، كالمحار الذي أكتشف بمغارة راسل بشنوة وتمرهات، وهو الأمر الذي بقي معمولا به خلال الفترة القفصية، ليشيع استعمال المحار المصقول خلال الفترة النيوليتية، وهو ما دلت عليه مكتشفات مغارات وهران وموقع داموس الأحمر [6]، ولعله استعمل كذلك لتزيين الملابس الجلدية على شاكلة الغوري (الودع) « Cauris» ، حيث عثر على ورشتين لتحضير وتقطيع الصدف من نوع

[1] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 121.
[2] كلود براهيمي، تمهيد ما قبل التاريخ في الجزائر، نفس المرجع، ص. 88.
[3] Akli (N.), L'exploitation des ressources de la mer dans l'Algérie antique, *Actes du colloque international de Boulogne-sur-mer, 12, 13 et 14, mai 2005, Les cahiers du littoral-2, n°6,* édités par J. Napoli, 2008, p. 120.
[4] *Id., Ibid.,* p. 118 ; مجموعة من المؤلفين، الحلي والمصوغات الجزائرية عبر التاريخ، الجزائر، المتحف الوطني للباردو، 2007، ص. 50
[5] Akli (N.), L'exploitation des ressources de la mer dans l'Algérie antique, *loc.cit.,* p. 118.
[6] Camps Faber (H.), Coquillages, *E.B.,* XIV, 1994, p. 2088-2089 ; Id., Parures des temps préhistorique en Afrique du Nord, *Libyca Anthr.Préh.Ethn.,* VIII, 1960, p. 181-182.

« Nasses» ، الأولى بوادي الأكريت، والثانية بعين الحاج عمر تلهميت شرق الفج [1]. وامتدت أنامل الإنسان إلى دُبل السلاحف الذي صقلت منه متدليات ونوط كالتي عثر عليها بموقع الداموس الأحمر [2]، هذا وقد أشار بلينوس الكبير « Plinus» خلال الفترة التاريخية إلى استعمال ذرعها بعد تقطيعه إلى صفائح لتغليف الأسرة وموائد المآدب [3].

2- بيض النعام

شكل بيض النعام عنصرا هاما في حياة سكان المنطقة منذ العصر الحجري القديم الأعلى واستمر دون أن تخف وتيرته إلى غاية العصر الحجري الحديث، أين شهد خلالها انتشارا وتوسعا كبيرين في مجالات استعمالاته، لأغراض وظيفية، تزينية ودينية. وعلى حد تعبير عبد القادر دراجي يمكننا الحديث عن "حضارة لبيض النعام" [4]، فعندما يستحصل يستحصل الإنسان محتوى البيضة ويستهلكها، يعيد توظيفها إما كأوعية في حالة عدم انكسارها لنقل وحفظ الحبوب أو السوائل أو المواد المسحوقة كالمغرة الحمراء، فتكون بمثابة قارورة خفيفة، ذات فتحة تقع بإحدى قطبيها، كما يمكن أن تتواجد على مستوى خط استوائها [5]، تحمل أحيانا زخارف على مستوى الفوهة عبارة عن خطوط منفرجة في الغالب، وتكون في أوقات أخرى امتدادا لزخرفة بطن البيضة [6].

ولتسهيل حمل بيض النعام، يُفترض أنها زودت بقاعدة وعنق مضفورين من نسج ألياف نباتية كالحلفاء مثلا، و ذلك بناءا على مقاربة لأدوات لازال يستعملها سكان المناطق الصحراوية من الطوارق ومنطقة الساحل الإفريقي (النيجر والتشاد) المتمثلة في ثمرة الدباء «Lagenaria

---

[1] Camps Faber (H.), Coquillages, *loc.cit.,* p. 2090.
[2] Akli (N.), L'exploitation des ressources de la mer dans l'Algérie antique, *loc.cit.*, p. 119 ; مجموعة من المؤلفين، الحلي و المصوغات الجزائرية عبر التاريخ، نفس المرجع، ص. 43
[3] Plinus, *H.N.,* IX, 13.
[4] عبد القادر دراجي، المظاهر الفنية في المغرب منذ 13.000 سنة الزخرفة و النحت على قشور بيض النعام، الدراسات الأثرية، 2، 1992، ص. 6.
[5] Camps Faber (H.), *La disparition de l'autruche en Afrique du Nord, op.cit.,* p. 54-55 ; نفس المرجع، ص.6 – 8، كلود براهيمي، تمهيد ما قبل التاريخ في الجزائر، نفس المرجع، ص. 86، نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010، 136- 137.
[6] عبد القادر دراجي، المرجع السابق، ص. 9- 10.

« Vulgaris المتميزة بشكلها البيضوي وطبيعتها القابلة للانكسار السريع، والتي لا تخلو هي الأخرى من الزخارف على شاكلة بيض النعام، فلعل أساليب وتقاليد صنع القوارير من هذا الأخير، قد تم توارثها وممارستها على مواد نباتية تحمل بعض صفاته [1].

وعلى غرار ذلك كانت المرأة عند شعب البوشمان البدائي، تحمل معها بيضتين أو ثلاث بيضات مشدودة إلى بعضها البعض بواسطة حبال صغيرة مشكلة شبكة، تساعدها على نقلها، استعملت لتعبئة المياه وتغطى فتحتها بواسطة حشيش مكبوس، الراتنج أو قوقعة [2]. والظاهر أن البيض كان جد وظيفي في وقت لم يكن قد أكتشف فيه الفخار، وحتى بعد اكتشافه خلال العصر الحجري الحديث، عان من المنافسة الشديدة لبيض النعام والتي انتهت لصالح الأول لأسباب تعود في مجملها إلى إمكانية تشكيل الطين في صنع فخاريات أكثر تنوعا، حسب ما تقتضيه الحاجة، عكس قشور بيض النعام التي تمتاز بأصالتها و عدم إمكانية تحويل مادتها الطبيعية [3].

وأشير في الأخير، أنه من النادر العثور على قوارير بيض النعام كاملة بسبب طبيعتها الرخوة التي لا تساعدها على الصمود طويلا في وجه العوامل المناخية والديناميكية أثناء الحفريات التي تؤدي بها إلى التحطم، ومع هذا فقد تم العثور على أربعة قوارير من بيض النعام بموقع حاسي الرطايمية ما بين ورقلة والطاسيلي سنة 1881 من قبل رابودان « Raboudin» كما تم الإشارة إلى إحدى عشرة قارورة من نفس المادة بموقع حاسي المويلح بناحية ورقلة، لا تحمل أية زخارف، يتراوح قطرها مابين أربعة عشرة وستة عشرة مليمتر ، مما يعني أن وزن البيضة الواحدة يتراوح مابين 245 و 300 غرام [4]. وزيادة على ذلك استغل البيض المكسور كأكواب وأقداح كالتي عثر على قطعها بموقع خنقة الموهاد ووادي منقوب، وكرؤوس للسهام، فقد أشارت بعثة فورو « Foureau» سنة 1890

---

[1] Gast (M.), Calebasse, *E.B.*, XI, 1992, p. 1710-1713 ; محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (صور ماقبل التاريخ و فجر التاريخ) ، ج 1، نفس المرجع، ص.195.

[2] Camps Faber (H.), *La disparition de l'autruche en Afrique du Nord, op.cit.*, p. 55-56 ; عبد القادر دراجي، المظاهر الفنية في المغرب منذ 13.000 سنة الزخرفة والنحت على قشور بيض النعام، نفس المرجع ،ص.17-18.

[3] نفس المرجع ،ص.6-12.

[4] Camps Faber (H.), *La disparition de l'autruche en Afrique du Nord, op.cit.*, p. 55 ;
كلود براهيمي، تمهيد ما قبل التاريخ في الجزائر، نفس المرجع، ص. 86، ص. 121،عبد القادر دراجي، المرجع السابق، ص. 7.

إليها بتدمايت، ولمثيلتها بكل من تبلبالة سنة 1930 من قبل أبي بروبال« Abbé Breuil» وبولان« Bellin» عام 1959 بالطاسيلي ناجر [1].

لم يتم الاقتصار على استخدام بيض النعام لأغراض وظيفية فقط، بل استغل كحلي للزينة من قبل القفصيين خلال العصر الحجري القديم الأعلى بالمناطق الداخلية السهبية، ليشيع استعماله بالنيوليتي ذو التقاليد القفصية بالصحراء الجزائرية، فقد استغلت شُقف بيض النعام و ما أكثرها في صنع لآلئ ودرر تصف في خيوط ألياف نباتية أو جلدية لتصبح قلائد وعقود مثل القلادة التي عثر عليها بالمنيعة، وذلك بعد عملية ثقبها وفق طريقة التناوب من الجهتين حتى يلتقيان، بواسطة مخرز عظمي أو مثقب حجري يكون في الغالب من الصوان، ومن ثم تصقل وتحك أطرافها [2]، أو كنوط مثل التي عثر عليها بعين الدوكارة والداموس الأحمر ووادي مدفون [3]، هذا وتفنن الإنسان في زخرفة شقف بيض النعام باستعمال إما تقنية النحت بواسطة أدوات ذات حافة حادة من مادة الصوان وذلك بالضغط على الحافة الملساء، أو طلاء الشقف لكن بدرجة أقل [4].

و قد صنفت هذه الزخارف ضمن ثلاث مجموعات أساسية هي : الخطوط المستقيمة، المقوسة والمنقطة. مشكلة شارات مشطبة، أهاذيب حراشف، خطوط متوازية مضللة، تشبيكات، عناصر منفرجة ومتعارضة [5]، وإلى جانب الزخارف الهندسية، حملت بعض الشقوف الأخرى صورا حيوانية ونباتية، كالقطعة التي تحمل رسم ثعلب عثر عليها بموقع داموس الأحمر، وأخرى بكهف جبل بوزبوين بالقرب من عين مليلة، يظهر بها رأس نعامة، أُرخ لها بحوالي 4500 سنة قبل الميلاد، وقدم موقع طارنتول (120 كلم تبالبالة) قطعا تظهر بها أطراف حيوانات وهي الظباء بأنواعها

---

[1] Camps Faber (H.), *La disparition de l'autruche en Afrique du Nord, op.cit.,* p. 56-57.

[2] كلود براهيمي، تمهيد ما قبل التاريخ في الجزائر، نفس المرجع، ص. 86، مجموعة من المؤلفين، الحلي والمصوغات الجزائرية عبر التاريخ، نفس المرجع، ص.53.

[3] Camps Faber (H.), *La disparition de l'autruche en Afrique du Nord, op.cit.,* p. 60-61.

[4] *Id., Ibid.,* p. 64 ; عبد القادر دراجي، المظاهر الفنية في المغرب منذ 13.000 سنة الزخرفة والنحت على قشور بيض النعام، نفس المرجع،ص. 7، ص. 18.

[5] *Id., Ibid.,* p. 69 ; نفس المرجع ،ص .15-18

المختلفة، الخنزير، الثور والنعام [1]. كما حمل بعضها الآخر بدرجة أقل زخارف نباتية كسعف النخل، الأكاليل والزهور [2].

تراجع استخدام بيض النعام في الفترتين الفجرية والتاريخية، ولم يعد يحظى بنفس الأهمية التي امتلكها خلال فترة ما قبل التاريخ، وانحصر ميدان استعماله على المجال الديني كغرض طقوسي بالمقابر، وذلك باعتباره إحدى مكونات المرفقات الجنائزية، وقد تم التعرف عليه ضمن محتويات العديد من التمولوسات، كتملوس عين الصفراء، لالة مغنية، بني ونيف، بازينة الجلفة، عين الحمارة ومقابر غاستيل وتيديس [3]. ويبرز بشكل جلي في المقابر البونية متخذا شكل مزهريات، أقداح أو قطع مقطوعة إلى ثلاث أرباع من الارتفاع، مزينة في الغالب بتفريمات، وقد زخرف بعض البيض البوني بنقوش حفرت بواسطة أداة ذات رأس حاد أو مقص، تمثلت في أزهار، شرائط متموجة وشاريات. في حين كان بعضه الآخر مطليا بالأحمر أو الأحمر المسود، ذا زخارف نباتية، منمنمات أو مربعات متناسقة [4]، وكذا رسوم بشرية وحيوانية كالقطعة المكتشفة بقورايا التي صور بها طائر النعام [5] (الصفحة 243-الصورة رقم 34).

3- العـــــاج

تأتى العاج قديما من مصدرين هما أنياب الخنازير والفيلة، إلا أنه لوحظ أن المواقع الجزائرية العائدة إلى فترة ما قبل التاريخ، قد ضمت بين طبقاتها أشياء وحليا عاجية، تعود في مجموعها للخنازير لا للفيلة. حيث عثر على بقايا أنياب هذه الأخيرة في موقعين فقط، هما مغارة بريزينة بالأطلس الصحراوي، ورأس الخنازير بالقرب من بجاية، هذا وقد تم بالموقع الأخير اكتشاف سوار

---

[1] Camps Faber (H.), *Matière et art mobilier dans la préhistoire Nord-Africaine et Saharienne,* Mémoire du C.R.A.P.E., V, Paris, Arts et métiers graphiques, 1966, p. 386 ;
عبد القادر دراجي، المظاهر الفنية في المغرب منذ 13.000 سنة الزخرفة والنحت على قشور بيض النعام، نفس المرجع،ص. 18.
محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100- 1000)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة، 2008، ص. 145.

[2] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع، ص. 138- 139.

[3] Camps Faber (H), *La disparition de l'autruche en Afrique du ord, op.cit.*, p. 72.

[4] *Id., Ibid.,* p. 72-74.

[5] *Id., Ibid.,* p. 75 ; Austruc (M.), Supplément aux fouilles de Gouraya, *Libyca ar.ep,* II, 1954, p. 18-19.

مصنوع من ناب خنزير، كما عثر على بقايا مماثلة له بكل من موقع غلدمان، داموس الباتوم و خنقة سي محمد الطاهر، هذا واستخدم في صنع النوط التي تعود في مجملها إلى الفترة النيوليتية، باستثناء واحد فقط، أكتشف بالرمادية القفصية لمشتى العربي. أضف إلى ذلك، فقد طالعنا موقع بوزبوين بحِلية جميلة مسترققة ومصقولة، يوحي مظهرها الخارجي لذيل السمكة [1].

توسعت مجالات استعمال العاج في الفترة التاريخية مع ولوج الفينيقيين إلى المنطقة، حيث شكل أحد أهم السلع المبحوث عنها من قبلهم، محتلا بذلك مكانة هامة ضمن ما يعرف بالمقايضة الخرساء التي ربطتهم بسكان المنطقة* [2]، حيث استخدموه في صنع الحلي وعدد من الأدوات الثمينة كالإبر، الدبابيس، الأمشاط، التماثيل الصغيرة، اللعب، مقابض المرايا والمراوح، الملاعق، الأزرار [3]، وقد اقتفى أثرهم في ذلك ملوك وأمراء البربر، الذين كثيرا ما قلدوا نمط عيش الطبقة الأرستقراطية القرطاجية، وقد تزايد الطلب على العاج خلال فترة الاحتلال الروماني للمنطقة. مما سرع من وتيرة انقراض الفيلة من المنطقة.

وعلاوة على أدوات الزينة التي عثر على بعض نماذجها بتيبازة (Tipaza) وتيديس (Tiddis) [4]** وجميلة (Cuicul)، (الصفحة 243 - الصورة رقم 35)، تم توظيفه بكثرة من أجل صنع التحف كالتماثيل والأثاث كالكراسي التي أتى على ذكرها أوفيديوس «Ovidius» [5]، أو لتطعيم وترصيع الأثاث إن كان خشبيا، واللوحات المعروفة باسم الديبتيك « Diptyques» ، و هي عبارة عن لوحات فنية مزدوجة باطنها مكسو بالشمع، اقتصر نحتها في البداية على شرف الإمبراطور وعائلته، لتتسع فيما بعد دائرة الطلب عليها التي ضمت رجال الدولة السامين كالقناصلة والشخصيات العامة، كما كانت هناك ديبتيك تعالج مواضع دينية [6].

---

[1] Camps Faber (H.), Ivoire, *E.B.,* XXV, 2003, p. 3813.

* تعود أقدم البقايا العاجية المعثور عليها بالمقابر البونية إلى القرن السابع قبل الميلاد.

[2] *Id., Ibid.,* p. 3815.

[3] Akil (A.), l'Art de l'ivoire, *Annales du M.N.A*, 13, 2003, p. 38 ; p. 42.

[4] مجموعة من المؤلفين، الحلي و المصوغات الجزائرية عبر التاريخ، نفس المرجع، ص.67، ص. 74.

** عثر بتديس على دبابيس للشعر يتراوح طولها مابين 5 و8,9 سم، ذوات رؤوس منقوشة، محفوظة بالمتحف الوطني لسيرتا.

[5] Ovide, *Pontiques,* J. André (trad.), Paris, les belles lettres, 1977, Lettres à Graecinus, IX.

[6] Camps Faber (H.), Ivoire, *loc.cit.,* p. 3815-3816.



الصورة(34): قطعة لبيض النعام تحمل رسمه – قورايا.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/165/img-6.png.



الصورة (35): دبابيس عاجية – متحف جميلة، سطيف.

تصوير الباحثة.

ثانيا- الصناعة الجلدية

أظهرت الرسوم الصخرية النيوليتية المنتشرة بالأطلس الصحراوي، منطقة تبسة، الطاسيلي ناجر والأهقار، أن الإنسان قد استخدم جلد الحيوانات كلباس له منذ فترة البقريات (الرعاة)،

واستمر معه هذا الأمر إلى غاية المرحلة الأخيرة من الفن الصخري التي تعرف باسم مرحلة الجمل، وقد أبقى سكان المنطقة على عادة ارتداء الملابس الجلدية إلى فترة متأخرة من التاريخ القديم، وذلك فيما دلت عليه المصادر الأدبية التي سأتي على ذكرها في حينها. وهذا الأمر لا ينفي عدم ارتداء الإنسان اللباس الجلدي خلال العصرين السابقين للعصر الحجري الحديث، رغم عدم العثور على بقاياه بالمواقع الأثرية بسبب طبيعته المتميزة بسرعة التلف، فقد أبانت الصور الصخرية لوادي جرات بالطاسيلي ناجر، المفهرسة من قبل هنري لوت « Lhote» العائدة إلى فترة الجاموس العتيق (الحيرم)، وجود حيوانات كبيرة رفقة عدد من الصيادين، يرتدون جلود الحيوانات التي تم الاستعانة بها من أجل التمويه والتشبع برائحة الحيوانات المتوحشة في نفس الوقت [1]، حتى يتم خداع الطرائد عند ملاحقتها، أو يكونون هم بمثابة طعم للفرائس التي يشتهونها، حيث يظهر رجل بجزة بعين تكورت وآخر يرتدي جلد غزالة بالموقع السالف الذكر [2]، وبتين تازاريفت، كما صور صياد بجلد سنوري بتين تولولت [3].

وفي الغالب لم تكن الجلود في طبيعتها مريحة، مما أدى به إلى التفكير في إيجاد أنواع أخرى من الأزياء التي سيصبح أمر ارتدائها شائعا. بسبب انشغاله بفكرتين أساسيتين، الأولى ترتبط بالتخفي لأداء أنشطة الصيد، مستخدما في ذلك الذيول المستعارة والأقنعة، والثانية تتعلق بالألبسة التي تتخذ طابعا رمزيا أثناء أداء الرقصات المرتبطة بالطقوس العقائدية مثل ما هو الحال لدى شعوب غرب إفريقيا [4]، أوتجسيد للآلهة مثل رسم صفار(Sefar) بالأهقار المعروف باسم الإله الأكبر «Scène du du grand dieu aux orantes » الذي يظهر بقناع ثور وذيل مستعار وبحزام حول خصره(الصفحة

---

[1] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien*, Mémoire de maitrise, Université de Provence, 1982-1983, p. 2.

[2] Leclant (J.), Huard (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara,* 1, Mémoire du C.R.A.P.E., XXXIX, Alger, 1980, Fig. 19 n° 10.

[3] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.,* p. 02.

[4] *Id., Ibid.,* p. 23 ; سيدي محمد ايباه، المظاهر الثقافية والأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست (أهقار) الصحراء الوسطى-الجزائر، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011- 2012، ص. 164، ص. 193.

لويزة بلخيري، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي الناجر(الصحراء الوسطى – الجزائر)، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2012، ص. 255.

250- الصورة رقم 36) [1]، وتحاكي هذه الأقنعة شكل الحيوان بأدق تفاصيله، والتي تمثلت أساسا في رؤوس فصيلة الكلبيات كالكلب، وابن آوى، بالإضافة إلى الظباء، والطيور وحتى القطط [2]، والمجسدة بكثرة على الرسوم الصخرية لمنطقة الأهقار، والطاسيلي ناجر. وفي ذات المنحى أشير إلى رسم تيمنزوزين الذي يمثل شخصين متنكرين بأقنعة حيوانية منطلقين في الصيد [3]، ورجل يرتدي قناعا بأذنين كبيرين بمنطقة صفار [4]، وآخر يضع قناع كلب بمحطة أومشو [5]، وصور شخوص وادي جرات، حيث يظهر أحدهم بوجه كلب مغطى بقلنسوة نصف دائرية(الصفحة 250 - الصورة رقم 37)، وثاني بقناع درواس (كلب حراسة، كبير الرأس أفطس الأنف)، وهي تعود في مجملها إلى فترة الجاموس العتيق [6].

أما بمنطقة الهضاب العليا فقد تم رفع رسمين لشخصين مقنعين، الأول بالأقور يتخذ شكل طائر ذو عرف ومنقار، والثاني بوادي روميلية يشبه خطم ميكي، هذا وقد خط رسم رجلين مقنعين بكل من فج النعام والمغار التحتاني بالأطلس الصحراوي [7]، كما يلاحظ على الصور الشخوص الممثلة بالمنطقة الأخيرة ندرة ارتدائها للذيول المستعارة والتي لحت برسوم الحصباية فقط، مقارنة برسوم منطقة الطاسيلي ناجر، بموقع وادي جرات والأهقار بناحية صفار، والتي تكون إما طويلة منتهية بكرة شعر أوعارية حلزونية الشكل أو مصنوعة من خيوط [8].

---

[1] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique nord Africain et Saharien, op.cit.,* p. 24 ; Leclant (J.), Huard (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, op.cit.,* p. 117.

[2] Leclant (J.), Huard (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, op.cit.,* p. 117.

[3] محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (صور ماقبل التاريخ و فجر التاريخ)، ج 1، نفس المرجع، ص. 264.

[4] لويزة بلخيري، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي الناجر(الصحراء الوسطى – الجزائر)، نفس المرجع، ص. 56

[5] سيدي محمد ايباه، المظاهر الثقافية والأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست (أهقار) الصحراء الوسطى-الجزائر، نفس المرجع، ص.193.

[6] Lhote (H.), *Gravures rupestres de l'Oued Djerat*, 2, *op.cit.,* St. XXVIII, n°1328 ; n°1459 ;

Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit* . p. 24.

[7] Leclant (J.), Huard (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, op.cit.,* p. 131.

[8] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.,* p. 25 ; Leclant (J.), Huard (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, op.cit.,* p. 137 ; Huard (P.), Allard-huard (L.), *Les gravures rupestres du Sahara et du Nil, Études scientifiques,* Le Caire, Pères jésuites en Égypte, 1981, p. 44.

وتتمثل الفكرة الثانية التي أخذت حيز اهتمام الإنسان النيوليتي في ستر عورته وجسده، حيث أظهرت الرسوم الصخرية ارتدائه للقرناطة (قراب العورة) المشدودة إلى جسمه بحزام، وذلك في كل من موقع وادي جرات، الذي يشمل على صور نبالين يشد كل منهما قراب العورة بحزام عريض ذا ايزيم [1]، وبرسومات اهرن تاهيليهي، وبمحطات الأهقار كمحطة المدافور، تماليين وأومشو ، وتم التعرف عليها كذلك بجنوب الأطلس الصحراوي بموقع ثنية الخروبة، عين الناقة وضاية الستل (الصفحة251- الصورة رقم 38) [2].

وبالموازاة، نجد نماذج سترت عورتها بقطع جلدية تسقط بين الفخذين كما هو الحال برسوم موقع وادي جرات [3]، وبرسومات الأطلس الصحراوي، أين صورت شخوص تضع رقعا جلدية، جلدية، من أبرزها رسم عين الناقة، الذي يظهر فيه رجل يلبس شريطا جلديا يمر عبر فخذيه والذي يسقط هذبه على حزام مزين بزرين [4]. والظاهر أن ارتداء قراب العورة لم يكن حكرا على سكان هذه المناطق السالفة الذكر، الواقعة بالجزائر حاليا، بل تم تبنيه من قبل سكان بلاد المغرب القديم والشعوب الإفريقية ككل [5]، فقد صورت الآثار المصرية الأقوام الليبية التي احتكت بها منذ وقت مبكر بهذا الزي، أهمها مقبض عاجي لسكين عثر عليه بجبل العرق، الذي أظهرهم بشعور طويلة، عراة، إلا من حزام العورة، والذي يعود إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد [6] . وفي وثيقة أخرى أخرى يُشاهد ثور يدوس برجليه رجلا يرتدي القرناطة [7]، ولا نعرف متى تم التخلي عن هذه العادة العادة التي لا يوجد أثر أو ذكر لها في النصوص الأدبية خلال الفترة التاريخية [8].

---

[1] Leclant (J.), Haurd (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, op.cit.,* p. 141.

[2] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.,* p. 17-18.

[3] Lhote (H.), *Gravures rupestres de l'Oued Djérat*, 2, *op.cit.,* St. XX n°759 ; St. XXI n°959 ; Leclant (J.), Huard (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, op.cit.,* p. 117.

[4] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.*, p. 18 ; Leclant (J.), Huard (J.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, op.cit.,* p. 137.

[5] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 204.

[6] جيهان ديزانج، البربر الأصليون، نفس المرجع، ص. 439.

[7] محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (صور ماقبل التاريخ و فجر التاريخ)، ج 1، نفس المرجع، ص. 217.

[8] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 22 ; غابريال كامبس، المرجع السابق، ص. 204.

إلى جانب ذلك، لبس سكان المنطقة التنورة « La pagne»، التي تم التعرف على شكلها بالرسوم العائدة إلى فترة الرؤوس المستديرة بالطاسيلي ناجر والأهقار بمنطقة صفار [1]، والتي أصبحت اللباس الغالب والدارج بكثرة خلال فترة البقريات وهي تتسم عادة بالبساطة، بدون انسدال. في حين نجدها برسوم أخرى منسدلة على الأرداف فقط دونما الأمام، مانحتا بذلك لمرتديها حركة أكثر، مثل ما هو الحال برسم تيسوكاي، هذا وقد استخدموا جلد الحيوان المسلوخ دون أي توظيب، حيث تلمح أطرافه وذيله على بعض التنانير التي تغطي الأفخاذ وأحيانا السيقان مثل ما هو ملاحظ في رسم جبارن أمازار [2]، وتداولوا في هذه الفترة كذلك الأحزمة من أجل شدها حول حول الخصر، والتي تميزت هي الأخرى بتعدد أشكالها مابين البسيط، العريض، المكون من عدة شرائط والطويل والتي تعتبر هي الأخرى إحدى مظاهر الزي المنتشر بالفن الصخري الصحراوي بوادي جرات وتان زومايتك بالطاسيلي ناجر(الصفحة251 – الصورة رقم 39) ومحطات الأهقار كمدافور، تمالين وتيمدوين [3].

وفي بعض الأحيان يكتفي بعقد التنورة من الأمام بواسطة هذبين مبرقشين يتدليان على الفخذين، وهو الذي نجده بكثرة برسوم مجموعة أبانيورا « Abaniora» . هذا وقد امتلكت بعض التنورات أهدابا وسيورا طويلة، كتنورة الراقصة المقنعة بتين تازاريفت وتنورة محطة المدافور بالأهقار [4]. وقد اشترك الرجال والنساء والأطفال في لبس التنورة وحافظوا على ارتدائها، كونها لباس عملي يسهل لهم الحركة أثناء أداء مختلف الأنشطة من صيد ورعي وأعمال يدوية وحروب [5].

وحروب [5].

---

[1] هنري لوت، لوحات تيسيلي، نفس المرجع، ص. 198 ، لويزة بلخيري، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي الناجر(الصحراء الوسطى – الجزائر)، نفس المرجع، ص.61-62.

[2] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique nord Africain et Saharien, op.cit.*, p. 35 ; p. 52.

[3] *Id., Ibid.,* p. 33 ; Lhote (H.), *Gravures rupestres de l'Oued Djérat*, 2, *op.cit.,* St. XXXI n°1600 ; سيدي محمد ايباه، المظاهر الثقافية والأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست (أهقار) الصحراء الوسطى-الجزائر، نفس المرجع، ص. 192.

[4] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.*, p. 35 ; Muzzolini (A.), *Les bœufs du Sahara central, op.cit.,* p. 386.

[5] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.*, p. 52 ; سيدي محمد ايباه، المرجع السابق، ص.188.

إلى جانب التنورة أوجد الإنسان الفساتين التي طبعت الفن الصخري خلال الفترة البقرية، الخيلية والجمالية، حيث أضحى الفرد يبحث عن التألق والتزين أكثر. كارتداء النسوة للفساتين الطويلة الضيقة على مستوى الخصر والمتفخة في الأسفل لإظهار أنوثتهن، كما ما هو الحال برسوم محطة أبيور بالطاسيلي ناجر(الصفحة 252 - الصورة رقم 40)، وجدارية الفتاتين المعروفة باسم « Les deux jeunes peules» بجبارن التي تظهر إحداهن بحمالات كتف غير متماثلة [1](الصفحة 252- الصورة رقم41)، والفساتين المزركشة التي صور أحدها على جداريات منطقة اين ايتينان بالطاسيلي ناجر [2]، وقد عمدت المرأة أحيانا إلى تقصير الفستان أثناء اشتغالها في الأرض حتى لا يعيقها خلال أداء نشاطاتها، وهو ما توضحه إحدى جداريات منطقة وادي التوهامي بالطاسيلي ناجر [3].

أما فساتين الرجال والأطفال فهي أقصر مما هي عليه لدى النساء، وتتخذ في الغالب شكل جرس الذي انتشر نمطه بكل من الأهقار (تيمودين وأومشو) والطاسيلي ناجر (وادي التوهامي، اين تينان، تين توكرت) إلى غاية تيمساو وأدرار نفوغاس جنوبا، ، حيث لايزال أثره موجودا لدى الشعوب التبستي بالتشاد [4].

صنع إنسان الفترة النيوليتية ملابس جلدية ذات جودة عالية إلا أنها لم تلقى رواجا كبيرا مقارنة بالتنورة والفستان، ونذكر هنا البرلينة (لباس نسوي طويل الأطراف)، التي شوهدت على جدارية بموقع تين توكرت، الدثار(كسوة قصيرة للنساء بدون أكمام) مزين بنسال والذي تم التعرف عليه بوادي جرات بالمحطة رقم 27، الوشاح ذو الشارات المصلبة بالمحطة رقم 31 من الموقع السالف الذكر، هذا وتم التعرف عليه برسم من منطقة صفار بالأهقار. السراويل الفضفاضة التي اشترك في لبسها الرجال والنساء على حد السواء، الجلابيب الخشنة التي تتخذ شكل كيس، والمعاطف الطويلة

[1] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.*, p. 36 ; Muzzolini (A.), *Les bœufs du Sahara central, op.cit.*, p. 386.

[2] لويزة بلخيري، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي الناجر(الصحراء الوسطى – الجزائر)، نفس المرجع، ص. 52.

[3] نفس المرجع ، ص. 240

[4] نفس المرجع، ص. 236، ص. 240، سيدي محمد ايباه، المظاهر الثقافية والأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست (أهقار) الصحراء الوسطى-الجزائر، نفس المرجع، ص.188.

المزودة بغطاء للرأس، والتي يبدو أن قوائم الحيوان تنسدل على جوانبها والتي ارتداها نبالة تين ايتينن بالطاسيلي ناجر [1]. والتنورة الداخلية « Jupon» ، التي ارتدتها امرأة من تين راسوتين، ومن طـرف عدائين بتين بدجيج، وألبسة أخرى تتخذ شكل مستطيل مزخرف بخطـوط متوازيـة الـتي شـوهدت على صخور تفدست بالأهقار والدثار المختصر« just a corps» [2].

استمرت عادة ارتداء الألبسة الجلدية من قبل سكان المنطقة خلال الفترة التاريخية، وتبـث ذلـك من خلال ما أورده لنـا المؤرخـون الإغريـق ومـن تـبعهم في ذلـك مـن الكتـاب اللاتـين، ويؤكـد هيرودوتس « Hérodots» أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ذلـك قـائلا: " اقتـبس الإغريـق عـن الليبيين لباس ودرع تماثيل أثينا، غير أن ملابس الليبيات مصنوعة من الجلد وأن الأهـداب المتـدلاة من الدرع ليست ثعابين ولكنها عبارة عن سيور جلـد الحيـوان. وأمـا فيمـا عـدا ذلـك، فـالملابس والدروع متشابهة ...و تضع الليبيات فوق ملابسهن جلود الماعز الخال من الشعر، محاط بأهـداب و مصبوغة باللون الأحمر..." [3].

والظـــاهر أن الليبـــيين القـــدامى درجـــوا علـــى اســـتعمال جلـــود المـــاعز بكثـــرة في خياطـــة ملابســـهم، حيـــث وردت إشـــارة لـــه لـــدى ديـــودور الصـــقلي «Diodore de Sicile » [4] وجـــاء ســـترابون« Strabo» علـــى ذكـــر طريقـــة ارتـــدائها قـــائلا: " جلـــد الحيـــوان الـــذي تحـــدثت عنـــه ســـابقا، كـــان يـــربط بمشـــبك (علـــى أحـــد الكـــتفين مـــن دون شـــك) فـــوق العبـــاءة « Tunique »، والـــذي كـــان بمثابـــة درع واقـــي أو صـــدر حـــامي" [5]، وفي نفـــس الصـــدد ذكـــر فـــارون «Varron » أن الجيتـــولين يغطـــون أجســـادهم بجلـــود النعـــاج [6]، ولم تكـــن قطعـــان الحيوانـــات المستأنســـة مـــن كبـــاش ومـــاعز

[1] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.*, p. 36 ; p. 40 ; Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djérat, 2, op.cit.*, St. XXVII n° 136 ; n° 1315 ; St. XXXI n° 1652 ; لويزة بلخيري، المرجع السابق ، ص. 258.
[2] Leclant (J.), Huard (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, op.cit.,* p. 145.
[3] Hérodote, *Histoire,* IV, 189 ; مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ) ، ص. 74.
[4] Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique*, XXXII, 17.
[5] Strabon, *Géographie,* XVII, 3, 7.
[6] Varron, *Économie rurale*, II, 11.

ومــاعز المصــدر الوحيــد للجلــود المســتغلة في صــنع الملابــس، بــل اســتخدموا كــذلك جلود الحيوانات المتوحشة كالأسود، النمور، الدببة والأورية ذات الأرذان [1].



الصورة (36): جدارية الإله الأكبر – صفار، الأهقار.

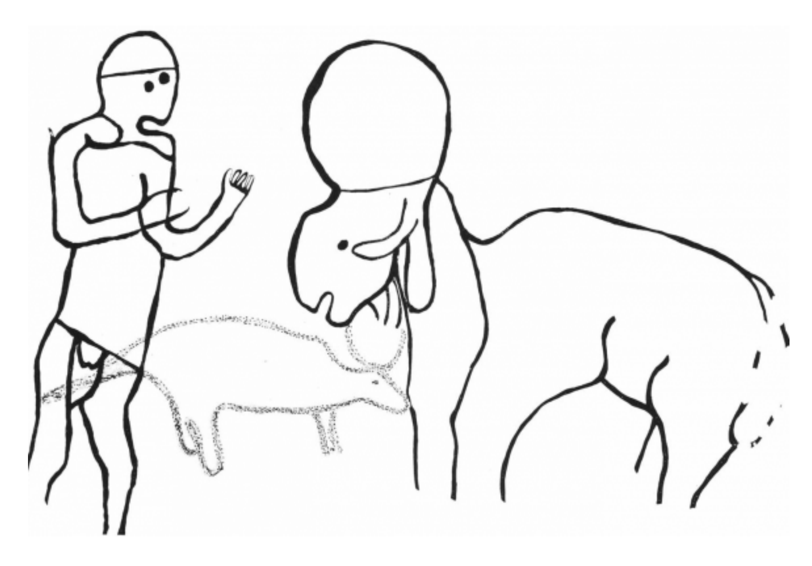
Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara,* Alger, ANEP, 2005, p. 148, Fig. 138.



الصورة (37): صياد يرتدي قناع كلب وذيل مستعار مشدود بحزام عريض – وادي جرات.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/2186/img-2.png

[1] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 22.



الصورة (38): رجل يرتدي قراب العورةبرفقة كبش متوج – ضاية الستل، الجلفة.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/2228/img-1.png



الصورة (39): رجال بتنانير جلدية – تان زوميتك، الطاسيلي ناجر.

htt://www.asphor.org



الصورة (40): ألبسة جلدية نسوية، طويلة وقصيرة على شكل جرس - الطاسيلي ناجر.

Ferrah (A.), L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, Alger, ANEP, 2005, p. 207, Fig. 234.



الصورة (41): فتاتين تتبدلان الحديث، ترتديان ملابس بحملات كتف- جبارن.

Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique nord Africain et Saharien,* mémoire de maitrise, université de Provence, 1982-1983, p. 36.

وأستدل على ذلك من خلال كتابات كل من بومبونيوس ميلا «Pomponius Méla» القائل : "عاشت شعوب إفريقيا في مساكن تسمى مباليا، وكان رؤساؤهم يلبسون معاطف قصيرة وبقية الشعب يغطون أجسامهم بجلود الحيوانات المتوحشة أو بجلود قطعانهم، ولا يملكون أسرة ولا طاولات سوى الأرض ".[1] وأليانوس «Elianos» الذي أشار إلى استعمال الرعاة والحطابين لجلد الأروية ذات الأرذان «Mouflon» خلال فصول الشتاء لتقيهم من التجمد [2].

ومن ناحية أخرى، استغلت جلود الحيوانات كأغطية إلى غاية فترة متأخرة من التاريخ القديم للمنطقة، حيث أشار بروكوبيوس«Procopius» أن الأغنياء من الموريين كانوا يمتلكون بعض الجلود للنوم عليها عكس بقية الشعب الذي يفترش الأرض [3]، وكقراب بعد أن يُطلى باطنها بالقطران حتى تصبح غير نافدة، من أجل استخدامها كأوعية للسوائل، وبخاصة الماء، وصنعت منها الأكياس لوضع أكل الدواب فيها [4]. أضف إلى ذلك، استعملت في صنع العتاد الحربي كالحراب التي صنعت من جلد فرس النهر المعروف بسماكته، والدروع من جلد الفيلة التي لا يمكن اختراقها بسهولة [5]. وأعتبر ارتداء الملابس الجلدية أمرا ضروريا أثناء القيام بخدمة الأرض من قبل بعض الشعوب كالماسيسليين، حتى تقيهم من لدغات الأفاعي، كما لجئوا إلى حماية سيقانهم بوضع الران (غطاء الساق) «Cnémides» [6].

وفي السياق نفسه، عمد الإنسان إلى صنع الأحذية منذ وقت مبكر، حيث تم التعرف عليها بواجهات الفن الصخري بكل من محطة أبيور بالطاسيلي ناجر أين تظهر امرأة تنتعل خفا، كما تم التعرف على رسم رجل بوادي هلال بتبسة، يرتدي جلبابا وطاقية ذات ريش ونعل [7]، وقد درج الأفراد خلال الفترة التاريخية على انتعال تحت مشط القدم نعلا من الجلد الخشن « Rudia» كجلد

---

[1] Pomponius Méla, *De Chorographia* , 1, 8.
[2] Elien, *La personnalité des animaux,* XIV, 16.
[3] Procope, *La guerre contre les Vandales,* II, 6, 12.
[4] Gsell (S), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 55 ; Salama (P.), Panorama de l'Algérie romaine, Document Algériens, p. 6.
[5] Salluste, *Bel.Jug.*, XCIV ; Plinus, *H.N.,* XI, XCIII.
[6] Strabon, *Géographie,* XVII, 3,11.
[7] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.,* p.10 ; Leclant (J.), Huard (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, op.cit.,* p. 145.

الماعز مثلا، الذي أتى على ذكره كوريبوس « Corippus»[1]. ولشدة الطلب على النعال، ظهرت حرفة تُعنى بصناعة وإصلاح الأحذية، ألا وهي مهنة الإسكافي، إلا أن عدد النقائش المكتشفة بالجزائر العائدة للإسكافيين، لا تعكس واقع انتشار هذه الحرفة في المجتمع قديما، وهنا لا نحتكم سوى على نقشتين فقط اكتشفت الأولى بعاصمة موريطانيا القيصرية شرشال « Caesarea»[2]، والثانية بمورست شمال تبسة« Theveste»[3]، ولعل مرد ذلك راجع إلى أن أصحاب هذه المهنة كانوا من الطبقة الفقيرة الذين ليس بمقدورهم انجاز نصب جنائزية أو شواهد تذكارية.

كما أن وفرة الجلود بالمنطقة جعل منها تجارة رائجة، هذا ما أكدته وثيقة زراي « Zarai » الجمركية التي أتت على ذكر الجلد المدبوغ « Corium Perfectum» والجلد الخام« Corium Pilosum» . كما حوت الوثيقة الأثرية إشارة لمادة الشب « Alumen»التي تدخل في عملية الصباغة ودبغ الجلود بصفة أساسية[4]، وهي المادة التي أتى على ذكرها بلينوس الكبير « Plinus» كذلك، إلى جانب قشور الرمان الخضراء التي وظفت على حسب تعبيره في عملية دبغ الجلود بإفريقيا[5].

ثالثا - الصناعة الخشبية

1- الأثاث المنزلي

وهبت المنطقة غابات كثيفة لدرجة أن اعتبرها البعض ثروتها الوحيدة[6]، مستغلين أخشابها التي التي ضمت مختلف الأشجار التي تدخل في صنع مستلزمات الحياة اليومية، وبخاصة الأواني المنزلية منذ وقت مبكر، لاتصافها بخاصية تحمل الصدمات عكس الفخار، سواء للأكل كالصحون،

---

[1] Corippe, *Johanide,* II, 137; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 34.
[2] *C.I.L.VIII,* 9326.
[3] *C.I.L.VIII*, 16710 ; *I.L.Alg.,* 2876.
[4] *C.I.L.VIII,* 4508 ; *I.L.Alg.,* 4111 ; Plinus*, H.N.,* XXXV, 183-188 ; Morizot (P.), Les échanges commerciaux entre la cote méditerranéenne et à l'intérieur du Maghreb au IIe siècle vu a travers du tarif Zaria, *Actes du colloque de Bastia,* 2003, Paris, C.T.H.S., 2009, p. 161 ; p. 170-171.
[5] Plinus, *H.N.,* XIII, 34.
[6] Lucain, *La Pharsale,* IX, 426-427.

القصاع، الأقداح أو للتخزين كجرار، الخوابي والصناديق، و هي ذات أشكال وأحجام متعددة [1]، إلا أن خصائص هذه المادة المتميزة بسرعة الفناء، أدى إلى عدم العثور على بقاياها المادية ضمن طبقات المواقع الأثرية المنقبة باستثناء بعض الإشارات النادرة جدا المتمثلة في سكين من الصوان مزود بمقبض خشبي عثر عليه بموقع داموس الأحمر، وهو الآن محفوظ بالمتحف الوطني للباردو* [2](الصورة رقم 42). وجدارية مشهد لحلب الأبقار بجرف التربة، أين يُلمح شخص يقوم بعملية الحلب جالسا على منضدة خشبية صغيرة [3]، إلى جانب ذلك عثر على بقاياها القليلة جدا بمقابر موقع عين الحمارة التي لا يتعدى عمرها القرن الثالث والرابع ميلادي، تمثلت في مزهريات خشبية، ويمكن القول أنها صنعت من قبل الرحل بحكم موقعها الجنوبي [4].



الصورة (42): سكين بمقبض خشبي – داموس الأحمر.

عزيزطارق ساحد، التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث في الجزائر: معطيات واشكاليات، أعمال الملتقى الوطني الأول حول المدينة والريف، المنعقد يومي 06-07 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، ص. 173.

---

[1] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 56 ; p. 58 ; Roffo (P.), Sépultures indigènes antéislamiques en pierres sèches, *R.Af.,* 82, 1938, p. 233 ;
مها عيساوي، المجتمع اللوبي القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، نفس المرجع، ص. 303.

* أشار بلينوس الكبير خلال القرن الأول ميلادي أن سكان المنطقة استغلوا الخشب في صنع مقابض السكاكين
Plinus, *H.N.,* XIII, 32.

[2] عزيز طارق ساحد، عزيزطارق ساحد، التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث في الجزائر: معطيات واشكاليات، أعمال الملتقى الوطني الأول حول المدينة والريف، المنعقد يومي 06-07 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، ص. 173.

[3] ليونال بالو، الجزائر في ماقبل التاريخ، نفس المرجع، ص. 171.

[4] Roffo (P.), Sépultures indigènes antéislamiques en pierres sèches, *loc.cit.,* p. 233- 234 ;
غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 201

هذا وكانت قد استخرجت آنيتين خشبيتين من التيميلوس الكبير المجاور لضريح المدراسن [1]، ورغم ضآلة الشواهد المادية كما ذكرنا أنفا، إلا أنه يدحض قول لوكانوس « Lucanus» القائل "بأن سكان موريطانيا، قبل مجيء الرومان كانوا يجهلون طرق استغلال خشب الغابات و بخاصة شجر العفص، محبذين في ذلك قضاء أوقاتهم تحت ضلال أوراقها" [2]، فهذا سالوستيوس« Sallustius» يشير إلى امتلاك النوميديين مزهريات خشبية [3]، وبومبوينوس ميلا « Pomponius méla» الذي أقر بامتلاكهم لمزهريات مصنوعة من الخشب ولحاء الشجر، إلا أنه أنكر بالمقابل امتلاكهم للأسرة والموائد [4]، وهو خلاف ما أتى على ذكره سترابون « Strabo» الذي أشار أن الماسيسليين الريفيين، يلجؤون إلى فرك أرجل أسرتهم بالثوم، وإلى إحاطتها بالأعشاب الشوكية كحل وقائي يقيهم من لسعات العقارب [5].

أما حسب أليانوس « Elianos» فإن الليبيين، كانوا يحتطون من لسعاتها الخطيرة بالنوم على أسرة عالية جدا، مبعدينها عن الجدران وجاعلين أرجلها في جرار مليئة بالماء [6]، إلى جانب ذلك صنعوا المهد لأطفالهم الذي يعتبر من الأشياء الضرورية في المنزل النوميدي، والذي لا يستغني عنه أولادهم خلال سنوات حياتهم الأولى [7]، وكذا الإطار الخشبي لآلة النسيج رغم أن النصوص القديمة لا تقدم لنا شيئا عنها، والمألفة من عمودين قائمين وجازعتين أفقيتين، وتمتد بينهما سداة النسج [8]، دون أن ننسى ذكر المغزل الذي تلف عليه الخيوط الصوفية.

وإن كان الأثاث الخشبي الذي أتينا على ذكره حتى الآن، يتعلق بمقتنيات البيت النوميدي العادي البسيط، الذي لا ريب أنه صنع من خشب البلوط، الصنوبر والفلين والعفص، هذا الأخير الذي نال شهرة تعدت الإطار المحلي وبلغت المتربول والذي كان مطلوبا بكثرة من قبل أثرياء روما،

---

[1] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص. 201.
[2] Lucain, *La Pharsale,* IX, 428-430.
[3] Salluste*, Bel.Jug.,* LXXV.
[4] Pomponius Méla, *De Chorographia*, 1, 8
[5] Strabon, *Géographie*, XVII, 3, 11.
[6] Elien, *La personnalité des animaux,* VI, 23.
[7] Corrippe, *Johannide*, VI, 86; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 57.
[8] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 58.

لصناعة الأثاث الثمين وفي مقدمتها الموائد، والتي عرفت باسم الموائد النمرية «Tabulae Tigranae» والفهدية «Tabulae Pantherinae» ، بسبب شكل عروق خشب العفص الذي صنعت منه [1]. هذا وكانت عروق بعضها تشبه عيون الطاووس، وهي المبحوث عنها بكثرة. في حين كانت عروق بعضها الآخر تشبه الحبوب المتراصة والمتلاصقة [2].

وقد أسهب بلينوس الكبير «Plinus» في الحديث عن موائد المآدب، تلك التي تسابق على اقتناءها رجالات روما، رغم أثمانها وأسعارها المرتفعة جدا، والتي كانت رمزا للأبهة والثراء والتميز ضمن الطبقة المخملية من المجتمع الروماني حيث يقول : " بموريطانيا تنتشر أشجار العفص بكثرة، التي صنعت منها الموائد التي أسرف الرجال كثيرا على اقتنائها، كإسراف النساء وولعهم بالجواهر، فهذا الخطيب شيشرون «Cicéron» ، قد ابتاع مائدة بمليون سيسترس، رغم ثروته المتواضعة. كما بيعت طاولتين للملك يوبا الثاني، إحداهما بمليون ومائتي ألف سيسترس وأخرى أقل منها بقليل، كما أن أسعار هذه الطاولات كان يساوي ثمن مزرعة، وأكبر مائدة شوهدت تعود إلى الملك بطليموس ملك موريطانيا، وكانت مكونة من نصفي دائرتين جمعتا معا، يقدر قطرها بأربعة أقدام ونصف، وسمكها بثلاث بوصات (27 ملم)، وروعة الفن والإتقان تتضح من أنه تم إخفاء مكان تلحيمها، مما جعل هذه القطعة أكثر جمالا، وكأنها في الواقع من قطعة واحدة، وأكبر هذه الموائد والمصنوعة من قطعة واحدة، هي الطاولة التي تحمل اسم نوميوس «Nomius» ، أحد معتوقي الإمبراطور تيبريوس «Tiberius» يقدر قطرها بأربعة أقدام وثلاث أرباع بوصة، وسمكها ست بوصات" [3].

وزيادة في البذخ، زودت بعض الموائد بأرجل عاجية، وهو ما أشار إليه الشاعر مارتياليس «Martialis» في خضم سخريته من الأغنياء، ناعتا إياهم بالتافهين، وواصفا إياهم بالناهمين، الذين ليس لهم من دافع يحركهم، سوى

[1] Plinus, *H.N.,* XXX ; Juvénal, *Satires,* XI, 122-145 ;
محمد الحبيب بشاري، دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146 ق.م و285م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007 ص. 267.

[2] Plinus, *H.N.,* XXX.

[3] *Id., Ibid.,* XIII, 29.

مشاهدة مائة مائدة مصنوعة من خشب موريطانيا، مرتكزة على أرجل من العاج الليبي، ورؤية أسرة متلألئة بصفيحة من ذهب [1].

2- البناء

تقدم النصوص التاريخية القديمة والشواهد الأثرية وبخاصة الفسيفساء مادة معتبرة حول المسكن المحلي الذي كان سائدا في الأرياف والمسكن الروماني سواء ما كان سائدا منه في المدن أو الأرياف المحيطة بها في شكل إقامات للأثرياء والوجهاء تدعى الفيلات « Villae» [2]، والذي استخدمت فيه الأخشاب والنباتات بنسب متفاوتة.

2-1- المسكن الريفي المحلي

لقد اتخذ الإنسان المغاربي القاطن بالمناطق الداخلية، مساكن تعرف باسم المباليا « Mapalia» أوالمغاليا « Magalia» [3]، والتي عرفها عالم النحو فستوس « Festus Gramaticus» قائلا: "المباليا عبارة عن أكواخ إفريقية، تخص الأشخاص الذين يعيشون حياة مضطربة، وهي بيوت دائرية الشكل، شبيهة بالخم." [4]، وقد شبهها بعض الباحثين بالقرابة أو النوالة الحالية [5]، وقد جاء على ذكرها أغلب الكتاب اللاتينيين، حيث اكتفت فئة منهم بالإشارة إلى مناطق انتشار هذا النمط العمراني، إذ حصره البعض بالمناطق الريفية التي يزاول سكانها الزراعة وتربية الحيوانات من أمثال تيتوس ليفيوس « Titus Livius» [6] و سالوستيوس « Sallustius» [7].

كما تطرق إليها بومبونيوس ميلا « Pomponius Méla» بعد أن تحدث عن مجموع الشعوب الإفريقية المرومنة، المنتشرة على طول الساحل الإفريقي، ابتداء من أعمدة هرقل، حين ذكر أن من

---

[1] محمد الحبيب بشاري، دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146 ق.م و285م، Martial, *Épigrammes*, 9,23 ; نفس المرجع، ص. 267.

[2] محمد البشير شنيتي، تطور المسكن الريفي في شمال إفريقيا قديما، دراسات إنسانية ، العدد الأول، 2001 ، ص. 13، ص. 20.

[3] نفس المرجع، ص.14. ; Le Cœur (CH.), Les Mapalia Numides et leur survivance au Sahara, *Hesperis*, 24, 1937, p. 29.

[4] Festus Gramaticus, *De la signification des mots,* A. Savagner (trad.), Panckouke, 1846, XI, 146.

[5] Le Cœur (CH.), Les Mapalia Numides et leur survivance au Sahara, *loc.cit.,* p. 38.

[6] Tite Live, *Histoire Romaine,* XXIX, 31.

[7] Salluste, *Bel.Jug.,* XLVI.

يليهم من شعوب المناطق الداخلية لا تملك مدنا، وإنما تتخذ مساكنا تسمى المباليا، وهم يحيون عيشة ضنكه غير مرفهة [1] ، واعتبر بلينوس الكبير « Plinus» سبب إطلاق تسمية النومديين على سكان الإقليم الجغرافي المعروف باسم نوميديا الذي تبدأ حدوده ابتداء من الوادي الكبير« Amsaga»، راجع إلى أنهم رعاة يغيرون مراعيهم باستمرار حاملين المباليا أي بمعنى مساكنهم على ظهر عرباتهم [2] ، هذا وقد جاء على ذكرها المؤرخ تاكيتوس « Tacitus» حين تطرق لأحداث ثورة المزالمة بقيادة تاكفاريناس [3]، كما وردت الإشارة إلى هذا النمط السكني الريفي ضمن أشعار كل من من فرجيليوس« Vérgilius» [4] وكوريبوس « Corippus» [5].

وقد قام البعض القليل من الكتاب اللاتين بتوسيع دائرة انتشار هذا النمط السكني ليشمل المناطق الصحراوية كذلك، كبو مبونيوس ميلا « Pomponius Méla» حينما قال:"... وأبعد من ذلك نجد رجالا خشانا يغامرون بإتباع قطعانهم إلى المراعي حاملين معهم المباليا، والذين يقضون لياليهم أينما يصادفهم غروب الشمس." [6] ، هذا وأنشد الشاعر مارتياليس « Martialis» قائلا:"برفقتك (يامانيوس) يمكنني أن أسعد في مباليا الجتوليين" [7] ، إلى جانب ما ورد على لسان الشاعر لوكانوس« Lucanus» حينما قال:" تترك كل الشعوب القناصة المنتشرة بصحاري إفريقيا أكواخها « Mapalibus»من أجل الركض وراء الأسود". [8]

اتصفت مساكن المباليا بمظهرها المتطاول أو الدائري الشكل، الخالي من الزوايا بحيث تنحني جوانبها من أعلاها كي تلتحم ببعضها مشكلة الأسقف [9]، وذلك استنادا إلى المعلومات المستقاة من من المصادر الأدبية، حيث ذكر سالوستيوس« Sallustius» قائلا:" تتخذ المباليا شكلا مستطيلا،

[1] Pomponius Méla, *De Chorographia*, I, 8.
[2] Plinus, *H.N.,* V, 2 ; 1.
[3] Tacite, *Annales,* II, 74.
[4] Virgile, *Géorgiques*, III, 340.
[5] Corippe, *La Johannide*, II, 5 ; II, 62-64
[6] Pomponius Méla, *De Chorographia*, I, 8.
[7] Martial, *Épigrammes*, X, 20.
[8] Lucain, *La Pharsale*, IX, 945.
[9] محمد البشير شنيتي، تطور المسكن الريفي في شمال إفريقيا قديما،نفس المرجع، ص. 14.

بجدران منحنية تعلوها أسقف تشبه غواطس السفن" [1] ، هذا واكتفى كاتون « Caton» على لسان فستوس « Festus » بتشبيه شكلها الدائري ببعض الخم [2] أو الأفران على حسب تعبير القديس جيروم « Saint Jérôme» [3] ، وقد تم الاقتصار في بنائها على استخدام المواد النباتية، تبعا لوفرتها بالطبيعة المحيطة [4]، والتي تمثلت أساسا في نبات الأسل، الذي قال عنه بلينوس الكبير مايلي: مايلي: " يسقف الموريون الماباليا « Mapalibus» بالأسل وإذا أمعنا النظر إليه عن قرب، نجده قد أستغل لنفس الأغراض التي أستغل فيها البردي بمصر السفلى" [5] . أضف إليه وصف سيليوس الإيطالي« Silius Italicus» لمعسكر الملك النوميدي صفاقس، حينما أشار أنه مصنوع بالكامل من القش الخفيف والأسل المجدول على شاكلة المباليا المورية الخفيفة [6]، زد عليها مادة الحشف [7]، هذا هذا ما سهل من عملية نقلها وحملها أينما حلوا وذهبوا [8].

2-2-المسكن الروماني

أُقتصر في المسكن الروماني على استخدام الخشب في صنع هياكل البيوت، النوافذ، الشرفات، والأبواب، التي كانت تغلف بصفائح خشبية رقيقة « Feuille de placage» لتزيدها رونقا وجمالا [9] حيث يقول بلينوس الكبير « Plinus» في هذا الصدد: " أجود أنواع الخشب التي تقطع إلى صفائح، هي تلك المتأتية من شجر العفص والبطم " [10]، هذا وقد أتت بعض الفسيفساء المكتشفة بعدد من المواقع الجزائرية، على تصوير المنازل الفخمة للملاك الكبار، كفسيفساء بومبيانوس « Pompianus» بوادي العثمانية، التي

---

[1] سالوستيوس، حرب يوغرطة، نفس المصدر، XVIII.
[2] Festus Gramaticus, *De la signification des mots*, XI, 146.
[3] Saint Jérôme d'après Le Cœur (CH.), Les Mapalia Numides et leur survivance au Sahara, *loc.cit.,* p. 36.
[4] محمد البشير شنيتي، تطور المسكن الريفي في شمال إفريقيا قديما، نفس المرجع، ص.
[5] Plinus, *H.N.,* XV, 70, 1.
[6] Silius Italicus, *La guerre Punique*, XVII, 88-90.
[7] Lucain, *La Pharsale*, IX, 945.
[8] Tite Live, *Histoire Romaine*, XXIX, 31 ; Tacite, *Annales*, II, 74 ; Plinus, *H.N.,* V, 2, 1 ; Pomponius Méla, *De Chorographia*, I, 8.
[9] محمد الحبيب بشاري، دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146 ق.م و285م، نفس المرجع، ص. 267.
[10] Plinus, *H.N.,* XVI, 231

جسدت بواقعية كبيرة، حياة هذا الثري من ملاك العقارات الناجحين الذي يملك فيلا فخمة بجميع ملحقاتها ومرافقها بما فيها خيوله السباقة [1].

2-3- المباني العمومية

وضفت مادة الخشب وبخاصة خشب الأرز النوميدي المعروف بمتانته وقوته في تشييد المباني العمومية كالمعابد على حد تعبير بلينوس الكبير « Plinus» [2]، إذ أشار هذا الأخير إلى وجود عارضات من هذا الخشب في معبد أبولون بأوتيكا قبل 1078 سنة من عهده، مما يعتبر دليلا معنويا على قدم استخدام الخشب كمادة أولية في البناء، في وقت لا نملك فيه دليلا ماديا [3]، وكذا المرافق العمومية كالجسور التي يظهر أحدها بفسيفساء الاستحوار، المحفوظة بمتحف عنابة [4].



الصورة (43): منظر جزئي من فسيفساء الإستحوار، يظهر جسر خشبي – عنابة.

Ferdi (S.), *Mosaïques des eaux en Algérie*, Alger, Régie sud Méditerranée, 1998, p. 152.

[1] محمد البشير شنيتي، تطور المسكن الريفي في شمال إفريقيا قديما، نفس المرجع،ص. 30.

[2] Plinus, *H.N.,* XVI, 76 ; محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، نفس المرجع، ص.132، ص.209.

[3] Plinus, *H.N.,* XVI, 216.

[4] Ferdi (S.), *Mosaïques des eaux en Algérie,* Alger, Régie sud Méditerranée, 1998, p. 151.

3- العتاد الفلاحي

تطالعنا الشواهد المادية وكذا الرسوم الصخرية، رغم قلتها على الإرهاصات الأولى لممارسة الإنسان للزراعة خلال العصر الحجري الحديث، مستعملا في ذلك المعزقة الخشبي [1] ، أو مطرقة الحفر، وهي أداة مزودة بكرة حجرية صغيرة دائرية الشكل ومثقوبة، ولازالت هذه الأداة مستعملة لدى بعض الشعوب الإفريقية التي تعتمد على الطرق البدائية في تهيئة و تقليب الأرض، إعدادا لبذرها، كشعوب البوشمن وشعوب إثيوبيا [2]، وقد تم الكشف عن عينات منها بكل من مغارة الأروية بالقرب من قسنطينة، مغارة بوزبوين، مغارة وادي الكرمة، ومغارة العروية [3]. بالإضافة إلى ذلك قدمت النقوش الصخرية مشاهد هامة حول تبني المحراث الخشبي في عملية الحرث، والمتمثلة في نقش عثر عليه بموقع روسفت الحمراء بالجنوب الغربي الوهراني، وآخر بمغارة الأروية، أين تظهر رسومات الأروية، الكلب، المحراث، مجموعات بشرية، وبعض الرموز، والذي يعود تاريخه إلى فترة متأخرة [4].

وقد أنهى ظهور المحراث وتعميم استخدامه اقتصار الإنسان على المعزق في عملية البذر، بسبب نجاعته في حرث مساحات كبيرة و بالتالي الحصول على مردود أكبر، ولعله نفس المحراث الذي أُعتمد خلال الفترة التاريخية، المتسم ببساطته، علاوة أنه مصنوع من الخشب بالكامل [5]، وهو الذي قال عنه غابريال كامبس ما يلي :" يمثل المحراث البربري إذن أداة بدائية، عبارة عن معول خشبي صلب مثبت في التربة، وهو مختلف عن المحراث القديم المصري والشرقي الذي له مقبضان، كما يتميز عن المحراث الروماني ولا علاقة له بالمحراث القرطاجي. ويبدو أنه ظهر في المتوسط الغربي منذ عصر البرونز، ولا يستبعد أن يكون من أصل محلي، وتدعم هذه الفكرة بساطته وكذا المعطيات اللغوية التي تسند هذا الطرح" [6]، وقد أصطلح على تسميته باسم محراث المقبض الزاحف

---

[1] Camps (G.), Araire, *E.B.*, VI, 1989, p. 844.

[2] جيهان ديزانج، البربر الأصليون، نفس المرجع، ص 443.

[3] عزيز طارق ساحد، التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث في الجزائر: معطيات وإشكاليات، نفس المرجع، ص.179.

[4] عزيز طارق ساحد، آثار فجر التاريخ في الجزائر، دار المعرفة ، الجزائر ، 2011،ص. 64.

[5] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 160.

[6] نفس المرجع، ص 164

« Araire à manche sep» أومحراث المعول، وهو يتألف من قطعتين، يكون فيه المقبض امتدادا للزاحف المائل إلى الأرض، في حين يكون السهم « L'age» منحنيا، والذي انتشر استخدامه بالشرق الجزائري وشمالي تونس، حيث المناخ الرطب.[1]

وبموازاته انتشر استخدام محراث آخر بالغرب الجزائري وبعض الواحات أحدث من الأول، عرف باسم المحراث المسن« Araire dental» ، الذي صنعه البونيون ببلاد المغرب القديم. والظاهر أن الرومان هم من تكفل بعملية نشره بكامل الحوض الغربي للمتوسط، وهو مؤلف من ثلاثة قطع مجمعة وهي الذراع الزاحف « Le sep»، الذي يحمل السكة، السهم« L'age» المنحني ومقبض المحراث « Mancheron» [2]، وقد لجأ سكان المنطقة إلى جر المحاريث بأنفسهم بواسطة حبال يربطونها بأكتافهم [3]، أو عن طريق إقرانها« Attelage» بحيوانات الجر كالثيران التي صور مشهد منها بواقعية كبيرة تعكس شكل الحياة في الريف في ذلك الوقت ضمن فسيفساء الحرث المكتشفة بشرشال والعائدة إلى القرن الثالث ميلادي، والمؤلفة من أربعة مشاهد، حيث يظهر في المشهد الأول شخص يدفع محراثا خشبيا بصعوبة، مشدود إلى ثورين مقرنيين، حاملا بيده اليمنى سوطا، في حين يقوم الشخص الثاني الذي يتقدم الثورين بتحريضهما على المشي باستعمال عصا خشبية وسط الزياتين. ونفس المشهد يتكرر في اللوحة الثانية، إلا أن هذه المرة الشخص الذي يتقدم المحراث والثورين يقوم بعملية البذر [4] (الصفحة 264– الصورة رقم 44).

إلى جانب ذلك تم إقران المحراث بالبغال والحمير، حيث نستشهد في ذلك بنص لفارون « Varron» جاء فيه على ذكر أهمية الجحش في العمل الفلاحي قائلا:" تتحمل البغال التعب والجوع جيدا، وقليلا ونادرا ما تمرض تقوم بأعمال مختلفة وهامة، وهي لا تتطلب عناية كبيرة بها...،

[1] Camps (G.), Araire, *loc.cit.,* p. 445

[2] *Id., Ibid. ;* 161 غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص.

[3] Plinus, *H.N.,* XVI ; جيهان ديزانج، البربر الأصليون، نفس المرجع ، ص. 443، محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية، نفس المرجع، ص, 186.

[4] Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel, op.cit.,* p.115-117.

وبإمكانها بواسطة محراث خفيف حرث أرض ذات تربة يسهل فلاحتها وخدمتها كما هو الحال ببيتيكا « Bétique» وبكامل ليبيا، وتجر العربات ذات الأحمال المعقولة." [1]



الصورة (44): منظر للحرث من فسيفساء الفصول – شرشال.

http://www.algeriebeaupaysretrouve.olympe.in

كما دخلت مادة الخشب ضمن مكونات العديد من الأدوات الزراعية، فقد كان النوميديون وكباقي المجتمعات الأخرى، يعمدون إلى تخليص الحبوب من سنابلها أثناء الدرس، باستعمال الحيوانات أو لوحات خشبية تثبت بأسفلها شظايا حجارة السلكس (الصوان) ، والتي عوضت فيما بعد بمعدن الحديد [2]، ومدقات الزيتون كآلة توديكولة « Tudicula»البرونزية وهي عبارة عن علبة مستطيلة الشكل ذات أسنان مخروطية، وبطن مجوف يسمح بغرز المقبض الخشبي بداخلها، والتي كان يعتقد إلى وقت قريب على أنها سلاح [3]، وترابيتوم « Trapetum» والتي هي من آلات دق الزيتون كذلك، إلا أنها

---

[1] Varron, *Économie rurale,* VIII, 2.

[2] محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية، نفس المرجع، ص. 185.

[3] Blas de Roblès (J.M.), Sintes (C.), *Sites et monument antique de l'Algérie,* Aix-en-Provence, Edisud, 2003, p. 26.

تمتاز بكبر حجمها، وتتكون من قطعتين حجريتين، يتم تدويرها حول عمود خشبي بواسطة مقبضين خشبيين مرشوقين بجانبيها [1].

وهناك نماذج عديدة منها محفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة، عثر عليها بمواقع الغرب الجزائري كعين تموشنت« Albulae» وبطيوة « Portus Magnus» [2]، والأحواض الخشبية لنقل الزيتون بعد قطفه، المزودة بمقبضين يتم من خلالهما تمرير عمودين حتى يتمكن الرجال من حملها ووضعها بالعربات تأهبا لنقلها إلى المعاصر [3]، وأحواض عصر العنب التي ظهر أحدها بفسيفساء عثر عليها بشرشال (Caesarea)، تضم صورة ثلاث أشخاص يرفسون العنب بأرجلهم داخل حوض، في حين يتكفل شخص رابع بنقل العنب في سلة ووضعه في الحوض [4]، وكذا السلالم التي استغلت هي الأخرى من أجل تقليم الأشجار وقطف العنب. كما هو ملاحظ بفسيفساء اكتشفت بشرشال ومحفوظة بمتحفها، وهي لوحة مكملة لفسيفساء الحرث الشهيرة [5].



الصورة (45): رجل بلباس قصير يصعد سلما لقطف العنب،يحمل قفة - شرشال.

Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel,* Paris, CNRS, 2005, Pl. LXXXVII.

[1] Camps Faber (H.), *L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine*, Alger, 1953, p. 59 ; Sintes (C.), *Algérie antique*, Catalogue de l'exposition 26 avril au 17 aout 2003, Musée de l'Arles de la Provence antique, p. 135.
[2] Demaeght (L.), Catalogue raisonnée des objets archéologiques du musée de la ville d'Oran, *op.cit.,* 1932, p. 168-170.
[3] Camps Faber (H.), *L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine*, *op.cit*., p. 38-39, Pl.III Fig3 ; Sintes(C.), *Algérie antique*, *op.cit*., p. 126.
[4] بلكامل البيضاوية، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، الرباط، فيديبرانت، 2003 ، ج1، ص.27.
[5] Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel, op.cit.,* p. 117-118 n°95.

4- العتاد الحربي

4-1- الحربة والرمح

لا تعوزنا القرائن الأدبية، التي تحدثت عن الحربة والرمح دون انقطاع من نهاية القرن الثالث قبل الميلاد وإلى غاية العهد البيزنطي، والتي نستشف من خلالها استعمال الحربة من قبل الليبيين، والنوميديين، والموريين، والجيتوليين على حد سواء، أكانوا فرسانا أو مشاة ، في الصيد كما في الحرب، وعلى القدر نفسه من النصب والنقائش الكتابية [1]. ومن جهة أخرى تعتبر الحربة التطور الطبيعي للعصا والهراوة الخشبية التي صورت في العديد من الرسوم الصخرية [2]. وفي هذا المقام هناك رسم اهرير بالطاسيلي ناجر به رجل واقف على ساق واحدة يحمل زوجا من العصي رفقة كلبه، أمام صيده المتمثل في ظبي [3]، وقد اتسمت الحربة في بدايتها بالبساطة، حيث كان يكتفي الشخص بصقل أحد طرفي الجذع الخشبي لتصبح حادة، ومن ثم يُعريضها للنار حتى تتصلب، وأضحت تتكون في فترة لاحقة من قطعتين وهما العمود الخشبي والرأس المذبب المصنوع من العظم أو حجر السلكس، والذي أستبدل لاحقا برأس حديدية مع الألف الأولى قبل الميلاد [4].

وقد أعتبر غزال « Gsell» الحربة سلاح الهجوم الاعتيادي والأساسي لدى سكان المنطقة القدامى [5]، الذين لم يتوانوا عن تعليم أبنائهم الفروسية ورمي الحراب. فقد أشار سالوستيوس « Sallustius» إلى أن يوغرطة كان حسب تقاليد قومه النوميديين يمارس الفروسية ورمي الحربة [6]، واعتمدوها بشكل كبير في حروبهم ضد الرومان فقد أتى هذا الأخير على ذكر صد جنود جنود يوغرطة المحاصرين بمدينة زاما « Zama»، الهجوم الروماني بحذف الحراب والمزارق عليهم وصب القار الممزوج بالكبريت والراتنج [7]. ويضيف صاحب حرب إفريقيا، لجوء يوليوس قيصر

[1] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 41 ;p. 47 ; p. 49.
[2] *Id., Ibid.,* p. 41.
[3] Ferrah (A.), *l'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.,* p. 183.
[4] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 40 ; p. 48 .
[5] *Id., Ibid.,* p. 47.
[6] سالوستيوس، حرب يوغرطة،VI.
[7] نفس المصدر، LVII .

قيصر إلى إقامة معسكره على مسافة بعيدة نوعا ما حتى لا تصلها رماح جيش يوبا الأول [1]، حيث كان يصل مدى الرمي بها أربعين مترا، هذا وكان الأفارقة يرمونها بنفس براعة البارتيين « Perthes» والفرس« Perses» [2].

واستمر استعمالها إلى غاية فترة متأخرة مع محافظتها على الريادة، كونها السلاح الوحيد للموريين على حد تعبير كلوديان « Claudien» إذ من دونها يصبحون كالمجرد من السلاح [3]، هذا وقد خُلد رسم هذا السلاح بعدد من النصب سواء أكانت بونية(الصفحة 268-الصورة 46) أو ليبية، إذ عثر بمنطقة الصومام على نقيشة تحمل كتابة ليبية رسم عليها فارس يركب حصانا من دون سرج أو لجام ، كما هي عادة النوميديين يحمل في يده اليسرى ترسا دائريا و ثلاثة حراب [4] (الصفحة 268-الصورة رقم 47).

وبقي مستعملا في الفترة الرومانية من قبل الفرق الافريقية المساعدة « Auxiliares» المنضوية تحت الجيش الروماني المشكلة من الخيالة« Alae» والمشاة « Cohortes» والوحدات الإثنية « Numeri» والفيالق المختلطة «Cohortes equitatae»، ونذكر هنا على سبيل المثال، فيلق خيالة الكشافين التلمسانيين «Ala Exploratorum Pomariensium» ووحدة الموريين«Equites et Pedites Mauri» [5]، زد على ذلك يحتفظ المتحف الوطني أحمد زبانة لمدينة وهران بشاهد قبر ذوأهمية بالغة تكمن في أنه يعود لفارس يدعى أوريليوس ماسفلوس «Aurelius Masfelus» الذي خدم في صفوف فيلق خيالة الجيتولين الأول «Ala Getula I» ظهر فيه ممسكا حصانه بحبل، وبيده اليمنى ترس دائري الشكل وحربتان [6]. ويبدو أن الفنان الذي قام بانجاز رسوم عمود تراجانوس بروما هدف إلى إبراز الفرسان الموريين بسلاحهم المعتاد المتمثل في

---

[1] يوليوس قيصر، حرب إفريقية، ترجمة محمد الهادي حارش، الجزائر، دار هومة، 2000، LVI .

[2] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 48; محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 37.

[3] Claudien, *La guerre contre Gildon,* 436-438.

[4] مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، نفس المرجع، ص.197-198.

[5] Benseddik (N.), *Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le Haut-Empire,* Alger, S.N.E.D., 1983, p. 30 ; p. 69-70.

[6] *Id., Ibid.,* p. 33 ; Demaeght (L.), *Catalogue raisonnée du musée d'Oran, op.cit.,* p. 80 n°129.

الرماح والتروس الدائرية الشكل على ظهر خيولهم من دون سروج و لاجام [1]. أما المادة التي صنعت منها صواري الحراب فقد كانت من القصب الممتاز بخفته على حد تعبير كل من الشاعر فرجيليوس «Virgilius » [2]، وسيليوس الإيطالي «Silius Italicus » [3].



الصورة (46): نصب بوني – معبد الحفرة، قسنطينة.



الصورة (47): نصب يظهر به فارس يحمل ترسا حرابا- الصومام.

مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، الجزائر، المتحف الوطني سيرتا،2007، ص.197-198.

[1]Benseddik (N.), *Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le Haut-Empire, op.cit.,* p. 68 ; Cagnat (R.), Chapot (V.), Manuel d'archéologies Romaine, II, Paris, Auguste Picard, 1920, p. 340 ; محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 37.

[2] Virgile, *Eneide,* X ,140.

[3] Silius Italicus, *La guerre Punique*, III, 304.

2-4-القوس والسهم

نحتكم على الكثير من رؤوس السهام المصنوعة من حجر السلكس المكتشفة بالعديد من مواقع العصر الحجري الحديث المنتشرة بالصحراء الجزائرية. ومما لا ريب فيه أنها رُكبت على عيدان خشبية، وتحللت مع مرور الزمن بفعل سوء حفظها وهشاشتها. وبالقدر نفسه، نمتلك الكثير من مشاهد الرسوم الصخرية تظهر بها شخصيات تحمل القوس والسهم، لغرض الصيد والحرب معا، كمشهد صيد النعام بتيوت [1]، ورسم قنص الظبي بجبارن بالطاسيلي ناجر [2]. ومشهد عراك بين مجموعتين بصفار، ورسم لمبارزة بين شخصين عن قرب باستعمال القوس والسهم بأوزانياري بالطاسيلي ناجر [3]. بالإضافة إلى ذلك خطت على جداريات الطاسيلي ناجر والأهقار، رسوم شخوص فرادى تحمل القوس والسهم، مما يعتبر دليلاعلى أنها من العتاد الدائم الذي كان يصطحبه الإنسان معه أينما حل وارتحل، كما هو ظاهر برسم جبارن [4]، صفار وتين تازاريفت [5]. ولقد تواصل استخدامها إلى غاية العصور التاريخية حتى أضحت صناعتها حرفة متخصصة تعمد إلى تلبية حاجة الأفراد المتنامية إليها سواء في السلم أو الحرب، هذا ما أستدل عليه من خلال نصب عثر عليه بمعبد الحفرة بقسنطينة [6]، وإشارة لأبيانوس «Appianus» الذي أتى على ذكر اعتماد حنبعل خلال معركة زاما على قواسين سليين ولغوريين وموريين وبليار [7]. وفي الشأن ذاته تطالعنا تطالعنا صورة لعشيرة يظهر أنهم من الأفارقة مزودين بكنانات السهام، كانت تزين في السابق معبد هادريانوس«Hadrianus» بروما [8].

---

[1] Camps Faber (H.), *La disparition de l'autruche en Afrique du Nord, op.cit.,* p. 86.
[2] Hugot (H. J.), *Le Sahara avant le désert*, Toulouse, Des Hespérides, 1974, p. 113.
[3] Ferrah (A.), *l'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.,* p. 256 ; p.262.
[4] محمد الصغير غانم، مواقع و حضارات ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، نفس المرجع، ص. 176.
[5] Ferrah (A.), *l'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.,* p. 145 ; p. 254.
[6] Berthier (A.), Charlier (A.), *Le sanctuaire punique d'el- Hofra*, Paris, Arts et métiers graphiques, 1955, p. 40 n°100 ; جهيدة مهنتل مقروس، حاضرة قسنطينة، كيرتا النوميدية والرومانية، الجزائر، دار الهدى، 2011، ص. 197.
[7] Appien, *Histoire Romaine, Le livre Carthaginois,* XL, 169.
[8] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 47.



الصورة (48): مشهد لصيد النعام باستعمال القوس- تيوت، بشار.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/165/img-9.png

أما عن المادة التي صنع منها سلاح الرماية هذا، فهو الخشب والقصب. فكان على المادة الخشبية التي يُنحت منها القوس أن تتميز ببعض الخصائص كالقوة، والمرونة واللدونة الجيدة التي تسمح له باسترجاع شكله الأول بعد كل استعمال، وفي هذا الظرف لا توجد الكثير من الأشجار التي تتحمل الاستعمال المتكرر، من شد وتمطيط، فأحد أندر أنواع الأشجارالتي تتوفر فيها هذه الشروط، هو خشب شجر الطقوس الذي يتواجد بكثرة بمناطق غرب البحر الأبيض المتوسط، والتي تفطن لخصائصها الإنسان بما فيه النوميدي منذ العصر القديم [1].

وفي هذا الأمر تُجمع أغلب كتابات القدامى، من أمثال هوراس «Horace» [2]، وأوفيديوس وأوفيديوس «Ovidius» [3]، على استخدام القصب في صنع سيقان السهام، ويعتبر صاحب كتاب كتاب "التاريخ الطبيعي"، من أهم من أسهب في الحديث عن نبات القصب واستعمالاته، حيث كتب قائلا:" إن القصب لا يمكن الاستغناء عنه لا في السلم ولا في الحرب" [4]. وذكر في موضع آخر : "ما يقرب من نصف العالم يعيش تحت سيطرة القصب" [5]، وهو الذي أخذ في

[1] Renoux (G.), *Les archers de César, Recherches historiques, archéologiques et paléométallugiques sur les archers dans l'armée romaine et leur armement de César à Trajan*, Sarrebruck, Editions Universitaires Européennes, 2010, p. 64.

[2] Horace, *Odes et épodes*, F. Villeneuve (trad.), Paris, Les belles lettres, 1959, I, 15, 17.

[3] Ovide, *Les métamorphoses*, J. Chamonard (trad.), Paris, Garnier-Flammarion, 1966, V, 384.

[4] Plinus, *H.N.,* XVI, 156.

[5] *Id., Ibid.,* XVI, 159-162.

في هذا السياق الكثير عن سلفه تيوفراست «Théophraste » الذي قال :" نسجل هنا كذلك، ميزة ينفرد بها القصب الموجه لصنع الأقواس*، الذي يسمى أحيانا قصب كرات «Crète » ، الذي يحمل القليل من العقد، إلا أنه لحمي أكثر من غيره " [1]، فالقصب الذي يتحدث عنه الكاتب، ما هو إلا من البوص المعروف باسم«Aurndo Pliniana Turra » المتميز بنحافته وطوله المتراوح مابين المتر والمتر ونصف، الذي ينمو بالمستنقعات المحيطة بنهر رونو «Rhenus» ، وبكامل حوض البحر الأبيض المتوسط [2]، بدليل أن يوليوس قيصر أثناء حملته بافريقية أقام ورشات لطرق الحراب، وسبك الكريات وصناعة الأوتاد [3] وهي في الواقع تمثل سيقان الحراب والسهام، مما يفهم منه ضمنيا أن مادة القصب المخصصة لصنعها كانت متوفرة في المنطقة بكميات كبيرة.

4-3- العربة

عرفت المرحلة الرابعة من الرسم الصخري المعروفة باسم "مرحلة الخيل"، والتي تعود بداياتها إلى الألف الثانية قبل الميلاد، طغيان مشاهد الخيل والعربات. وقد أنجزت هذه الصور بتقنيتي الرسم كالتي عثر عليها بكل من إكات -ن- أوش وإيهران، أو النقش كالتي وجدت بالجنوب الوهراني، بأحد روافد واد درمل بالقرب من حجرة امقل وفي اين دلاج بالأهقار [4]، بصفة منفردة، أو بعدد من النسخ، تظهر بعجلتين أو أربع أحيانا مقرونة لحصانين أوأربعة أحصنة أوثيران(الصفحة 272- الصورة رقم 49)، ممثلة في حالات مختلفة مثل حالة" الركض الطائر" [5]، يمتطيها في الغالب شخص واحد*، هذا ولم يكن

---

* يرى رونو أن المقصود هنا هو السهام و ليس الأقواس

Renoux (G.), *Les archers de César, Recherches historiques, archéologiques et paléométallugiques sur les archers dans l'armée romaine et leur armement de César à Trajan op.cit.,* p. 87.

[1] Théophraste, *H.P.,* IV, 11-10.

[2] Renoux (G.), *Les archers de César, Recherches historiques, archéologiques et paléométallugiques sur les archers dans l'armée romaine et leur armement de César à Trajan op.cit.,* p. 86.

[3] يوليوس قيصر، حرب إفريقية، نفس المصدر،XX.

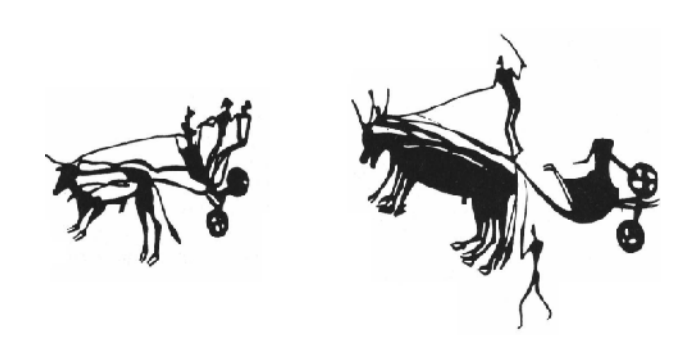
[4] Lhote (H.), La station de chars gravés de l'oued Lar'ar (Sud Oranais), *Libyca Anth.Préh.Ethn.,* X, 1962, p. 142 ; 5 رضا بن علال،العربات القتالية في المغرب القديم، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد15، 2005، ص.

[5] عزيز طارق ساحد، آثار فجر التاريخ في الجزائر، ص. 58.

* نادرة هي نماذج العربات التي تقل أكثر من شخص (شخصين أو ثلاث أشخاص)، نذكر منها رسم أمسيدنات ورسم تاكيديدوماتين بالطاسيلي ناجر، للكثير من التفاصيل يرجى العودة إلى

Lhote (H.), *Les chars rupestres Sahariens des Syrtes au Niger, le pays des Garamantes et des Atlantes,* Paris, héspérides, 1982, p. 29 ; p. 35.

اقتياد عربة حكرا على الرجال بل نافستهم النسوة في هذا المجال [1]، وهو ما كشفت حقيقته النقوش الصخرية للصحراء الجزائرية، وعززته كتابات المؤرخين القدامى خلال الفترة التاريخية [2]، وقد وظفت هذه العربات لأغراض الصيد والمطاردة والحرب. [3]



الصورة (49): مشهد عربتين مقرونتين بثيران- وادي جرات.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/2108/img-7.png

والجدير بالاعتقاد أن سكان المنطقة قد استغنوا عن استعمال العربة القتالية في حدود نهاية القرن الرابع قبل الميلاد [4]، وذلك استنادا لإشارة ديودور الصقلي «Diodore de Sicile» مفادها أن الليبيين المحاذين لقرطاجة في المجال النوميدي، قد أمدوا أغاثوكليس طاغية سيراكوز سنة 310 قبل الميلاد، بعشرة آلاف رجل، وألف حصان، وأكثر من ستة آلاف عربة من الطراز الليبي [5]، غير أن نصا لسيليوس الإيطالي «Silius Italicus» يشير إلى إشراك حنبعل لعربات حربية ليبية باسبانيا أواخر القرن الثاني قبل الميلاد [6].

---

[1] نصار الأندلسي، شخصيات نسائية من شمال إفريقيا القديم، تطوان، مطبعة الخليج العربي، 2013، ص. 78.

[2] Hérodote, *Histoire,* IV, 18 ; Silius Italicus, *La guerre punique*, II, 56-90.

[3] رضا بن علال، العربات القتالية في المغرب القديم، نفس المرجع ، ص. 12-14.

[4] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* II, p. 339 ; رضا بن علال، العربات القتالية في المغرب القديم، نفس المرجع، ص. 11

[5] Diodore de Sicile, *La Bibliothèque Historique*, XX, XIV.

[6] Silius Italicus, *La guerre punique*, II, 56-90.

وقد صنعت هذه العربات من مواد مختلفة وبنسب متفاوتة من الخشب والمعدن وجلود الحيوانات، ولابد من الإشارة هنا إلى أن العجلات الخشبية كانت من دون شك تطوق بالمعدن [1]، وأنوه في الأخير أنه لم يقتصر استخدام العربات في الحروب على القتال، بل تعددت الوظائف المخصصة لأنواع أخرى من العربات كإسعاف الجرحى، كالتي اعتمد عليها لابينيوس «Labienus» حليف يوبا الأول [2] ، وفي نقل المهزومين النائحين على حد تعبير كوريبوس «Corippus» . [3]

5- صناعة القوارب والسفن

شكل الغطاء الغابي المتنوع للجزائر من جهة وامتلاكها لشريط ساحلي وأنهار تصلح للملاحة من جهة أخرى دافعا قويا لسكانها لصنع قوارب تسمح لهم باستغلال خيرات مياههم الإقليمية كمرحلة أولى، قبل الخروج لاكتشاف أغوار البحار البعيدة كمرحلة ثانية، حيث تطالعنا بعض الرسوم الصخرية النيوليتية المكتشفة بغرداس وتين تازاريفت بالطاسيلي ناجر بقاربين دائري الشكل استغلا في صيد الأسماك بمجاري مياه المنطقة(الصفحة 274 -الصورة رقم الصفحة50) [4]، وكان وكان لوت «Lhote» قد عثر بجبال عوانريت* على مخبئ صغير جداره مزين بصورة لثلاثة قوارب من القصب تدور حول ثلاثة من أفراس النهر [5].

وهناك من أعطى تفسيرا عقائديا ودينيا لتلك القوارب، رابطا إياه بقصة الخلود لدى المصريين وهو أمر غير مستبعد. إلا أنه لا يمكن للفرد الذهاب بفكره إلى المجرد واستعمال الرمز دون المرور

---

[1] عزيز طارق ساحد، أثار فجر التاريخ في الجزائر، نفس المرجع، ص. 58.

[2] يوليوس قيصر، حرب افريقية، نفس المصدر، XXI.

[3] Corippe, *Johannides,* VI.

[4] Ferrah (A.), *l'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara, op.cit.,* p. 290 ; p.292 ; محمد الصغير غانم، مواقع و حضارات ماقبل التاريخ، نفس المرجع، ص. 158-159، محمد الطاهر العدواني ، الجزائر منذ نشأة الحضارة (صور ماقبل التاريخ و فجر التاريخ) ، ج 1، نفس المرجع، ص. 263.

* أعلى قمة بجبال الطاسيلي ناجر

[5] هنري لوت، لوحات تيسيلي، نفس المرجع، ص. 64.

على الواقع المادي، هذا وقد عثر على قارب ضمن نصب محفوظ بالمتحف الوطني بقسنطينة يعود إلى الفترة الليبية [1].



الصورة (50): مشهد قارب – تين تازريفت.

Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara,* Alger, ANEP, 2005, p. 292, Fig. 359.

ومع مرور الزمن أضحى بناء القوارب والسفن صناعة متخصصة تتم بدور تقع بالمدن الساحلية، تشرف عليها يد عاملة مؤهلة عارفة بأنواع الأخشاب التي تدخل في عملية صنع مختلف أنواع السفن من ناحية، وبعملية تركيب أجزاء السفينة الواحدة من ناحية أخرى. وقد تباينت أراء الكتاب القدامى حول موضوع أنواع الأخشاب المستعملة في صنع السفن، فهذا تيوفراست «Théophraste» يقول : " خشب التنوب، الصنوبر والأرز هي المخصصة لصنع السفن ...فبها نبني ثلاثية المجاديف والسفن الكبيرة الطويلة" [2]، ويذكر في موضع آخر:" إن خشب البلوط في التربة والمغمور في الماء، كما يظهر لا يتعفن، لذا نبني من هذا الخشب سفنا موجهة للأنهار والبحيرات، لكنه في مياه البحر ينخر." [3] والملاحظ أن حكم تيوفراست «Théophraste» عن خشب شجر

[1] استناد إلى محاضرة قدمت من قبل طارق عزيز ساحد بقسم العلوم الانسانية بجامعة معسكر، يوم 22أفريل 1014.
[2] Théophraste, *H.P.,* V, 7, 1.
[3] *Id., Ibid.,* V, 4, 3.

البلوط عام جدا، فكما نعلم أن جنس البلوطيات يظم أنواعا كثيرة، بالمقابل يقدم لنا بلينوس الكبير «Plinus» تصنيفا آخر، لمدى جودة أنواع خشب البلوط قائلا: " يتحمل الدردار الهواء، البلوط القوي التراب، والبلوط ذوالساق المعلاقية الماء، وقد استخدم هذا الأخير في صنع عائم (السفينة)تحت مستوى العموم..." [1] ، وقد أظهرت دراسة عدد من حطام السفن الغارقة بالبحرالأبيض المتوسط على يد الباحث ريفال «Rival» مدى الاستخدام الواسع لخشب البلوط في بناء السفن لتمتعه بخاصية الصلابة، وشدة تحمل الضغط والديمومة والانحناءات المحورية. وتتوفر هذه الخصائص الديناميكية فقط في الأشجار الصمغية (الراتنجية) [2] والتي تضم كذلك خشب شجر الدردار، الذي زاحم خشب البلوط في هذا المجال، فقد استغل خشبه في صنع أجزاء من المفروض أن تتحمل ضغوطا قوية، مثل الأجزاء الطولية والعرضية وقفص السفينة والصالب ودعامته وقاعدة الساري [3]، و قد قال في حقه تيوفراست«Théophraste» ما يلي : " قفص السفن التجارية مصنوع من خشب شجر التوت والدردار...أما الدعائم الداخلية فهي من المران، التوت والدردار" [4] .

كما يتميز خشب الدردار باللدونة، حيث كتب بلينوس الكبير في شأنه ما يلي :" يمتاز الدردار والمران بتمططهما، إلا أنهما ينحنيان بسهولة مع بقائهما لدنان، ويمكن الاعتماد عليهما كثيرا، إذا ما تم تجفيفهما على قدميهما بواسطة فرضة دائرية." [5]. وعليه تمكن النجارون من صنع سفن ذات قعر كبير، بسعة معتبرة وكبيرة الحجم، بإمكانها نقل الأنونة إلى المتروبول، حيث بلغت حمولة بعض السفن مائة وأربعمائة طن [6].

---

[1] Plinus, *H.N.,* XVI, 218.
[2] Rival (M.), *La charpenterie naval Romaine*, Paris, C.N.R.S, 1996, p. 61 ; p. 80-82 ; p. 89.
[3] *Id., Ibid.,* p. 54.
[4] Théophraste, *H.P.,* V, 7, 2.
[5] Plinus, *H.N.,* XVI, 219.
[6] Rival (M.), *La charpenterie naval Romaine, op.cit.,* p. 90.

أتى الكتاب القدامى على ذكر خشب شجر الأرز باعتباره أحد الأخشاب الصالحة لبناء العمائر البحرية، وذلك لتميزه بالديمومة [1]، وعدم قابليته للتعفن [2]. وهذه الخصائص كانت موضع اهتمام شعوب شرق المتوسط منذ وقت مبكر، وفي مقدمتهم الفينيقيين، الذين منحتهم الطبيعة أجود أنواع خشب الأرز، وصار قوام صناعة سفنهم وأساطيلهم البحرية التي فتحوا بها البحر الأبيض المتوسط شرقه وغربه تجاريا فكانت بذلك مطمع عدد من الإمبراطوريات الراغبة في السيطرة على أساطيله وموارده الغابية. هؤلاء الفينيقيين بعد أن ترددوا على غرب المتوسط واستوطنوا سواحله منها الجنوبية، سرعان ما ألقوا بأنظارهم إلى أشجار الأرز المنتشرة بغاباته، فاستغلوها لصنع سفنهم، ونقلوا بذلك خبراتهم الواسعة في هذا المجال لسكان المنطقة [3].

وفي ظل نقص ونذرة الأخبار بالمصادر القديمة عن تاريخ المنطقة، كان لزاما انتظار نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، كي تطالعنا هذه الأخيرة عن الملك صفاقس «Syphax»، الذي اتخذ عاصمة لمملكة الماسيسيل، تدعى تاكمبريت (Siga) ، عند مصب نهر التافنة، بالقرب من جزيرة رشقون، التي ضمت آثار بونية تعود إل القرن السابع قبل الميلاد، كانت نتاج التعاملات التجارية بين القرطاجيين وسكان المنطقة [4]، و مما لا يدعوا للشك أن قواعد الملاحة البحرية والنهرية النوميدية ، كانت موجودة خلال القرن الثالث قبل الميلاد، بدليل استقبال العاصمة لسفينة سكبيو «Scipio» الذي سيعرف بالإفريقي، القادمة من قاديس وسفينة صدر بعل الآتية من قرطاجة، اللتين رستا بمينائها سنة 206 قبل الميلاد [5] فكانت بذلك المملكة مفتوحة على العالم الخارجي. كما أن الملك ماسينيسا الذي حكم المملكة النوميدية أوائل القرن الثاني قبل الميلاد، قد عمد إلى إنشاء وتدعيم أسطوله البحري الحربي* والتجاري، حيث ضمنت له هذه الأخيرة حركية تجارية دائمة مع الشرق

---

[1] Plinus, *H.N.,* XVI, 212.
[2] Théophraste, *H.P.,* V, 4, 2.
[3] Rival (M.), *La charpenterie naval Romaine, op.cit.,* p. 35-36.
[4] Hamdoune (C.), Navigation, *E.B.,* XXXIII, 2012, p. 5304 ; ستي صندوق، دراسة تنميطية للمصابيح المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة لمدينة وهران، نفس المرجع، ص 40 .
[5] نفس المرجع، ص. 41.
* تكليفه لسفينة رباعية المجاديف، لإعادة الأنياب المنهوبة من معبد جنو بمالطا على يد أحد قادته ، حسب رواية شيشرون

الهيليني(رودس ودلوس) [1]، بفضل السفن المصنوعة من خشب الأرز والبلوط والدردار المتأتية من غابات جبال البابور والونشريس.

بالموازاة، استخدم خشب شجر التنوب في صنع السفن التجارية بكميات جد محتشمة، حيث اقتصر استعماله على تصفيح (تبطين) إزار السفينة (غلافها الخارجي) أو أرضية قعرها، كما هو الحال بحطام سفينة جيانس «Giens» وسفينة سانت جيرفي اثنان «Saint Gervais II» ، المدروستين من قبل ريفال «Rival» [2]، فرغم مرونته وطول حطبه، إلا أن قلة ديمومته بالأماكن الرطبة أو المغمورة بالمياه، كان عائقا أمام انتشار استخدامه في صنع هذا النوع من السفن [3]. حيث ذكر تيوفراست في شأنه ما يلي: " بإمكان التنوب و الصنوبر حمل الثقل إذا ما وضعا أفقيا، فهما لا يرتخيان تحت الأحمال، لكن يتحملان، بدليل أنهما لا ينكسران، بل يفسدان قبل ذلك" [4]. وبالمقابل لوحظ، استخدامه بشكل واسع في صنع السفن الحربية من نوع ثلاثية ورباعية المجاديف استنادا على البقايا الأثرية لحطام هذه السفن المكتشفة بحوض البحر الأبيض المتوسط. [5]

والظاهر أن خاصية الفناء السريع التي يتمتع بها التنوب في الوسط المائي، لم تكن عائقا أمام بنائي السفن القدامى الذين لم يتوانوا عن استعماله من أجل إنتاج السفن الحربية، فالخاصية التي يتميز بها وهي الخفة والمرونة مقارنة بأنواع أخرى من الخشب، قد تغلبت على صفة التعفن السريع لديه [6] إذ يعتبر عامل الرشاقة وسرعة الالتفاف والتحرك والمناورة، شروطا مبحوث عنها في تنفيذ الخطط العسكرية، ومن ثم إحراز النصر على الخصم، وبالتالي لم يكن مشكل ديمومتها مطروحا، خاصة وأنها تسحب بعد كل معركة إلى مستودعات الصيانة. [7]

Cicéron, *Verrines,* Œuvres complètes de Cicéron dans : Collection des Auteurs latins publiés sous la direction de M. Nisard, t. II, Paris, Dubochet, 1840, II, IV, 103.
[1] Hamdoune (C.), Navigation, *loc.cit.,* p. 5304.
[2] Rival (M.), *La charpenterie naval Romaine, op.cit.,* p. 88.
[3] *Id., Ibid.,* p. 39.
[4] Théophraste, *H.P.,* V, 6, 1.
[5] Rival (M.), *La charpenterie naval Romaine, op.cit.,* p. 88.
[6] *Id., Ibid.,* p. 41 ; p. 88.
[7] *Id., Ibid.,* p. 41 ; p. 64 ; p. 88.

إلى جانب مادة الخشب التي تعتبر المادة الأساسية في صنع السفن، كانت هناك مواد أخرى متأتية من النبات تدخل ضمن مجال العتاد الضروري الذي تجهز به، كالحبال والأشرعة، إذ يقول أبوليوس «Apulius» في هذا الصدد " إليك سفينة جيدة، مصنوعة بأيدي الحرفيين، جمعت جيدا من الداخل، وزخرفت فنيا من الخارج، لها دفة طيعة، حبال صلبة، سارية منتصبة، مصطبة لامعة، وأشرعة براقة" [1].

هذا وشكل عالم البحر والإبحار أحد المواضيع التي زينت بكثرة أرضيات المباني الرومانية، نذكر منها لوحة الفسيفساء المعروفة باسم "صيد السمك والرقص" المكتشفة بجميلة، العائدة إلى القرن الرابع والخامس الميلادي أين يظهر قارب محمل بالعازفين والراقصين رفقة مُجدف عار [2]، كما جسد مشهد رقص آخر على ظهر قارب بفسيفساء محفوظة بمتحف شرشال يرجع تاريخها إلى القرن الثالث والرابع الميلادي. أضف إلى ذلك صورة سفينة تجارية مجهزة بعشرة مجاديف، حبال وشراع كبير، محملة بأمفورات، اكتشفت بحمامات تبسة سنة 1886، يعود تاريخها إلى نفس الفترة السالفة الذكر [3](الصورة رقم51)، كما نالت السفن الحربية نصيبا من التجسيد، حيث اكتشفت سنة 1959 بسيدي مسيد فسيفساء محفوظة هي الآن بمتحف قسنطينة ، بها أربعة سفن محملة بالأسلحة [4] (الصفحة 279-الصورة رقم52).

---

[1] Apulée, *Florides*, XXIII.
[2] Ferdi (S.), *Mosaïques des eaux en Algérie*, *op.cit.*, p. 174.
[3] *Id., Ibid.*, p. 172.
[4] *Id., Ibid.*, p. 170-171.



الصورة (51): سفينة تحمل أمفورات - تبسة.

Ferdi (S.), *Mosaïques des eaux en Algérie*, Alger, Régie sud Méditerranée, 1998, p. 172.



الصورة (52): سفن حربية – فسيفساء سيدي مسيد.

Ferdi (S.), *Mosaïques des eaux en Algérie*, Alger, Régie sud Méditerranée, 1998, p. 171.

رابعا - الصناعة النسيجية

1- الصناعة النسيجية في فترة ما قبل التاريخ

تعتبر الصناعة النسيجية إحدى الصناعات التحويلية الرئيسية في حياة المجتمعات قديما، ولازالت كذلك إلى يومنا هذا، وهي تتأتى من مواد مختلفة، حيوانية كصوف الغنم، شعر الماعز، وبر الجمل، خيوط دودة القز، ومن مواد نباتية كالكتان والقطن. وقد استطاع الإنسان المغاربي القديم، الذي لبس منذ وقت مبكر جلود الحيوانات المتوحشة والمستأنسة، أن يستغل صوف هذه الأخيرة في حياكة بعض الملابس، حيث تم التعرف على بعض تلك النماذج من خلال الرسوم الصخرية العائدة إلى العصر النيوليتي في مراحله الأخيرة التي حاكت واقع الإنسان في تلك الفترة، فقد تم التعرف على فستان طويل ذو أكمام و تقويرة رقبة دائرية الشكل ذات حاشية بيضاء اللون بموقع أبانيورا «Abaniora » ، وعلى فساتين ذات زخارف شبكية الشكل بوادي كيسانII [1] .

ومما لاشك فيه، فقد تم استعمال الصوف في نسج بعض القبعات والقلنسوات وذلك بعد غزله وفتله، ومن ثم ظفره، إلى جانب الأحزمة المؤلفة من شرائط عديدة مترابطة أفقيا، مثل ما شوهد بمحطة أبيور « Abior » بوادي جرات [2]، والظاهر أن ارتداء الملابس المنسوجة كان جد محتشما مقارنة بالألبسة الجلدية التي لقيت رواجا كبيرا، إذ لم يعثر بمدافن هذه الفترة على بقايا ألبسة تمكننا من تسليط الضوء على أزياء سكان المنطقة من الليبيين، باستثناء بقايا قماش عثر عليه بتملوس يقع ناحية نقرين بتبسة [3]، وقد سمحت المعاينة عن قرب لهاته القطع النسيجية من تشكيل فكرة عن طبيعة القماش المستخدم، والمتميز بخطوط وأشرطة ملونة [4].

---

[1] Muzzolini (A.), *Les bœufs du Sahara central, op.cit.*, p. 386 ; Le Corre (C.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.*, p. 36.

[2] Muzzolini (A.), *Les bœufs du Sahara central, op.cit.*, p. 386 ; Le Corre (C.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien, op.cit.*, p. 52.

[3] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 202.

[4] جيهان ديزانج، البربر الأصليون، نفس المرجع، ص. 444، نفس المرجع، ص. 202.

2-الصناعة النسيجية في الفترة التاريخية

قبل الخوض في موضوع الألبسة النسيجية وأنواعها خلال الفترة التاريخية، لابد من الإشارة إلى أن النسوة هن من تعهدن بصناعة اللباس العادي سواء أكان من الصوف أو الكتان، لكامل العائلة حيث كانت الحلاجة والفتل ينجز في البيوت* بينما كان غسل الصوف، الصباغة ودعك القماش حرفا مستقلة عن بعضها البعض، هذا وكانت الأقمشة تنجز من قبل ورشات خاصة، وأحيانا في البيت إذا امتلك أحدهم جارية تحسن هذا النوع من العمل [1].

يرى كامبس «Camps » أن لباس عموم قدماء البربر على حد تعبيره، كان عبارة عن قطعة قماش مستطيلة الشكل، يلف بها الشخص جسمه أو تكون قطعتا مدروزة على الكتف، مشدودة بحزام، مثل ما هو باد على هيئة الزعماء الليبيين بالجداريات المصرية، يكون فيها أحد الكتفين دائما عاريا، ومن الممكن أن تكون لها فتحة تسمح بتمرير الرأس، لتصبح قطعة القماش معطفا. يلبس البعض تحته تنورة ويشده (المعطف) البعض الآخر بحزام، وكانت قطع القماش مزخرفة وذات مضامين مختلفة عما ألفه المصريون، و لعل بعض البقع الملونة المرسومة على خلفية ناصعة هو استمرار لطريقة الباتيك البدائية التي لا تزال مستعملة حتى الآن في بعض جهات إفريقيا الشمالية [2]، و قد أنكر غزال «Gsell » إمكانية صنعها محليا [3]، دون أن يقدم براهين بنى عليها حكمه وهي عادته في الكثير من الأحيان.

ومما لا غرو فيه، أصبح من الشبه المؤكد أن البرنوس التقليدي في مجتمعنا ضارب في القدم، يعود تاريخه على الأقل إلى الفترة النوميدية، حيث تمكن كل من برتيي «Berthier » ولوجار «Logeart » من التعرف على شكله من خلال رسوم صخرية عثر عليها بجوار أنقاض بلدة سيغوس بنواحي عين مليلة، بها شخوص يرتدون معاطف طويلة تبلغ منتصف الساق، مزودة بقلنسوة(غطاء رأس)، ذات أطراف عريضة ومفتوحة من الأمام، يرفع أحدهم بيده اليمنى طرف

* كان الغزل والمكوك يرافق النسوة في الغالب حتى في قبورهن

[1] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع،ص. 94- 95.

[2] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع،ص. 203.

[3] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, VI, p. 22.

المعطف، بينما يمسك بيده اليسرى الطرف الآخر من المعطف، على شاكلة لبس البرنوس المعروفة في وقتنا الحالي [1].

وقد حافظ على ارتدائه السكان في الفترات اللاحقة، حيث يصف لنا سيليوس الإيطالي « Silius Italicus » العباءة التي كان يرتديها أهل المنطقة قائلا: " يلبس الليبيون عباءات واسعة الذيل" [2]. وهو وصف ينطبق على البرنوس، أضف إليها شهادة كل من بروكوبيوس «Procopius » العائدة إلى القرن الرابع الميلادي، مفادها : " لم يكن الموريين يُغيرون ملابسهم على حسب الفصول، كما أن العوز حتم عليهم وألزمهم على ارتداء معاطف كبيرة" [3]، وقول الشاعر كوريبوس «Corippus » " إن الموريين يرتدون عباءات ليس لها أكمام، والنطاق مزين بإبزيم، ويضعون على رؤوسهم البشعة غطاء من الكتان مشدود بعقدة مثبتة، وأرجلهم السوداء تدوس أحذية خشنة ". [4]

1-2- الفترة البونية – النوميدية

يصطدم الباحث في مجال الصناعة النسيجية بالمنطقة قبيل الاحتلال الروماني بفراغ شبه كلي، لا من حيث النصوص المستقاة من المصادر الأدبية أو المعطيات الأثرية، إذ لا نحتكم في الوقت الحاضر، سوى على بعض النصب المكتشفة بمعبد الحفرة البوني بقسنطينة. حملت إحداها إشارة إلى نساج، يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد [5]. مما يسمح بتكوين فكرة ولو بسيطة عن طبيعة المجتمع بقسنطينة (Cirta) المتحضر الذي زاول أفراده مهنا قارة كالحياكة، السباكة، النجارة والتطبيب متأثرين في ذلك بالحضارة القرطاجية ومن ورائها العالم الفينيقي، الذي برع في فن الحياكة والصباغة [6]، فقد أكتشف السِجاد لأول مرة في سوريا، وهم من تكفل على الأرجح بعملية إدخاله

---

[1] Berthier (A.), Logeart (F.), Gravures rupestres de Sigus, *loc.cit.*, p. 391-393 ; غابريال كامبس، المرجع السابق، ص. 202 ، جيهان ديزانج، البربر الأصليون، نفس المرجع، ص. 444.

[2] Silius Italicus, *La guerre Punique*, II, 56.

[3] Procope, *La guerre contre les Vandales*, II, 6, 2.

[4] Corippe, *Johannide*, II.

[5] Berthier (A.), Charlier (R.), *Le sanctuaire Punique d'El Hofra, op.cit.*, p. 40 n° 50 ; جهيدة مهنتل مقروس، حاضرة قسنطينة، كيرتا النوميدية والرومانية، نفس المرجع، ص. 198.

[6] مها عيساوي، المجتمع اللوبي القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، نفس المرجع،

إلى منطقة شمال إفريقيا القديم، وهم العارفين كذلك بصناعة الشاش الرقيق من الكتان الذي وُصف بكثرة في صناعة الجلابيب التي تلبس تحت المعاطف.[1]

هذا وتطالعنا صورة نصب آخر اكتشف بنفس الموقع السالف الذكر، بصورة تعود لعلها لشخصية مرموقة في المجتمع السيرتي، متوج بقرص الشمس المشع، يحمل بيده اليمنى صولجان، يرتدي لباسا ذو ثنيات «Drapés »[*] الممسوك من جهة الكتف الأيسر بإبزيم(الصفحة 283 - الصورة رقم53). أضف إلى ذلك، نصب أكتشف بالجهة الغربية من المملكة النوميدية بموقع الأندلسيات (Castra Puerorum) ، يعود تاريخه إلى القرن الثاني والأول قبل الميلاد يظهر به شخص يرتدي قميصا بسيطا يصل إلى مستوى نصف الساق[2]، والظاهر في الأخير أن أزياء هذه الفترة قد اتسمت على العموم بالانسدال والاحتشام، كما تُوفر لمن يرتديها الراحة.[3]



الصورة (53): نصب بوني – معبد الحفرة، قسنطينة.

مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، الجزائر، المتحف الوطني سيرتا،2007، ص. 195.

[1] مها عيساوي، المرجع السابق، ص 302 ، نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع ،ص. 94.
ص. 302، جهيدة مهنتل مقروس، المرجع السابق، ص. 197- 199.

[*] ليست بالشراشيف كما ورد في كتاب الجزائر النوميدية، ص. 195.

[2] مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، نفس المرجع، ص195

[3] Picard (G.CH.), *La civilisation de l'Afrique Romaine, op.cit.,* p .199.

2-2- الفترة الرومانية - البيزنطية

أضحت مقاطعتي نوميديا وموريطانيا القيصرية إبان الاحتلال الروماني أحد أهم المناطق التي زودت المتروبول بالصوف اللازم لصنع العباءات « Toges »[1]، والملابس الجاهزة استنادا لنص كاتب مجهول[2]، مما يعتبر دليلا على ازدهار حرفة النسيج التي استطاعت أن تلبي حاجيات سكان المنطقة، وانجر عنه ظهور أسواق متخصصة «Basilicae Vestiariae» في بيع القماش والألبسة بالحواضر الكبيرة كتيمقاد (Thamugadi) وجميلة (Ciucul). واستحق الفائض التصدير، كما لم يتوان الأباطرة الرومان على إهداء الملابس المصنوعة من الكتان الإفريقي إلى مقربيهم[3].

إلا أن قائمة أصحاب من زاولوا هذه الحرفة صغيرة جدا، ولا تعكس ازدهارها الكبير في الوسط الشعبي والحرفي معا، ومرد ذلك، أن عموم الحرفيين كانوا من الطبقة البسيطة العادية من جهة، وعدم انطوائهم في شكل جمعيات من جهة ثانية، إذ أن روما كانت تمنع وجودها بالمقاطعات الإفريقية عكس روما التي كان بها حرفيون مهيكلون في جمعيات ومحميين إداريا[4]، ورغم هذا، فقد كان بمدينة عنابة (Hippone) على أيام القديس أوغسطين دعاكي القماش، نساجين وخياطين، إلى جانب الإسكافيين، النجاريين وتجار الطيور[5]، الذين عانوا كثيرا من الضرائب المفروضة عليهم والتي زادت وطأتها خلال العهد الإمبراطوري الثاني لدرجة أنه لم يعد بإمكان الحرفيين تسديدها، حيث جاء نفس المؤلف على ذكر خياط في المدينة، لم يعد بوسعه دفع الضرائب ولا يمتلك حتى حق شراء معطف[6].

---

[1]Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec Rome, notes préliminaires, *Atti del XV convegno di studio Tozeur, 11-15 dicembre 2002, Africa romana*, XV/2, 2004, p. 979 ; p. 987.

[2] *Expositio Totius Mundi et Gentium*, J.Rougé (trad.), Paris, Cerf, 1966, LX.

[3]Salama (P), Panorama…in documents Algériens, activités industrielle et commerciale. *Loc.cit*., p. 6.

[4]Picard (G.CH.), *La civilisation de l'Afrique Romaine, op.cit.*, p. 750 ; جهيدة مقروس مهنتل، حاضرة قسنطينة، كيرتا النوميدية والرومانية، نفس المرجع، ص. 242.

[5] Hamman(A.G), *La vie quotidienne en Afrique du Nord au temps de Saint Augustin*, Paris, Hachette, 1979, p. 48.

[6]Augustin (S.), *Cité de Dieu*, XX, 11, 8.

والظاهر أنه ضمن مجال الخياطة، كان هناك مختصون في حياكة أنواع محددة من الملابس، كصناعة الملابس التنكرية للمسرح، والذي تعرفت عليه جهيدة مهنتل مقروس ضمن نقيشة عثر عليها بقسنطينة، محفوظة بسجل النقوش اللاتينية الجزائرية [1]، كما دلت نقيشة اكتشفت بشرشال (Caesarea) ، على شخص مختص في حياكة الصوف يدعى بيلوكسنوس «Piloxenus » [2].

تتميز أزياء الفترة الرومانية بجملة من الخصائص أهمها، الاستلهام بكثرة من الألبسة الإغريقية، ابتداعهم لرداء جديد أطلقوا عليه اسم الطوجة «Toga » وإدخال عنصر التزيين بشكل جديد، المتمثل في شريطين متوازيين يمران بالثوب من الأمام مرورا بأعلى الكتف والظهر، ويكون لونهما عادة مغايرا للون اللباس وكذا الإكثار من الزخارف [3]، وتتمثل الأزياء الرجالية عادة في:

- المعطف «Toga »:وهي عبارة عن قطاع من الدائرة، يبلغ طول الجزء المستقيم منها ستة عشرة قدما وعرضها ستة أقدام، تزين بشريط وتلف حول المتصف وهي ذات أشكال مختلفة*، وأغلب الظن أنها أحد أنواع الطوجة الرومانية التي كانت تهدى مع أشياء أخرى لرؤساء القبائل والشعوب، بمناسبة توليهم مناصب مرموقة أو كرمز للوفاء والتحالف، وهو الأمر الذي بقي معمولا به إلى غاية فترة الاحتلال البيزنطي للمنطقة، فقد أهدى القائد بلسار «Bélisaire » الأمراء الموريين معاطف بيضاء مربوطة إلى الكتف الأيمن بإبزيم ذهبي وهي تشبه من حيث شكلها الكلاميد التسالية وأخرى بيضاء مزينة بأشكال مختلفة وأحذية كبيرة مرصعة بتطريز ذهبي. [4]

---

[1] *I.L.Alg.*, II, 1273 ; جهيدة مقروس مهنتل، المرجع السابق، ص. 245.

[2] Leveau (PH.), Nouvelles inscriptions de Cherchel, *B.A.A.*, 6, 1975-1976, p. 158 n° 81.

[3] خالدة عبد الحسين الربيعي، تاريخ الأزياء وتطورها، عمان، دروب، 2011، ص. 94.

* من بين أنواع الطوجة نذكر، الطوجة ذات الكفة: وهي معطف الملوك، ولبسها الشباب كذلك، تصنع من الصوف و تحلى بشريط بنفسجي. طوجة الطلاب : ذات اللون الأبيض، طوجة الرجولة : ارتداها عامة الناس، تصنع من الصوف بلونه الطبيعي ولا تزين، الطوجة المنقوشة : لبسها في البداية الكهنة فقط، تكون إما من الصوف البنفسجي أو الحرير، طوجة الحداد: يكون لونها قاتما رمادي أو أسود. للمزيد من التفاصيل يرجى العودة إلى خالدة عبد الحسين الربيعي، المرجع السابق، ص. 96-97.

[4] Procope, *La guerre contre les Vandales*, I, 2, 7.

- الباليوم «Pallium» : وهو سروال يمنح من يرتديه راحة وحرية أكبر في الحركة، لبسه الفلاسفة للدلالة على اتجاههم الإيديولوجي، حيث ارتداه تارتيليانوس خلال سنوات حياته الأخيرة، تعبيرا منه عن رفض الرومنة. [1]

- العباءة «Tunique» : لباس داخلي « Amictus » ، وهي ذات أنواع مختلفة أكثرها بساطة وشيوعا، ما يعرف باسم اكسوميس «Exomis» ، تتمثل في قطعة قماش، من دون خياطة تثبت على كتف واحدة بواسطة إبزيم، تكون خلاله الكتف الثانية عارية وكذا الأرجل. ارتداه العمال والعبيد أثناء تأديتهم للأعمال الشاقة [2]، وهناك قمصان تتشكل من قطعة مستطيلة ذات انثناء، لها فتحات للرأس والذراعين، تشد على مستوى الخصر بحزام، وتكون بالتالي مرفوعة فوق الركبتين وهو ما يلبسه المزارعون والحمالون، وكان بطبيعته خفيفا مصنوعا في الغالب من الكتان. [3]

في القرن الثالث الميلادي حدثت ثورة في عالم الأزياء*، إذ أضحت العباءة اللباس الرئيسي، فتكون إما طويلة فتبلغ أخمس القدمين أو قصيرة فوق الركبتين، مزودة بأكمام طويلة، وتتميز بكونها خفيفة لأنها مصنوعة في الغالب من الكتان [4]، إلا أن غزال «Gsell» كعادته نفى استخدام النوميديين والموريين للكتان، وأنهم اعتمدوا في صنعها على المنسوجات الصوفية، باعتبارها المادة الأكثر وفرة في المنطقة، والتي يمكن الحصول عليها بكل سهولة وفي أي مكان. [5]

أما لباس النسوة فلا نعرف عنه الكثير مقارنة باللباس الرجالي، ويتمثل خاصة في الفستان المعروف باسم ستولا «Stola» ، وهو عبارة عن ثوب عريض وطويل ذو قصة بسيطة جدا، بأكمام عريضة، يشد بحزام أسفل الثديين على نحو لباس الخادمة فوتيس «Fotis» الذي وصفه أبوليوس «Apulius» قائلا: " والتي كانت ترتدي قميصا نظيفا من الكتان، تحزمت عليه بزنار أرجواني

[1] Picard (G.CH.), *La civilisation de l'Afrique Romaine*, *op.cit.*, p. 200.
[2] *Id.*, *Ibid.*, p. 200.
[3] *Id.*, *Ibid.*, p. 200.
* أقتصر ارتداء الطوجة على بعض الاحتفالات الرسمية فقط
[4] *Id.*, *Ibid.*, p. 201.
[5] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, VI, p. 28.

رفعته إلى ما تحت النهد مباشرة "[1]، ويلبس من تحته رداء آخر رفيع جدا من دون أكمام. كما ارتدت المرأة رافعة النهدين المعروفة باسم «Mamillarae» أو «Strophium»، وهي عبارة عن شريط قماش رهيف جدا يتم لفه حول الثديين مثل ما هو ممثل بفسيفساء اكتشفت بعنابة (Hippone).[2]

لبس الرومان الحرير منذ أواخر القرن الأول قبل الميلاد، وذلك بعدما أصبح معروفا عندهم واكتشفوه لأول مرة أثناء معركة كاراس «Carrhes» التي جمعتهم بالبارتين سنة 53 قبل الميلاد، إذ كانت رايات هؤلاء مصنوعة من الحرير ومطرزة بالذهب. وحقيقة الأمر أن هؤلاء الآخرين قد جلبوه بدورهم من بلاد شعب السرين «Séres» المعروف باسم "شعب الحرير". ومنذ ذلك الوقت تنبه الرومان إلى أهمية الحرير حتى أضحى من الألبسة الرائجة في المجتمع، فقد قام يوليوس قيصر خلال احتفالات النصر بفرش مصطبته ومسرحه بحرير جلب من تلك البلاد، وقد أصبح استعماله شائعا خلال عهد الإمبراطور أغسطس[3]، ولا شك أن التجار الرومان هم من روج له بالمقاطعات الإفريقية، والأقرب إلى الظن أن مومسات عنابة (Hippone)، خلال القرن الرابع الميلادي قد لبسن عباءات حريرية ذات ألوان لامعة لإظهار مفاتنهن[4]، وقد كان القانون الذي صدر سنة 16 ميلادية، قد حرم على الرجال لبس الحرير، بسبب شفافيته لا على النسوة[5]، هذا وكان ترتيليانوس قد ساءه منظر النساء في عهده اللواتي تشبهن في ملبسهن بخلاعة المومسات فلربما كانت ثيابا شفافة، حيث يقول " أرى كذلك أنه لم يبقى فرق يذكر في اللباس بين

---

[1] لوكيوس أبوليوس ، الحمار الذهبي (أو التحولات) ترجمة عمار الجلاصي، طرابلس، تامنغست، 2000، II، 7، 2.

[2] Marec (E.), *Hippone la royale, Antique Hippo Regius*, Alger, Direction de l'intérieur et des beaux-arts, service des antiquités, 1954, p. 47, Fig. 21.

[3] Dubois-Pelerin (E.), *Le luxe privé à Rome et en Italie au 1er siècle après J.-C.*, Naples, Centre Jean Bérard, 2008, p. 228-229.

[4] Hamman (A.G.), *La vie quotidienne en Afrique du Nord au temps de Saint Augustin, op.cit., p.* 46.

[5] Dubois-Pelerin (E.), *Le luxe privé à Rome et en Italie au 1er siècle après J.-C., op.cit.*, p. 228.

السيدات والمومسات، بخصوص النساء، اندثرت كذلك تشريعات الأجداد التي كانت تشجع على الاحتشام والاعتدال" [1].

خامسا- الصناعة الصبغية

تعتبر حرفة الصباغة رغم استقلاليتها عن باقي الحرف الأخرى، آخر حلقة في سلسلة الصناعة النسيجية، استخلصت قديما من مواد طبيعية متعددة، أشهرها على الإطلاق، المادة الصبغية البحرية المستخرجة من أصداف المريق «Murex» بنوعيه الترانكلوس «Trunculus» والبرانديس «Brandaris» اللذان تستخلص منهما غدد لا يتجاوز طولها السنتيمتر الواحد، تحوي بداخلها مادة الأرجوان التي يتراوح مقدارها مابين 0.6 و1 ميلغرام [2]، وتعد الصباغة الأرجوانية اكتشافا فينيقيا بحق، وسبب شهرتهم في العالم القديم ككل، حيث احتكروا مجال صناعته وتسويقه زمنا طويلا، فكان أحد أهم موارد ثرائهم وغناهم في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد وجدوا في شواطئ شمال إفريقيا القديم الذي ترددوا عليه منذ أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد، الغني بقواقع المريق، فضاء مفتوحا لإنشاء ورشات استخراجه ، فنقلوا بذلك خبراتهم في هذا المجال للمنطقة [3]

ويعتبر التاريخ الطبيعي لبلينوس الكبير «Plinus» المصدر الأهم الذي أسهب في الحديث عن مراحل استخراجه، التي تبدأ من عملية صيد القواقع، قبيل حلول فصل الربيع، لأنه خلال فترة التكاثر تكون عصارة اللون غير نقية، ولابد من الإبقاء عليها حيتا، إذ بمجرد موتها تفرز عصارتها التي تنتزع من إحدى عروقها البيضاء، أما بقية جسمها فعقيم، تنقع في الملح لمدة ثلاث أيام وتغلى في قدور من الرصاص على نار هادئة مدة عشرة أيام، مع نزع زبد اللحم الذي بقي ملتصقا بعروقها من وقت لآخر، ومن أجل تجريبها يغطس الصوف النظيف فيها لمدة خمس ساعات مع مواصلة

---

[1] كوينتوس سبتميوس ترتيليانوس، المنافحة(دفاع عن التوحيد)، ترجمة عمار الجلاصي، طرابلس، تامنغست، 2001، 6.

[2] محمد عبد المؤمن، مدينة بورتوس ماغنوس- بطيوة - دراسة في تاريخها القديم، وهران، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، 2013، ص. 85.

[3] Alfaro Giner (C.), La teinture de draps dans les provinces romaines du nord de l'Afrique, *Atti dell' XI convegno di studio Cartagine, 15-18 dicembre 1994*, *L'Africa romana*, XI, 1, 1996, p. 826.

الطهي، ثم ينشف ليخضع بعدها لحمام ثان حتى يصبح الصوف مشبعا بالصباغة، وإن كان لون هذه الأخيرة أحمر يكون ثمنها أقل مما هي عليه إن كانت تميل إلى السواد [1]، فعلى سبيل الإشارة بلغ ثمن الصوف الأرجواني في عهد أغسطس ألف سيسترس، في حين لم يكن ثمنه يتعدى مئة سيسترس، إذ ما احتفظ بلونه الطبيعي [2]، و يُرد غلاء المنسوجات الأرجوانية إلى عدة عوامل من أهمها، محدودية مدة صيد القواقع التي كانت تتم خلال فصل الخريف أو الشتاء. قلة الكمية الصبغية المستخلصة من القوقعة الواحدة التي لا تتعدى بضع قطرات، مما يتطلب عددا هائلا من الأصداف، فللحصول على غرام واحد من الملون الأرجواني، يستلزم توفير عشرة آلاف صدفة [3] وطول مدة العمل المطلوبة على أيد حرفية مؤهلة في هذا المجال. فضلا عن ذلك، كان لابد من توفير تجهيزات ومنشآت كأحواض النقع مثلا وعلى أن تتمركز هذه الورشات بالقرب من الأرصفة المرجانية، إذ كان لابد من الحفاظ عليها حية، كما رأينا سلفا [4].

بعد أن أفل نجم القرطاجيين من الحوض الغربي للمتوسط، وظهور الممالك البربرية المحلية بقوة على مسرح الأحداث، التي تطلع ملوكها إلى لعب دور ريادي في المنطقة سياسيا واقتصاديا، وفي هذا الإطار تمكن الملك يوبا الثاني «Juba II» ، من إنشاء مصانع لإنتاج المادة الصبغية، المعروفة باسم "الأرجوان الجيتولي " على سواحل المحيط الأطلسي، لتوفره على كميات معتبرة من القواقع، كتلك التي أقيمت بجزيرة الصويرة «Mogador» المعروفة قديما باسم الجزر الأرجوانية «Iles purpuraires» [5]. هذا وكان بومبونيوس ميلا «Pomponius Méla» قد أشار إلى وجود المريق بمملكة موريطانيا [6]، وكانت هذه الأخيرة في عهده وعهد ابنه بطليموس أحد أهم الأقطاب الممولة للسوق الدولية بمادة الأرجوان الصبغية، والتي قدر ثمنها بخمسين ومائة سيسترس للقنطار بروما في

[1] Plinus, *H.N.*, IX, 60 ; 61 ; 62.
[2] *Id.*, *Ibid.*, IX, 63.
[3] Dubois-Pelerin (E.), *Le luxe privé à Rome et en Italie au 1er siècle après J.-C.*, *op.cit.*, p. 23 ; محمد عبد المؤمن، مدينة بورتوس ماغنوس- بطيوة - دراسة في تاريخها القديم،نفس المرجع، ص. 85
[4] Plinus, *H.N.*, IX ,60 ; Dubois-Pelerin (E.), *Le luxe privé à Rome et en Italie au 1er siècle après J.-C.*, *op.cit.*, p. 230.
[5] Plinus, *H.N*, IX ,60 ; Dubois-Pelerin (E.), *Le luxe privé à Rome et en Italie au 1er siècle après J.-C.*, *op.cit.*, p. 231.
[6] Pomponius Méla, *De Chorographia* , 1, 6.

وقت كان يصل فيه ثمن أرجوان مدينة صور إلى مبالغ كبيرة [1]، وبذلك شكل الأرجوان أحد أسباب ثرائهم ورفعتهم بين الأمم، وهلاكهم وزوال ملكهم في الوقت ذاته، إذ لقي بطليموس آخر ملوك موريطانيا حذفه على يد الإمبراطور كاليغولا سنة 40 ميلادية، الذي أثار حفيظته وغيرته، بعد أن دخل عليه مدرج الألعاب أين كان يستمتع بعروض المنازلات، مزهوا بمعطفه الأرجواني الذي جلب أنظار المتفرجين. [2]

احتكر الرومان صناعة الأرجوان بفعل احتلالهم للمملكة الموريطانية والتي عثر على أثارها بعدد من المدن الساحلية كشرشال (Caesarea)، وبطيوة (Portus Magnus) التي وجد بها حوض يحوي بداخله كمية من الأصداف [3]، أو كتلك التي أشار إليها بعض الكتاب القدامى كمدينة القل (Chollo) التي قال في شأنها سولينوس «Solinus » ما يلي : " تنافس الأقمشة الأرجوانية لمدينة شولو مثيلاتها من أقمشة صور" [4]، مما يدعو إلى الاعتقاد بوجود صناعة صبغية رائجة في المدينة خلال القرن الثالث الميلادي. [5]

نالت الصباغة الأرجوانية البحرية القسط الأوفر من الذكر في المصادر الكلاسيكية، والتي كانت محل اهتمام واردات روما [6]، وبموازاتها وجدت أصباغ أقل كلفة، تسمح للطبقات المتوسطة والبسيطة من الحصول على الصباغة الأرجوانية، لكسر احتكار الطبقة الأرستقراطية لها، وهي المستخلصة من المواد المعدنية والنباتية كساندكس «Sandix » [*] الفوة [**]، السادروان [***] والقرمز «Kermès » [7] ويقول في هذا الصدد بلينوس الكبير : " استخدمت الألوان المتأتية من النباتات في

---

[1] Plinus, *H.N.*, IX ,64.
[2] Suétone, *Les douze Césars, Gaius*, 35.
[3] *Vuillemot (G.), Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie,* Autin, 1965, p. 20 ;
محمد عبد المؤمن ، مدينة بورتوس ماغنوس- بطيوة - دراسة في تاريخها القديم،نفس المرجع، ص. 85.
[4] Solin, Polyhistor, XXVII.
[5] Alfaro Giner (C.), La teinture de draps dans les provinces romaines du Nord de l'Afrique, *loc.cit.*, p. 826.
[1]Alfaro Giner (C.), La teinture de draps dans les provinces romaines du Nord de l'Afrique, *loc.cit.*, p. 826.
[*] أحمر معدني كان يستعمله القدامى للدباغة.
[**] نبات صيفي تستخرج منه مادة صبغية حمراء.
[***] نوع من الحزاز يعيش على صخور شواطئ البحار ويستخرج منه صبغ أحمر
[7] Dubois-Pelerin (E.), *Le luxe privé à Rome et en Italie au 1er siècle après J.-C., op.cit.*, p. 232.

في صنع العباءات، دون الحديث عن بذور غلاتي «Galatie » التي تجلب من إفريقيا ولوزيتانيا التي تعطينا القرمز«Coccus » المخصص لصبغ الملابس العسكرية للقادة [1]. هـذا وقـد جـاءت تعريفـة زراي الجمركية [2]، على ذكر معطف مصبوغ بـالأرجوان «Sagum Purpuruim » فالإتيـان علـى ذكره دليل على أنه كان سلعة رائجة [3]، كبقية الألبسة المذكورة في الوثيقـة الأثريـة مـن جهـة، وأن تلوينها تم بواسطة أصبغة أرجوانية نباتية وليست بحرية، مما يحمل على الظن وجود ورشات للصباغة محليا بالمناطق الداخلية، فبنواحي مدينة فرنوس مايوس«Furnos Maius » بجبل منصـور وبأعـالي هضبة الوادي الكبير، تنمو بعض أنواع شجر البلوط الأخضر، الذي أستغل في مجالات متعددة منها تربية حشرة المغافير (القرمز)«Cochenilles » التي تدخل أساسا في تركيبة صناعة الصباغة الحمـراء اللامعة، والدباغ المستخلص من لحائه ولعله وظُف هو الآخر في تحضير الأصباغ.

إنّ الملفـت للانتبـاه، ذكـر نقيشـة زراي لمـادتي القطـران والشـب، فـالأول اسـتخدم لأغراض مختلفـة، منهـا زخرفـة الأقمشـة، وذلـك بسـكبه سـائلا علـى سـطح القمـاش الرطـب، وبواسـطة فرشـاة يـتم تشـكيل ورسـم أشـكال هندسـية، أمـا الثـاني فهـو بمثابـة قـارص مهـم، يـدخل ضـمن سـياق صـباغة القمـاش [4]، هـذا وقـد عثـر بناحيـة زراي كـذلك علـى جـزء مـن نقيشـة كتبـت عليهـا العبـارة التاليـة «Pur/ puri/orum » [5] والـتي لعلـها إشـارة لتـاجر أقمشـة أقمشــة أرجوانيــة [6]، ممــا يــدعوا في الأخــير إلى الاعتقــاد، أن ســكان المنــاطق الداخليــة علــى الأقل قد استخدموا الأصـباغ النباتيـة منـذ وقـت مبكـر والـذين توارثوهـا وحـافظوا علـى تقاليـد صنعها وذلك قبل مجيء الفينيقيين. [7]

---

[1] Plinus, *H.N.*, XXII, 3.
[2] *C.I.L. VIII*, 4508.
[3] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, VI, p. 25.
[4] Plinus, *H.N.*, XXXV, 183-188 ; Alfaro Giner (C.), La teinture de draps dans les provinces Romaines du Nord de l'Afrique, *loc.cit.*, op.cit., p. 827-829.
[5] *C.I.L. VIII*, 2523.
[6] Alfaro Giner (C.), La teinture de draps dans les provinces Romaines du Nord de l'Afrique, *loc.cit.*, p. 829.
[7] Alfaro Giner (C.), La teinture de draps dans les provinces Romaines du Nord de l'Afrique, *loc.cit.*, p. 827.

سادسا- حرفة السلالة

تفطن الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ بفعل احتكاكه المباشر بمحيطه الطبيعي والملاحظة والتجربة الدائمة أثناء بحثه المتواصل عن الطعام إلى خاصية بعض النباتات، ذات الألياف المقعرة والعريضة، والتي تتميز بالالتواء واللين والمرونة، كالصفصاف، السوحر ، الأسل ، الرافية والحلفاء. التي يمكن أن تصلح لتشكيل أغراض تُعينه على حفظ وجمع قطافه من حبوب، بذور وفواكه.وبالرغم من عدم التوصل إلى معرفة أصل هذا النشاط اليدوي الذي بقي مجهولا، إلا أنه يعتقد أن فكرته مستلهمة من معاشرة الانسان واحتكاكه الدائم بالكائنات الحيوانية التي تقاسمه نفس المجال كالطيور مثلا خلال فترة بناء الأعشاش.[1]

ترجع أقدم نماذج تظفير الألياف النباتية المعثور عليها بالجزائر إلى العصر الحجري الحديث، التي لعلها تعود لقفاف وسلال أو حصائر استخدمها إنسان تلك الفترة في نقل وتخزين مؤونته، حيث اكتشفت أنذر بقايا هذه الصناعة المشكلة أساسا من مواد سريعة الفناء بموقع تن هناكتن بالطاسيلي ناجر [2]، وبموقع ان فودا في الأكاكوس على الحدود الليبية الجزائرية [3]. والظاهر أنها كانت نشاطا منزليا اختصت به النسوة، حيث رسمت إحداهن بمنطقة صفار وهي تقوم بتظفير سلة [4]، ولم يقتصر استخدام الألياف النباتية على على صنع الأواني ذات الاستعمال المنزلي ، بل امتد إلى مجالات أخرى كصنع الألبسة والإكسسوارات من ظلل وقبعات. حيث احتفظت لنا الرسوم الصخرية لوادي جرات بنماذج لقبعات مصنوعة من نسج السلالة، والتي تتمثل في مشهد امرأتين بفستانيين طويلين تضعان قبعتان مخروطيتا الشكل، وهي من النوع الذي لا زالت ترتديه النسوة

---

[1] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع، ص. 102.

[2] Aumassip (G.), Tauveron (M.), Le Sahara central à l'Holocène. Considérations générale, *Colloque L'Arte e l'ambiente del Sahara Preistorico: dati e interpretazioni, Milan, 24-27 octobre1993, Mémoire dell Societa Italiana de scienze Naturali e del Museo Civico di storia naturale diMilan*, 26, fasc. II, 1993, p. 63.

[3] لخضر بن بوزيد ، الطاسيلي آزجر في ماقبل التاريخ، المعتقدات والفن الصخري، نفس المرجع، ص. 96.

[4] لويزة بلخيري ، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي الناجر(الصحراء الوسطى – الجزائر)، نفس المرجع، ص. 258.

بمنطقة الساحل الإفريقي وإفريقيا الغربية [1]، والتي شاع استعمالها في نهاية العصر الحجري الحديث. إلا أن المادة المشكلة منها تمتاز بالفناء السريع، لذا لم يصلنامن آثارها المادية شيء. [2]

هذا وقد عثر على بصمة إحدى السلال مطبوعة على قاع إناء فخار مسطح على ما يبدو بقسطيل، إذ يظهر عليه شعاع تقوس ضئيل، والظاهر أن تلك السلال قد تميزت بقاع مستدير [3]، كما يُعتقد أن إنتاج أواني الفخار كان يتم عن طريق ضغط التراب في السلال التي كانت بمثابة قالب لها، فتنطبع على السطح الخارجي للآنية زخارف ناتجة عن تلامسها المباشر بالسلة. [4]

لقد أشار عدد من الكتاب القدامى إلى المواد النباتية الصالحة للسلالة، وعلى رأسهم صاحب "التاريخ الطبيعي " في أكثر من موضع، حيث يقول : " يدخل لحاء المران، الزيزفون ، التنوب ضمن استعمالات كثيرة في الريف، تصنع منه السلال، القفاف، والقراطل الكبيرة من أجل نقل محصول قطاف العنب" [5]، و أفاد في موضع آخر قائلا: " يتم غرس السوحر، لأنه كما يقال أفضل النباتات المائية، ويتفوق على كل من الحور والمغث رغم فوائدهما العديدة في المجال الزراعي" [6]، هذا ونوه الشاعر فرجيليوس «Virgilius » أكثر من مرة ببعض النباتات المستعملة في السلالة، حيث يقول : "من الأشياء المهمة في الحقول، ضفر الأسل والسوحر اللين" [7] ، ويستطرد قائلا في سياق آخر "خلال فصل الربيع، يظفر الأسل وسيقان المغث" [8]. وبعد قطف المادة الأولية من أسل، سعف النخل، الحلفاء....من الأماكن المزروعة، الترع أو أراضي البور. تبدأ عملية تجهيزها وذلك بإخضاع السيقان لعمليات مختلفة، وفقا لدرجة الليونة واللون المرغوبين من تنسيغ اصطناعي، تقشير، غلي،

---

[1] Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique Nord Africain et Saharien*, *op.cit.*, p. 52 ; Huard(P.), Allard (L.), Les gravures rupestres de l'Oued Djérat, Nord du Tassili, *loc.cit.*, p. 199.

[2] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع، ص. 102-103.

[3] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 200 . نفس المرجع ، ص 115.

[4] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.*, VI, p. 56.

[5] Plinus, *H.N.*, XVI ,14.

[6] *Id.*, *Ibid*, XVI, 67.

[7] Virgile, *Bucolique*, II, 72.

[8] *Id.*, *Ibid.*, X, 71.

تجفيف ونقع [1] ، وقد تطرق بعض الكتاب القدامى إلى طرق تحضير المادة النباتية قبل استعمالها، من أمثال كاتون «Caton » الذي أورد كيفية تحضير السوحر قائلا: " اقطعوا وقشروا السوحر « Le saule» في الوقت المناسب، ومن ثم اجعلوه في حزم، احتفظوا باللحاء، وعندما تحتاجون إليه قوموا بنقعه في الماء، من أجل الحصول على أربطة، واحتفظوا كذلك بقشوش السوحر لإعداد سلة" [2].

وفي السياق نفسه أسهب بدوره بلينوس الكبير «Plinus » في الحديث عن طريقة تحضير الحلفاء اللازبة قائلا : "...من الأحسن اقتلاع الحلفاء اللازبة خلال الفترة الممتدة بين 15 ماي و 13 من جوان وهي فترة النضوج، عند اقتلاعها، نربطها في شكل حزم، ونتركها مكومة وهي لا تزال خضراء لمدة يومين، ثم نفكها في اليوم الثالث، ونعرضها لأشعة الشمس لكي تجف، لنعاود ربطها مرة أخرى، وندخلها ثم ننقعها في الماء العذب في حالة عدم توفر ماء البحر، وهو الأفضل. تجفف بعدها تحت أشعة الشمس، نكرر عملية تبليلها مرة أخرى، ونضعها في برميل ونضيف إليها الماء الساخن، نجففها واقفة، ومن ثم تدرس من أجل صنع أشياء مختلفة، ولا تتغير خصائصها لا في المياه العذبة أو البحر [3]

عند الانتهاء من عملية تجهيز المواد النباتية تبدأ عملية تشكيل الأواني، والسلال أو الحصائر، عن طريق عقد الألياف المرنة واللينة، وفق تقنيات أشهرها تقنية المفتولة التي استعملت بسلالة تن هانكتن، التقنية الملولبة، المدعمة *، وأبسطها السلالة ذات اللفة، التي تصنع من العشب الجاف، الأسل والقش. تتمثل في لفة متصلة، ذات شكل لولبي متراص، يشدها رباط من نفس المادة، أو من اللحاء، وعند الطول المراد يركب الوعاء، انطلاقا من وسط القاع بحيث تربط كل حلقة بالتي تليها بدروز مشدودة. أما الحصائر، فتنجز من قشوش العشب على شكل لفات منبسطة، أو قصب مقطع على شكل سيور متساوية العرض وبشدها إلى بعضها البعض تشكل بساطا [4].

---

[1] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع، ص. 104.

[2] Caton, *Économie rurale*, XXXIII.

[3] Plinus, *H.N.*, XIX, 8.

* للمزيد من التفاصيل حول تقنيات صناعة السلالة يرجى العودة إلى رسالة دكتوراه نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع، ص. 110-114.

[4] نورية أكلي، المرجع السابق، ص. 89.

أهم الميادين التي اعتمدت على السلالة، القطاع الفلاحي، فقد أوصى خبراء الزراعة من أمثال كاتون « Caton » [1] و كولومال «Columelle » [2]، على ضرورة استغلال ليالي الشتاء الطويلة والممطرة، وكذا فصل الربيع [3]، وهي الفترات التي تسبق موسم الحصاد و قطف العنب في تظفير وتجهيز السلالة، التي تعتبر نشاطا ريفيا بحق [4]، وبكميات معلومة، فإذا كان الشخص مثلا يملك مائة فدان من الكروم توجب عليه أن يوفر لخدمتها جملة من المعدات* من ضمنها ثلاثة سلال كبيرة للثفل، وعامل يهتم بالسوحر من بين العدد الإجمالي للعمال المقدر بثلاثة عشرة فردا [5]، ومن نوعية النبات الذي ينمو بالمنطقة والتي يمارس فيها الفلاح نشاطه، فإذا كانت البلاد التي يعيش بها تتوفر على النخيل والحلفاء اللازبة تحتم عليه تظفير سلاله منها، أما إذا كانت الناحية التي يستقر بها تتوفر على شجيرات يتطلب منه الأمر صنع قفافه من أغصانها الطرية [6].

والسلالة المستخدمة في المجال الزراعي أو الحقلي متعددة، فمنها السلال «Corbis » ذات العمق والأبعاد الكبيرة، التي تُحفظ بها السنابل في الهواء الطلق قبل عملية درسها [7]. وسلال جني العنب بأنواعها وأحجامها المختلفة، فقد خُصص بعضها للقطف ولتجميع المحصول، وبعضها الآخر لنقله إلى المعاصر. وأبرز نماذجها تلك التي صورت بمشاهد قطاف العنب بفسيفساء شرشال (Caesarea)، فمنها المخروطية والمربعة الشكل [8]، حسب ما توضحه الصور أدناه.

[1] Caton, *Économie rurale*, XXIII.
[2] Columelle, *De l'agriculture*, II, 90.
[3] Virgile, *Bucolique*, X, 71.
[4] *Id., Ibid., op.cit.*, V , 12.
* بالإضافة إلى العربات وحيوانات الجر والمعاصر
[5] Caton, *Économie rurale*, XI.
[6] Columelle, *De l'agriculture*, II, 90.
[7] Roschach (E.), Corbis, Corbula, *D.A.G.R.*, I, 2, p. 1504.
[8] Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel*, *op.cit.*, p. 106-107 n°86 ; بلكامل البيضاوية، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الافريقي، نفس المرجع، ص. 77.



الصورة (54)

الصورة (55)



الصورة (56)

نماذج لسلال- فسيفساء شرشال

Sintes (C.), *Algérie antique*, catalogue de l'exposition de 26 avril17aout 2003 Arles, Éditions du Musée de l'Arles et de la Provence antiques, 2003, p. 131-132.

كما وجدت سلال للفاكهة [1] وسلال للزهور [2]، وسلال لأعلاف الماشية [3]، وسلال للزبالة [4]، للزبالة [4]، وفي المنحى ذاته حُبكت من الألياف النباتية المناخل والمصافي، والتي وظفت ضمن مجال الصناعة الغذائية لتصفية العسل والخمر، و هي على شكل سلال قمعية الشكل، مرتخية محبوكة بزردات كبيرة [5]. أضف إليها الغرابيل والأواني لتصفية عصير العنب [6]، هذا وقد استغل الوزال في الوزال في صنع أغطية الجرار [7]، كما نسجت من قشوش الوزال نعال تقي أقدام الثيران المصابة، حيث توضع بداخلها خلطة متكونة من الملح والخل لمداواة جروحها [8]، هذا وقد صنعت منه واقيات تناسلية للنعاج الصغيرة [9]. ولا تفوتنا الإشارة إلى العربات المصنوعة من السوحر المعروفة باسم «Sirepea » التي كانت مخصصة لنقل الزبالة وأشياء أخرى من هذا القبيل [10]. وبالمحاكات مع ذلك، تم توظيف الحصائر لغرض تنظيف وتجفيف المحاصيل الزراعية، كالزيتون مثلا قبل نقله إلى المعصرة [11].

وشغلت السلالة كذلك حيزا واسعا في مجال الاستعمال المنزلي، كأواني لحفظ وتقديم المأكولات، وكسلال لهدايا الضيافة «Xenia » تحوي زهورا أو فواكه [12]، مستشهدين في ذلك بنص لبلينوس الكبير «Plinus » أشار فيه قائلا: "يستغل السوحر في صنع القفاف والكثير من الأواني الريفية ويسمح أحد أنواعه الأكثر بياضا بعد تقشير لحائه بتشكيل مواعين بكل سهولة، يكون ثمنها مرتفع قليلا إذا ما كانت من الجلد" [13]، ومن نماذجها فسيفساء قفة الفواكه المكتشفة بفوروم جميلة المخروطية الشكل (الصفحة298

[1] Varron, *Économie rurale*, V, 139.
[2] Columelle, *De l'agriculture*, X, 110- 303.
[3] *Id., Ibid.*, VI, 3, 5 ; X, 299.
[4] Caton, *De l'agriculture*, X.
[5] *Id., Ibid.*, XI ; Columelle, *De l'agriculture*, IX, 15.
[6] Columelle, *De l'agriculture*, XI, II, 71.
[7] Caton, *De l'agriculture*, XI.
[8] Columelle, *De l'agriculture*, VI, XII, 3
[9] Varron, *Économie rurale*, 2, 2, 14.
[10] *Id., Ibid.*, V, 139.
[11] Columelle, *De l'agriculture*, XI, LII, 9, 1.
[12] البيضاوية بلكامل، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، نفس المرجع، ص 315.
[13] Plinus, *H.N.*, XVI, 67.

-الصورة رقم57)، وفسيفساء سلة العنب والتين المربعة الشكل المحفوظة بمتحف الآثار القديمة للجزائر العاصمة [1](الصفحة298 -الصوررةرقم58).

هذا ويشير نفس الكاتب السالف الذكر إلى استغلال الحلفاء اللازبة سواء من قبل المزارعين في صنع أحذيتهم أو الرعاة من أجل حياكة ملابسهم [2] واستعمل القش في ظفر ظفر قبعات الصيادين [3] (الصفحة299- الصورة رقم59)، والقصب في صنع مضلات لأصحاب الضياع الكبرى، والتي صورت إحداها بفسيفساء وادي العثمانية، أين تظهر سيدة المزرعة جالسة في حديقتها تحت ظل نخلة يمسك عبد كلبها المفضل بسلسلة، وبمضلة ليحمي سيدته من لفح الشمس [4]، هذا وقد سخرت السلالة لصنع الأفرشة كالحصائر والأثاث من أسرة وكراسي. [5]

كما استغلت السلالة في المجال التجاري، فهي من أهم وسائل التخزين ونقل البضائع، فعلى سبيل الذكر لا للحصر، كانت الجرار الكبيرة المعدة للسفر على مسافات بعيدة، تحمى من الكسر عن طريق تغليفها بالسوحر المظفور، أو بتقشيش من السلالة الملولبة [6]، الملولبة [6]، وشكل البعض الآخر من السلالة عنصرا هاما في البناء، حيث كانت تملئ الفراغات الفاصلة بين الرافدات على حسب ما جاء به فيتروف «Vitruve » بسلال من أسل المستنقعات المملوءة بالطباشير [7]. هذا ووجدت سلال للصيد البحري والبري، فقد فقد تم التعرف على أقدم نماذج النوع الأول بموقع أليبور بوادي جرات، ضمن مشهد ضم زوجان يقدر ارتفاعهما بـــ 2.25 متر، يصطادان السمك باستعمال قفاف مفتوحة دائرية الشكل، والتي يتم تثبيتها في قعر المجرى المائي من أجل حبس السمك، وقد خط الرسم

---

[1] Sintes (C.), *Algérie antique, op.cit.*, p. 123 ; p. 125.
[2] Plinus, *H.N.*, XIX, 8.
[3] Ferdi(S.), *Mosaïque des eaux en Algérie, op.cit.*, p. 100 ; p. 145.
[4] البيضاوية بلكامل، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، نفس المرجع، ص. 25.
[5] Plinus, *H.N.*, XVI, 64 ; XVI, 67 ; XVI, 70 ; XIX, 7.
[6] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع، ص. 120.
[7] Vitruve, *Les dix livres d'architecture*, V, 12.

بطريقة يكون فيها مائلا نوعا ما، مما يعطي انطباعا بأن الوادي ممتلئ وأن قدميهما في الماء.[1]



الصورة (57): سلة فواكه منحوتة على الجانب الأيمن لنقيشة كتابية – موقع جميلة، سطيف.

تصوير الطالبة



الصورة (58): سلة تين وعنب – متحف الآثار القديمة بالجزائر العاصمة.

Sintes (C.), *Algérie antique*, catalogue de l'exposition de 26 avril17aout 2003 Arles, Éditions du Musée de l'Arles et de la Provence antiques, 2003, p.126.

[1] Huard (P.), Allard (L.), Les gravures rupestres anciennes de l'Oued Djérat, *loc.cit.*, p. 191 ; p. 198.

.



الصورة (59): صياد سمك يرتدي قبعة من القش – خنشلة.

Ferdi (S.), *Mosaïques des eaux en Algérie*, Alger, Régie sud Méditerranée, 1998, p. 145.

وكان من عادة صيادي السمك نصب السلال أو الشباك على المحور الطولي الموازي للبحر في أماكن ثابتة، هادفين بذلك إلى إعاقة حركة الأسماك أثناء حركة الجزر، وتعرف هذه الشباك في بعض جهات الساحل التونسي حاليا باسم "الشرفية"، وهناك نوع آخر من قفاف الصيد يعرف باسم الدرينة، مهيأة وفق شكل يسمح بدخول السمك إليها لكنه لا يستطيع الخروج منها مرة أخرى [1]، ولم تكن تنجوا من هذه الشراك سوى أسماك أبو مصقار بسبب رشاقتها وبراعتها والتي قال أوفيديوس «Ovidius» في حقها ما يلي : " تضرب بارتدائها نحو الخلف السوحر بضربات متتالية، فتمدده وتحله لتهرب نحو المياه الآمنة". [2]

هذا وقد طالعتنا العديد من الفسيفساء المكتشفة بمختلف المواقع الجزائرية، بمناظر بحرية، تضمنت أنواعا من السلال والشباك، نذكر منها فسيفساء اكتشفت بعنابة (Hippone) تعود إلى القرن الثالث

[1] Trousset (P.), La pêche et ses techniques sur les cotes de l'Africa, *Méditerranée antique : pêche, navigation, commerce,* Paris, 1998, p. 25 ; p. 31.

[2] Ovide, *Halieutiques,* E.de Saint-Denis (trad.), Paris, les belles lettres, 1975, 30-31.

الميلادي، يظهر بها ثلاثة صيادين على متن قارب وهم يسحبون شباكهم المليئة بالأسماك، (االصورة رقم60)، وفسيفساء خميسة التي صورت بها أنواع من الشباك، حيث يشاهد أحدهم حاملا بيده اليسرى شبكة قمعية الشكل مزودة بمقبض خشبي، وبيده الأخرى مذراة ثلاثية يغرسها في جسم الأخطبوط. في حين يضع الثاني على ذراعه شبكة طويلة يتأهب لرميها في البحر العامر بالأسماك، أما الثالث فيسحب شباكه المليئة بالأسماك الكبيرة، ويعود تاريخ هذه الفسيفساء إلى القرن الثالث والرابع الميلادي (الصفحة 301-الصورة رقم61، 62)، وترجع إلى نفس الفترة فسيفساء اكتشفت بخنشلة، صور بها شخصان، أحدهما يحمل بيده صنارة وبالأخرى سلة بها سمكتين. أما الثاني فهو أكبر سنا يجلس على صخرة وبيده قصبة للصيد، وعلى رأسه قبعة من القش [1]. وبموازاة ذلك استخدمت السلالة في عملية قنص الحيوانات البرية كالفخاخ والشراك فقد أشار بلينوس الكبير« Plinus » إلى استعمال القصب من قبل صيادي الطيور [2]، أو لجمع وحمل الطرائد، ولنا في نصب أبيزار (برج منال) أحسن مثال في ذلك. [3]



الصورة (60): فسيفساء صيد السمك – عنابة.

Ferdi (S.), *Mosaïques des eaux en Algérie*, Alger, Régie sud Méditerranée, 1998, p. 138.

[1] Ferdi (S.), *Mosaïque des eaux en Algérie, op.cit.*, p. 138-141 ; p. 144-145.
[2] Plinus, *H.N.*, XVI, 66.
[3] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع، ص. 116.



الصورة (61)



الصورة (62)

نماذج لشباك صيد الأسماك – فسيفساء خميسة.

Ferdi (S.), *Mosaïques des eaux en Algérie*, Alger, Régie sud Méditerranée, 1998, p. 140-141.

نسجت من السلالة الحصائر التي كانت غرضا أساسيا في البيت، فاستغلت لفرش أرضية المنزل، ولتسقيفه، حيث كانت تبسط على العوارض المتشابكة وفي هذا المنحى يقول بلينوس الكبير «Plinus» ما يلي : " تستعمل الشعوب الشمالية القصب لتسقيف منازلها، وهذا الغماء السميك يدوم قرونا، ويوظف في بلدان أخرى في صنع أسقف جد خفيفة" [1]، هذا وقد أشار في موضع أخر إلى استخدام الموريين للأسل في تسقيف أكواخهم [2]. كما كانت الحصيرة الوسيلة المثلى لتغليف ونقل البضائع المطوية والمدروزة من الجانبين لتصير عبارة عن كيس، وإذا ماطُليت بالقار أو الزفت فإنه يمكن استخدامها لنقل المواد الغذائية القابلة للتلف، والأمر ذاته بالنسبة للقفاف [3]، كما كانت تدثر بالحصير المصنوع في الغالب من الحلفاء اللازبة أحيانا جثث الموتى، مثل ما دلت عليه المرفقات الجنائزية لمقابر عين الحمارة. [4]

[1] Plinus, *H.N.*, XVI, 64.
[2] *Id., Ibid.*, XVI ,70.
[3] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع، ص. 119.
[4] Reggasse (M), Étude sur une station ancienne du néolithique découverte à Abd el Adhim (Drand Erg Occidental), *R.S.A.C.*, 55, 1923-1924, p. 230-231.

سابعا- حرفة الحبالة

يعتبر لحاء الأشجار والنباتات الليفية المصدر الأساسي لصنع الخيوط والحبال بأنواعها، وقد قدم بلينوس الكبير« Plinus » قائمة بأنواع النباتات الصالحة لذلك، حيث يقول : "يصلح الوزال ، الحور،صغير الدردار، شجر البرتقال ذو القشرة المحمرة، السندر، القصب المقطوع، أوراق البوص، الكرمة، العليق الذي نزع منه شوكه، البندق المبروم. كل هذه المواد شادة كالخشب، بدرسها وضربها، نصنع منها حبالا جد قوية، لكن السوحر يتصدرها ككل" [1]، وقد أشار في ذات الموضوع إلى لحاء السوحر المقطع إلى سيور، والذي وُظف خصيصا لصنع الأربطة [2]. أضف إليه كذلك القنب [3]، والأسل الذي استعمل لحائه في صنع فتلات المصابيح. [4]

وتتمثل أولى خطوات صنع الخيوط والحبال في استخراج اللحاء على شكل سيور من الأغصان الفتية بواسطة أداة من العظم ذات طرف مشذوف، تخضع أحيانا للتشكيل مباشرة وأحيانا أخرى تترك على جنب حتى تجف، وقبل جدلها تغمر في الماء لعدة أيام من أجل تسهيل العمل عليها. يقوم بعدها صانع الحبال في مكان صغير مظلل وجاف بفتل الخيط في حركة أشبه ما تكون بحركة الغزل، ويثبت الخيط بواسطة عصي طويلة تنتهي بمدراة، ولصنع حبل يتطلب الأمر عدة خيوط، ويقوم بتمرير الخيوط الرفيعة الثلاث من خلال قطعة مثلثة من العظم، وبحركة دورانية تجمع الخيوط المذكورة في جديلة واحدة، وعبر الشد يتم التحكم في قوة الحبل، فالشد المرن يعطي حبلا قابلا للتمدد والذي يعتبر أحد أهم معدات السفينة، بينما ينتج عن الشد القوي حبل يصلح لربط الحملات على ظهر العربات. [5]

[1] Plinus, *H.N.*, XVI, 69 ; XXIV, 40.
[2] Plinus, *H.N.*, XVI, 67.
[3] *Id., Ibid.*, XIX, 8.
[4] *Id., Ibid.*, XVI, 70.
[5] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، نفس المرجع، ص. 96.

وفي الاتجاه نفسه أشار بلينوس الكبير «Plinus » إلى استعمال الحبال المصنوعة من القنب في مجال البناء [1]. وفي الأخير ننوه إلى ظاهرة استعمال الحبال الرفيعة منذ وقت مبكر في الاستعمال المنزلي، وذلك من خلال تعليق الأواني من صحون، جفنات،أكواب وأقداح، والتي تكون مزودة في الغالب بثقبين أو عروتين متقاربتين عند حافة الآنية أو أرجلها، والبعض الآخر من الأواني له أذن مثقوبة ولنا في أواني مقبرة قسطيل أفضل مثال عن ذلك. [2]

ثامنا- العطارة والتطبيب بالأدوية والعقاقير النباتية

لجأ الانسان منذ وقت مبكر إلى الطبيعة باحثا فيها عن أدوية تشفيه من الأمراض التي تصيبه وتحميه من خطر الحيوانات التي تقاسمه المجال الحيوي، سواء كانت هذه الأدوية من مواد حيوانية، نباتية، معدنية أو حجرية. ولما كان النبات من العناصر الحيوية في الطبيعة استغلها الأطباء والصيادلة القدامى في صناعة العقاقير النباتية لأهميتها في عملية التدواي ومعالجة المرضى. وفي هذا المقام لا يمكنني التفصيل في جميع العقاقير النباتية نظرا لكثرتها، وعليه سأنتقي بعض النماذج المتنوعة وفق نوع النبات والتي فصلتها كالتالي:

1- الأدوية المستخلصة من الأشجار البرية

1-1- البطم

يحدث لحاء وثمار أوراق شجر البطم إمساكا لدى الشخص الذي يتناولها، ومع ذلك فهو مسخن ومدر للبول، وعلاج نافع للطحال، كما يحرك شهوة الجماع. هذا وتعتبر ثماره دواء مفيد للسعال ومرض الكلى واللقوة والفالج [3]، وفي هذا المنحى لخص عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري فوائد البطم فيما يلي: " تستعمل أوراقه لصبغ الشعر وحبه يسمن الصدر ويقطع البلغم والرطوبات كسيلان اللعاب، وينفع من الطحال والاستسقا والبواسير ودهنه يحلل الإعياء وأوجاع العصب والمفاصل والفالج واللقوة والأورام واليرقان وحصر البول".[4]

---

[1] Plinus, *H.N.*, XIX, 8.
[2] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 196-197.
[3] ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج.1، ص134-135.
[4] عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري، كشف الرموز في بيان الأعشاب، الجزائر، مطبعة ديلورد بوهيم ومرنيال، 1905، ص61.

1-2- الأثل

أشاد الأطباء القدامى أمثال ديسقوريدس بالفوائد العلاجية لشجرة الأثل، والتي بقيت وصفاتها متداولة إلى غاية الفترة الوسيطية وما بعدها، ومن القرائن الدالة على ذلك مصنف ابن البيطار في الأدوية المفردة الذي أشار إلى أهمية الأثل الطبية حيث ذكر أن نقيع ثماره يدخل ضمن أخلاط تستعمل في علاج العين وضعف البصر [1]، وعن منافع حب الأثل يقول: " إذا طبخ أو نقع في الماء الحار من أول الليل إلى الصبح، وشرب ماؤه نفع من الصفرة واليرقان ولسع الرتيلا، وإذا سقي به الصبيان قواهم وقياهم ونقى معدتهم من الرطوبات الغليظة المتعفنة، وينفع من الجرب الرطب المتعفن ويحسن ألوانهم ويصير سببا في الزيادة في لحومهم" [2]. وعلاوة على ذلك يذكر صاحب كتاب كشف الرموز في بيان الأعشاب، أن شراب أصول الأثل المطبوخ جيدا في الماء والزيت مفيدة جدا لكل أنواع الأورام وبخاصة الجذام، أما إذا طبخ مع الخل فإنه يصبح علاجا ناجعا لوجع الأسنان. [3]

1-3- الصامور

استخدمت بذور شجيرة الصامور التي أطلق عليها الأفارقة اسم زورا « Zura » لعلاج لسعات العقارب، التحجرات والسعال في حين استعملت جذوره في إزالة الأورام الجلدية، ولمن يتقيؤون قيحا. كما أن شرابه مدر للبول، ويعتبر مستخلص غليه مع الخمر مفيد لامساك البطن ومحاربة سموم الأفاعي. [4]

1-4- العناب

استغلت قشاوة شجر العناب بعد غليها في الخمر كشراب لعلاج الإسهال وبعض الأمراض التي تصيب الجهاز العصبي مثل الدوار والصرع ولأغراض تجميلية كمحاربة سقوط الشعر. [5]

---

[1] ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، نفس المصدر ، ج1، ص16

[2] ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، نفس المصدر ، ج1، ص16

[3] عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري، نفس المصدر ، ص19.

[4] Plinus, *H.N.*, XXIV, 71 ; منير الحاج الطاهر، الثروة النباتية في شمال افريقيا القديم، نفس المرجع، ص230

[5] Plinus, *H.N.*, XXIV, 71 ; منير الحاج الطاهر، الثروة النباتية في شمال افريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 229
بنت النبي مقدم، الطب واستخدام النبات في بلاد المغرب القديم، أراء ودراسات في التاريخ و الآثار القديمة، أشغال الندوة المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، بوزريعة، 23-24 ديسمبر2011، ص. 161.

2- العقاقير المستخلصة من الخضار والفاكهة

2-1- الثوم

يقوي الثوم الجهاز المناعي للإنسان ما يجعله قادرا على الوقوف في وجه الأمراض التي قد تصيبه [1]، واعتبرت رائحته طاردة للأفاعي والعقارب من البيت، وكثيرا ما لجأ السكان المحليون إلى فرك أرجل أسرتهم به لتوخي شرها أثناء النوم [2]، وفيه شفاء للجروح التي تسببها هذه الحيوانات وذلك إما عن طريق إستعماله موضعيا، أو كشراب أو كطعام، ويقدم مصحوبا بالعسل للشخص الذي عضه كلب، ويساعد على التخلص من الديدان والطفيليات التي تصيب البطن وبخاصة دودة التينياء إذا ما طبخ مع الخمر. ويمكن أن يصبح مسهلا للبطن إذا ما أخذ غضا مع الكزبرة وحبة التين، ويصلح إذا ما طبخ مع الفول لتهدئة السعال وعلاج صديد الصدر، كما تستعمل عصارته الدافئة المخلوطة مع دهن الإوز في علاج آلام الأذن [3]، فضلا عن ذلك فهو مسخن ومدر للبول. [4]

2-2- البصل الأخضر

مفيد للعديد من الأمراض ويقدم عصيره للشخص الذ يبصق دما، ويعمل على ارتخاء الرحم المتشنج، كما أن المداومة على أكله ضمن وجبات الطعام ترفع درجة الخصوبة، وله فائدة للجهاز التنفسي. وعلاوة على ذلك، هو منشط جنسي وجالب للنعاس. [5]

2-3- الخيار

يمتاز الخيار بطبيعته الباردة، فهو مسهل للبطن ويلائم المعدة، وإذا شم فاقد الوعي رائحته يفيق، وتساعد أوراقه المطحونة والمخلوطة مع الخمر في الشفاء من الجروح التي تسببها عظة الكلب، وتؤدي بذوره المؤخوذة مع الخمر المخفف إلى إدرار البول من المثانة المصابة. [6]

[1] Gargilius Martialis, *Les remèdes* tirés *des légumes et des fruits*, B. Mair (trad.), Paris, Les belles lettres, 2002, XVIII.
[2] *Id., Ibid.*, XVIII ; Strabon, *Géographie*, XVII, 3,1.
[3] Gargilius Martialis, *Les remèdes* tirés *des légumes et des fruits*, XVII.
[4] منير الحاج الطاهر، المرجع السابق، ص. 231-233
[5] Gargilius Martialis, *Les remèdes* tirés *des légumes et des fruits*, XXI.
[6] *Id., Ibid.*, XVI.

2-4- الحمص

يفتت حصى الكلى والمثانة ويلين البطن، وينقي الكبد والطحال ويفتح سددها ويزيد المني إذا شرب ماء نقيعه مع شيء من العسل.[1]

2-5- الفول

قدم بلينيوس الكبير « Plinus » عددا من الوصفات الطبية التي يدخل الفول ضمن مركباتها، ومن تلك الوصفات التي تعالج السعال وتقيحات الصدر، حيث يدرس الفول ويطبخ مع الثوم، ويساعد على الشفاء من أورام الخصية والمناطق التناسلية إذا ما طبخ مع الخمر.[2]

2-6- الجزر

تتموضع فوائد الجزر في الجذر والبذور، فشراب بذره المطبوخ يقضي على الأمراض التي تصيب الكبد والطحال وآلام القطن « lombes » والكلى، وإذا طبخ مع الحليب يعالج الإسهال المزمن، ويؤدي أكله في الطعام بكميات كبيرة إلى زيادة الرغبة الجنسية، ويخفف آلام الأسنان إذا ما فركت جذوره بها.[3]

2-7- الرمان

يوصف شراب الرمان للأشخاص الذين يعانون من اضطراب في الجهاز الهضمي واللذين يصقون دما، وذلك بقطع حبات الرمان إلى نصفين ونقعها في ماء المطر لمدة ثلاث أيام، كما تستعمل براعم الرمان في علاج أوجاع العيون. هذا وينصح باستعمال مسحوق أزهار الرمان المجفف لعلاج القروح التي قد تصيب الأعضاء التناسلية [4]، وينفع طلاء حب الرمان الممزوج مع العسل في الشفاء الشفاء من الدامس وآلام الأذن.[5]

---

[1] عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري، كشف الرموز في بيان الأعشاب، نفس المصدر، ص. 65
[2] Plinus, *H.N.*, XXII, 69 ,1.
[3] Gargilius Martialis, *Les remèdes* tirés *des légumes et des fruits*, XXXIII.
[4] *Id.*, *Ibid.*, XLI.
[5] ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، نفس المصدر، ج1، ص.439

2-8- التين

يستعمل التين المسحوق المجفف ككمادات موضعية لعلاج الأورام والإنتفاخات الشديدة، ويعتبر مسهل جيد إذا ما أضيف إليه حمض النتريك أو السوسن، ويساعد شراب التين المطبوخ في الماء مع الزعتر البري على تنقية الصدر. كما أنه علاج ناجع في فتح الخراج والغدد النكفية المتنفخة والدمل وذلك بتطبيقه موضعيا فوق قطعة قماش، ويصنع منه إذا طبخ مع الحلبة مرهم صالح لعلاج اضطرابات الرحم، وينصح بتناوله رفقة الفيجن(سذاب) والعسل لعلاج الأمراض الصدرية.[1]

3- العقاقير المستخلصة من النباتات الطبية والأعشاب البرية

3-1- الزعتر

يعتبر الزعتر أحد أهم التوابل المستعملة في الطبخ بمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، ومنذ القدم استخدم في الصيدلة كمادة مطهرة ومانعة للتعفن بسبب مادة التيمول الموجودة بأوراقه، ومن خصائصه العلاجية التي ساقها الينا بلينوس الكبير« Plinus » أنه مفيد لتقوية النظر وللسعال المزمن، ومسهل للنفث إذا ما أضيف له الخل والملح، ويسهل تحلل الخثيرات الدموية مع إضافة العسل، ويخفف من الاحتقانات المزمنة التي تصيب الحلق إذا ما خلط مع الخردل وطبق موضعيا من الخارج. وهو مفيد في علاج تقرحات المعدة والبطن ولمحاربة آلام المثانة ولمعالجة الأورام والتورمات القيحية وأمراض المفاصل[2]. كما أن المداومة على أكل الزعتر في الطعام يزيل حسور النظر ويقتل الديدان المعوية، ويدر البول، ويزيل الحبوب والزوائد الفطرية إذا ما طحن وخلط مع الخل.[3]

3-2- الكمون

يعتقد حسب ما ورد عند بلينوس الكبير« Plinus » أن كمون إفريقيا يقلل تدريجيا من سلاسة البول*، ويستعمل الكمون المزروع لعلاج أمراض الكبد، والدوار، وفيه علاج للذين يعانون

---

[1]Gargilius Martialis, *Les remèdes* tirés *des légumes et des fruits*, LIII.
[2]Plinus, *H.N.*, XXII, 69 ,1.
[3]Gargilius Martialis, *Les remèdes* tirés *des légumes et des fruits*, XXXVI.
* ليس بمدر للبول كما ورد عند منير الحاج الطاهر، الثروة النباتية في شمال افريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 232.

من البول المحرق إذا أخذ مع الخمر الحلو، وهو مفيد لأمراض الرحم [1]. ويستعمل الكمون البري لعلاج لذغات الأفاعي ولعسات العقارب وأم أربعة أربعين، وتوقف قرصة منه مذابة في الخمر التقيء. [2]

3-3- الدرياس

يدخل مستخلص نبتة الدرياس المعروفة كذلك باسم التابسيا أو الينتون [3] ضمن تركيبة بعض الأدوية وهو نافع لعلاج الصلع ودحض الكدمات، ويعتبر الدرياس الإفريقي الأكثر طاقوية، لذا يعمد البعض إلى حز سيقانه أثناء الحصاد من أجل الحصول على عصارته، في حين يلجأ البعض الآخر إلى طحن أوراقه وسيقانه وجذوره ومن تم تعريضها إلى أشعة الشمس، وتقسم بعدها إلى أقراص لتصبح جاهزة للاستعمال [4]. وقد بقي صمغ الدرياس مستعملا في علاج بعض الأمراض إلى غاية الفترة الحديثة، فهو مفيد لداء الثعلبة، والأمراض الصدرية كنفت الدم، والقيح وداء الرئة، وبعض الأمراض الجلدية مثل الكنف والبرص، وكذا أمراض المفاصل كالنقرس مثلا [5]

3-4- الحلبوب

وقف الكتاب القدامى كثيرا عند بعض الخواص العلاجية لصمغ عشبة الحلبوب التي حملت اسم الفربيون في أدبياتهم، وعرف باسم آكل نفسه عند المسلمين من علماء النبات [6]. ويعد شيخ الأطباء أبو قراط العائد إلى القرن الخامس قبل الميلاد أول من تطرق لاستعمالات الفربيون المضاف لمستحضرات أخرى للحد من القيء العارض الذي ينتاب النساء أثناء الحمل [7]، كما أشاد بلينوس

[1] Plinus, *H.N.*, XX, 57, 2; منير الحاج الطاهر، المرجع السابق، ص. 237

[2] *Id.*, *Ibid.*, XX, 57, 3.

[3] البيضاوية بلكامل، نباتات المغرب الأقصى من خلال مؤلف ابن البيطار "الجامع لمفردات الأدوية والاغذية"، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ص8. http://www.amrh.ma/wp-content/Articles/BELKAMEL%20ARTICLE.pdf

[4] Plinus, *H.N.*, XII, 43, 2 بنت النبي مقدم، الطب واستخدام النبات في بلاد المغرب القديم، نفس المرجع، ص160

[5] عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري، كشف الرموز في بيان الأعشاب، نفس المصدر، ص. 46-47.

[6] ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، نفس المصدر، ج.2، ص.216.

[7] البيضاوية بلكامل، مصادر ابن البيطار في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" نبتة الفربيون نموذجا، أعمال المائدة المستديرة الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الاسلامي خلال العصر الوسيط، 18-20 دجنبر2008، الدار البيضاء، منشورات مؤسسة عبد العزيز ال سعود، 2013، ص161.

بلينوس الكبير « Plinus » بخصائص عصارته المقوية للنظر، بدليل أن الذين يشرفون على جمعه يتمتعون بنظر جيد، كما أنه علاج موضعي مضاد لسم الثعابين أينما كان موضع اللذعة، وذلك بعد حز رأسه وإدخال المسكن [1].

ومن جهة أخرى تطرق ديوسقوريدوس نقلا عن ابن البيطار إلى بعض الخصائص الطبية لعشبة الفربيون ومجالات استعمالها، وبإضافة العسل اليها والاكتحال بها يشفى من الماء العارض الذي يصيب العين، وشرابها الممزوج بالأفاويه فيه شفاء للذين يعانون عرق النسا، ومضاد للسموم. كما نقل ابن البيطار عن تلامذة جالينوس المعروفين باسم التجربيين بعض المنافع الطبية الأخرى لنبتة الفربيون بعد خلطها مع مواد كسنبينج والأشق والمقل والمسك، وهي من الأدوية المركبة الصالحة لعلاج مختلف أمراض النساء والمفاصل، ويمنع المرأة الحامل من الإجهاض. [2]

---

[1] Plinus, *H.N.*, XXV, 38, 2 منير الحاج الطاهر، الثروة النباتية في شمال افريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 231، بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص. 160

[2] ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، نفس المصدر، ج2، ص. 216 البيضاوية بلكامل، مصادر ابن البيطار في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" نبتة الفربيون نموذجا، نفس المرجع، ص. 158، ص. 160.

الفصل الخامس

النشاط التجاري

في الجزائر خلال العصور القديمة

لا أحد يستطيع أن ينكر على الجزائر سواء أكان ذلك خلال العصور القديمة أو اللاحقة، امتلاكها ثروات ساهمت في ازدهار الحضارات التي ظهرت بها من جهة، وفي صنع رخاء الشعوب التي احتكت بها والذي أدى بالبعض منها إلى احتلالها من أجل وضع يديه على خيراتها من جهة ثانية، ولن أركز في هذا الفصل كما أشرت لذلك سلفا في المقدمة، على النشاط التجاري في شقه الزراعي المتمثل في ثلاثية القمح، الزيتون والكروم، والذي شكل النسبة الكبرى من حجم المبادلات التجارية، سواء أكان ذلك خلال حكم الممالك المحلية أو أثناء فترة الاحتلال الروماني، والذي نال القسم الأوفر من الدراسة من قبل الباحثين، حيث وددت من هذا الفصل التطرق إلى نشاطات تجارية أخرى، كانت وراء شهرة المنطقة قديما، وهي الثروة الحيوانية الهائلة والغطاء النباتي من أشجار، خضروات، فواكه وأعشاب صناعية وطبية ومشتقات كل من هما. والتي شكلت أحد دعائم الاقتصاد المحلي والخارجي والتي كان لها وزنا تجاريا هائلا شهدت عليه المصادر الكلاسيكية سواء الإغريقية أو اللاتينية ودلت عليه مختلف الشواهد من نقائش ونصب تذكارية وإهدائية، لوحات الفسيفساء وبقايا الأسواق بالمواقع الأثرية.

أولا- التجارة الداخلية

1 - تجارة القوافل

اصطدمت عند معالجتي لموضوع التجارة الداخلية بقلة وشح المعلومات، سواء أكانت تلك المستقاة من المصادر الأدبية أو من حيث المادة الأثرية المكتشفة بالمنطقة، ولعل مرد ذلك راجع إلى اهتمام الكتاب القدامى بصادرات المنطقة نحو العالم الخارجي وباتجاه روما بالتحديد، ولكي تكون هناك تجارة خارجية نشيطة، لابد أن تكون هناك تجارة داخلية قوية، تعمل على نقل وتكديس مختلف السلع والبضائع التي اشتهرت بها البلاد، بالمدن والمراكز الساحلية لتكون فيما بعد مهيئة للتصدير، فلقد كنا على حسب محمد الطاهر العدواني " منطقة وسطا بين مراكز الحضارة في حوض المتوسط ومناجم الثروة في العالم القديم كله، ونعني بذلك مناجم الذهب وأوديته وسواقيه في غرب إفريقيا ...مناطق سن الفيل، العاج الثمين وفراء الأسود والفهود وجلودها بل الحيوانات بذاتها ...والتي

كانت تعتبر ولا تزال من أهم الثروات لندرتها وغرابتها، وكذا ريش النعام، النعام والطيور ذات الألوان الخلابة ..." [1]

ولعله تم إرساء قواعد التجارة بين الشمال والجنوب منذ العهود القديمة، حيث أوكلت مهمتها للقبائل التي لعبت دور الوسيط والحامي لهذه التجارة في الوقت ذاته، فقد أشار سترابون « Strabo » الذي استعان بوثائق ومصادر تسبق عصره بكثير، إلى قبائل الفاروزيين« Pharusii » وهم من الرحل الذين عاشوا بجنوب الأطلس المغربي، حيث كانوا يجتازون الصحراء حاملين قربا مملوءة بالماء مربوطة بأسفل بطون أحصنتهم، قاصدين مدينة قسنطينة(Cirta) [2]، المتصفة بأهميتها وموقعها الجغرافي الممتاز، ولعله كان يحدث في الغالب صيفا، حيث لا يُخشى فيه تقطع الطرق. وعلاوة على ذلك فهو فصل جني الغلال والمحاصيل في المناطق التلية من جهة ، ووقت شد الرحال نحو الشمال من قبل الرعاة من أجل التمون، فتُعقد الصفقات الكبرى الخاصة بالقمح، الشعير، الصوف والماشية، فيقوم بالتالي كل من المزارعين والرعاة بمشترياتهم [3]،مما يوحي بوجود شبكة مسالك كانت معروفة من قبل القبائل المحلية، سبقت بكثير شبكة الطرق التي أقامها الرومان، ولعلهم اتبعوا في إنشائها معارف هذه القبائل [4]، و هو حال عدد من المدن التي كانت بمثابة أسواق جهوية ومراكز للتبادل التجاري والعبور، كالطريق المتجه عبر حمادة الدرعة، تفيلالت، فقيق نحو منطقة وهران أو تلمسان، التي ربطتها علاقات مع بلاد السود منذ القدم. [5]

فبفضل تجارة القوافل أضحت بعض المدن سوقا إقليميا كبيرا، فقد كانت قسنطينة (Cirta)، تزود قرطاجة بالبضائع القادمة من تلك البلاد البعيدة كالعاج، الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور، النعام والفيلة [6]، التي تكفل بنقلها تجار القوافل، وعلة ذلك، جهلهم للدروب والمسالك المؤدية إلى

---

[1] محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (صور ما قبل التاريخ و فجر التاريخ)، نفس المرجع، ص. 240.

[2] Strabon, *Géographie*, XVII, 3,7 ; غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 48

[3] Gsell (S.), *H.A.A.N.,* VI, *op.cit.,* p. 79-80.

[4] Callegarin (L.), Productions et exportations en Méditerranée occidentale (Ier siècle av.-IIe siècle de n.è.), *Pallas*, 68, 2005, p. 182.

[5] Mauny (R.), Une route préhistorique à travers le Sahara Occidental, *B.I.F.A.N.,* IX, 1-4, 1947, p. 341-357.

[6] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، نفس المرجع، ص. 59.

المناطق الداخلية [1]. وبموازاة محور القوافل جنوب – شمال كان هناك محور جنوب – جنوب، يمتد من البحر الأحمر شرقا إلى غاية المحيط الأطلسي غربا، عبر واحة سيوة، أوجلة، جرما باتجاه متحندوش ثم الأكاكوس عن طريق غات، جانت، ومنها عبر الأهقار نحو الساحل الموريتاني، الساقية الحمراء ووادي الذهب. [2]

2- الأسواق

2-1-الأسواق الريفية « Nundinae »

يعتبر السوق الريفي أحد الميزات الهامة التي طبعت واقع الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان المنطقة منذ القدم، ولا زال حتى الآن، فهو جزء من ثقافة سكانها [3]، اعتمدوا عليه للقيام بالتعاملات التجارية. خاصة وأن المنطقة قد اعتمدت بصفة أساسية على ثنائية الزراعة وتربية الحيوانات، وكلاهما يحتاج إلى فضاءات أوسع والتي لا يمكن للقرى والمدن أن تستوعب أعدادها [4]، أعدادها [4]، حيث كانت تنظم في أوقات وأماكن ثابتة ومعلومة، ويُفضل أن يكون ذلك بتخوم الأراضي المشتركة بين عدد من المجموعات السياسية والإثنية أين يلتقي المسافرون، القرويون، الفلاحون، الرعاة والبدو [5]. ولقد أبقى الرومان على هذا النوع من التبادلات التجارية عند احتلالهم احتلالهم للمنطقة، والتي وجدوها متطورة ومزدهرة [6]. وهذا ما نستشفه من ذكر أبوليوس « Appulius » ، للطحان الذي كان يتوجب عليه التنقل خارج الكاستلوم « Castellum » أين كان يقيم « Civitas » من أجل شراء القمح وغيرها من المواد الغذائية، مما يدعوا إلى الاعتقاد أن هذه الأسواق لم تكن بعيدة عن أماكن العيش والإقامة [7]، حيث يمكن الذهاب والرجوع منها في

---

[1] نفس المرجع، ص. 58- 59.

[2] محمد الطاهر العدواني، الجزائرمنذ نشأة الحضارة (صور ما قبل التاريخ و فجر التاريخ)، نفس المرجع، ص. 244- 245.

[3] Ibba (A.), Traina (G.), *L'Afrique Romaine*, Paris, Bréal, 2006, p. 136.

[4] Gsell (S.), *H.A.A.N.,* VI, op.cit., p. 60.

[5] *Ibid.,* p. 60 ; Chebbi (N.), Les réalités économiques et sociales dans les métamorphoses d'Apulée, *L'Africa romana*, XXII, 2008, p. 128.

[6] Chebbi (N.), Les réalités économiques et sociales dans les métamorphoses d'Apulée, *loc.cit.*, p. 128.

[7] Chebbi (N.), Les réalités économiques et sociales dans les métamorphoses d'Apulée, *loc.cit.*, p. 128.

نفس اليوم بالنسبة للبعض [1]، في حين تستغرق رحلة التسوق أياما لدى البعض الآخر، وهذا ما استنتجته من الدراسة التي قام بها لاسير « Lassère » لنص المعجزات « Miracle » لكاتب مجهول، العائد إلى القرن الخامس الميلادي، والذي يروي حادثة إرسال رجل يدعى روستكانوس « Rusticanus » المقيم بمد العالية « Uzalis »، لإبنه برفقة أحد مساعديه إلى مكان يبعد بحوالي ثلاث مائة كيلومتر، أي إلى منطقة قسنطينة (Cirta) أو تبسة « Theveste » أو فريانة « Thelepte » من أجل شراء أربعة وأربعون خنزيرا، والذي ظن أن سوء قد أصابه فظهر له القديس اتيان« Saint Etienne » لطمأنته. [2]

وفي هذه الأسواق كانت تباع المنتجات الزراعية وماشية الجهات القريبة في عمليات صغيرة بين سكان الناحية. أما الصفقات الكبرى والهامة فتجرى بين التجار والسماسرة، ويأتيها التجار المتجولون « Nurdinarius » ، متحديين في ذلك المشاق وأخطار السفر وفي مقدمتها قطاع الطرق [3]، حيث دلت النقائش على وجودهم بسطيف « Sitifis » [4]، خربة عين السلطان(Castellum Cito Factense) [5].

وقد تفطن الملاك الكبار لنجاعة تلك الأسواق اقتصاديا فسارعوا إلى إقامتها بضياعهم « Saltus » ، شريطة الحصول على ترخيص إداري. فكان على صاحب الضيعة تقديم طلب إلى مجلس الشيوخ بروما في حالة انتماءها إلى مقاطعة سيناتورية، أما إذا كانت المقاطعة تحت حكم الإمبراطور فتقدم لهذا الأخير [6]. ويظهر ذلك بوضوح من خلال النقيشة المخلدة لتأسيس سوق تيديس « Castellu Tidditanorum » ، في عهد الإمبراطور ألكسندر سيفيروس « Alexander Severus » ، الذي رُخص له من قبل بوبليوس جوليوس جونيانوس

---

[1] Gsell (S.), *H.A.A.N.,* VI, *op.cit.,* p. 60.

[2] Lassère (J.M), Miracles et vie économique en Afrique au V^{e}s., À propos d'un troupeau de cochons de miraculis Sancti Stephani protomartyris libri duo, I,14, *L'Africa romana,* VIII, 1991, p. 306 ;p. 311.

[3] Gsell (S.), *H.A.A.N.,* VI, *op.cit.*, p. 60.

[4] *C.I.L., VIII*, 8452.

[5] *C.I.L., VIII*, 20506.

[6] Chebbi (N.), Les réalités économiques et sociales dans les métamorphoses d'Apulée, *loc.cit.*, p. 128.

مارتياليانوس «Publuis Juluis Junianus Martialianus» بصفته حاكما للمقاطعة ووكيلا للإمبراطور، على أن يقام في أيام وسط وآخر كل شهر، وهو يسبق في موعد إقامته سوق بني زياد « Nundinae Mastarenses » ، القريب منه بيوم واحد، والذي دُشن في شهر أوت من سنة 211 ميلادية [1]، كما سُمح للسيدة أونتونيا ساتورنينة «Antonia Saturnina» من إقامة سوق نصف شهري بعين مشيرة [2] ولموناتيوس فلافيانوس «Munatius Flavianus» خلال عهد بروبوس «Probus» بإقامة سوق بضيعته المتواجدة بعين الكرمة « Nundinas emadaucapenses immunes » [3]، كما وجد سوق ماكومادس (Macomades) الريفي بعين البيضاء. [4]

والظاهر أن الأسواق التي أقامها الرومان كانت نصف شهرية [5]، وفق رزنامة معينة تفاديا لأي لأي تلازم سوقين في وقت واحد، حتى لا يكون أحدهما مضرا بالآخر من جهة، وحرصا على حشد أكبر عدد من التجار والحرفيين في مكان وزمان محددين من جهة ثانية [6]، لكن هذا لا ينفي وجود أسواق موسمية، رغم ندرة المادة الأثرية حولها، إذ لا نحتكم سوى على نقيشة عثر عليها بسهول مجانة غربي سطيف (Sitifis) ، وهو سوق سنوي كان يقام تحت رعاية الإله جوبتر، الملك يوبا الثاني والإله انجيروزو غلزيم « Ingirozo glezim » وهو من الآلهة المحلية [7]. ولعل هذا السوق كان يستقطب محاصيل ومواشي سهول سطيف وما جاورها.

وقد أعفت السلطات الرومانية هذه الأسواق من الضرائب في بعض الأحيان، متبعة في ذلك قوانين قديمة احترمتها بدورها [8]، كما وجدت أسواق ريفية متخصصة في عرض منتوج أو سلعة معينة كسوق الحمير والأحصنة المعروف باسم مركاتوم« Marcatum » . [1]

---

[1] Leschi (L.), Inscription du Castellum Tidditanorum, *R.S.A.C,* 65, 1942, p. 157-159.
[2] *C.I.L., VIII*, 8280; Gsell (S.), *A.A.A., op.cit.*, f. 17 n° 386.
[3] Gsell (S.), *A.A.A.,* op.cit., f. 17 n° 384.
[4] *Id., Ibid.,* f. 28 n° 3.
[5] Gsell (S.), *H.A.A.N.,* VI, op.cit., p. 60.
[6] Ibba (A.), Traina (G.)*, L'Afrique Romaine, op.cit.,* p. 136.
[7] *C.I.L., VIII*, 20627.
[8] Ibba (A.), Traina (G.)*, L'Afrique Romaine,* op.cit., p. 136.

ولقد عمد الرومان على مراقبة الأشخاص المترددين على الأسواق الريفية، أسعار السلع المعروضة بها، وكذا درجة أمانة التجار بها. فهذه الجموع الغير متجانسة والمتنوعة والقادمة من مناطق مختلفة، شكلت قلقا دائما لهم، مما تتطلب احتياطات ويقظة دائمين [2]، فالسوق لم يكن مجرد مساحة للبيع والشراء، وإنما مكان لمعرفة وتلقي الأخبار الصحيحة والكاذبة وللتشاور من أجل تدبير مؤامرة، تمرد أوثورة [3]، فها هو أحد الأساقفة الدوناتيين الذي بحث في الأسواق سنة 347 ميلادية عن الدوارين « Circumcelliones » بغية تجدينهم ضد ممثلي الإمبراطور. [4]

2-2 أسواق المدينة « Mocellae »

تعتبر الساحة العمومية« Forum » بالمدينة الرومانية مركز مختلف النشاطات وعصب الحياة السياسية، الاقتصادية والاجتماعية وبها تمارس عمليات البيع والشراء اليومية وتُعقد بها الصفقات التجارية الكبرى، وأقيمت بها الورشات الحرفية والمحلات، ولم تشب المدن الجزائرية القديمة عن هذه القاعدة، سواء أكانت تلك التي تأثرت أو بنيت على النمط الروماني، ولنا في شرشال (Caesarea) عاصمة يوبا الثاني ومقاطعة موريطانيا القيصرية سنة 42 ميلادية، مثال حي عن ذلك، فقد أبانت التنقيبات عن وجود خبازين بدليل العثور على قوالب الحلوى، وجزارة بقر وخنازير حسب ما دلت عليه العظام المكتشفة. [5]

إلا أنه بسبب النمو الديموغرافي للمدن وزيادة متطلبات السكان وتزايد الأنشطة، لم تعد الساحة العمومية تتسع للأعداد المتزايدة للباعة والمتسوقين، وأصبحت الأعمال التجارية البحثة محل إزعاج، مما تطلب تخصيص أماكن لممارسة النشاط التجاري ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد، وهو ما عرف بسوق المدينة« Macellum » ، وهو عبارة عن مساحة ذات أقواس تنفتح عليها محلات الحرفيين والتجار [6]، كسوق تيمقاد « Thamugadi » الذي به ثلاثة عشر محلا [1]، الواقع على

[1] Chebbi (N.), Les réalités économiques et sociales dans les métamorphoses d'Apulée, *loc.cit*, p. 128-129.
[2] *Id., Ibid.,* p. 128.
[3] Gsell (S.), *H.A.A.N.,* VI, *op.cit.*, p. 60.
[4] Optat de Mileve, *Traité contre les Donatistes,* III, 4, 2.
[5] Benseddik (N.), Potter (T.W.), Fouilles du forum de Cherchel 1977-1981, *B.A.A*, 6[eme] supplément, p. 401-402.
[6] Ibba (A.), Traina (G.), *L'Afrique Romaine, op.cit.,* p. 136.

حافة طريق الديكومانوس، هذا ويُمكن أن يكون السوق متصلا بالساحة العموميـة « Forum » ، ولنا في سوق جميلة « Cuicul » ، المقام سنة 365 ميلادية خير مثال [2]. و لم يكن إنشـاء الأسـواق منوطا بالسلطات الرومانية فحسب، بل كان بإمكان الخواص إقامـة هـذا النـوع مـن المبـاني تخليـدا لذكراهم، حيث بُني سوق تيمقاد « Thamugadi » بفضل تبرعات ماركوس بلوتيوس فاوستوس « Marcus Plotius Faustus » ، المعروف باسم سرتيوس« Sertius » وهو من طبقة الفرسان وزوجتـه كورنليـا فالونتينـا توكسـيانا « Cornelia Valentina Tucciana » اللـذان حفـرت أسمائهما ونقشت صورهما بكل أرجاء السوق، سواء بمدخله أو بداخلـه [3]، وسـوق مدينـة سـور الغزلا ن « Auzia » ، الذي شيد سنة 230 ميلادية، بأموال أوفيدوس فيكتورينوس « Aufidus Victorinus » ويوفنتيوس كاروس « Iuventius karus» . [4]

كما كانت هناك أسواق تقع بالمدن متخصصة في المتاجرة بالسلعة واحدة، كالأقمشة التـــــي كـــــان لهـا ســـــوق بتيمقــاد « Forum Vestiarium » [5]، وسـوق بجميلـة « Basilica Vestiaria » [6] (الصفحة 312- الصورة رقم 63).

3 -شبكة الطرقات

3 -1-المساحلة*

لا نعرف الكثير عن هذا النوع من الطرق التجارية، لكن الأكيد أن سكان المنطقة قد مارسـوها منذ العهود المبكرة، حيث لعبت المرافـئ والمراكـز السـاحلية الـتي أصـبحت مـدنا، دورا أساسـيا في

---

[1] Gsell (S.), *Les Monuments antiques de l'Algérie,* 1, 2e éd, Ain dafla, Dar Alif, 2011, p. 199-201 ; Cagnat (R.), *Carthage, Timgad et Tébessa, villes antiques de l'Afrique du Nord,* Paris, Librairie Leonard et H. Laurens, 1909, p. 102 ; Ibba (A.), Traina (G.), *L'Afrique Romaine, op.cit.,* p. 136.
[2] Gsell (S.), *Les Monuments antiques de l'Algérie,* 1, *op.cit.,* p. 125.
[3] Cagnat (R.), *Carthage, Timgad et Tébessa, villes antiques de l'Afrique du Nord, op.cit.,* p. 100.
[4] *C.I.L., VIII,* 9062 ; *C.I.L., VIII,* 9063.
[5] Gsell (S.), *Les Monuments antiques de l'Algérie,* 1, op.cit., p. 201 ; Cagnat (R.), *Carthage, Timgad et Tébessa, villes antiques de l'Afrique du Nord, op.cit.,* p. 102 ; Ibba (A.), Traina (G.), *L'Afrique Romaine, op.cit.,* p.132 ; p. 136.
[6] Gsell (S.), *Les Monuments antiques de l'Algérie,* 1, *op.cit.,* p.125 ; Ibba (A.), Traina (G.), *L'Afrique Romaine, op.cit.,* p.132 ; p. 136 ; محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، نفس المرجع، ص .218.
* ملاحة السواحل والإبحار بين مرفأين في بحر واحد

تصريف إنتاج المدن الداخلية محليا اعتمادا على المساحلة، فقد كانت هناك علاقات إقليمية بين بجاية (Saldae) وشرشال(Iol) وبين هذه الأخيرة وقوراية (Gunugu) ، وبين شرشال وطنجة [1]، كما كان لميناء الجزائر (Icosium) ، تيبازة (Tipasa) و بطيوة(Portus Magnus) نشاطا جهويا. [2]

2-3- الطرق البرية

دعمت شبكة الطرق التي أقامها الرومان لأهداف عسكرية والمقدر طولها بألفين كيلومتر بكامل شمال إفريقيا التجارة الداخلية، حيث بث فيها حيوية ونشاطا زائدين، عما كانت عليه من قبل. وسمح وجود هذه الشبكة القوية عند ملتقى طرق كبرى جهوية بتجميع وإعادة التوزيع نحو المدن الساحلية [3]، وتحولت بعض المدن إلى أسواق إقليمية كبيرة يعتمد بقاؤها ونماؤها على حجم المبادلات التجارية، نذكر منها، بطيوة (Portus Magnus) ، التي ربطتها بمدن المنطقة خمسة طرق، اثنان ساحليان باتجاه سيدي بلعطار(Quiza) والمرسى الكبير(Portus Divini) غربا، وتصلها الطرق الثلاثة الباقية بمدن داخلية، الأول بعين تموشنت(Albulae) ، الثاني بأغبال(Regiae) والثالث بسيق(Tassaccura) [4] . كما كانت مدينة سيدي بلعطار (Quiza)، مركزا اقتصاديا لسهل ي الشلف، وهي توجد على الطريق الساحلي الرابط بين سيدي بوراس (Arsenaria)شمالا وبطيوة (Portus Magnus)جنوبا. [5]

---

[1] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، نفس المرجع، ص .219.

[2] Callegarin (L.), Productions et exportations africaines en Méditerranée occidentale (Ier siècle av.-IIe siècle de n. è.), *loc.cit*, p. 184.

[3] *Id., Ibid.,* p. 182.

[4] ستي صندوق، دراسة تنميطية للمصابيح المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة، نفس المرجع، ص.23.

[5] ستي صندوق، دراسة تنميطية للمصابيح المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة، نفس المرجع، ص. 42.



الصورة (63): سوق الأقمشة- جميلة، سطيف.

تصويـــر الباحثة.

أما مدينة تيكلات (Tubusuctu)، فكان يتم فيها هي الأخرى تجميع مختلف منتوجات المنطقـة تهيئا لإرسالها إلى بجاية (Saldae) [1]، في حين كانت سكيكدة (Rusicada) تقوم بتصـريف إنتـاج قسنطينة(Cirta)، لمباز و تيمقاد (Thamugadi) [2]. هذا وقد احتفظـت كـل مـن قالمـة (Calama) وتبسة (Theveste) بمكانتهما كأكبر سوق للمواشي [3]. ويمكن القول أنه على طول الحدود الجنوبية، وتحت أعين الفرق العسكرية المرابطة بالقلاع والحصون، كانت هناك اتصالات بين القبائل الخاضـعة

[1] Ibba (A.), Traina (G.), *L'Afrique Romaine, op.cit.*, p. 136.

[2] Callegarin (L.), Productions et exportations africaines en Méditerranée occidentale (Ier siècle av.-IIe siècle de n. è.), *loc.cit.*, p. 184.

[3] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، نفس المرجع، ص. 136.

والخارجة عن السلطة الرومانية عابرة للحدود مع قطعانها بحثا عن المراعي من جهة و بيع منتوجاتها من جهة أخرى، إلى جانب التجار العابرين للصحراء الراغبين في بيع منتوجات القارة السمراء بمقاطعة نوميديا وموريطانيا القيصرية. [1]

4- تعريفة زراي الجمركية

اكتشفت نقيشة زراي (Zarai) ، بالقرب من ممر جبلي على الحدود بين مقاطعتي نوميديا وموريطانيا القيصرية، على مستوى الطريق الرابط بين نقاوس وسطيف والمؤرخة بسنة 202 ميلادية [2] ، تظهر بها التعريفة الجمركية المفروضة على السلع من أجل السماح لها بالعبور بين المقاطعتين، فقد أتت هذه الوثيقة الأثرية على ذكر العبيد، الخيول، البغال، الحمير، الثيران، الخنازير، النعاج، الماعز، متبوعة بالملابس المتمثلة في العباءات، الأنسجة الأرجوانية، الجلود المدبوغة، وغير المدبوغة، تليها المنتوجات الفلاحية كالنبيذ، التين، التمر، البندق، وحتى الراتنج (مادة صبغية لزجة تفرزها بعض النباتات لاسيما الصنوبر)، القطران، الإسفنج، والغاروم ومن الملاحظات التي يمكن إبدائها على النقيشة، غياب ذكر الحبوب وزيت الزيتون، رغم وفرتها بالمنطقة، ولعل ذلك راجع لعلة نقص النقيشة وتلف جزء منها، كما يُسجل عدم تطرقها للدواجن والطيور عقب ذكر المواشي، والذي يُفهم من ورائه أنها كانت معفية من الضرائب. هذا وقد جاء على رأس القائمة ذكر العبيد الذين كان يُؤتى بهم من وراء الليمس الروماني، أي من إفريقيا السوداء. [3]

ومن المفترض أن هذه النقطة " الجمركية"، كانت مطالبة بمراقبة المبادلات التجارية المتجهة من الهضاب العليا ولما لا من الصحراء، باتجاه التل سالكتا محور جنوب- شمال، حيث نستبعد في ذلك محور شرق - غرب، إذ ليست هناك فائدة من قطع مسافة تتراوح مابين 400 و 500 كيلومتر، من أجل جلب سلع، هي في حقيقة الأمر متوفرة بعين المكان، ويمكن الحصول عليها دون مشقة وتكون

---

[1] Ibba (A.), Traina (G.), *L'Afrique Romaine, op.cit.,* p. 137.
[2] Morizot (P.), Les échanges commerciaux entre la cote méditerranéenne et à l'intérieur du Maghreb au IIe siècle vu au travers du tarif Zaria, *loc.cit.*, p. 159.
[3] Morizot (P.), Les échanges commerciaux entre la cote méditerranéenne et à l'intérieur du Maghreb au IIe siècle vu au travers du tarif Zaria, *loc.cit.,* p. 160.

بالتالي تكلفتها أرخص [1]. واليكم مايلي مجمل ما جاء في نقيشة زراي(الصفحة 212- الصورة رقم64).

التعريفة حسب الرأس

عبد	ديناريوس ونصف
حصان- فرسة	ديناريوس ونصف
بغلة- بغل	ديناريوس ونصف
حمار- ثور	نصف ديناريوس
خنزير	واحد سيسترس
خنوص(صغير الخنزير)	نصف سيسترس
كبش-عنزة	واحد سيسترس
جدي- حمل	نصف سيسترس
المواشي الصغيرة الموجهة للسوق	معفاة

تعريفة الملابس المستوردة

غطاء المائدة	ديناريوس ونصف
معطف مصبوغ	ديناريوس ونصف
غطاء	نصف ديناريوس
لباس ذو اللون الأرجواني	ديناريوس

[11] Morizot (P.), Les échanges commerciaux entre la cote méditerranéenne et à l'intérieur du Maghreb au IIe siècle vu au travers du tarif Zaria, *loc.cit.,* p. 163.

ملابس إفريقية بالرزمة الواحدة	نصف ديناريوس
تعريفة الجلود	
جلد مدبوغ	نصف ديناريوس
جلد خام	نصف سيسترس
جلد خام للمعزة أو الكبش	نصف سيسترس
رحل؟ أو جلد طري، بالمائة؟	
جلود خام بالمائة	نصف ديناريوس
صمغ، بالعشرة	نصف سيسترس
اسفنج، بالعشرة	نصف سيسترس
تعريفة القطعان الكبيرة والدواب	معفاة
بقية السلع حسب القطعة	
أمفورة الخمر، أمفورة الغاروم	واحد سيسترس
تمور، بمائة ليرة	نصف ديناريوس
تين، بمائة ليرة	نصف ديناريوس
فاتاس [1]، صاع.	؟
عشر جوزات، صاع، عشر راتنج	؟
قطران، شب، ليرة	؟
حديد	؟

[1] منتوج شبيه بالجوز لم يتم التعرف عليه

الصورة (64): نقيشة زراي الجمركية.

Morizot (P.), Les échanges commerciaux entre la cote mediterranéenne et à l'intérieur du Maghreb au IIe siecle vu au travers du tarif Zaria, *actes du colloque de bastia, 2003, Paris, CTH.S, 2009,* p.169.

ثانيا- التجارة الخارجية

1- التجارة خلال العهد الفينيقي – القرطاجي

شكلت التجارة السبب الرئيسي والدافع الأساسي لتوسع الفينيقيين بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، بما فيها منطقة شمال إفريقيا القديم منذ الألف الثانية قبل الميلاد ، مدفوعين بحدس التاجر الباحث دوما عن الأرباح والراغب في توسيع دائرة نشاطاته التجارية، وبالبحث الدائم عن المواد الخام، والتي تمثلت في الحيوانات المفترسة، جلودها وعاجها، السمك المجفف، الملح، وتبر الذهب، الخشب والمعادن من جهة وتصريف سلعهم المصنفة في خانة الكماليات، كالفخار، الزجاج المزخرف والصباغة الأرجوانية من جهة ثانية، إذ يقول في هذا الصدد سالوستيوس" كان همهم الوحيد (الفينيقيين) هو الربح التجاري، والحصول على المواد الخام، ومن أجل ذلك أسسوا على شواطئ البحر كلا من عنابة(Hippone) ، سوسة(Hadrumetum) ولبدة (Leptis Magna) ومدنا أخرى". [1]

وقد أطلق محمد الصغير غانم على بدايات اتصال الفينيقيين بسكان المنطقة من الليبيين اسم " مرحلة الارتياد الباكرة"، والتي كانت قصد التبادل التجاري الذي كان يتم عن طريق المقايضة وهو ما اصطلح على تسميته باسم " المساومة الخرساء"، والتي أورد هيرودتس« Hérodots » كيفيتها والتي اتخذت شكلا سلميا [2]. نتج عنه خلق ثقة واحترام متبادل بين الطرفين، والذي تُوج بإقامة عدة محطات تجارية، كان يلتقي فيها السكان المحليون بالفينيقيين، إلا أن الآثار العائدة إلى هذه الفترة قليلة جدا، إن لم نقل منعدمة بالجزائر نتيجة عدم استقرارهم وترددهم في البقاء بالمنطقة، وقد دام هذا الحال إلى غاية نهاية القرن التاسع قبل الميلاد(814 ق.م) وهو تاريخ تأسيس مدينة قرطاجة، لتبدأ مرحلة جديدة في العلاقات الفينيقية – الليبية والتي اصطلح على نعتها باسم "مرحلة الإستطان" [3]،

---

[1] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، نفس المرجع، ص. 65.
[2] Hérodote, *Histoire*, IV, 196
[3] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، نفس المرجع، ص. 67-76.

حيث رُحب بهم من طرف سكان المنطقة، وذلك لما أظهروه من مسالمة وود اتجاههم وهو نادر ما يحكم العلاقات بين الشعوب والأقوام الوافدة وأخرى أصيلة – محلية، والتي توجت بدفع ضريبة مالية سنوية لليبيين عربونا عن الصداقة والذي دام إلى غاية القرن الخامس قبل الميلاد. [1]

أما بالنسبة للمحطات والموانئ البونية العائدة إلى هذه الفترة ، فهي عديدة بالجزائر، ولا يمكن القول بأنها محطات بونية صرفة لم تكن مراكز موجودة من قبل، إذ كشفت التنقيبات التي أجريت بالعديد من هذه المواقع على ارتباطها بالتاريخ والحضارة البونية بنفس قدر ارتباطها بالممالك المحلية [2]، أي مملكتي الماسيل والماسيسيل، وكانت مراكز تجمع وعبور مختلف السلع سواء المحلية أو المستوردة ، فقد كشف الباحث فيلمو « Vuillemot» ، الذي أولى اهتماما كبيرا للمراكز البونية المنتشرة بالغرب الجزائري بالبحث والتنقيب. على أن أقدم تواجد للبونيين في الجزائر كان بجزيرة رشقون (Portus Sigenses)، العائد إلى القرن السابع قبل الميلاد [3]، وتاكمبريت (Siga) التي ذكرت من طرف سكيلاكس(Scylax) كواحدة من أهم المحطات القرطاجية ببلاد المغرب القديم [4]، كما تعود بداية الاحتكاك البوني بسكان الأندلسيات (Castra Puerorum) إلى القرن السادس قبل الميلاد، حيث عثر بالقبور الأربعة لجبل لندلاس على مرمدات تشبه تلك المكتشفة بقرطاجة، والتي أوردها كينتاس «Cintas» ضمن فهرسه الخاص بالفخار البوني [5]، كما اكتشفت بالطبقة الأرضية العميقة للموقع في المكان المعروف باسم " حجازي ميلود" (مينجيونات Mingeonnet سابقا) شقف أمفورات وجرار يرجع تاريخها إلى هذا القرن والتي يُفترض حسب فيلمو « Vuillemot » ، أنها تعود لأقدم تجمع سكني بالموقع الذي امتدت مساحته وزاد عدد سكانه وأصبح مدينة مزدهرة خلال القرن الثالث والأول قبل الميلاد، أي خلال حكم الملك

---

[1] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، نفس المرجع، ص. 33.
[2] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص.207.
[3] Vuillemot (G.), Siga et son port fluvial, *Ant.Afr,* 5, 1971, p. 57.
[4] *Périple de Scylax,* Paris, De Fortia, 1845, p. 367 ; ستي صندوق، دراسة تنميطية للمصابيح المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة، نفس المرجع، ص. 40.
[5] Cintas (P.), *Céramique Punique*, Paris, Klinkseich, 1950, p. 33 n°233 ; ستي صندوق، المرجع السابق،ص.19-18.

صفاكس، فرمينا وبخوس الأول [1]، هذا ويعتبر خليج أرزيو أحد المحطات الأساسية التي لا يمكن تجاهلها على الطريق الذي يقودهم إلى مدن شبه الجزيرة الإيبرية، فقد عثر ببطيوة (Portus Magnus) ، على مقبرة بونية تعود إلى نفس الفترة السالفة الذكر، ونضيف إلى قائمة المحطات والموانئ التي امتزج فيها البونيون بالسكان المحليون من أجل تعاطي التجارة، كل من سيدي بلعطار(Quiza) [2]، تنس (Cartennae) ، قوراية (Gunugu)، شرشال (Iol) ، تيبازة (Tipasa)، التي تعود البقايا المادية المعثور عليها إلى القرن السادس قبل الميلاد، خليج الجزائر (Icosuim)، دلس، بجاية (Saldae)، جيجل (Igilgili)، سكيكدة (Rusicada)، وعنابة (Hippo Rigius). [3]

وبحلول القرن الخامس قبل الميلاد، اتخذ شكل علاقات التجارية البونية – الليبية منحا آخر، بعد أن تزعمت قرطاجة موانئ ومحطات غرب المتوسط، واحتكرت التجارة مع مناطقه وشعوبه، بحيث لم تسمح للقوى الصاعدة وعلى رأسهما الإغريق والرومان بالمتاجرة مع شعوب شمال إفريقيا القديم مباشرة، حيث لعبت في هذه العملية دور الوسيط التجاري، فكانت هي من يتكفل بتوزيع مختلف السلع المتعامل فيها، ولإبعاد هؤلاء المنافسين عن مناطق نفوذها، وبصفتها أكبر قوة في المنطقة، عملت على تنظيم المعاملات التجارية بواسطة إبرام معاهدات تضمن لها بعض المزايا وتمنح لها الأفضلية. [4]

وفي هذا الإطار، نشير إلى المعاهدتين اللتين أبرمتهما مع روما، حيث كانت أولهما سنة 509 قبل الميلاد وهو تاريخ قيام الجمهورية بروما والثانية سنة 348 قبل الميلاد، ملزمة الرومان بعدم ممارسة التجارة مع شمال إفريقيا القديم مباشرة، كما حُضر على الرومان تأسيس مدن بها ، وقد دام هذا الاحتكار إلى غاية نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، إذ عقب انهزام قرطاجة في الحرب البونية الثانية،

---

[1] Vuillemot (G.), *Reconnaissances aux échelles Puniques d'Oranie, op.cit.,* p. 246 ; p. 315 ; p. 317.

[2] ستي صندوق، المرجع السابق، ص. 22.

[3] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، نفس المرجع، ص.97-89.

[4] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط نفس المرجع، ص. 108، المملكة النوميدية والحضارة البونية، نفس المرجع، ص. 30، سيرتا النوميدية النشأة والتطور، نفس المرجع، ص. 191.

وتقييدها بمعاهدة 201 قبل الميلاد والتي كان من بنودها عدم عقد أية معاهدة أو شن حرب دون إذن روما.[1]

2 – التجارة خلال عهد الممالك البربرية

تخلصت نوميديا بموجب معاهدة سنة 201 قبل الميلاد من قبضة قرطاجة السياسية والاقتصادية، وأصبح بإمكانها إجراء معاملات تجارية مع أقطاب التجارة في المتوسط دون وساطة ورقابة قرطاجة.

2-1- العلاقات التجارية مع شبه الجزيرة الإيبيرية

يعود تاريخ العلاقات التجارية بين شبه الجزيرة الإيبيرية ونوميديا إلى ماقبل القرن الرابع قبل الميلاد، فقد زودتها قسنطينة (Cirta) وكل منطقة الهضاب ببيض النعام، الذي يعتقد أن جزء منه تم زخرفته محليا قبل تصديره، وقد فضلت المدن الإيبرو- فينيقية الحصول عليه خاما، لتتم عملية زخرفته حسب الذوق المحلي للسكان، ولعل ما أنجز في المدن الإفريقية لا يختلف عن ذلك كثيرا [2]، كما صدر إليها العاج الذي كان يعتقد أنه كان تجارة رائجة بين المنطقتين منذ الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد [3]، والظاهر أن موانئ الجهة الغربية وعلى رأسها الأندلسيات (Castra Puerorum) وبطيوة (Portus Magnus)، قد كان لهما دورا كبيرا في عملية تنشيط الحراك التجاري بين ضفتي نوميديا وجنوب شبه الجزيرة الإيبيرية، مما انعكس بالإيجاب على هاتين المنطقتين من حيث النمو والازدهار، بدليل العثور بالموقع الأول السالف الذكر، على سبعة مراسي من الرصاص لسفن غارقة بجانب فخاريات تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد [4]، كما عثر على أواني فخارية مماثلة بالموقع

[1] Polybe, *Histoire,* III, 22, 11,13 ; محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، نفس المرجع، ص.85.

[2] Charène(Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec l'Espagne pendant le Haut Empire ; note préliminaire, *loc.cit.,* p. 1414 ; غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 208.

[3] *Id., Ibid.,* p. 1414.

[4] Vuillemot (V.), Jas d'ancres antiques aux Andalouses, *B.S.G.A.O.,* 79, 1956, p. 19 ; *Id., Reconnaissances aux échelles Puniques d'Oranie, op.cit.,* p.177-213 ; p. 249 ; p. 254-259 ; p. 298-299 ; p. 306-307 ; Camps (G.), Andalouse, *E.B.,* 5, 1988, p. 640 ; ستي صندوق، دراسة نمطية للمصابيح المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة، نفس المرجع، ص. 19.

الثاني، حيث شكلت المنتوجات الفخارية أهم الواردات الإيبيرية نحو المنطقة [1]، ولقد استمر هذا النشاط التجاري إلى ما بعد الاحتلال الروماني للمنطقتين، حيث كان تنقل الأفراد من ضفة إلى أخرى أمرا اعتياديا، فقد استقر التجار الإسبان في أهم المراكز التجارية كسكيكدة، قسنطينة، عنابة، ووهران. [2]

كما بلغ في المقابل مد التجار النوميديين مدينة تراجون (Tarragone) ، الواقعة بجنوب برشلونة، مريدة (Merida) بالجنوب الغربي لمدريد، بالإضافة إلى مالقا (Malca) التي كانت أكثر مدينة ذات صلات وعلاقات بالمنطقة [3]، والتي عرفت فيما بعد باسم " سوق النوميديين " كدليل على ترددهم الدائم عليها من أجل التمون [4]، وقد تمثلت أهم صادرات نوميديا نحو شبه الجزيرة الإيبيرية في الأحصنة التي اشتهرت بقوتها وجلدها في الحروب، العاج، الأخشاب الثمينة والصباغة الأرجوانية والتي كانت تتم عبر الموانئ الجهوية للمملكة كتاكمبريت (Siga) وبطيوة (Portus Magnus) والمرسى الكبير(Portus Divini) . [5]

2-2- العلاقات التجارية مع العالم الإغريقي

لم يتسنى للنوميديين قبل القرن الثالث قبل الميلاد التعرف والتعامل مع الإغريق، بسبب سياسة الاحتكار وغلق الأبواب التي مارستها قرطاجة في وجه التجار الأجانب، فرغم العثور على دلائل أثرية إغريقية الأصل بالمنطقة، يعود تاريخ بعضها إلى القرن السادس قبل الميلاد، كالتي اكتشفت بالخنق شمال قسنطينة (Cirta) والمتمثلة في الفخاريات، الأدوات البرونزية [6] والقطع النقدية التي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد. [7]

---

[1] Vincent (M.M.), Vase Ibérique du cimetière Est de Portus Magnus, *Libyca ar-ep*, I, 1953, p. 15, p. 20 ; Vuillemot (G.), *Reconnaissances aux échelles Puniques d'Oranie, op.cit.,* p. 20.
ستي صندوق، المرجع السابق، ص. 22.
[2] Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec l'Espagne pendant le Haut Empire ; note préliminaire, *loc.cit*., p .1415.
[3] *Id., Ibid.,* p. 1415; Gsell (S.), *H.A.A.N., VI, op.cit.,* p. 80-81.
[4] Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec l'Espagne pendant le Haut Empire ; note préliminaire, *loc.cit*., p .1415.
[5] *Id., Ibid.,* p. 1415; p.1418.
[6] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit*, IV, p. 152-155; p. 161-163.
[7] Hinglais (V.), Catalogue du musée archéologique de Constantine, *R.S.A.C.*, 38, 1904, p. 207 n° 3800-3801 ; p. 208 n° 2806 ; p. 209 n° 3808-3809.

إلا أن هـذا الوضـع تغـير بـاعتلاء ماسينيسـا عـرش نوميـديا وتقـويض سـلطة قرطاجـة بالمنطقـة، والـذي عمـد إلى تنويـع علاقاتـه التجاريـة شـرقا وغربـا، حتـى لا يكـون رهـن قـوة معينـة، فتعامـل مـع المصـريين، السـوريين، الإيطـاليين، القرطـاجيين والإغريـق [1]، والـذي تضـاعف واسـتمر مـع أبنائـه حيـث يقـول في هـذا الصـدد غابريـال كـامبس « Camps » " تعتبر فترة حكمه انفتـاح بـلاد البربـر علـى التـأثيرات الإغريقيـة، لـيس فقـط في المـدن السـاحلية ولكـن حتـى في المـدن الداخليـة، الـتي اتخـذها الملـك وأفصـاله عواصـم أيضـا" [2]، ولقـد ربـط ماسينيسا علاقات تجاريـة مـع أهـم ثلاثـة مـدن إغريقيـة، حيـث كانـت أولهـا وأهمهـا تلـك الـتي ربطتـه بتجـار مدينـة رودس (Rodes) الـذين حققـوا أرباحـا معتـبرة، لدرجـة أن أحـدهم أقـام تمثـالا للملـك، يعـود تاريخـه إلى الفـترة الممتـدة مـابين سـنة 180و 160 قبـل المـيلاد، عرفانـا منـه لإحدى الصفقات المربحة التي عقـدها معـه [3] وثانيهـا مدينـة أثينـا حيـث نصـب تـاجر آخـر تمثـالا تمثالا لماسينيسـا مـن الرخـام بجزيـرة ديلـوس (Delos) ، اقتـداء بالتـاجر الرودسـي والـذي نقـش على لوح الإهـداء المقـدم منـه جملـة، يتبـاهى فيهـا بصـداقته للملـك، وبحسـن تحدثـه مـع التجـار الإغريـق الـذين حلـوا بالمملكـة مـن أجـل شـراء قـردة المـاقو (الشـديمات) [4] ، وثالثهـا مدينـة ديلـوس (Delos) ، ولم يكتفـي ماسينيسـا بإقامـة علاقـات مـع الإغريـق بـل اسـتقدمهم إلى عاصـمة المملكـة، حيـث يشـير سـترابون(Strabo) إلى وجـود جاليـة إغريقيـة مقيمـة بهـا علـى عهـد الملـك ماكيبسـا [5]، ضـمت التجـار إلى جانـب الموسـيقيين، الأطبـاء والمفكـرين [6]، و والمفكـرين [6]، و قـد تمثلـت الصـادرات النوميديـة في العـاج، خشـب التويـا، الـذي كـان يجبـذه الإغريـق لصـنع الأثـاث، وكـذا الأحصـنة البربريـة الـتي كانـت تملـك صـمعة لا نظـير لهـا في

---

[1] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص . 239، محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية النشأة والتطور، نفس المرجع، ص .191.

[2] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص .239.

[3] نفس المرجع ، ص . 239، محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية النشأة والتطور، نفس المرجع، ص .191.

[4] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* III, p. 307 ;VI, p. 81 ; غابريال كامبس، المرجع السابق، ص. 240، ص. 244.

[5] Strabon, *Géographie,* XVII, 3, 13.

[6] Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique*, XXXIV, Polybe, *Histoire,* XXXVI, 16, 7-8 ; غابريال كامبس، المرجع السابق ،ص. 244.

كامل حوض البحر الأبيض المتوسط [1]، بدليل فوز خيول مستنبعل في السباق الذي نُظم بأثينا سنة 168-163 قبل الميلاد، إلى جانب الحيوانات المتوحشة كالأسود والقردة [2].

2-3- العلاقات التجارية مع روما

توطدت العلاقات النوميدية –الرومانية بشكل كبير خلال عهد الملك ماسينيسا حليفهم في الحرب البونية الثانية والتي استمرت مع أبنائه وأحفاده، حيث لم يقتصر على الشق السياسي والعسكري بل امتد إلى الجانب الاقتصادي، حيث كثرت المبادلات التجارية بينهما، بعدما استطاع ماسينيسا استرجاع معظم المدن والموانئ الساحلية بعد عملية توحيد نوميديا وحملاته التوسعية ضد قرطاجة والتي أضحت منافذه على البحر الأبيض المتوسط كشرشال (Iol) والقل (Chollo) وسكيكدة (Rusicada) وعنابة (Hippone)، هذه الأخيرة التي تعتبر منفذا عاما لمنتوجات قسنطينة (Cirta)وما حولها. [3]

كما فتح الملوك النوميديون منذ عهد ماسينيسا وماكيبسا المجال النوميدي للتجار، رجال الأعمال والسماسرة الأجانب على رأسهم الإيطاليين والرومان، الذين استقروا بعدد من المدن كتالة، باجا (Vaga) وقسنطينة (Cirta)، فكانت بمثابة وكالات تجارية لمنتوجات تلك النواحي [4]، وبهذه الأخيرة وقفت الجالية الإيطالية في وجه يوغرطة إلى جانب أذربعل عند محاصرته للمدينة سنة 112 قبل الميلاد، فكان مصيرهم التقتيل [5]، ومدينة زاما (Zama) على أيام يوبا الأول التي كان يسكنها مواطنون رومان. [6]

---

[1] Tite Live, *Histoire Romaine,* XXXI, 19, 4 ; XXXII, 27, 2 ; XXXVI, 4, 8 ; XLII, 62.

[2] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص. 240، محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية النشأة والتطور، نفس المرجع، ص .191، ص. 196-197.

[3] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، نفس المرجع، ص. 130 ; Callegarin (L.), Productions et exportations africaines en Méditerranée occidentale (Ier siècle av.-IIe siècle de n. è.), *loc.cit*, p. 183-184.

[4] Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec Rome, notes préliminaires, *loc.cit.,* p. 974 ; محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية النشأة والتطور، نفس المرجع، ص. 193.

[5] Salluste, *Bell.Jug*., XX.

[6] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 82.

والظاهر أن الملوك النوميديين هم من كان يعقد الصفقات التجارية الكبرى، ولا يتوانون عن التبرع بجزء من الحبوب والحيوانات خاصة كعربون صداقة وتحالف [1]، وقد تمثلت الصادرات النوميدية من الحيوانات في الخيول، الفيلة، الحيوانات المتوحشة التي استغلت للترفيه، الصوف، الجلود، العاج، العسل والأخشاب، منها خشب التويا والبلوط الأخضر، المستخدمين في صناعة الأثاث، وخشب الأرز المستعمل في البنايات العامة والتحف العاجية. [2]

وعليه امتلكت نوميديا على عهد ماسينيسا أسطولا حربيا يحمي تجارتها، وينقل سلعها إلى أرجاء المتوسط، هذا ما نستشفه من ذكر تيتوس ليفيوس« Titus Livius » لعملية تكفل ماسينسا بنقل هبة مقدارها ألف فارس إلى مقدونيا لحساب الجيش الروماني [3]، كما روى الخطيب شيشرون« Cicéron » لنا قصة قائد أسطول هذا الأخير الذي رسا بمالطا للاستراحة واستغل فرصة وجوده بها من أجل الاستيلاء على أنياب فيل ضخمة كانت تزين معبد جونون « Junon » ، والتي قدمها كهدية لماسينيسا، لكن فور علمه بمصدرها أمر على وجه السرعة تجهيز سفينة خماسية لإرجاعها إلى وطنها الأم. [4]

3- التجارة أثناء العهد الروماني

لم تنعم الممالك المحلية بالاستقلال الاقتصادي طويلا، فقد حل الاحتكار الروماني لخيراتها محل الاحتكار القرطاجي، فقلت المبادلات التجارية للمنطقة مع جهات البحر الأبيض المتوسط، وأصبح كل ما يتم من تبادل وتسويق يأخذ طريقه نحو المتروبول وذلك تحت رقابة الإدارة الرومانية، واتخذت العلاقة بينهما شكل مُحتل بمحتله [5]، وأضحى بإمكان روما التزود بمختلف الحيوانات

---

[1] [1] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI,., p. 83 ; Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec Rome, notes préliminaires, *loc.cit.,* p. 974.

[2] Martial, *Epigrammes*, IX,23 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* V, p. 170-171;VI, p. 83

محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، نفس المرجع، ص. 132-130، محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، بحوث ودراسات، نفس المرجع، ص. 57.

[3] Tite Live, *Histoire Romaine*, XXXI, 19, 4.

[4] Cicéron, *Contre verrès,* II, 4,46 ; غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 239.

[5] Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec Rome, notes préliminaires, *loc.cit.,* p. 967.

سواء المتوحش أو المستأنس منها وبكميات كبيرة، وذلك ابتداء من القرن الأول قبل الميلاد، رغم أن منطقة شرق المتوسط كانت إحدى المناطق التي مونت روما بهذه السلعة، إلا أن بعد المسافة بين المنطقتين وحدوث الاضطرابات من حين لآخر، صعب من عملية تصديرها بطريقة دائمة ومستمرة، لهذا تعاظم اعتماد الأباطرة الرومان منذ بداية العهد الإمبراطوري على الحيوانات الإفريقية التي كانت تعتبر بالنسبة إليهم بمثابة حديقة خلفية بسبب قرب المسافة بينهما من جهة وحيازتها وتوفرها على مختلف الحيوانات الشرس والغريب منها من جهة ثانية [1]، وذلك بغرض عرضها بحدائق الأثرياء والأباطرة وتموين حلبات المدرجات « Amphitaetres » والمسارح.

و يعتبر قنص الحيوان وحجزه، الحلقة الأولى في هذا النوع من التجارة والذي أفاضت المصادر في وصفه، وصورته العديد من لوحات الفسيفساء، لتتم فيما بعد عملية نقلها إلى الموانئ والتي تكون إما في أقفاص، تصنع وفق حجم الحيوان ودرجة عدوانيته وخطورته أو مسالمته، ، كما كانت هناك الأقفاص المزودة بطعم أو بها فخ (رامج) المستعملة في صيد الحيوان ، هي التي ينقل فيها الحيوان خلال رحلته إلى روما، و قد صورت هذه الأقفاص بفسيفساء الصيد الكبير المكتشفة ببيازا أرميرنا« Piazza armerina » وفسيفساء اسغونيوس (Isgunius) المعثور عليه بعنابة (Hippone) ، ويعود تاريخها إلى القرن الثالث والرابع ميلادي، وهي فترة جد متأخرة نوعا ما، إلا أنها تعطينا فكرة واضحة عن كيفية استعمالها وصنعها، والتي لم تكن لتختلف كثيرا عما كانت عليه في القرون الماضية [2]، فالفسيفساء الأخيرة السالفة الذكر، يظهر قفص وسط دائرة محددة بحبل، وتظهر على أحد جهات الصندوق، المسامير و السنادات الداعمة له، و يمكن رؤيته بوضوح، اللوح المتحرك الذي بإمكانه السقوط على طول واجهته، أما الطعم فهو في الغالب عبارة عن أغنام ، والتي تأخذ مكانها خلف الصندوق، والذي يكون مزودا بعجلات [3]، لتنقل على عربات تجرها الثيران،

محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، نفس المرجع، ص .146.

[1] Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *M.E.F.R.A.*, 99, 1987, p. 213 ; p. 219.

[2] Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 215-216 ; p. 233.

[3] *Id., Ibid.,* p. 216.

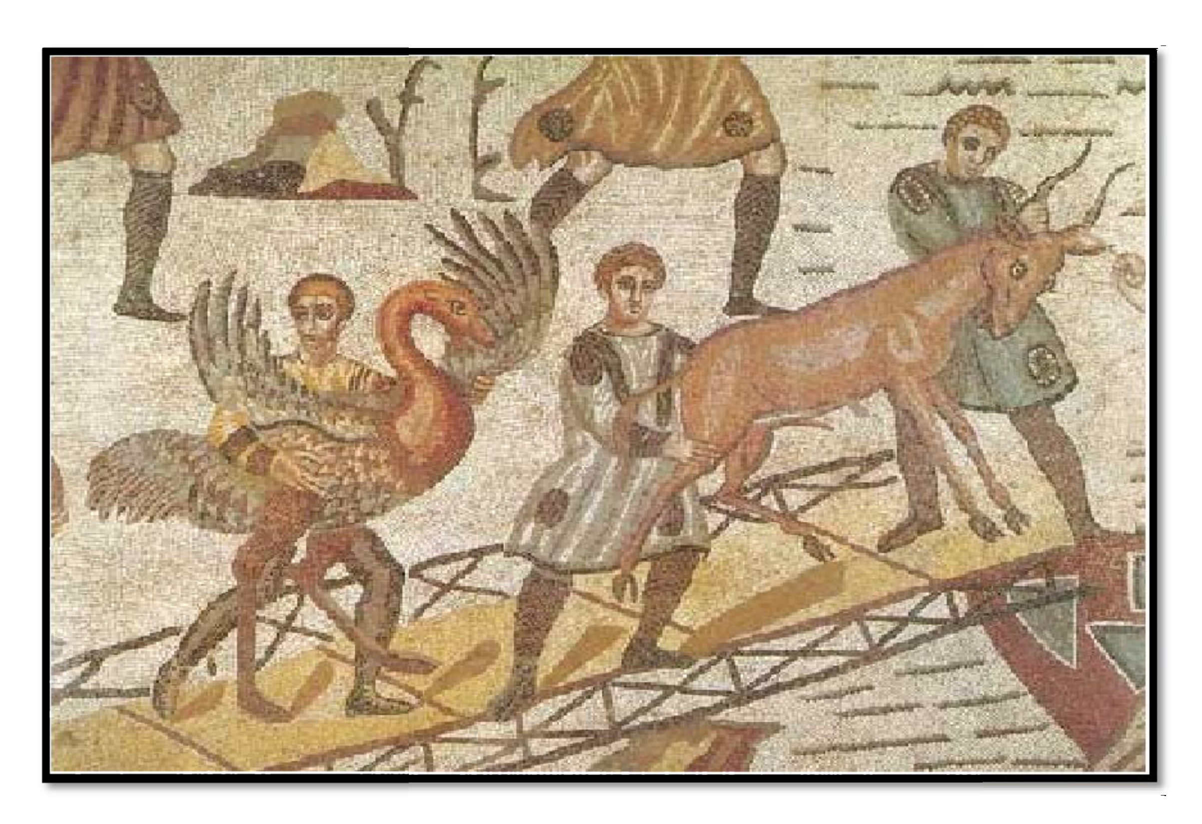
كما هو الأمر بفسيفساء عنابة (Hippone)، أو البغال [1] ، أو على ظهور الرجال بواسطة عصي توضع على أكتاف رجلين أو أربعة رجال، كما تنقل بعض الحيوانات كالخنازير البرية في الشراك الذي أمسكت فيها، ومن ثم تقتاد إلى رصيف الميناء تأهبا لرفعها على ظهر السفينة [2]، ولابد من الاشارة هنا أن الرومان كانوا يفرقون أثناء نقل الحيوانات بين العاشبة « Ferae Herbaticae » واللاحمة« Ferae Libycae » أو« Besticae Africanae » .

يتطلب تحميل و إنزال الحيوانات من السفن جملة من احترازات واحتياطات تتعلق بمدى خطورته، حجمه ووزنه، فمثلا شحن النعام، الغزلان، الثيران والفيلة لا يتطلب أقفاصا، لذا يُكتف بتقييده أو تشكيله* أحيانا أو تركه حرا لتسهيل عملية سحبه أحيانا أخرى (الصفحة 329-الصورة رقم65)، ولنا في فسيفساء في (Vei) ، العائدة إلى القرن الثاني ميلادي، مثال حي عن عملية نقل فيل إفريقي على متن سفينة، حيث نراه يمشي فوق جسر خشبي صغير يقوم أربعة آخرون بسحبه نحو الأمام. ولم يكن نقل الحيوانات بالشيء الهين دائما، إذا ما تعلق الأمر بالحيوانات الضخمة كالفيلة، خاصة إذا ما كانت المسافة الرابطة بين الرصيف والسفينة كبيرة، مما قد يربكها ويخيفها، لهذا اهتدى الناقلون إلى حيلة تفضل بلينوس الكبير« Plinus » بذكرها إذ يقول: "جلبت الفيلة عن طريق البحر، وعندما كانت تجبر على النزول، يصيبها الذعر، من طول الجسر الذي يفصلها عن الرصيف لذا كان عليها السير نحو الخلف حتى لا ترى المسافة المتوجب قطعها". [3]

أما الطيور على شاكلة النعام فكانت تحمل من قبل الرجال، وكإجراء احترازي كانت تنقل الوحوش الكبيرة كالأسود والنمور من كوثل (مؤخرة السفينة) السفينة، ويتم تفريغها من جؤجئها(مقدمة السفينة)، وقد وصف لنا كلوديانوس وضعيتها داخل السفينة قائلا: "دوى كُلاب حيوانات ليبيا في المركب، كنس الأسد كوثلها بذيله ولمس برأسه جؤجئها، بحمولته وحده أثقل

[1] Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.ci.,* p.220.
[2] *Id., Ibid.,* p. 220.
* حبل تشد به قوائم الدواب ومفرده شكال
[3] Pline, *H.N.,* VIII, 3 ; Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 221 ; p. 233.

وخفض سرعتها" [1]، وكانت تلك السفن المحملة بالحيوانات ومختلف السلع ترسو بداية الأمر في ميناء بوزول (Pouzzouls) قبل أن يصبح ميناء أوستيا (Ostia) منذ عهد الإمبراطور هادريانوس« Hadrianus » الميناء الرئيسي لروما الذي حُولت إليه مجمل النشاطات التجارية [2]، لتوجه في غالبيتها للمدرجات لكي تصنع الفرجة، حيث يكون وصولها متزامنا مع تاريخ الألعاب المقررة، فلا يكون يفصلها عنه سوى أيام قلائل [3]. كما كان الأغنياء يقتنون جزء منها لحدائقهم المتواجدة بنواحي مدينة روما [4]، فكانت أول حديقة حيوانات قد أقامها فولفيوس ليبينوس « Fulvius Lipinus » متبوعا بلوسيوس لوكوس « Lucius Lucullus » وك.هورتونسيوس « Hortensius» . [5]



الصورة (65): مشهد شحن ظبي و نعامة – فسيفساء بيازا أرمرينة، صقلية.
www. printest.com

---

[1] Claudien, *Éloge de sitilichon,* III, 325-327.
[2] محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، نفس المرجع، ص.140.
[3] Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 222 ; p. 223.
[4] *Id., Ibid.,* p. 222.
[5] Pline, *H.N.,* VIII, 211.

وفي هذا المقام لا يفوتنا أن نشير إلى امتلاك بعض الأباطرة حدائق حيوانات، ونخص هنا بالذكر، الإمبراطور نيرون « Niro» [1]، ورغم أن النسبة الكبرى من هذه الحيوانات المتوحشة، كان يُجز بها إلى المدرجات والحدائق، نجد أن قسما منها وجه للاستهلاك مثل الخنزير، الطيور، الحمار الوحشي والغزال الذي كان لحمه محبوبا ومطلوبا من قبل الرومان، العاج لصنع الحلي والكماليات الفاخرة، ذبل السلحفاة لتزيين الأثاث، وبيض النعام لصنع الأطباق والصحون، كما أستغل ريشها لتزيين القبعات وعباءات القادة العسكريين وكذا لحمها وفرو النمور والفهود [2].

واليكم جدول إحصائي لبعض الحيوانات المصدرة نحو روما حسب ما أشارت إليه المصادر.

اسم الإمبراطور	فترة حكمه	الحيوانات الإفريقية المصدرة في عهده والمعروضة بالمدرجات والمسارح	المصـــدر
كاليغولا	41-37	400 وحش إفريقي، لعلها نمور [3] 500 حيوان إفريقي.	Dion Cassius, *Histoire Romaine,* LIX, 7, 1 ; LIX, 11, 3.
كلاوديوس	54-41	300حيوان إفريقي، لعلها النمور؟	Dion Cassius, *Histoire Romaine,* LX, 7, 3.
تيتوس	81-79	9 ألاف حيوان مابين مفترس و أليف	Dion Cassius, *Histoire Romaine,* LXVI, 25.
تراجانوس	117-98	ما بين ألف و عشرة آلاف مابين متوحش و أليف	Dion Cassius, *Histoire Romaine,* LXVIII, 15.

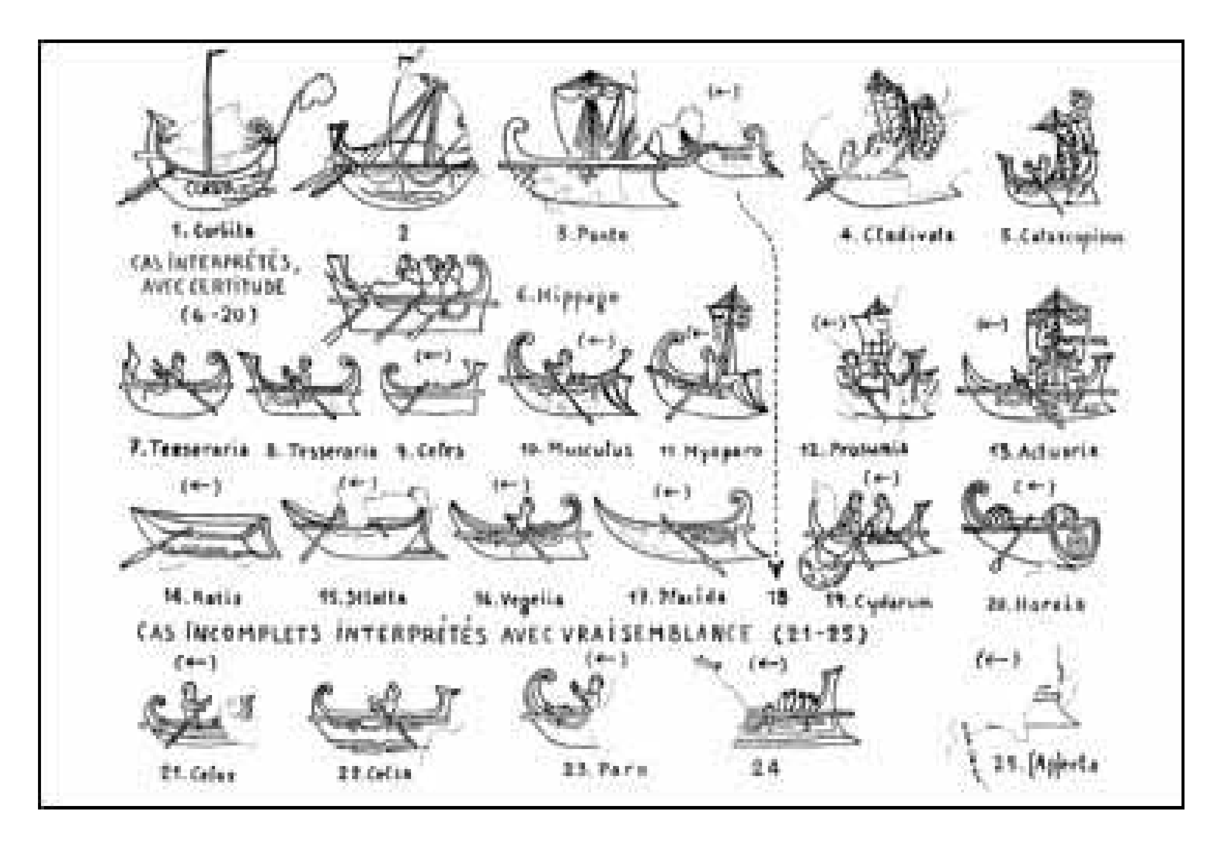
[1] Suétone, *Vies des douze Césars,* Neron, 31

[2] Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec Rome, notes préliminaires, *loc.cit.,* p. 980.

[3] Camps (G.), Africanae, *E.B.*, II, 1985, p. 218, يعتبر غابريال كامبس أن ما كان يقصد بعبارة أفريكاني هي النمور أنظر

هادريانوس	138–117	1000 حيــوان متــوحش – 100 أسد، 100 لبؤة 1000	S.H.A, *Vie d'Hadrien*, VIII, 2 ; XIX, 2-37 ; Dion Cassius, *Histoire Romaine*, LXIX, 8.
أنطونينوس التقي	161–138	فيلـة، ضـياع، نمـور، وحيـد القرن، تماسيح، أفراس النهـر –100 أسد	.H.A, *Vie d'Antonin le Pieux*, X, 9.
كومودوس	192–180	حيوانات متوحشة	Aurelius Victor, *Livre de César*, XVII, 6.
قورديانوس الأول	238	وحــوش ليبيــة، ألــف دب، 100نعامة، 30 حمارا وحشيا، 50 خنزيرا بريا	S.H.A, *Vie Gordien I*, III, 5 ,8.
قورديـــــانوس الثالث	244–238	30 فيلا، 60 أسدا مروضـا، 30 نمــرا ، 10 ضـــباع، 10 أســود غــير مروضــة، 10 زرفات، 20 حمارا وحشيا	S.H.A, *Gordien III,* XXX, 3.
قاليانوس	268–253	100 ثـور، 200 نعجـة، 10 فيلـة، 200حيـوان متـوحش مروض	S.H.A, *Galien,* VIII
أوريليوس	275–270	20 فيلا ـ وحوش ليبية	S.H.A, *Aurélien*, XXXIII.
بروبوس	282–276	1000 نعامـة، 1000 أيــل، ألــف خنزيــر، ألــف نعجــة متوحشــة، حيوانــات عاشــبة (دون تحديد عــددها)،1000 أســد، 100 نمــر، 100 لبــؤة و300 دب.	S.H.A, *Probus,* XIX, 5-7.
كارينوس	285–283	أرانب برية، خنـازير، ثـيران، دببة، أفراس نهر	Calpurnius, *Églogues*, 57 ; S.H.A, *Carinus*, XIX ; XXII, 2.
هونوريوس	423–395	وحوش ليبية	Claudien, *De sex consul*, *Honorius*, 618.

أما بخصوص السفن المخول لها بنقل الحيوانات، فإننا لا نحتكم سوى على لوحات الفسيفساء التي أظهرت أنواعا مختلفة من السفن، أشهرها فسيفساء مداينة (Altabrius) بتونس العائدة إلى القرن الثالث الميلادي (الصفحة 332- الصورة رقم66)، التي ظهرت بها سفينة الإباقو« Hippago » المتخصصة في نقل الأحصنة، وهي تتميز بقعر مسطح ومربع بدون صالب*، تنتهي بجؤجؤ عريض مقعر على شكل مزراب، أما كوثلها فمعقوف، هيكلها مطلي بالبني الفاتح، جانبيها مدعومين بعارضين أفقيين ، يتجاوزان مقدمة ومؤخرة السفينة، ذات حبال مربوطة نحو الخارج لا تملك سارية أو دفة [1]. وهذا من الأحسن لنا أن نضن أنهم استعملوا في عملية تصديرها مختلف أنواع السفن ، ذات الأشرعة والمراكب ذات المجاديف، موكلين مهمة الاعتناء بها طيلة مدة رحلتها إلى المعتوقين والعبيد. [2]



الصورة (66): نماذج سفن، من بينها سفينة الإباقو – فسيفساء مداينة، تونس.

http://www2.rgzm.de//Navis/Musea/ostia/homenage.

* عارضة رئيسية تمتد على طول السفينة

[1] Martin (A.), Hippagogi, *D.A.G.R.*, III, V.1, p. 185.

[2] Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 233.

نادرا ما تتحدث المصادر عن المؤسسات والوسطاء والعملاء « Negotiatores » الذين تكفلوا بمهمة نقل الحيوانات إلى ميناء بوزول « Pouzzouls » وأوستيا « Ostia » وهي شبه منعدمة فيما يتعلق بمقاطعة نوميديا وموريطانيا القيصرية، ورغم كل هذا فلعل غالبية مؤسسات النقل التي أصطلح على تسميتها باسم نفيكولاري « Navicularii » ، كانت بأيدي تجار أفارقة، يمتلكون مقرات بالموانئ الكبرى كعنابة (Hippone)، ووكلائهم بمكاتب أوستيا (Ostia) [1]، كعائلة أوفيدي « Aufidii » ، التي كانت تحوز على أملاك واسعة خلال العهد الإمبراطوري بالمنطقة (Thaburba Maius) ، وعنابة(Hippone)، وامتلكوا مساحات واسعة كبيرة لزراعة القمح وإمكانيات لنقلها إلى إيطاليا، ولما لا تخزينها بميناء أوستيا (Ostia) [2]، فهذه المنشآت المخصصة لتصدير القمح وتموين جهاز الأنونة، كانت توظف من قبل الناقلين والتجار المتعهدين بعملية نقل الحيوانات خارج أوقات الحصاد للحصول على مداخيل إضافية [3].

وقد أُعفي نفيكولاري « Navicularii » منذ عهدالإمبراطور سبتميوس سيفيروس « Septimius Severus » من أعباء البلدية المستوجب عليهم الوفاء بها لمدنهم استنادا إلى الثروة أو المولد، كما تم إعفائهم من عوائد الميناء المفروضة على البضائع التي يحملونها للمتاجرة فيها لحسابهم الخاص، زيادة على هذا، أن وضعهم في مرتبة الفرسان حماهم من عقوبات البلدية، وذلك كله نظير تعهدهم القيام بالأنشطة المتعلقة بنقل الغلال « Annona » ، حيث أعتبر تزويد روما بالمواد الغذائية الأساسية واجبا عاما يجب الإيفاء به. [4]

[1] Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 227 ; p. 229 ; p. 223 ; Deniaux (E.), L'importation d'animaux d'Afrique à l'époque Républicaine et les relations de clientèle, *loc.cit.,* p. 1306.

[2] Deniaux (E.), L'importation d'animaux d'Afrique à l'époque Républicaine et les relations de clientèle, *loc.cit.,* p. 1306-1307.

[3] Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 227 ; p. 229 ; p. 223.

[4] ب.ه ورمنقتن، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة عبد الحفيظ فضيل الميار، طرابلس، منشورات جامعة الفاتح ، 1994، ص. 98-99.

لم يقتصر تموين مقاطعة نوميديا وموريطانيا القيصرية لروما على الحيوانات التوحشة، رغم أنها نالت القسط الوافر من حيث الذكر في المصادر والتصوير بالأيقونات والفسيفساء، بل صدرت إليها الأليفة كذلك، وفي مقدمتها الأحصنة التي نالت شهرة عظيمة منذ عهد الممالك المحلية، سواء في مجال العسكري أو المنافسات الرياضية، محققة انتصارات لا مثيل لها في السباقات التي شاركت فيها، حيث نستشهد في ذلك بنقيشة اكتشفت بروما ورد فيها أن كرسكانس « Crenscens » موري، أشهر سائق عربة في عهد الإمبراطور نيرفا « Nerva » ، قد حصل على الجائزة الأولى 47 مرة وعلى الجائزة الثانية 130 مرة وعلى الجائزة الثالثة 111 مرة وربح خلالها مبلغا قدره مليون ونصف سسترس. [1]

هذا ولجأت السلطات الرومانية أمام حاجتها إلى توزيع اللحم على العامة، ونظرا لقلته في إيطاليا، إلى عملية استراد الثيران من نوميديا وموريطانيا القيصرية منذ القرن الثاني الميلادي وكذا الخراف لاستغلال جلودها [2]، والدجاج النوميدي أو الإفريقي، الذي كان يباع بأثمان باهظة بسبب ندرته [3]، والذي أعتبر في ذلك الوقت آخر إبداعات فن الطبخ المقدم في القصور [4]، و قد تحدث فارون « Varron » ، حول طريقة تربية الدجاج النوميدي قائلا:" يربى على شاكلة الطاووس والدجاج البري، وهو لا يلد في الأسر، ويكون إطعامه بملئه حتى يصبح جديرا بالظهور في ولائم البذخ والترف". [5]

كما صدرت نحو روما لها المنتوجات الحيوانية كالصوف، الجلود، والعاج [6]، والخشب الذي كان كان يجلب من غابات موريطانيا القيصرية [7]، مثل خشب العفص المستخدم في صنع الأثاث، إلى

[1] Lecoq (A.), *Le commerce de l'Afrique Romaine*, Oran, L. Fougue, 1912, p. 120.
[2] Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec Rome, notes préliminaires, *loc.cit.,* p. 979
[3] Lecoq (A.), *Le commerce de l'Afrique Romaine*, *op.cit.,* p. 484.
[4] Pline, *H.N.,* VIII, 24.
[5] Varron, *Économie rurale*, VIII, XIII.
[6] Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec Rome, notes préliminaires, *loc.cit.,* p. 980.
[7] Lucain, Pharsale, IX, 430.

جانب خشب شجرة البلوط والأرز [1]، وبما أن إستجلاب هذه السلع وغيرها من المقاطعات إلى روما، كان يتحكم فيه رجال الأعمال والتجار الكبار الذين يلجئون للمضاربة ورفع أسعارها، فقد اضطر الإمبراطور دقلديانوس سنة 301 ميلادية إلى اصدار مرسوم تنظيمي، يحدد فيه الحد الأقصى لأسعار السلع المتوجب احترامها عند القيام بالتعاملات التجارية في كامل أرجاء الإمبراطورية الرومانية ككل، والتي كان من ضمنها المشتقات الحيوانية، الحيوانات الإفريقية والخشب كما هو مبين بالجدول التالي المستخلص من مرسوم دقلديانوس. [2]

اسم السلعة	الكمية	
جلد ثور خام النوعية الأولى	--	500 ديناريوس
نفسه، مدبوغ- من أجل نعال و أحذية	--	750 ديناريوس
جلد خام، النوعية الثانية	--	300 ديناريوس
جلد مدبوغ، النوعية الثانية	--	400 ديناريوس
خشب التنوب أو الصنوبر	50ذراعا* طولا على أربعة أذرع مربعة	50.000 ديناريوس
خشب شجرة البلوط	14 ذراعا طولا على 68 بوصة** مربعة	250 ديناريوس
خشب الدردار	14 ذراعا طولا على 48 بوصة مربعة	250 ديناريوس

[1] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، نفس المرجع، ص. 209.

[2] Chastagnol (A.), *Le Bas-Empire*, Paris, Armand Colin, 1991, p. 186-187, 189.

* واحد ذراع يساوي 0.413 متر

** االبوصة الواحدة تساوي 0.018 مت

حيوانات إفريقيا، الأسد، النوعية الأولى	واحد	150.000 ديناريوس
الأسد النوعية الثانية	واحد	125.000 ديناريوس
اللبؤة، النوعية الأولى	واحد	120.000 ديناريوس
اللبؤة، النوعية الثانية	واحد	100.000 ديناريوس
الفهد، النوعية الثانية	واحد	70.000 ديناريوس
الدب، النوعية الأولى	واحد	6.000 ديناريوس
الدب، النوعية الثانية	واحد	2.000 ديناريوس

الفصل السادس

رمزية الحيوانات والنباتات وتوظيفهما الديني والسياسي والعسكري في الجزائر خلال العصور القديمة

أولا- مكانة الحيوانات والنباتات في المعتقدات المحلية

1- تقديس الحيوانات

تعتبر ظاهرة تقديس الحيوانات ميزة اتصفت بها كل المجتمعات القديمة حيث رُسمت لها الجداريات وأقيمت لها التماثيل، وصرح بها الكتاب القدامى الإغريق واللاتينيين على حد السواء. وتمثل بذلك رسوم الفن الصخري المنتشرة بالجزائر من أقدم الوثائق التي تشهد على حقيقة هذه الظاهرة، والتي تباينت واختلفت اجتهادات الباحثين حول مدلولها، خاصة إذا كانت مصحوبة بأشكال وإضافات يصعب فهمها وتفسيرها، والذي كثيرا ما تأثر بالمدارس والمشارب الفكرية والثقافية لهؤلاء الباحثين، الذين حاولوا فهم طبيعة الحياة العقائدية لسكان منطقة في فترة ما قبل التاريخ في ظل ندرة المعلومات المستقاة من المصادر الأدبية. ومن المؤكد أن إنسان تلك الفترة قد اختار الحيوانات التي ترمز إلى القوة والتوالد في الطبيعة مثل الكبش، الثور، الأسد [1].

1-1- الكبش

نال الكبش الحظ الأوفر من الدراسة من قبل الباحثين الذين حاولوا فهم الرسوم الصخرية التي ظهر فيها مقرونا بشكل دائري أو كروي يعلو قمة رأسه وهو المعروف اصطلاحا لديهم بالكبش ذو الهالة أو الكبش المتوج « Bélier à sphéroïde » ، هذا النوع كان مثار عدة فرضيات طرحت على بساط البحث، فعلى سبيل التساؤل هل تمثل تلك الكباش آلهة بلغت أقصى درجات التقديس حتى تقام من أجلها الطقوس والمعابد وتوجه إليها الأذكار وتقدم لها العطايا؟ وإن كان الأمر كذلك فهل هذه العبادة أصيلة بالمنطقة أم وافدة عليها. أم هي مجرد قرابين يتقدم بها المتعبدون من أجل استرضاء الآلهة، أم أنها متصلة بعبادة دينية أخرى كانت منتشرة بالمنطقة ولم يتم تعرف عليها حتى الآن؟ وإلى ما ترمز تلك الزينة التي تتوج رأسه؟ ولكن ما هو أكيد أن كل هذه الاحتمالات واردة ولا يمكن ترجيح إحداها عن الأخرى في ظل واقع الأبحاث الراهنة [2]، والتي سيتم استعراضها ومناقشتها في حينها.

---

[1] عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية،2002، ص. 151.
[2] لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع ص. 280-281.

قبل الخوض في تلك الفرضيات، من الضروري تقديم وصف موجز للكبش المتوج. فلقد سمحت المعاينة الدقيقة لعديد الرسوم الصخرية التي ظهر بها، من تحديد نوع الكبش المصور عليها، حيث أجمع الباحثون على انتمائه إلى نوع من الغنيمات المدجنة ذات الشعر القصير المعروف اصطلاحا باسم « Ovis Longipes » المنقرض حاليا من بلاد المغرب وشمال الصحراء، والذي لا يزال منتشرا بمنطقة الساحل من موريتانيا إلى غاية التشاد، وهي من السلالات المرباة من طرف الطوارق بأقصى الجنوب الجزائري والمالي والنيجر.

كما أنها تحمل الكثير من الملامح الشبيهة والمشتركة مع كباش الأطلس الصحراوي، ويكون في الغالب عبارة عن فحل جميل المنظر أو نعجة بدرجة أقل، تعلو قمة رأسه كرة أو قلنسوة دائرية الشكل من الجلد، خفيفة حتى لا تزعج الحيوان، مزودة برباطين من المادة نفسها يعقدان أسفل رقبته. وفي مجمل الحالات، تحمل زوائد عبارة عن ريش وفروع نباتية خفيفة رقيقة من الدرين والحلفاء أو أغصان الوزال أو ورق زهرة السوسن أو نبات سيف الغراب كما هو ملاحظ برسم كبش قلموز البيوض، يُضاف إلى رقبته حلية تتمثل في عقد كبير الحجم يمتد إلى غاية كتفيه ويسقط على أسفل لبانه(صدره). ومثله شوهد برسم كبش بوعلام، عين ناقة، زناقة، قلموز البيوض، ضاية العطوش، الضاية الحمرة وحجر سيدي بوبكر، مصنوع من نسيج يحمل شارات متقاطعة، ما يدعو إلى الظن أنها ظفرت من ألياف نباتية أو سيور جلدية [1].

ويقدر عدد صور الكبش المتوج بثمانين رسما، تنتشر بصفة أساسية بجبال الأطلس الصحراوي، من أشهرها كبش بوعلام بالبيض(الصفحة 335 - الصورة رقم 67)، زناقة، قصر زكار وكبش عين ناقة والصافي بوزيان بالجلفة. أما بناحية قسنطينة فنذكر كبش فجة الخيل

[1] Gsell(S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 126 ; Camps (G.), Animisme, *E.B.*, V, 1988, p. 662; *Id.,* Bélier à sphéroïde, *E.B.,* IX, 1991, p. 1419-1420 ; *Id., Les Berbères, mémoires et identité,* Paris, Errance, 1987, p. 194- 150 ; لحسن بودرقا، المرجع السابق، ص.284-285، محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص 52.

وخنقة بوحجار [1]. كما شوهد رسمه بقعدة الخروبة (الصفحة335- الصورة رقم68) بأفلو، وبالجنوب الجزائري في موقع كول الزناقة بفقيق شمال بشار [2]، وبموقع قرات أم المنصور في إيهرن [3]. والتي يرجع تاريخها إلى مابين بداية أو أواخر العصر النيوليتي، وان كان هناك من يعتقد أنها تعود إلى فترة أقدم من ذلك، وهي العصر الحجري القديم الأعلى. [4]

دفع التشابه الكبير بين بعض نماذج كباش الأطلس الصحراوي المتميزة بجمالها ودقة رسمها ككبش بوعلام وزناقة، وصَفِ الكباش المحاذية للطريق المؤدي إلى معبد أمون بالأقصر، بالباحثين الأوائل الذين عكفوا على دراستها، إلى الربط بينهما، جاعلين من صور نماذج النوع الأول تابعة لنماذج الكباش المصرية، منطلقين في ذلك من فكرة عراقة الحضارة المصرية وتأخر حضارة سكان المنطقة نسبيا، وأن مدى تأثيرها وانتشارها قد بلغ أقصى المنطقة الغربية من بلاد المغرب القديم.

والملاحظ أن بعض المؤرخين الذين سلموا بفكرة التأثير والأصل المصري لمعتقد عبادة الكبش بشمال إفريقيا، قد تخلوا عنها في آخر المطاف [5] بداية من ستيفان غزال « Gsell » الذي تراجع على ما أدلى به في الجزء الأول من كتابه تاريخ شمال إفريقيا القديم، حينما كتب في جزئه السادس قائلا: " كنت خرجت بنتيجة تفيد أن المعبود المصري آمون الذي هو في آن واحد كبش

---

[1] Gsell(S.), *H.A.A.N., op.cit.,* I, p. 286 ; Decret (F.), Fantar (M.), *L'Afrique du Nord dans l'antiquité, op.cit.,* p. 254 ; محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص. 52، أم الخير العقون، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين (الجزء الثاني)، عصور، العدد3، 2003، ص. 165.

[2] Gsell(S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 126 ; Hugot (H. J.), *Le Sahara avant le désert, op.cit.,* p. 161 ; لايغيب رسمه عن نقوش الصحراء كما كتب لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص.285.

[3] Lequellec (J.L.), *Symbolisme et art rupestre au Sahara,* Paris, L'Harmattan, p. 154.

[4] Camps (G.), Bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* p. 1419 ; *Id., Les Berbères aux marges de l'histoire,* Paris, Hespérides, 1980, p. 202 ; أم الخير العقون، المرجع السابق، ص .165، محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 240.

[5] Camps (G.), Animisme, *loc.cit.,* p. 662-663 ; *Id.,* Bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* 1417-1419 ; لحسن بودرقا، المرجع السابق، ص .286، أم الخير العقون، المرجع السابق، ص. 170، عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس، نفس المرجع، ص. 138، محمد الهادي حارش، أصول عبادة أمون في المغرب القديم، مجلة التاريخ،العدد24، 1987، ص. 9.

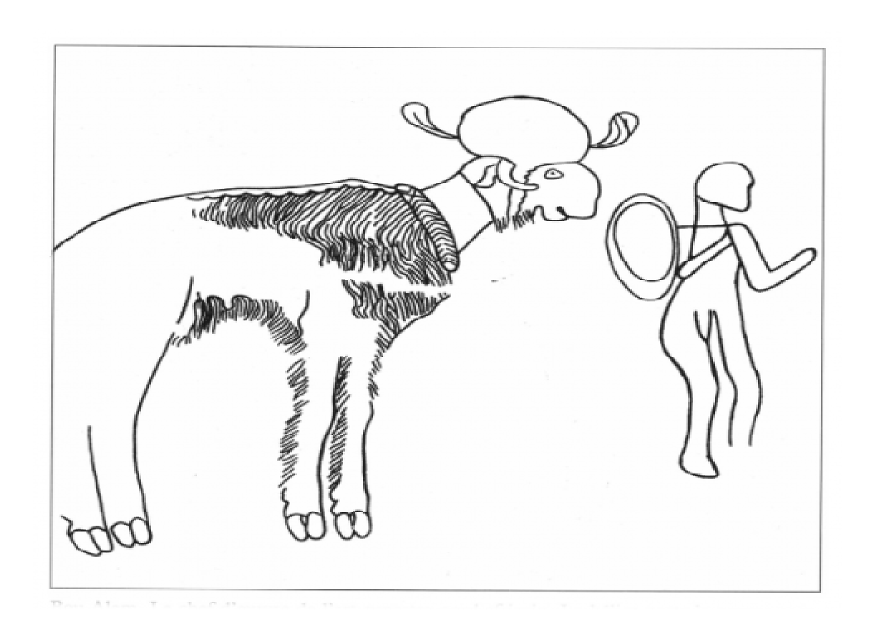
وشمس، قد انتشر ببلاد المغرب منذ الألف الثانية قبل الميلاد. ولكن هذا الافتراض لا يبدو لي مقبولا اليوم" [1].

وبطبيعة الحال تم التأكد من ذلك، بفضل الدراسات والأبحاث المعمقة للفن الصخري الجزائري، الذي أُرخ له بحوالي الألف السادسة والخامسة قبل الميلاد، أي إلى فترة أبعد بكثير عن فترة الأسرات، مما يجعله معاصرا لحضارات البداري في مصر، وهو تاريخ أقدم بكثير عن فترة ظهور عبادة الإله آمون على هيئة كبش والذي كان خلال عهد الدولة الوسطى، أين ترعرع بإقليم طيبة [2].كما أن هناك من يرجع سلالة كباش آمون ذات القرون الملتوية إلى فترة احتلال الهكسوس لمصر فقط أي إلى مابين سنة 1800 و1600 قبل الميلاد [3]. والذي امتزج لا حقا مع اله الشمس رع متخذا بذلك من قرص الشمس تاجا على رأسه رمزا له، فظهر ما يعرف بالإله آمون-رع، وبالتالي يمكننا القول بكل ثقة أن عقيدة تقديس الكباش المتوجة الإفريقية لا تمت بأي صلة أو تأثير بالإله المصري آمون-رع، بل هناك من الباحثين من أسس لفكرة حدوث تأثير ليبي على عقيدة آمون المصري واعتباره سلفا له. [4]

بعد الإقرار بالأصل المحلي للكباش المتوجة، فما مدلولها؟ هل يمكن اعتبارها حيوانات مؤلهة عبدت قديما من قبل الأفارقة؟ وهو الطرح الذي لقي تجاوبا ايجابيا من قبل أغلب الدارسين [5]. ودليلهم في ذلك الحضور الدائم والمتكرر للإله المتمثل في الكبش أو الثور بدرجة أقل في أكثر من مشهد [6]. أين انتشرت منذ القدم عادة عبادة الحيوانات « Zoolâtrie » في المنطقة الممتدة من جنوب المغرب الأقصى غربا إلى غاية بلاد النوبة شرقا مرورا بالفزان، فكان السكان يرسمون وينقشون معبوداتهم الحيوانية من أجل ضمان وجودها الدائم بينهم [7]. كما

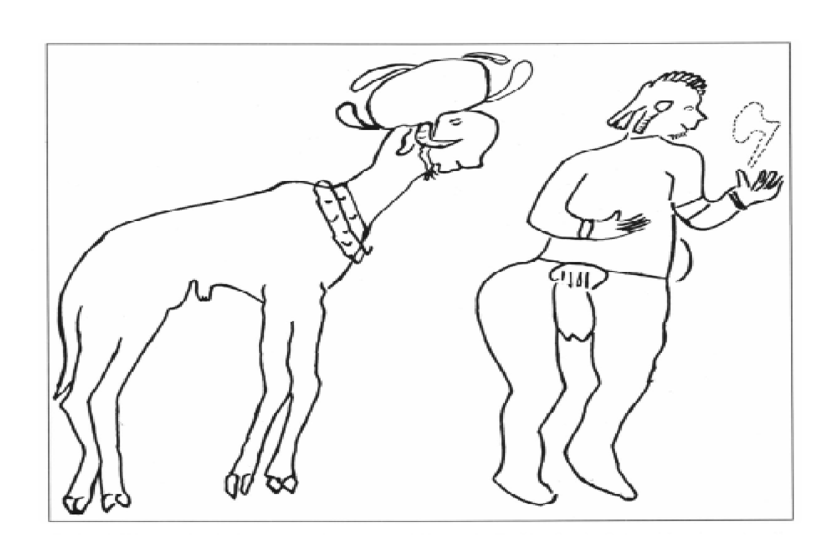
[1] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.*, VI, p. 127.
[2] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 12، عفراء علي الخطيب، المرجع السابق، ص. 138.
[3] أم الخير العقون، المرجع السابق، ص. 170.
[4] Flamand (GB. M.), *Les pierres écrites,* Paris, Masson, 1921 p. 358-359 ; p. 370.
[5] Camps (G.), Animisme, *loc.cit.,* p. 66 3.
[6] أم الخير العقون، المرجع السابق، ص. 165، عفراء علي الخطيب، المرجع السابق، ص. 148.
[7] عفراء علي الخطيب، المرجع السابق، ص. 136.

ذهب غزال « Gsell » إلى اعتبار الحضور الدائم لصـور الحيوانـات المعبـودة امتيـاز لهـا كونهـا متـواجدة أثناء حياتها في أماكن متعددة تضمن لها البقاء بعد موتها، حيث يكاد يكون لكل قبيلـة كبشها أو كباشها المقدسة [1].



الصورة (**67**): كبش متوج – بوعلام، البيض.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/1511/img-9.png



الصورة (**68**): كبش متوج قعدة الخروبة، أفلو.

http://encyclopedieberbere.revues.org/docannexe/image/1511/img-8.png

[1]Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 124.

أما الكبش المقدس الحقيقي فلم تكن رؤيته متاحة للجميع باستثناء الكهنة وبعض الأفـراد الذين سمحت لهم الفرصة بالنظر إليه، أما عامة النّاس فيسمعون فقـط عـن فعاليتـه وتدخلاتـه الخارقة ومعجزاته [1]. وعلى ما يبدو أن الشخوص التي تظهر في بعض الأحيان بصحبة الكـبش أو الثور المتوج تبدي حركات لها علاقة بحالـة مـن حـالات التعبـد والمرتبطـة بـالمعبود الموجـود معه [2]. إلا أن كامبس « Camps » يرى خلاف ذلك وأن هذه الحيوانات ما هي إلا قرابين، فلو كانت حقيقة آلهة، لما أدارت الشخصيات التي تقاسمها المشهد ظهرهـا لهـا، والأصـح أن يقابـل المتعبد الإله مباشرة لكي يتضرع له، وهو الذي لا يُشاهده في هذه الصور. فـالأمر الـذي يـدعو إليه الظن أن العبادة كانت موجهة إلى ذات لا شكل ولا طبيعية لها، والتي غـاب تجسـيدها عـن جداريات الفن الصخري [3]. وهو ما استبعدته أم الخير العقون حيث تقول: " لو كان الأمر كما زعم أصحابه لظهر على الرسم صورة المعبود، وهو أهم من القربان، إذ أن كـل الرسـوم علـى كثرتها لم تظهر هذا المعبود المزعوم". [4]

تتوضح الصورة أكثر انتقالا إلى الفترة التاريخية، وذلك إذا كنا قد سلمنا بفكرتي أن تلك الكباش المتوجة هي معبودات وبالتواصل الحضاري. حيث نجد أن النصوص الإغريقية المتـأثرة والمنبهرة بالثقافة المصرية وعلى رأسها كتابات هيرودتس « Hérodots » تنعته باسم آمون علـى غرار الإله المصري آمون طيبة والذي تمركزت عبادته في واحة سيوة [5]. والذي لقـي رواجـا في العالم القديم حيث امتزج مع الإله الإغريقي زيوس وظهر ما يعرف باسم زيوس- آمـون، كمـا طال هذا الامتزاج الإله الروماني جوبيتر الذي أصبح يعبد تحت اسم جـوبيتر- آمـون، والأمـر نفسه أقدم عليه الفينيقيون بعد استقرارهم بمنطقة شمال إفريقيا القديم، حيـث عمـدوا إلى دمجـه

---

[1]Decret (F.), Fantar (M.), *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, *op.cit.,* p. 254
[2]*Id., Ibid.,* p. 253 ; عفراء علي الخطيب، المرجع السابق، ص.138.
[3]Camps (G.), Animisme, *loc.cit.,* p. 663 ; *Id,* Bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* p. 1423 ; p. 1431 ; p. 1433 ; *Id., Les Berbères, mémoires et identité, op.cit.,* p. 149-150.
[4] أم الخير العقون، المرجع السابق، ص .166.
[5]Hérodote, *Histoire,* II, 18 ; IV, 181 ; لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 287.

مع الإله بعل الذي لم يلعب دورا بارزا بموطنه الشرق الأدنى القديم بالإله آمون الإفريقي، وعرف باسم بعل حانون أو الأصح بعل- آمون الذي انتشرت عبادته انتشارا كبيرا بالمنطقة.[1]

وقد تربع بعل - آمون على رأس البانتيئون* الإفريقي الى جانب تانيت وهو اله الشمس ورمز الخصوبة والإنتاج، المرموز له بالكبش والذي خصصت له آلاف النقائش من كتابات الإهدائية والنذرية، منها ما عثر عليه بمعبد الحفرة بضواحي قسنطينة[2]. حيث ظهر اسمه على مائتين وواحد وثمانون(281) نصبا، تشاركه في القليل منها الإلهة تانيت بني بعل. كما تصدر اسمه العديد من النصب التي تعود إلى الفترة النوميدية والتي عثر عليها بقالمة، عين النمشة، تيديس، عنابة، دلس، تيبازة، شرشال... والذي غالبا ما كان يظهر في صورة شيخ متكئ على كبش مقرن، أو في هيئة رجل مسن يجلس على كرسي العرش يمسك بيده صولجانا، أو في أخرى واقفا بمدخل المعبد يعلو رأسه قرص الشمس[3].

ولم يخف وهج شعبية بعل- آمون الواسعة حتى بعد الاحتلال الروماني للمنطقة حيث ترومن وأصبح يعبد تحت اسم الإله ساتورنوس « Saturnus »[4]، ورغم العديد من الأسماء التي اتخذها عبر مدار وجوده من آمون إلى بعل- آمون فساتورنوس، إلا أنه حافظ دائما على خصائصه وهي الخصوبة والنماء، حيث اكتشفت العديد من النقوش الدالة عليه والتي كان فيها الكبش تابعا له بالمناطق التي شهدت توسعا فلاحيا (الصفحة 335- الصورة رقم69، 70)، أين تنتشر مزارع الحبوب وأشجار الفواكه والكروم[5]. وكثيرا ما صاحب نعت المخصب « Frugifer » اسم سارتورنوس مثل ما هو ملاحظ على سبيل المثال لا للحصر بالنقوش

---

[1] لحسن بودرقا، المرجع السابق، ص. 293، عفراء علي الخطيب، المرجع السابق، ص. 174، ص.177-178، ص. 180، محمد الهادي حارش، أصول عبادة أمون في المغرب القديم، نفس المرجع، ص. 11.

* البانتيئون: هومجمع الآلهة الإغريقية الرومانية، ويمكن أن تدفن فيه الشخصيات التي لها مكانة هامة في المجتمع الإغريقي – الروماني، علما أن الآلهة كان معمولا به في كامل الديانات القديمة في الشرق القديم وفي شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص. 86.

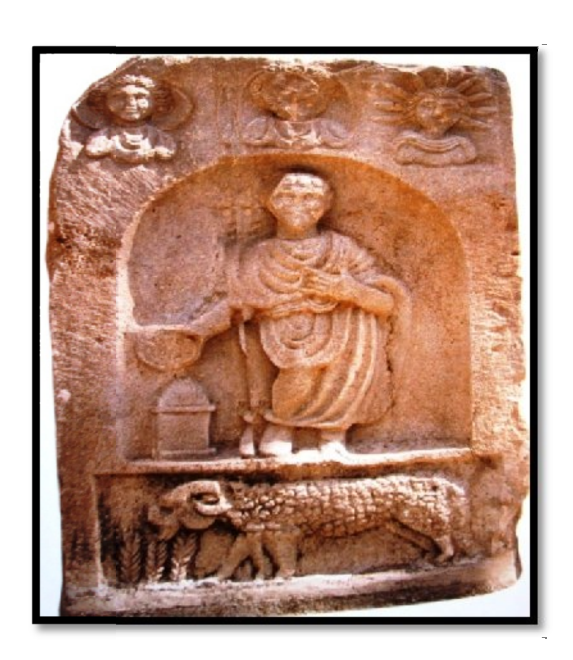
[2] أم الخير العقون المرجع السابق، ص. 166.

[3] محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص. 87-88.

[4] عفراء علي الخطيب، المرجع السابق، ص. 177.

[5] Leglay (M.), *Saturne Africain, Histoire,* 1, Paris, E. de Boccard, 1966, p. 403.

المهداة إليه من قبل سكان عين الروة « Horrea » وخربة قيـدرة « Sertel » بنـواحي سـطيف وتيقزرت « Iomnium ».[1]



الصورة (69): نصب الإله ساتورنوس – تمقاد



الصورة (70): نصب للاله ساتورنوس برفقة كبش – لمباز.

Sintes (C.), *Algérie antique,* catalogue de l'exposition de 26 avril17aout 2003 Arles, Éditions du Musée de l'Arles et de la Provence antiques, 2003, p. 124, p. 160.

[1] *Id., Saturne Africain, Monuments*, 2, Paris, CNRS, 1966, p. 286 ; p. 288 ; p. 301.

والظاهر أن عبادة الكبش بقيت حاضرة بالمنطقة حتى بعد ظهور المسيحية، حيث أشار بابا الإسكندرية القديس أثناسيوس « Saint Athnasieus » خلال القرن الرابع الميلادي في رسالته الموجهة للوثنيين إليها قائلا: " ليت حماقة هؤلاء البشر الأغبياء وقفت عند هذا الحد ولم يتوغلوا في اضطراباتهم الوقحة واخترعوا لأنفسهم وأقاموا آلهة من الأشياء التي لا وجود لها على الإطلاق، ولا مكان بين الخليقة ... مثل آلهة المصريين التي لها رأس كلب أو رأس حية أو رأس حمار، وهمون إله الليبيين الذي له رأس كبش" [1]. ومن جهة أخرى أدلى الكاتب و الفيلسوف وعالم اللغة ماكروبيوس « Macrobius » الإفريقي المولد، بدلوه في ذات الموضوع قائلا: " يرمز الليبيون لآمون الذي ينظرون إليه كشمس غاربة بقرني كبش والتي هي مكمن قوة هذا الحيوان". [2]

ولقد ظلت عبادة الكبش الوثنية حية ببعض المجتمعات المنعزلة ببلاد المغرب إلى غاية القرن الحادي عشر ميلادي، رغم انتشار الإسلام بها الذي دعا إلى التوحيد وحارب الوثنية، وفي هذا الشأن نوه أبو عبيد الله البكري إلى قبيلة جبلية بجنوب المغرب الأقصى كانت تمارس تلك العبادة المخزية خفية عن باقي القبائل بقوله: " ويلي بني لماس قبيل من البربر في جبل وعر مجوس يعبدون كبشا، لا يدخل أحد منهم السوق إلا مستترا". [3]

وعلى عكس ذلك، ينفي فريق من الباحثين أساسا وجود عبادة حيوانية بصفة عامة بالمنطقة وعبادة الكبش المتوج بصفة خاصة، ويؤكد هؤلاء بضرورة توجيه الأنظار إلى قمة رأس تلك الحيوانات التي حملت رموزا دائرية الشكل، وهي بطبيعة الحال حسب كامبس « Camps » ليست مجرد قلنسوة للزينة [4]. وإنما رموز لكواكب وأجرام سماوية لا تزال للأسف غير معروفة حتى الآن، وهل المقصود منها الشمس

---

[1] أثناسيوس الرسولي، رسالة إلى الوثنيين، ترجمة مرقس داود، القاهرة، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، ط. 2، 9، 3.

[2] Macrobe, *Saturnales,* Collections des auteurs latins, Publies sous la direction de M. Nisard, Paris, Didot, 1854, I, 21, 19.

[3] أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، نفس المصدر ص. 348.

[4] Camps (G.), Bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* p. 1423 ; p. 1425.

الساطعة أم القمر؟ وقد أفضت المعاينة الدقيقة لعدد كبير من رسوم الكباش أن الطرح الذي تقدم به كامبس أنفا لا يمكن التسليم بحقيقته دوما، لأن في كثير من الحالات كان الشكل الكروي يعوض بدائرة أو بالتقاء القرنين، وكما نعلم أن التقاءهما يعتبر حالة غير عادية من الناحية الطبيعية، وكان الغرض من ذلك هو التوصل إلى تصير الشكل الكروي، والملتفت للانتباه أن الحالات التي رسم فيها الكبش بصفة جانبية كان الشكل الكروي الذي يتوج رأسه يرسم مقابلا للناظر، وهذا دليل على انكباب الرسام بدرجة كبيرة على تصوير الشكل الكروي لا على الحيوان بحد ذاته [1].

ومما يؤسف له أن الغموض مازال يحوم حول هذا الطرح، فهل المقصود من هذه الرموز الكروية الشمس أم القمر؟ أو كلاهما؟ وفي هذا المنحى خلصت الباحثة أم الخير عقون أن الصورة الموجودة على الصخور هي للكبش الحامل على رأسه قرص الشمس، وهما الشرطان الأساسيان لزرع الحبوب ونموها وبلوغها مرحلة الحصاد بفعل حرارة الشمس، وهي الصورة التي تمثل دورة الحياة، والتي هي عموما إحدى مظاهر الفكر الديني القديم القائم على عقيدة الخصوبة والإنتاج. [2]

وفي ظل هذا الاتجاه، ربط بعض الباحثين أمثال جولو « Jouleaud » بين صور الكباش المتوجة وفكرة الاستسقاء، خاصة وأن المنطقة كانت تشهد فترات جفاف، جعلت الإنسان مهووسا بالبحث عن الماء وكيفية استنزال المطر. وحسب الباحث نفسه لعبت الكباش دورا أساسيا في تلك الطقوس، حيث يعتبر تبولها أو تبول الأشخاص المرافقين لها أهم مرحلة فيه، واستند في ذلك على بعض مشاهد الفن الصخري ككبش زناقة، بوعلام وكبش حجر سيدي بوبكر بالجلفة وغيرها التي حملت خطوطا تتموضع بأسفل تلك الحيوانات في إشارة إلى عملية

---

[1] عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس، نفس المرجع، ص. 140.
[2] أم الخير العقون، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين (الجزء الثاني)، نفس المرجع، ص. 171.

التبول [1]، إلا أن هذه الفرضية لم تلقى ترحيبا كبيرا من قبل الباحثين في ذات الموضوع وعلى رأسهم كامبس « Camps ». [2]

ومن القرائن الدالة على سيادة عبادة الأجرام السماوية في فترة ما قبل التاريخ هو استمرار انتشارها الكبير والواسع خلال الفترة التاريخية، والذي نستشف أمره من خلال العدد الهائل للنصب الجنائزية، التذكارية والنذرية العائدة إلى الفترة النوميدية التي حملت رمز الشمس والقمر [3]، والمكتشفة بمعبد الحفرة بقسنطينة، سوق اهراس والأندلسيات « Castra Puerorum » [4]

وتدعم في هذا المنحى النصوص الكلاسيكية المعطيات الأثرية السالفة الذكر. بدء بإشارة هيرودتس « Hérodots » التي تفيد بتقديم الليبيين على العموم أضاحي لإلهي الشمس والقمر باستثناء الذين يعيشون على ضفاف بحيرة تريتونيس « Tritonis » [5]، وجاء ذكر عبادة الشمس عند الخطيب الروماني شيشرون « Cicéron » في خضم حديثه عن زيارة سكيو الايميلي لماسينيسا بقوله: " بمجرد رؤيته درف ماسينيسا الدموع ورفع عيناه إلى السماء قائلا: أتوجه إليك بالصلاة أيتها الشمس العالية جدا، وإلى آلهة السماء الأخرى، أن تمنحني قبل مغادرة الحياة رؤية بوبليوس كورنليوس سكيبو « Publius Cornelius Scipion » بمملكتي وتحت سقفي" [6]. ورغم ما يؤُاخذ على شهادة شيشرون « Cicéron » في حق ماسينيسا، إلا أننا نستخلص من تصريحه شيوع عبادة الأجرام السماوية في عهد المماليك المحلية وعلى رأسها الشمس هذا من

---

[1] Joleaud (L), Gravures rupestres et rites de l'eau en Afrique du Nord, *J.S.A.*, III, 1933, p. 213-223 ; p. 283 ; Camps (G.), Bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* p. 1419 ; لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، ص.290

[2] Camps (G.), Bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* p. 1419.

[3] عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس، نفس المرجع، ص. 147، فرنسوا بيتراندي وموريس سينتزار، النصب البونية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، ترجمة محمد الصغير غانم، الجزائر، دار الهدى، 2012، ص.54 -55.

[4] *Berthier (A.), Charlier (A.), Le sanctuaire punique d'El- Hofra, op.cit.,* p. 29 ; p. 75 ; p. 86 ; p. 108 ; p. 201-202 ; Vuillemot (G.), *Reconnaissance aux échelles Punique d'Oranie, op.cit.,* p. 421-423 n°8 ; مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، نفس المرجع، ص.201-202.

[5] Hérodote, *Histoire,* IV, 188.

[6] Cicéron, *La république,* M.Mai (trad.), Paris, Didier, 1858, VI, II

جهة، وعدم توجهه بالابتهال والتضرع للآلهة البونية رغم تشبعه بثقافة هذه الأخيرة من جهة ثانية [1]. وقداستمرت هذه العبادة إلى غاية عشية الفتح الإسلامي للمنطقة وذلك فيما أورده ابن خلدون خلال القرن الرابع عشر ميلادي عن عبادة البربر للشمس والقمر بموازاة الديانة اليهودية والمسيحية. [2]

وبالمقابل، دافع كامبس « Camps » من خلال العديد من الكتابات بشدة عن الفكرة التي تُروج إلى أن تلك الكباش والثيران المتوجة ليست بآلهة أو رموزا لها كما يرى أفراد هذه النظرية، بل هي أبسط من ذلك بكثير، فهي في نظره مجرد أضاحي وقرابين مزينة بقلنسوات وقلائد حتى تكون في مظهر لائق وجميل يليق بمقام الإله المتقرب له، واستند في ذلك إلى جملة من الحجج والقراءات، أهمها تلك الكباش المتوجة المقدر عددها بثمانين كبشا والتي ظهرت في عشرين مشهدا بصحبة شخوص تتقدمها وهي تدير لها ظهرها رافعة أيديها في وضعية المصلي، كما هو جلي برسوم موقع عين ناقة، قعدة الخروبة، بوعلام، خلوت سيدي الشيخ، وضاية عطوش [3]، فلو كانت معبودات حقا، لما أدار لها الشخص الذي برفقتها ظهره لها في تلك المشاهد، بل الأصح كما أشرنا سلفا أن يكون متوجها إليها إذا ما كانت آلهة هذا من جهة، ومن ناحية أخرى وجود رسوم صخرية تظهر فيها كباش متوجة رقابها مربوطة بحبل تتبع صاحبها وهي الحالة مثل ما هو الأمر برسم كبش الخيل. [4]

علاوة على ذلك يظهر الشخص المرافق للكبش المتوج في بعض المشاهد القليلة مسلحا بفأس، كما هو الحال بكبش موقع القصر الأحمر، قعدة الخروبة (الصفحة 340- الصورة رقم68)وعين ناقة. أما بكبش بوعلام فنرى الشخص الذي برفقته يحمل على ظهره ما يشبه

---

[1] Camps (G.), *Les Berbères aux marges de l'histoire, op.cit.,* p. 202-203 *;* Animisme, *loc.cit.,* p. 667.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار احياء التراث العربي، 1999، ج. 6، ص. 95.

[3] Camps (G.), Animisme, *loc.cit.,* p. 662-663 ; *Id.,* Bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* p. 1428-1433.

[4] أم الخير العقون، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين (الجزء الثاني)، نفس المرجع، ص. 166.

الدرع أو الكنانة [1] (الصفحة 340- الصورة رقم67). هذا وظهر الشخص في مشهد وادي درمل ومحطة لهزي بجبال القصور على الحدود المغربية حاملا فأسا متبوعا بكلبين يتوجه نحو الكبش المزين بعقد [2]. في حين نجد بالمشهد المعقد لقلموز البيوض شخصا خيطي الشكل في وضعية المصلي محشورا بين كبش مقسوم إلى نصفين [3]. فكل القرائن التي ذكرناها آنفا، تقود بنا إلى الاعتقاد بأنها مجرد قرابين يُضحى بها في خضم مراسيم وطقوس معينة تكون هي أحد مراحله ولعلها في آخره [4]. وما يثبت هذه الفكرة تصريح القديس أوغسطس « Augustin » ، أحد أفراد المنطقة العارفيين بعادات وتقاليد سكانها، الذي أكد أن المصريين وحدهم من عبد الحيوانات، فلو مارسها السكان المحليون لكان قد أدلى بذلك . [5]

1-2- الثور

يعتبر الثور من الحيوانات التي نالت نصيبها من التقديس من قبل سكان المنطقة قديما، إلا أن هذا لا يقودنا إلى الجزم بنظرية تأليه هذا الحيوان، ولا بالأبعاد الرمزية التي يحملها لمعتقدات أخرى المرتبطة بالشكل الكروي الذي يتوج رأسه مثله مثل الكبش المتوج، أم هو مجرد أضحية فقط. لكن ما هو أكيد، هو وجود بعد رمزي معين للبقر المنقوش أو المرسوم على الصخر، بالرغم أن صوره لم ترقى إلى مستوى صور الكبش المتوج لا من حيث الكيف أو الكم [6]. وفي وفي هذا الصدد تم التعرف على ثور متوج ضمن نقش صخري في حالة متردية للغاية بمنطقة بوعلام، يظهر على رأسه خطان طويلان منتصبان، ومن المحتمل أن تلك الزائدتين عبارة عن

---

[1]Camps (G.), Bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* p. 1429-1430.
[2]Capderou (M.), Soleilhavoup (F.), Deux stations de l'Atlas saharien : Lahsi et Dermel, une association originale de l'homme et du bélier, *B.S.P.F.,* 94, 1997, p. 609-618.
[3]Camps (G.), Bélier à sphéroïde, *loc.cit.,* p. 1430.
[4]*Id., Ibid.,* p. 1428 ; لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 292
[5]Saint Augustin, *Sermons*, CXCVIII, I ; Camps (G.), *Les Berbères, mémoires et identité, op.cit.,* p. 152.
[6]لحسن بودرقا، المرجع السابق، ص. 295.

ريشتين على غرار تلك التي تحيط بالشكل الكروي الذي يـزين رؤوس الكبـاش [1]. هـذا ولمـح الشكل الكروي الذي يتوج رأسه ضمن رسم عثر عليـه بموقـع سـافيت بورنـان بجبـــال أولاد نـايل [2]، أما برسم عين مويلح بجبال القصور نجد أن الفنان قد عوض الشكل الكروي بقـرنين ملتقيين يتخذان هيئة تقويسة القرص، ويتكرر الأمر نفسه في رسم موقع الغيشة وتيوت. [3]

إلى جانب ذلك، تم العثور على العديد من المنحوتـات النيوليتيـة بـمنطقتي الطاسيلي نـاجر والأهقار، حملت بعضها شكل بقري « Bovidé » مثل التي عثر عليها بملجأ جبـارن (الصـفحة 349- الصورة رقم 71)، محطة تسنار، موقع أنور-وا-ليلو، برج إدريس وجانت، فالعثور عليها بهذه المناطق مرتبط بالقبائل الرعوية التي كانت تجوب الصحراء رفقة قطعانها باحثة عن المراعـي والماء حاملة معها متاعها وثقافتها ومعتقداتها التي خلفتها بالجهات التي حطت بها لفـترة زمنيـة، فبالرغم من القيمة الفنية والمهارة الصـناعية الـتي تحملـها تلـك القطـع [4]، إلا أنّ هـذا لا ينفـي استغلالها عقائديا من قبل سكان تلك المناطق وربطها بفكرة الخصوبة، هذه الأخيرة الـتي تعتـبر إحدى مظاهر الفكر الديني الذي طبع الشعوب القديمـة مـن أجـل الحفـاظ علـى نمـاء(زيـادة) رؤوس القطعان من جهة، ولحماية أفراد العشيرة من جهة أخرى. وقد بقي هذا الفكر حاضـرا إلى غاية الفترة التاريخية، التي داع فيها صيت الثور كرمز مـن رمـوز شمـس الخصـوبة والإنتـاج الاله ساتورنوس « Saturnus » [5] والذي عمت شـهرته الآفـاق، واسـتحق الظهـور في تلـك النصب النذرية أو الإهدائية التذكارية المقدمـة لـه، المكتشـفة في أهـم المواقـع الأثريـة الجزائريـة كتيمقاد، خنشلة، وجميلة [6] (الصفحة349-350 الصورة رقم 72، 73، 74).

[1] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 128 ; Decret (F.), Fantar (M.), *L'Afrique du Nord dans l'antiquité, op.cit.,* p. 255 ; محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص. 55.

[2] Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien*, *op.cit.,* 2, fig.169.

[3] *Id., Ibid.,* fig.130-131; fig.156; fig.193-194.

[4] عزيز طارق ساحد، المنحوتات الصحراوية للمتحف الوطني الباردو- الجزائر، نفس المرجع، ص. 58-60.

[5] عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس، نفس المرجع، ص. 177.

[6] Leglay (M.*), Saturne Africain, Monuments, op.cit.,* 2, p. 144, pl. XXVIII, fig. 3; p. 149, pl. XXVIII, fig. 6; p. 166; p. 168; p.172, pl. XXIX, fig.1-6; p. 213; p.216-217, pl. XXXIII, fig. 3-5; p. 220-221; p. 224-228, pl. XXXIV, fig. 1-5.

ومما لا غرو فيه، فقد كشفت النصوص الأدبية على قلتها، تقديس سكان المنطقة للثيران، فقد أشار أبو التاريخ هيرودتس« Hérodots » [1] تحريم الليبيين أكل لحم البقر وإعراضهم عن تربية الخنازير، ولا ندري إن كان هذا الامتناع شمل كافة الليبيين، أو اقتصر على الليبيين الشرقيين في منطقة برقة وقرينة التي تأثرت بالعقيدة المصرية [2]. ومن أجل الحصول عن نص صريح يؤكد عبادة الثور كان لابد من الانتظار إلى غاية القرن السادس الميلادي، فلقد أقر كوريبوس« Corippus » انتشار هذه العقيدة بين أفراد قبيلة اللغواطن« Laguantan » (لواتة) المتواجدة بناحية السيرتين [3]، حيث امتلكوا إلها في هيئة ثور أطلقوا عليه اسم غورزيل « Gurzil » ، وهو نتاج علاقة جمعت آمون ببقرة، يطلقونه على أعدائهم قبل بداية المعركة لإرهابهم وكان بمثابة قائدهم في الحرب [4]. ومما يضفي المزيد من الأهمية على هذه الرواية إشارته في موضع أخر من أشعاره إلى تماثيله المصنوعة من الخشب والمعدن [5]، والظاهر أنها حملت صوره [6]، أضف إلى ذلك كان شيخ قبيلة اللغواطن المدعو ايرنا ايرنا « Ierna » كاهنا للإله غورزيل « Gurzil ». [7]

[1] Hérodote, *Histoire,* IV, 186.

[2] مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، نفس المرجع، ص. 69.

[3] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 128 ; Picard (G.CH.), *Les religions de l'Afrique antique,* Paris, Plon, 1954, p. 25 ; Camps (G.), Gurzil, *E.B.*, 21, 1999, p. 3258-3259 ; محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص. 56.

[4] Corippe, *Johannide,* V, 22-26 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* VI, p. 128; لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 297.

[5] Corippe, *Johannide,* II, 404-406.

[6] Camps (G.), Gugzil, *loc.cit.,* p. 3258

[7] Corippe, *Johannide*, II, 101.



الصورة (71): منحوتة بقري – جبارن

Mnhn.fr



الصورة (72): الاله ساتورنوس – تيمقاد.

Sintes (C.), *Algérie antique,* catalogue de l'exposition de 26 avril17aout 2003 Arles, Éditions du Musée de l'Arles et de la Provence antiques, 2003, p. 149.



الصورة (73): الاله ساتورنوس – متحف الأثار القديمة بالجزائر العاصمة.



الصورة (74): الاله ساتورنوس - تيمقاد

Sintes (C.), *Algérie antique,* catalogue de l'exposition de 26 avril17aout 2003 Arles, Éditions du Musée de l'Arles et de la Provence antiques, 2003, p. 148, p. 159.

1-3- الثعبان

مازالت مسألة عبادة الحيوانات يشوبها الغموض في فترة ما قبل التاريخ، ولا يمكن القطع بمصداقيتها لا من حيث التأكيد ولا النفي، لأن معظم الباحثين أخضعوا الرسوم الصخرية التي ظهرت بها هذه الحيوانات إلى عملية التأويل وبناء نظريات حولها، هذه الأخيرة التي سبق الكشف عنها في سياق الحديث عن الكبش والثور دون أن نستثني تلك الزوائد التي كانت تحملها تلك الحيوانات. لكن هل يمكن توسيع دائرة تقديس الحيوانات خلال هذه الفترة لتشمل أنواعا أخرى كالثعبان مثلا؟ رغم محدودية مشاهده التي عثر عليها بالصحراء الوسطى والجنوبية الشرقية [1]. وهل يمكن إلحاق وإدراج حيوانات أخرى صورت بكثافة كالزرافة، وحيد القرن والفيلة... باعتبارها محل عبادة وتوقير على الأقل؟

وعموما يرجح لوغلاي « Leglay » احتمال وجود عبادة مرتبطة بالثعابين خلال الفترة التي سبقت التواجد القرطاجي بالمنطقة، وفي ذات الوقت يعترف بعدم احتكامه على دلائل تدعم مزاعمه [2] المبنية فقط على فكرة التواصل الثقافي ومقارنة معتقدات البربر في الوقت الحالي وإرجاعها إلى أصول قديمة، وعن ذلك يقول: " الدليل الوحيد أن عبادة البربر الحالية وفي القديم، كانت جد بسيطة ترتكز على عبادة كل ما هو طبيعي مثل الجبال، الحجارة، المغارات، الوديان، العيون،... التي بثت فيهم الخوف وجعلتهم يعبدونها، لذا لا يستبعد أن يكون الثعبان أحد تلك الحيوانات التي قدست بسبب الرهبة والخوف منه."[3]

وفي السياق نفسه، كان المشارقة على العموم والمصريون القدامى على الخصوص أشهر الشعوب من عبد شتى أنواع الحيوانات، إلا أن هذا الأمر لا يدعو بنا إلى الافتراض بالأصل المصري لعبادة الثعبان بليبيا قديما [4]، بالرغم من أن القديس أوغسطين « Saint Augustin »

---

[1] لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، ص.305

[2] Leglay (M.), Le serpent dans les cultes Africains, *Latomus,* 28, 1957, p.340.

[3] *Id., Ibid.*, p. 340-341.

[4] Cour (A.), Le culte du serpent dans les traditions populaires du Nord-Ouest Algérien, *B.S.G.A.O.,* 31, 1911, p. 74-75 ; لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 305.

قد أشار في كتاباته ضد وثني بلاد المغرب القديم، من عبدة الطيور، رباعيات الأقدام والزواحف إلى الأصل المصري لتلك المعبودات الحيوانية.[1]

وبعيدا عن الجدل القائم حول أصل عبادة الثعبان، لكن ما هو أكيد أنه عُبد وقُدس بشكل واسع من قبل سكان المنطقة خلال العهد الروماني، حيث حظي بمكانة بارزة ومتميزة ضمن طائفة الآلهة المحلية التي عبدت بها، تحت اسم داركو « Draco »[2]، وذلك استنادا إلى النقوش الكتابية المكتشفة بعاصمة موريطانيا القيصرية شرشال « Caesarea »[3]، وبمقاطعة نوميديا في كل من حمام الصالحين « Aquae Flavianae »[4]، وقسنطينة(Cirta)[5]. واعتبرت الثعابين قديما رمزا علاجيا ارتبط بخصوبة النسوة[6]، ومخصبا وضامنا للوفرة الزراعية[7]؛ حيث اكتشف اكتشف بناحية زانا « Diana Veternorum » نصب للإله ساتورنوس يظهر عليه رجل واقف يحمل بيده اليمنى عنقود عنب وباليد الأخرى كيسا منتفخا من فوقه أفعى[8]، كما اعتبر شعارا شعارا للخلود والتجديد الدائم من خلال تبديل الأفعى لجلدها.[9]

فضلا عن ذلك فهو الحافظ والواقي، إذ كثيرا ما ارتبط اسمه بجني الأماكن الرطبة كالينابيع والحمامات التي يشرف على قداستها[10]، بدليل اكتشاف نقيشة تشير إليه بالحمامات المعدنية المعروفة بحمام الصالحين، التي تمت الإشارة إليها سلفا، هذا وأعتبر زيادة على ذلك جني المنزل الحامي له، إذ كثيرا ما عثر على نقوش تشير إليه بآثار المنازل الرومانية، نذكر منها على سبيل المثال لا للحصر، نقيشة مذبح عثر عليها بمنزل تعود ملكيته لأنتيستي « Antistii » بآثار موقع عنونة « Thibilis » كتبت عليه العبارة التالية:" جني المنزل المقدس" « Genio domus

[1] Saint Augustin, *Sermons,* CXCVII, 1.
[2] Camps (G.), Dieux africains et Dii Mauri, *E.B.,* XV, 1995, p.2327.
[3] *C.I.L. VIII*, 9326.
[4] *C.I.L. VIII,* 17722.
[5] *I.L.Alg.,* II, 736.
[6] Leglay (M.), Le serpent dans les cultes Africains, *loc.cit.,* p. 341 ; p. 345.
[7] *Id., Ibid.,* p. 341 ; p. 352-353.
[8] *Id., Ibid.,* p. 351.
[9] *Id., Ibid.,* p. 353.
[10] *Id., Ibid.,* p. 341.

« sacrum، بجانبها مشهد يصور جني المنزل في هيئة شاب صغير يحمل حبلا في شكل ثعبان. كما اكتشفت نقيشة مذبح آخر بذات الموقع تحمل إهداء إلى جني المنزل، صورت بها أفعى لوحدها. [1]

ولقد استمرت هذه العبادة الوثنية حاضرة إلى غاية الفترة المسيحية وهذا ما نستشفه من سيرة القديسة سالسا« Sainte Salsa » التي سقطت شهيدة نتيجة تجرئها على رمي ثعبان برونزي ذو رأس مذهب في البحر كان وثنيو تيبازة « Tipasa » يعبدونه. [2]

1-4- القرد

ليس لدينا من الدلائل الكافية التي تشير إلى عبادة القردة، إلا رواية ديودور الصقلي « Diodore de Sicile » [3] ، التي تعود إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، ولا ولا نعلم إن كانت حقيقية أم مجرد أسطورة من نسج خيال المؤلف، وهو دأب الكثير من الكتاب الكلاسيكيين من أمثاله، الدين عمدوا إلصاق كل ما هو غريب ومثير بالمناطق والشعوب التي احتكوا بها. وتعتبر هذه الرواية النص الوحيد الذي يقر بهذه العبادة بالمنطقة الواقعة غرب قرطاجة والتي تضم في الوقت الحالي على وجه التقريب طبرقة بشمال تونس ومنطقة القالة بالشمال الشرقي للجزائر [4]، والنص يتطرق لمغامرة جيش القائد الإغريقي أغاثوكليس « Agatocles » التي قادته إلى هذه الناحية، حيث لفتت انتباهه عادة تقديس القردة من قبل سكانها والتي اتخذت عدة مظاهر، منها وجود ثلاثة مدن تحمل أسماء مأخوذة من كلمة قرد باللغة اللاتينية، كما كان الآباء لا يتوانون عن اختيار أسماء مشتقة من أسماء القردة لأبنائهم، زد على ذلك تقاسمها

[1] Leglay (M.), Le serpent dans les cultes Africains, *loc.cit.,* p. 343.

[2] *Id., Ibid.,* p. 338 ; Camps (G.), Dieux africains et Dii Mauri, *loc.cit.,* p. 2327 ; لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 306، محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 242.

[3] Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique,* XX, 58.

[4] محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص. 59.

للمسكن والطعام معهم، حيث كان ينظر إليها كآلهة، والأكثر من ذلك التعرض إليها بالقتل يعتبر جريمة شنيعة يعاقب مقترفها بالموت. [1]

1- 5- الأسد

حظي الأسد بمكانة متميزة كغيره من الحيوانات ضمن معتقدات سكان المنطقة قديما خلال الفترة التاريخية، ولم يعرف وجود معتقد مرتبط به يعود إلى فترات ما قبل التاريخ بالرغم من صوره ونقوشه العديدة التي عثر عليها على مستوى جداريات الفن الصخري، باعتباره أحد أهم المواضيع المفضلة لفناني هذه المرحلة، لكنها في الواقع لم تخرج عن الإطار الطبيعي العادي، دون إضافات أو مشاهد رمزية ترفعه إلى مصف الكبش أو الثور مثلا [2].

والحال أن الأسد كان على الدوام محل توقير وتبجيل ورمزا للقوة والعظمة، حيث زينت صوره العديدة الكثير من القبور الملكية النوميدية كالضريح الموريطاني بشرشال (Caesarea) [3]، وهناك من ربط بينه وبين معتقد عبادة الشمس واعتبرهما صورة لإله واحد، خاصة وأن عفرته توحي إلى أشعة الشمس الساطعة [4]، وللأسد مكانة مميزة إلى جانب الإله الأكبر ساتورنوس ضمن النصب المهداة إليه، حيث اعتبر أحد أهم وأقوى رموزه إلى جانب الكبش والثور والأفعى [5]. وفي الصدد نذكر على سبيل الذكر تلك النصب المكتشفة ببني فودة بسطيف، أين يظهر ساتورنوس جالسا على أسد تتبعه حية رمز الموت والخصوبة، وبأسفله ثور جميل [6]. كما كان لهذا الحيوان حضور قوي في الزخارف المنحوتة على المعالم الجنائزية، فهو صورة الإله الاكبر ساتورنوس الذي ينير القبر ويمجد الميت، جاعله تحت حمايته باعتباره الإله

[1] Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique*, XX, 58. Gsell (S.), *H.A.A.N.*, op.cit., VI, p. 245 ; Decret (F.), Fantar (M.), *L'Afrique du Nord dans l'antiquité, op.cit.,* p. 255 ; محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص. 59

[2] لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 300.

[3] محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا،نفس المرجع، ص. 60.

[4] نفس المرجع، ص.60، محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 242.

[5] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص. 242، عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس، نفس المرجع، ص. 176.

[6] محمد العربي عقون، المرجع السلبق، ص.217.

الأعظم وسيد الزمن والحياة والموت [1]، والى جانب ذلك اعتبر أحد أقوى رموز الإلهة الإفريقية« Dea Africa » . [2]

2- تقديس النباتات

مارس عموم البربر في القديم عبادة الموارد الطبيعية كالحجارة، العيون المائية والأشجار معتقدين أنها تشكل سكنا للمقدس وتجسيدا لصورة ذلك الإله [3]، وعليه لابد من العكوف عندها لنيل البركات والنذر لها إذا ما تحققت الأمنيات كالشفاء من المرض أو النصر، ويُخاف غضبها وبطشها إذا ما تعرض إليها المرء بالأذى بالقطع أو القلع أو حتى بتر فرع من فروعها. ولم تكن عبادة الأشجار حكرا على مجتمع بعينه، بل ظاهرة عامة اتصفت بها كل الشعوب القديمة التي اتخذت كل منها نوعا نباتيا يكثر تواجده بمنطقتها البيئية كإله، وعلى سبيل الذكر كان المصريون القدامى يقدسون شجرة الجميز لاعتقادهم بأن الإله حتحور يحبها ويأوي إليها.

كما احتلت الشجرة لدى الساميين مكانة مرموقة، ورغم وجود علاقات جمعت بين منطقة الشرق الأدنى القديم وشمال إفريقيا منذ أقدم العصور، إلا أنه لا شيء يسمح لنا على بالاعتقاد بأنها ممارسات عقائدية وافدة من المشرق [4]. ومهما يكن فلقد تعددت أنواع الأشجار الأشجار والنباتات المقدسة قديما والتي اختلفت من منطقة جغرافية لأخرى، إلا أن الصفات المشتركة بينها تتمثل عادة في كونها أشجار ضخمة معمرة قنوعة لا تحتاج إلى كميات كبيرة من مياه الأمطار كالنخلة، السدرة، الدوم، التين والزيتون.

بالرغم من شيوع ظاهرة تقديس النباتات قديما لدى شعوب منطقة شمال إفريقيا قاطبة، إلا أننا نصطدم بشح المادة الأثرية والأدبية على حد السواء، وهنا لا نحتكم سوى على شاهدة أرنوب « Arnobe » العائدة إلى القرن الرابع الميلادي التي نقلها إلينا المؤرخ بيكار « Picard » ،

---

[1] Camps (G.), *Les Berbères aux marges de l'histoire, op.cit.,* p. 206 ; محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا،نفس المرجع، ص. 60.
[2] لحسن بودرقا، المرجع السابق، ص. 300، محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص. 242.
[3] Decret (F.), Fantar (M.), *L'Afrique du Nord dans l'antiquité, op.cit.,* p. 251.
[4] Decret (F.), Fantar (M.), *L'Afrique du Nord dans l'antiquité, op.cit.,* p. 252 ; محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني في شمال إفريقيا، نفس المرجع، ص. 71.

الذي نوه إلى بعض الممارسات والطقوس التعبدية التي اختص بها السكان وتتمثل في ربط الخيوط والخرق ببعض الأشجار اعتقادا منهم بأنها تطرد الشر [1]، وإلى غاية اليوم ما تزال هذه العادة مستمرة في بعض جهات الوطن حيث تعلق الألبسة والخرق البالية على الأشجار وبخاصة شجرة السدرة والتي تكون عادة متواجدة بالقرب من الأضرحة والمزارات.

ومن ناحية أخرى، انتشرت خلال فترة الاحتلال الروماني للجزائر عبادة الإله سلفان « Silevain » ، إله الطبيعة وحامي الغابات والبراري، الذي حظي بمكانة متميزة بلمباز (Lambaesis) مقر فيلق أغسطس الثالثة حيث تكثر الغابات بنواحيها لدرجة أنه كان يُعبد بنفس المعبد المخصص للإله إسكولاب والإله جوبتر، حيث فرضت عبادته نفسها على المنطقة بقوة [2]، ولقد حاربت الشعائر السماوية هذا الطقس الوثني باعتباره ضربا من ضروب الشرك بالله الواحد الأحد، فضلا عن ذلك تم ذمه من قبل رجال الدين المسيحيين الأفارقة الذين طالبوا الإمبراطور خلال مجمع ديني عقد في القرن الرابع الميلادي إبطال عبادة الأوثان، والأشجار والغابات [3]. ولم تغفل شريعتنا الإسلامية عن هذا الأمر لما ورد في كتابنا العزيز من آيات قرآنية فيها نهي واضح من الله عز وجل بقوله تعالى:" وإن أصحاب الأيكة* لظالمين". [4]

2-1- سعف شجرة النخل

حملت الكثير من النصب البونية بقسنطينة أشكالا متنوعة من سعف النخل والتي تتموضع إما في أعلى النصب، مما يجعلها تؤثر كثيرا على رسم الهلال وقرص الشمس، وتكون في حالات أخرى متحدة مع رمز الإلهة تانيت وذلك إما أن تكون مرتبطة بها في نهايتها أو على

---

[1] Picard (G.CH.), *Les religions de l'Afrique antique, op.cit.,* p. 10 ; Decret (F.), Fantar (M.), *l'Afrique du Nord dans l'antiquité, op.cit.,* p. 251

[2] Chatelain (M.L.), Le culte de Silevain en Afrique et l'inscription du Sers(Tunisie), *Mélanges d'archéologie et d'histoire*, 30, 1910, p. 78-80 ; Leglay (M.), La vie religieuse a Lambèse d'après de nouveaux documents, *Ant.Afr.,* 5, 1971, p. 132.

[3] جيهان ديزانج، البربر الأصليون، نفس المرجع، ص. 446.

[4] سورة الحجر، الآية 78.

* الأيكة: مفردها الأيك وهي شجرة ضخمة الكثيرة الأغصان الملتفة من السدر والدوم والجميز ونحوها من الأشجار الضخمة، وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام، الذين اتخذوا لله أنداد من الأوثان وعبدوا الأشجار

يمينها أو يسارها، أو ترسم بخط أفقي، ونجدها أحيانا أخرى مؤطرة بسعفتي النخل ورمز القرص، وبأخرى ممسكة صولجان بيد وتلوح بجريدة نخل بالثانية [1]، وتعود في مجملها إلى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد [2]. والظاهر أن رسم سعفة النخل ارتبط بشكل أساسي بالنصب النذرية الموجهة إلى الآلهة تانيت، وتُعد من كبرى الآلهة الإفريقية المحلية التي تقاسمت مع الإله بعل آمون البانتيئون الإفريقي، وهي سيدة القمر ورمز القوة من خلال حملها الصولجان، ورمز الخصوبة لتحكمها في البذر والحصاد والمستعان بها عند الولادة، باقران رسمها بجريد النخل وحب الرمان [3]، وسيدة العالم السفلي، والساهرة على أرواح الموتى أثناء رحلتهم الطويلة ما بين الأرض والسموات [4]. وهو الأمر الذي يحيل بالاعتقاد أن سعف النخل قد ارتبط بمعتقد ما بعد الموت (الصفحة 357- الصورة رقم 75)، خاصة وأن رسمه قد اقترن بالنصب النذرية لتانيت من جهة، وبحضور رسمه بالفن الجنائزي الروماني والمسيحي لاحقا من جهة ثانية، والذي رمز إلى انتصار الفقيد أثناء موته على الأرواح الشريرة في الحياة الأخرى الأبدية. [5]

2-2- الزهرة

قدست بعض الشعوب القديمة بعض أنواع الأزهار على غرار المصريين القدامى الذين بجلوا زهرة اللوتس التي كانت تنمو بكثرة على ضفاف وادي النيل والتي خلدتها جداريات المقابر والمعابد، ولعل شعوب المنطقة قدست أنواعا من الأزهار التي تواجدت بكثرة بها بدليل أن بعض نصب الحفرة بقسنطينة حملت رسم الزهرة ذات الست بتلات، والتي اقترنت بنقوش الإلهة تانيت [6]، ولحد الآن لم يتم التعرف على الغرض من تصويرها، فهل هي مجرد زخرفة

---

[1] محمد الصغير غانم، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري في فترة ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، نفس المرجع، ص. 156-157.

[2] فرانسوا بيتراندي وموريس سنيتزار، النصب البونية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، نفس المرجع، ص. 73.

[3] محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني، نفس المرجع، ص.91 ، محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص. 214.

[4] عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس، نفس المرجع، ص. 158.

[5] محمد الصغير غانم، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري في فترة ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، نفس المرجع، ص. 158.

[6] فرانسوا بيتراندي وموريس سنيتزار، النصب البونية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، نفس المرجع، ص. 70-71.

نباتية تزيينية أم أنها ارتبطت بمعتقد يخص الإلهة تانيت، كأن تكون مثلا رمزا للجمال، الحب، أو التكاثر.



الصورة (75): نصب نذري تظهر به سعفة النخل – تيبيليس، قالمة.

Sintes (C.), *Algérie antique,* catalogue de l'exposition de 26 avril17aout 2003 Arles, Éditions du Musée de l'Arles et de la Provence antiques, 2003, p. 146.

ثانيا- التوظيف السياسي

1 – العملة

تعتبر العملة عنوانا للاستقلال السياسي والاقتصادي لأي أمة في العالم، وهويتها الدالة عليها، وعلى هذا الأساس وضعت الممالك النوميدية والموريطانية، باعتبارها كيانات سياسية ذات حدود ونظم ومعلومة، نظاما نقديا عاكسا لها، يستمد دلالته ورموزه من البيئة المحلية دون أن يخفي المحيط الجيوسياسي الذي وجدت فيه والذي كثيرا ما تأثرت به، وفي هذا الإطار

سأحاول رصد دلالات الصور الحيوانية والنباتية التي ظهرت على سكة تلك الممالك وفق تسلسل كرونولوجي يبدأ من نهاية القرن الثالث قبل الميلاد إلى غاية إنهاء وجودها على يد الرومان خلال النصف الأول من القرن الأول الميلادي، محاولين تفسير دلالاتها وإبراز طبيعة العلاقة بين الصورة الحيوانية أو النباتية المطبوعة على القطع النقدية بفترات الاستقرار والأزمات التي عصفت بالممالك المحلية.

1- 1- العملة النوميدية

ترجم الوعي السياسي الذي بلغته الممالك المحلية في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد من خلال إصدار المملكة الماسيسلية عملة نقدية، ويعتبر الملك صفاكس أول من سك عملة باسمه مستعينا في ذلك بالإرث القرطاجي في هذا المجال، والتي لم تبدأ هذه الأخيرة بسك عملتها إلا في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد بصقلية وفي قرطاجة حوالي القرن الرابع الميلاد [1]. وهي على ما يبدو فترة جد متأخرة نسبيا عن تاريخ ضرب العملة بالعالم الإغريقي [2]. ولقد استخدم معدن البرونز بصفة أساسية في سك عملة صفاكس والفضة بنسب قليلة لصالح ابنه فرمينا الذي كان قد أشركه في الحكم، وقدرت عدد القطع الفضية المكتشفة الحاملة لاسم هذا الأخير بثلاثة قطع فقط [3]. وقد سُك معظمها بدور عاصمة المملكة تاكمبريت(Siga) وجزء منها بشبه الجزيرة الإيبيرية على حسب ما جاء به مازار « Mazard »،[4] وهو الطرح الذي أخذ به معظم المؤرخين.

إلا أنه في الآونة الأخيرة ظهر توجه جديد يتزعمه الباحث ألكسندرو بولوس « Alexandropoulos » مفاده أن تلك القطع التي كان يعتقد أنها ضربت بإسبانيا، إنما قد سكت بقسنطينة (Cirta) ، بعد ضم صفاكس مملكة الماسيل إليه، موحدا بذلك نوميديا، حيث

---

[1] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، نفس المرجع، ص. 86، غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 386، محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر،، الجزائر، دار الهدى ، 2007، ص. 162.

[2] فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جابا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق.م-46 ق.م، الجزائر، منشورات أبيك،2007، ص. 277.

[3] Gsell (S.), *H.A.A.N.*, *op.cit.,* IV, p. 157.

[4] Mazard (J.), *Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op.cit.,* p. 17-18.

أضحت قسنطينة العاصمة الثانية للمملكة سنة 204 قبل الميلاد، بدليل تحولها بعد أن وضعت الحرب البونية الثانية أوزارها سنة 201 قبل الميلاد إلى ورشة نقدية أساسية لماسينيسا، مما يعني وجود دور لسك العملة فيها أثناء مرحلة سابقة لفترة تتويجه ملكا بها هذا من جهة، ومن جهة ثانية لا يوجد دافع قوي يدفع بالجانب الإسباني لضرب نقود لصالح صفاكس بورشاته [1]، وهو الرأي الذي أراه الأقرب إلى الصواب.

والملاحظ أن أيقنة « Iconographie » هذه المسكوكات متشابهة في الغالب، إن لم نقل أنها واحدة، حيث حمل وجه القطع صورة الملك صفاكس بشعر مجعد وملتحي، متوج بعصابة من القماش « Diadémé » ، في حين حمل ظهرها صورة فارس مرتديا معطفا متطايرا للهواء، يحمل عصا قصيرة لعلها صولجان الملكية وصورة الملك بعينه (الصفحة 361- الصورة رقم76)، أو مزينا بحصان يعدو. حيث سيصبح هذا الرسم الأخير من المشاهد التي سيتم تداولها بكثرة في العملات التي سيُصدرها ملوك البربر لاحقا، والتي توحي إلى فرق الخيالة الإفريقية الخفيفة التي اشتهرت بها المنطقة حيث تحول موضوع الفرس والفارس إلى رمز إفريقي، والذي سيبقى حاضرا إلى غاية العهد الإمبراطوري من التاريخ الروماني، حيث نجده قد وظف واستعمل خلال عملية إنجاز عمود تراجانوس وفي سك نقود الإمبراطور هادريانوس [2].



الصورة (76): عملة سيفاكس

http://etudesanciennes.revues.org/docannexe/image/452/img-2.png

[1]Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 142.
[2] *Id., Ibid.,* p. 144-145.

شهدت العملة النوميدية مع ماسينيسا ومن تبعه من الملوك النوميديين انتشارا كبيرا يتماشى وحالة الاستقرار السياسي والتطور الاقتصادي الذي بلغته المملكة، حيث أضحت عملة رائجة ابتداء من المحيط الأطلسي إلى غاية غرارات القصر التراب « Autels des philénes » بالسرت الكبير شرقا [1]، ووصل مداها شرق أوروبا حيث عثر عليها ضمن كنز مازين بكرواتيا الذي ضم ثلاثمائة وثمانية وستون (368) قطعة برونزية، وضمن كنز كولا ببلغاريا عند مصب نهر ليفر بأرموريك [2]. حيث استخدموا في سكها معادن رخيصة تمثلت في مادة البرونز والرصاص، ولا يوعز كامبس « Camps » سبب اختيار ماسينيسا ومن تبعه من الملوك لهذين المعدنيين لعامل ندرة المعادن الثمينة كالذهب والفضة بالمملكة، وإنما لأنهم كانوا يفضلون الاحتفاظ بها في شكل كنوز مؤلفة من سبائك، بدلا من جعلها نقودا حيث ساروا في ذلك على منوال ملوك الشرق الأدنى القديم كالفراعنة والأشوريين وعلى نمط المدن الإغريقية قبل انضمامها إلى النظام النقدي، بدليل أن المؤرخ سالوستيوس « Sallustius » قد أشار خلال أحداث حرب يوغرطة في مرات عديدة إلى الكنوز الملكية النوميدية التي كان يحتفظ بها في عدد من مدن شرق المملكة. [3]

وزيادة على ذلك، وفرت التجارة الخارجية لماسينيسا ومن تبعه من الملوك عملات فضية أجنبية جلبها السماسرة الإغريق والإيطاليين، إذ منذ هذه الفترة بدأت عملية تداول الدنير الروماني « Denier » بالمملكة [4]، مفضلين في ذلك تخصيص نقود ذات قيمة بسيطة « Monnaie divisionnaire » للتعامل الداخلي لرعاياهم حتى لا ينهكوا خزائنهم [5]، ولقد سكت بدور قسنطينة (Cirta) وهو ما يفسر العدد الهائل للنقود المكتشفة بها، كما ضرب جزء

[1] Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 149.
[2] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 391، فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جابا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق.م-46 ق.م ، نفس المرجع، ص. 276.
[3] Salluste, *Bel.Jug.,* XII, 2 ; XXXVII, 3 ; LXXV, 1 ; غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، نفس المرجع، ص. 392.
[4] Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 245.
[5] *Id., Ibid.,* p. 245 ; غابريال كامبس، المرجع السابق، ص.393.

منها بتاكمبريت(Siga)، على ما يعتقد قبل أن يقوم ماسينيسا أو ابنه ماسيبسا بإغلاقها، هادفين من وراء هذا الإجراء إلى مركزة عملية سك العملة بعاصمة المملكة القريبة من مهد السلالة الماسيلية والتي عليها أن تلعب دورها على أكمل وجه كعاصمة للمملكة [1].

وعلى نهج ماسينيسا سار الملوك النوميديين من بعده على نفس الخطى في سك العملة، مكتفين فقط في كل مرة عندما يعتلي أحدهم العرش باستبدال الحرفيين المطبوعين بأسفل الرسم أو الصورة والتي هي عبارة عن توقيع للقطع النقدية [2]، مثل أن حرفي "م.ن" « N.N » هما مختصر لاسم ماسينيسا أو ماسيبسا، أما الرمز "ج.ن" « G.N » ، ففسر على أنه اختصار لاسم غودان « Goudan » أخ يوغرطة الذي حكم ابتداء من سنة 105 قبل الميلاد [3]، وفيما يختص " أ.ل" « A.L » فيعتقد أنه مختصر اسم أذربعل « Adherbal » ابن ماسيبسا الذي حكم الجزء الشرقي من نوميديا بما فيها العاصمة قسنطينة(Cirta)، بعد أن أقدم الرومان على تقسيم المملكة بينه وبين يوغرطة سنة 118 قبل الميلاد، مما يعتبر دليلا آخر على تمركز ورشات النقد بها. وهذا ما يفسر كذلك عدم العثور على نقود تحمل اسم يوغرطة، وهو السؤال الذي بقي عالقا حتى الآن، وهو لما لم يقم يوغرطة بسك عملة باسمه بعد دخوله قسنطينة(Cirta) وقتله لأذربعل [4].



الصورة (77): عملة ماسينيسا.

http://etudesanciennes.revues.org/docannexe/image/452/img-2.png

---

[1] Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 151.

[2] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* V, p. 158 ; غابريال كامبس، المرجع السابق، ص. 383-384، محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي في الجزائر، نفس المرجع، ص. 166.

[3] Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 155.

[4] *Id., Ibid.,* p. 156.

لقد حملت القطع النقدية النوميدية التي تنسب لماسينيسا أيقونات حيوانية تمثلت في صورة الحصان الراكض أو الواقف (الصفحة 343- الصورة رقم77)، ويعتقد أن القطع الحاملة لهذين الرسمين أقدم من تلك القطع التي تحمل رسم حصان يسير بخطى متزنة المرفوقة بكوكب أوسعفة نخل [1]. كما يعتبر الحصان رمز القوة الضاربة في الجيش النوميدي وسبب شهرة فرقه، ولقد حاول الكسندرويولوبس « Alexandropoulos » تفسير حالة اختلاف شكل الحصان المرسوم على ظهر القطع النقدية بالأوضاع السياسية التي كانت تعرفها المملكة، مما حاله على الاعتقاد بأن النقود ذات رسم حصان يعدو أو واقف مرتبطة بالفترة التي تلت مباشرة اعتلائه العرش، وفيها دلالة على عملياته العسكرية التوسعية شرقا وغربا. أما مجموع القطع التي يظهر فيها فرس يخطو فهي أحدث من الأولى، وفيها دلالة على الهدوء والاستقرار السياسي والرخاء والازدهار الاقتصادي الذي عرفته المملكة [2]. وعلى صعيد أخر حملت بعض القطع بنسبة أقل صورة الفيل (الصورة رقم 78)، رمز العمر المديد واحد الرموز التي ارتبطت بالإلهة إفريقيا. [3]



الصورة (78): عملة ماسينيسا.

http://etudesanciennes.revues.org/docannexe/image/452/img-5.png

[1]Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 150.
[2]*Id.,* Aspects militaire de l'iconographie monétaire Numide, *Cahiers des études anciennes,* XLIX, 2012, p. 211-234.
[3]*Id., Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.* p. 183.

كما حملت نفس المسكوكات النوميدية أيقونات نباتية، نذكر منها ظهور رأس الملك ماسينيسا متوجا بإكليل من ورق الغار(الرند)، ولعله التاج الذي قدم له كهدية من قبل كونيليوس سكيبيو بعد تتويجه ملكا بقسنطينة(Cirta) سنة 203 قبل الميلاد حسب ما أشارت إليه المصادر الأدبية [1]. وهو رمز النصر والبطولة والشجاعة، فضلا على ذلك فقد توج به القادة والقناصلة الرومان المنتصرين الصاعدين إلى مبنى الكابتول، كما كانت تُطوق به رؤوس الآلهة الرومانية وعلى رأسها الإله أبولون كرمز للخلود الدائم، وهو من الرموز الرومانية الدخيلة على العملة النوميدية. [2]

وبالموازاة، ظهر رسم سعفة النخل على البعض من هذه القطع، وهي من العلامات السامية المشرقية الأصل والدالة على الخصوبة والطبيعة الولادة. فقد صنفتها شعوب الشرق الأدنى القديم وفي مقدمتهم الأشوريين ضمن فئة الأشجار المقدسة، ونعتوها بشجرة الحياة [3]، وذلك من خلال النقل الاصطناعي لغبار الطلع على يد الإنسان من النخل الذكري إلى عراجين النخيل الأنثوية، والذي كان يمارس في منطقة بلاد ما بين النهرين على حسب ما ذكره هيرودتس « Hérodots » [4]، وهو الأمر الذي قارنته الشعوب السامية بالعلاقة الجنسية التي تربط الرجل بالمرأة [5]. والظاهر أن هذا الرمز انتقل إلى بلاد المغرب القديم مع مجيء الفينيقيين إلى المنطقة، ومن القرائن الكاشفة عن هذا الحال نصب نذري قرطاجي يظهر به شخص يصعد نخلة أنثوية من أجل أخذ اللقاح لها والذي كان قد جمعه من نخلة ذكرية لكي يضمن خصوبتها [6]، زد على ذلك أن النخلة أو سعفها كان من أولى الرموز التي تبنتها

[1] Tite Live, *Histoire Romaine,* XXX, 15, 11 ; Appien, *Histoire Romaine, Le livre Carthaginois*, XXV, IV.
[2] Plinus, *H.N.,* VII, 117 ; Cicéron, *Correspondance, Lettres à des familiers*, XV, 6, 1 ; Ovide, *Métamorphoses,* XI, 160-169 ; Tacite, *Bibliographies d'Agricola*, XVIII, 7 ; Horace, *Odes*, XV, 2, 5.
[3] Goblet D'Alviella (E.), *La migration des symboles*, Paris, Ernest Leroux, 1891, p. 180.
[4] *Id., Ibid.,* p. 173; Hérodote, *Histoire,* I , 193.
[5] Goblet D'Alviella (E.), *La migration des symboles, op.cit.,* p. 180.
[6] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* III, p. 369.

قرطاجة في عملتها منذ القرن الرابع قبل الميلاد [1]، كما صورت بكثرة على القطع النقدية البرونزية الإيبيرية، أين ظهر الفرسان حاملين لسعف النخل. [2]

أحدث يوبا الأول ثورة حقيقية على النقد النوميدي من خلال اعتماده نظام المعدنيين، حيث ضرب نقودا فضية صغيرة اقتداء بالدينار الروماني مرفوقا باسم الملك والتي سكت بأوتيكا(Utica) مركز عمليات بومبيوس بإفريقيا بعد أن انضم إلى صفه الملك يوبا الأول في حربه ضد قيصر وحليفه بوخوس الأول ملك موريطانيا وكان ذلك سنة 49 قبل الميلاد [3]. وعثر على عملة مفضضة* إلى جانب تلك المصنوعة من البرونز والتي سكت بقسنطينة (Cirta). [4]

وفي المنحى ذاته، أجرى تغييرات هامة على الطابع الأيقوني للقطع النقدية التي أصدرها، إذ أفرد بها مساحات كبيرة للنقائش الكتابية، التي أضحت تكتب بالبونية الحديثة عوض البونية عكس ما كان معمولا به السابق، والتي حملت أشكالا إيكونوغرافية جديدة متأثرة في ذلك بالعملة البطلمية والرومانية [5]. أضف إلى ذلك حملها لأول مرة رموز دينية تمثلت في رسم قرني قرني الإله آمون بعل والآلهة افريقية « Dea Africa » المرتدية لجلد الفيل، كما وجدت الأشكال المعمارية مكان لها بعملته [6]، أما عن الصور الحيوانية التي ظهرت بمسكوكاته فقد تمثلت أساسا في الحصان الراكض، الفيل أو جلده والأسد رمز الشمس [7] (الصفحة 360- الصورة رقم79).

[1]Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 363-368.
[2] *Id., Ibid.,* p .169
[3]*Id., Ibid.,* p. 174; p. 181; p. 247 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* IV , p.160;
محمد الصغير غانم، مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم، الجزائر، دار الهدى، 2005، ص. 192.
* قطع نحاسية مغطاة بطبقة رقيقة من البرونز
[4]Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 402 n°33 à 36.
[5]*Id., Ibid.,* p. 181 ; p. 247.
[6] *Id., Ibid.,* p. 182-183.
[7] *Id.,* Aspects militaire de l'iconographie monétaire Numide, *loc.cit.,* p. 211-234.



الصورة (79): عملة يوبا الأول.
http://etudesanciennes.revues.org/docannexe/image/452/img-9.png

1-2- العملة الموريطانية

يتواصل تاريخ عملة الممالك البربرية مع يوبا الثاني، فبعد وفاة ملك موريطانيا بخوس الثاني سنة 33 قبل الميلاد والذي لم يخلف ورثة للعرش، شغر عرش المملكة لفترة قبل أن يقوم أكتافيوس أغسطس بتنصيب يوبا الثاني ابن يوبا الأول على رأس موريطانيا، والذي سك عملة ذهبية، فضية وبرونزية بعاصمته شرشال(Caesarea) [1]، ولقد تعددت الصورة الايكونوغرافية الظاهرة على عملته على مدار خمسين سنة وهي مدة حكمه(25 قبل الميلاد-24 ميلادية)، فهناك رموز ظهرت وأخرى اختلفت في حين استمر بقاء بعضها الآخر خالدا [2]، وتعددت المصادر التي استلهم منها صور عملته ما بين رموز رومانية بحكم نشأته وثقافته، ومصرية ناجمة عن زواجه بكليوباترا سليني، إلى جانب تلك الرموز المحلية التي كانت مستعملة من قبل. وأبقى على بعض الرموز المصنفة ضمن خانة الأشكال التقليدية كالفيل والأسد حيث ظهر رسم الحيوان الأول على النقود البرونزية العائدة لسنة 31 و 32 ميلادية ليختفي بعد ذلك. [3]

---

[1] *Id., Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 413-426 n° 67à n° 238 bis.
[2] *Id., Ibid.,* p. 215; p. 222.
[3] Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 222 ; p. 226.



الصورة (80): عملة يوبا الثاني.

http://etudesanciennes.revues.org/docannexe/image/452/img-10.png

أما الأسد فقد انحصر رسمه على النقود غير مؤرخة، في حين تتمثل المشاهد الحيوانية ذات التأثيرات المصرية والتي ظهرت على القطع البرونزية العائدة إلى فترة حياة كليوباترا سليني، في الصقر الحامل لصاعقة بين مخالبه، التمساح (الصورة رقم 80)، فرس النهر، طائر أبو منجل، الأفعى وقرن الخصوبة، وهي في الواقع كلها مواضيع بطلمية تحتفي بأصول الملكة [1]. كما تم التعرف على صورة يعتقد أنها شجرتان أو ورقتان ملتصقتان ضمن رسم معبد يعلوه اسم أغسطس « Augusti ».[2]

خلف بطليوس والده في حكم مملكة موريطانيا، وسك عملة خاصة به، والجدير بالملاحظة أن نقوده الفضية مؤرخة في غالبيتها عكس نقود أبيه، الأمر الذي سمح بوضع جدول خاص بالمواضيع الحيوانية والنباتية التي زينت عملته مصحوبة بسنوات حكمه [3]، كما هو موضح في الجدول التالي:

[1]Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.,* p. 224-225.
[2]*Id., Ibid.,* p. 226.
[3]*Id., Ibid,* p. 237-238.

الرمز	سنة حكمه																		
	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	20
الفيل+الافعى							X		X										
الأسد							X	X	X	X			X		X				
النخلة	X	X			X	X	X	X	X	X		X	X			X		X	X
القمح							X			X			X			X		X	X

والظاهر من الجدول غلبة استعمال رمز النخلة بصفة أساسية ضمن عملة بطليوس، وهو الرمز الذي لم يظهر في نقود والده الملك يوبا الثاني، ولربما يعود ذلك إلى رغبة منه عن قناعة ودراية في اختيار رمز ذو بعد مزدوج يستند في ذات الوقت على الإرث الإفريقي البوني من جهة، وكونه كذلك رمزا مصريا من جهة أخرى [1]. في حين تراجع استعمال الصور الحيوانية بشكل ملحوظ عكس ما كان في السابق وغاب عنها رمز الفرس غير الملجم والفارس.

2- الدعاية السياسية

بعث ملوك البربر بمئات الحيوانات المتوحشة والأليفة إلى القادة والقناصلة الرومان كهدايا من أجل عرضها في الألعاب، سواء أكانت تلك التي تقام بالمسارح المدرجة « Amphithéâtre » أو مضامير السباقات، والتي أصبحت تقدر بالآلاف، بعد الإلحاق المباشر لمملكة موريطانيا سنة 40 ميلادية والقضاء على استقلالها الصوري، فقد ارتبطت العروض الحيوانية منذ ظهورها بروما بالحياة السياسية [2]، حيث استغلها الساسة كوسيلة للترويج لخطبتاهم ولكسب دعم الشعب لهم، نظير الظفر بالمناصب السياسية والتي تم برمجتها في الغالب قبيل كل موعد انتخابي [3]. وفي هذا الشأن احتفظت لنا المصادر بذكرى أخبار

[1] Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400av.j.-c.-40ap. p.j., op.cit.*p. 240-241.

[2] رضا بن علال، الألعاب في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2010-2011، ص. 269.

[3] Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 229 ; Deniaux (E.), L'importation d'animaux d'Afrique à l'époque Républicaine et les relations de clientèle, *loc.cit.,* p. 1301.

مزايدات القادة على بعضهم البعض وبأرقام الحيوانات المضحى بها التي أصبحت مضربا للأمثال.

ومن الشواهد الكاشفة عن هذا الحال، نذكر أن كولوديوس بولشير « C.Claudius Pulcher » قد قدم سنة 99 ق.م عرضا وضعت فيه الفيلة في مواجهة الثيران لأول مرة في تاريخ روما [1]، كما بقيت فترة حكم سيلا « Sylla » سنة 93 ق.م حاضرة في الأذهان حيث أمر بقتل مائة أسد ذو لبدة بطلب منه بمناسبة حاكميته « Préture » والتي قدمت له من طرف الملك بوخوس الأول، الذي ربطته علاقة صداقة معه ترجع إلى أيام إلقاء القبض على الملك النوميدي يوغرطة [2]. وفي السياق نفسه قدم القنصل بومبيوس « Pompeius » سنة 55 قبل الميلاد استعراضا غير عادي ضم مابين أربعمائة وعشرة وخمسمائة أسد إلى جانب الفيلة [3]، والذي ربطته على ما يعتقد علاقات جيدة بالملك هيمصال وعائلته التي يعود تاريخها إلى سنة 80 قبل الميلاد وهي الصداقة التي سمحت له من الحصول على عدد هائل من الحيوانات المتوحشة [4]. وعلاوة على ذلك حصل يوليوس قيصر سنة 46 ق.م على نفس التسهيلات بفضل العلاقات المتميزة التي ربطته بالملك بوخوس الثاني وبوغود اللذان تحالفا معه خلال حربه ضد البومبيين ويوبا الأول، حيث جلب معه أربعمائة أسد ذو لبدة سيقت كلها إلى المسارح المدرجة. [5]

[1]Plinus, *H.N.,* VIII, 7, 2.

[2]*Id., Ibid.,* VIII, 20 ; Sénèque, *De la brièveté de la vie*, XIII, 6 ; Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 228.

[3]Plinus, *H.N.,* VIII, 24, 1 ; Dion Cassius, *Histoire Romaine*, XXXIX, 39, 38.

[4] Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 228 ; Deniaux (E.), L'importation d'animaux d'Afrique à l'époque Républicaine et les relations de clientèle, *loc.cit.,* p. 1301-1302.

[5]Suétone, *Les douze Césars, César,* 39 ; Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *loc.cit.,* p. 229.

وخلال العهد الروماني تنامت ظاهرة تقديم الحيوانات في الألعاب لأغراض سياسية، ولكن هذه المرة ليس من أجل حصد الدعم السياسي وشراء الأصوات، وإنما لصرف اهتمام العامة عن الشؤون السياسية من جهة وإرضاء لها من جهة ثانية. لأنها في الواقع كانت تمثل أحد أهم وسائل الترفيه والتسلية لديهم [1]، وليس أدل على ذلك ما جاء على لسان الشاعر الروماني جوفيناليس « Juvénalis » حين حصر هموم الشعب الروماني في الحصول على الخبز بالمجان وألعاب السيرك التي تصرفهم عن أمور الحكم. [2]

فضلا عما سبق ذكره، كان هدف الأباطرة من برمجة عروض صيد الحيوانات التي كانوا لا يتخلفون عن حضورها، إظهار درجة فخامتهم ومدى قوتهم وعظمتهم، لإثارة الخوف والإعجاب في نفوس الناس، وأفضل مثال على ذلك سيرة الإمبراطور كومودوس « Comodus » الذي قال في شأنه ديون كاسيوس « Dion Cassius » مايلي: " أما كومود فإنه استسلم معظم حياته للملذات وحب الخيول وقتال الحيوانات والمصارعة... وهكذا قتل بمفرده خمسة أفراس نهر في مرة واحدة، كما قتل خلال عدة أيام فيلين وعلاوة على ذلك، قتل أيضا وحيدي قرن وزرافة". [3]

وعلاوة على ذلك، لم يكن تقديم ألعاب الصيد والسباق لأغراض سياسية حكرا على حكام روما، بل وسيلة انتهجها كذلك الطامعون في المناصب السياسية والباحثون عن الرقي الاجتماعي في الولايات الرومانية بما فيها الإفريقية، وهذا ما نستشفه من النقوش المكتشفة بتبسة (Theveste) التي تشير إلى تقديم أعيان المستوطنات ألعاب مصارعة وصيد نظير ظفرهم بمنصب كاهن الإمبراطور أو بعضوية المجالس البلدية [4]، وهو الأمر الذي تكررت ملاحظته في

[1] لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 251، رضا بن علال، الألعاب في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، نفس المرجع، ص. 269.

[2] Juvénal, Satires, X, 81.

[3] ديون كاسيوس، التاريخ الروماني، ج10، تقديم وترجمة وتعليق مصطفى غطيش، تطوان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2013، الكتاب72، 10.

[4] *C.I.L.VIII,* 1887 ; 16555 à16557 ; 16559 ; 16560 ; رضا بن علال، الألعاب في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، نفس المرجع، ، ص. 271.

مدن كعنابة (Hippone) [1] مداورش(Madaur) [2] وسوق أهراس(Thagaste)حيث نظم أحد أثرياء هذه الأخيرة والمدعو باسم رومينيانوس(Rominianus) عروض صيد دببة إلى جانب وهبه مأدبة عشاء بالمجان. [3]

وبالمقابل، كانت إفريقيا المورد الرئيسي للحيوانات المتوحشة الموجهة للألعاب، نجدها قد احتلت الصدارة كذلك في تمويل مضامير سباق العربات بالأحصنة البربرية المشهورة بالخفة والسرعة، والتي حصدت ألقابا وجوائز على المستوى الخارجي، وعلى سبيل الذكر أشرك الإمبراطور دوميتيانوس في أحد السباقات المنظمة بروما عشرين حصانا إفريقيا وواحدا موريطانيا [4]، وكذا على المستوى المحلي، كالحصان المدعو بوليدوكسوس « Polydoxus » من جميلة (Ciucul) الذي أنشد فيه صاحبه بومبيانوس « Pomeiamus » قائلا: " غالب أو مغلوب أحبك يا بوليدوكسوس" والحصان بولستيفانوس « Polystefanus » الذي فاز بإكليل النصر عدة مرات. [5]

ثالثا - الاستغلال العسكري

أوكلت الجيوش القرطاجية أو الرومانية على حد السواء للفرسان النوميديين المستعان بهم في الحروب. مهاما عدة كالاستطلاع، المناوشة لجر العدو إلى المعركة، المباغتة فالانقضاض الخاطف على العدو، وذلك بفضل الخصال التي يتمتع بها الحصان البربري ومقدرة الفارس على التحكم به بكل سهولة وتأقلمه مع مختلف التضاريس [6]. كما لعب الفرس والفارس النوميدي دورا كبيرا في حروب التحرير ضد الهيمنة الرومانية على المنطقة، حيث أسندت له مهمة شن ما يعرف بحرب العصابات.

---

[1] رضا بن علال، المرجع السابق، ص. 271. *I.L.Alg.,* I, 13 ; 95 ; 96 ;

[2] *C.I.L.VIII,* 4681; *I.L.Alg.,* I, 2055 ; 2144.

[3] رضا بن علال، المرجع السابق، ص. 95.

[4] نفس المرجع، ص. 127.

[5] نفس المرجع، ص. 127.

[6] لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال افريقيا القديم، نفس المرجع، ص. 267.

1- المساعدات العسكرية النوميدية لقرطاجة

تألفت القوات القرطاجية التي اعتمدت عليها خلال صراعها مع كل من الإغريق والرومان في سلاح المشاة والأسطول البحري بصفة أساسية، أضف إلى ذلك معرفتهم الجيدة في تدريب الفيلة على القتال، لكن هذا لا ينفي لجوءهم الدائم إلى طلب المساعدة من جيرانهم الإقليمين النوميديين لتزويدهم بالفرسان، من أجل منحهم أدوارا في الخطط العسكرية، والتي اعتبرها بعض المؤرخين من أمثال غزال أنها كانت ثانوية في جيوشهم [1]، والتي وضعنت بشأنها الجدول التالي بحسب ورودها في المصادر الأدبية، تفاديا لإعادة سرد مجريات الحروب القرطاجية -الاغريقية والرومانية، التي أتت على ذكرها جل الدراسات ذات الطابع السياسي- العسكري.

[1] Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* II, p. 401.

السنة	الواقعة التاريخية	عدد الحيوانات	المصدر، المرجع
480ق.م	هميرا بصقلية	فرسان قدمو من قبل سيلينونتSélinonte	Diodore de Sicile, *La Bibliothèque Historique*, XI, 21, 4 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.*, II, p. 400.
264-241ق.م	الحرب البونية الأولى بصقلية	عدد من الفرسان النوميديين	Polybe, *Histoire*, I, 19, 2-4.
219-218 ق.م	اسبانيا	1800 فارس نوميدي و20 فيلا تحت قيادة أذربعل	Polybe, *Histoire*, III, 33, 13-16; Gsell (S.), *H.A.A.N, op.cit.*, III, p. 336.
218-217ق.م	المعارك التي قادها حنبعل خلال حملته الأوربية	9 آلاف فارس و 37 فيلا	Polybe, *Histoire*, III, 35, 7 ; III, 72, 1-13 ; III, 73, 1-8 ; III, 74,1-11 ; Tite Live, *Histoire Romaine*, XXIX, 34, 5 ; Gsell(S.), *H.A.A.N., op.cit.*, II, p. 336.
216ق.م	شبه الجزيرة الايطالية	4000 فارس نوميدي	Tite Live, *Histoire Romaine*, XXIII, 13, 7 ; XXIII, 41, 10 ; XXIII, 43, 6 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.*, II, p. 339.
212-210ق.م	صقلية	فرسان نوميديين تحت قيادة موتيناس الإفريقي	Tite Live, *Histoire Romaine*, XXV, 40, 5 -13 ; XXV, 41, 1-5 ; XXV, 41, 1-5 ; XXVI, 40, 1-13.
212-206ق.م	اسبانيا	فرسان ماسليين تحت قيادة ماسينيسا	Polybe, *Histoire*, XI, 2 1, 1-7 ; Tite Live, *Histoire Romaine*, XXV, 34, 2-6 ; 9-10, 13 ; 35,8 ; 36, 3 ; XXVII, 5, 11; XXVII, 18, 7 ; 19, 9 ; XXVII, 20, 82 ; XXVIII,13, 6 ; XXVIII, 35 ; Appien, *Histoire Romaine, Livre Carthaginois*, X, Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.*, II, p. 363

2- الإمدادات العسكرية النوميدية للجيوش الرومانية

انتهجت روما ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد سياسة توسعية، ولتنفيذ مخططها الاستعماري، اعتمدت على جيش قوي قادر على تحقيق مشروعها، والذي تشكل من عناصر مختلفة، فإلى جانب العنصر الروماني تدعمت صفوفه بقوات حليفة، بحسب خبرة كل منها في حمل واستعمال سلاح معين. فمثلا كان البارثيون رماة جيدون والنوميديون فرسانا مهرة، وهذا ما نستشفه من حجم المساعدات العسكرية التي قدمها الملوك النوميديون للجيوش الرومانية التي كانت تحارب في أنحاء عدة، والتي تمثلت بدرجة أساسية في فرق الخيالة والفيلة بدرجة أقل والتي تمكت من وضع جدول لها، بحسب ما ورد في المصادر التي تشير أحيانا إلى عدد الفرسان المشاركين في الحملات العسكرية والتي تكتفي في أحيان أخرى بذكرهم دون تحديد عددهم.

وبعد أن استكملت روما احتلالها لعدد من المناطق الأوروبية، الآسيوية والإفريقية، أنشأت بتلك الولايات ما يعرف بالفرق المساعدة « Les troupes auxiliaires » ، والتي تضم المشاة « Cohortes » ، الخيالة « Alae » ، الوحدات الإثنية « Numeri » والفيالق المختلطة « Cohortes equitatae » ، مراعية في ذلك نجاعة وخبرة كل أمة في استعمال سلاح معي، والتي استخدمت في مراقبة الحدود وإخماد نار الثورات، فقد دلت النقوش على وجود فرق عسكرية محلية تألفت أساسا من الفرسان، كالفرقة التي حملت اسم فيلق خيالة الكشافين التلمسانيين« Ala exploratorum Pomariensium ».[1]

[1] Benseddik (N.), *Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le Haut empire, op.cit.,* p. 30.

السنة	عدد الحيوانات المشاركة	المهمة	المصدر، المرجع
204ق.م	200 فارس أو 2000فارس	معركة صاليك	Polybe, *Histoire,* XXI, 21, 2 ; Tite Live, *Histoire Romaine*, XXXIX, 29 , 4-5 ; Appien , *Histoire romaine*, *Le livre Carthaginois,* XIV, 56-60 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* III, p. 215.
203ق.م	فرقة من الخيالة	معركة حريق معسكر أذربعل وصفاكس	Polybe, *Histoire,* XIV, 4-5 ; Tite Live, *Histoire Romaine*, XXX, 5 ; Appien, *Histoire Romaine*, *Le livre Carthaginois*, XXI, 85-90 ; XXII, 91-92.
203ق.م	فرق من الفرسان النوميديين تتمركز بالجانب الأيسر للجيش	معركة السهول الكبرى	Polybe, *Histoire,* XIV, 6-8 ; Tite Live, *Histoire Romaine,* XXX, 8 ; Appien , *Histoire Romaine , Le livre Carthaginois* , XXX., 105-109.
203ق.م	فرقة من الفرسان النوميديين	معركة سيرتا	Polybe, *Histoire,* XIV, 9, 2-3 ; X, 4, 4 ; Tite Live, *Histoire Romaine,* XXX, 9 ; Ovide, *Fastes*, IV, 769 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.,* III, p. 237.
202ق.م	4000 فارس و600 فارس	معركة زاما	Polybe, *Histoire,* XV, 5, 12 ; Tite Live, *Histoire Romaine*, XXX, 33 ; Frontin, *Stratagème,* II, 3, 16 ; Appien, *Histoire romaine*, Livre Carthaginois, XLI, 171
200ق.م	1000 فارس	ضد فيليب المقدوني	Tite Live, *Histoire Romaine*, XXXI, 19 ; Camps (C.), *Aux origines de la berberie Massinissa ou les debuts de l'histoire, op.cit.,* p. 226.
198ق.م	200 فارس و 10 فيلة	ضد فيليب المقدوني	Tite Live, *Histoire Romaine,* XXXII, 27 ; Camps (C.), *Aux origines de la berberie Massinissa ou les debuts de l'histoire*, *op.cit.,* p. 227.

السنة	عدد الحيوانات المشاركة	المهمة	المصدر، المرجع
193ق.م	800فارس	ضدالليقوريين	Tite Live, *Histoire Romaine*, XXXV, 11 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.*, III, p. 310.
191ق.م	500فرس و20 فيلا	ضد أنتيوشوس	Tite Live, *Histoire Romaine*, XXXVI, 4 ; Camps (C.), *Aux origines de la berberie Massinissa ou les debuts de l'histoire, op.cit.*, p. 227.
171ق.م	1000فارس و 22 فيلا	ضد برسس ابن فيليب الخامس	Tite Live, *Histoire Romaine*, XLII, 62 ; Camps (C.), *Aux origines de la berberie Massinissa ou les debuts de l'histoire*, *op.cit.*, p. 227.
170ق.م	1200 فارس و 12 فيلا	مقدونيا	Tite Live, *Histoire Romaine*, XLIII, 6 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.*, III, p. 310.
153ق.م	فرقة من الفرسان النوميديين	لوزيتانيا بشبه الجزيرة الإيبيرية	Appien, *Histoire Romaine*, *Livre Carthaginois, LXVIII*, 304-309 ; Gsell (S.), *H.A.A.N., op.cit.*, III, p. 309.
148.م- 147ق.م	فيلة وقوات ضمت فرسان بقيادة غولوسة	قرطاجة	Appien, *Histoire Romaine*, *Livre Carthaginois*, CXXVI, 596-601.
134- 133ق.م	فرسان و 12 فيلا	نومانص بشبه الجزيرة الإيبيرية	Salluste, *Bel.Jug.*, VII, VII،سالوستيوس، حرب يوغرطة

3- سلاح الفرسان في ثورات التحرير ضد الهيمنة الرومانية

لم تطلعنا المعطيات الأثرية ولا النصوص الأدبية بنوعية القوات المحلية التي وقفت بالمرصاد في وجه الآلة العسكرية الرومانية، مما تعذر عينا وضع جدول يتضمن عدد الخيالة وباقي الحيوانات المستعملة في تلك الثورات، التي لم تنقطع منذ أن وطأت أقدامه المنطقة والتي كانت محل دراسة مستفيضة من قبل كل من راشيت « Rachet » [1] و بن عبو « Ben Abou » [2] لاحقا، ولكن الأكيد أن تشكيلة قوات المقاومة قد ضمت فرقا من الخيالة، خاصة وأن المنطقة قد اشتهرت كونها مخزنا كبيرا للحصان البربري، لدرجة أن الملوك النوميديين ،كانوا يقومون بإحصاء سنوي للمهور [3]. كما أصبح رمزا لصيقا بالمنطقة وسكانها، الذين كانوا يحسنون المناورة، المراوغة والالتفاف بالأحصنة، سواء أكان ذلك خلال المعارك النظامية، حيث كثيرا ما كانت توضع بأجنحة الجيوش [4]، أو حروب العصابات القائمة على الكر والفر، كالتي استخدمها القائد تاكفاريناس خلال ثورته(17-24 ميلادية)، حيث أشار تاكيتوس « Tacitus »في حولياته، التي تعتبر المصدر الوحيد الذي أرخ لهذه الثورة، إلى قيام الفرق العسكرية الرومانية سنة 24 ميلادية، بمباغتة تاكفاريناس وقواته المرابطة بالقرب من سور الغزلان« Auzia »، بمكان تحيط به غابات كثيفة، مع خيوط الفجر الأولى، وهم بين اليقظة والنوم، في وقت كانت فيه خيولهم إما مربوطة أو منطلقة في المراعي البعيدة [5].

---

[1] Rachet (M), *Rome et les Berbères*, *un problème militaire d'Auguste à Dioclétien,* Bruxelles, Coll.Latomus, vol 110, 1970.

[2] M. Ben Abou (M.), *La résistance Africaine à la romanisation, d'Auguste à Dioclétien,* Paris, Maspero, 1976.

[3] Strabon, *Géographie,* XVII, 3, 19.

[4] Polybe, *Histoire,* III, 73, 6.

[5] Tacite, *Annales*, IV, 25.


خـــاتمة

تعتبر الثروة الحيوانية والنباتية من عناصر الحياة للإنسان القديم في البيئة الجزائريـة، وهي جملة مصدر عيشه واستمراره على وجه الأرض، ومما لا غرو فيه يمكن القـول بأنهـا مصدر قوته في مختلف المجالات التي تم مناقشـاتها في هـذه الأطروحـة. وقـد أفـرزت هـذه الدراسة مجموعة من النتائج أجملها فيما يلي:

يعد اختلال الوسط الطبيعي للجزائر أهم نتيجة تم التوصل إليهـا مـن خـلال هـذا البحث، والذي يرجع تاريخه إلى فترات أقدم وإلى عوامل عدة، منها المناخية، حيث بـدأت الحيوانات العاشـبة الكـبيرة كفـرس النهـر ووحيـد القـرن والزرافـة والجـاموس القـديم بالاختفاء من المشهد البيئي للجزائر ابتداء من أواسط العصـر الحجـري الحـديث، بسـبب حالة الجفاف التي عرفتها المنطقة خلال تلك الفترة، مما نتج عنه قلة مصادر الغذاء، حيـث كان انحصارها تدريجيا إلى أن اقتصر تواجدها حاليا على وسط إفريقيا الاستوائية، ولم تبـق سـوى صـورها علـى الجـداريات الصـخرية كنـوع مـن الـذكرى البعيـدة لهـذا التنـوع الايكولوجي الذي زال وانقرض.

إلى جانب ذلك كان للعامل البشري الأثـر البـالغ في تغـيير وجـه الطبيعـة بـالجزائر القديمة، حيث دفعت تجاربه السياسـية والاقتصـادية بالمنطقـة إلى انقـراض أنـواع حيوانيـة ونباتية، والمنتهجة خاصة من طرف سلطات الاحتلال الروماني، التي كان لها الأثـر البـالغ في ذلك، إذ رمت بالقبائل الإفريقية التي كانت تمارس الرعي منذ آلاف السنين إلى ما وراء جنوب السهول العليا، بعد أن بلغ الاستيطان الزراعي أقصى مد له مع العهـد السـيفيري الذي لامس حواف الصحراء أواخر القرن الثاني الميلادي وبداية القرن الثالث المـيلادي، حيث أضحت تلك القبائـل الرعويـة محصـورة بـين خـط الـدفاع اللـيمس شمـالا وبـين الأراضي الصحراوية جنوبا، الأمر الذي حـرم قطعـانهم مـن مراعيهـا الصـيفية بالمنـاطق الشمالية أن يتوفر الكلأ والمناخ المعتدل، وهذا ما نجم عنـه تقلـص المجـال الرعـوي وعـدم إمكانية تجدده بصفة دورية كما كان الأمر من قبل، بسـبب تـردد قطعـان الماشـية عليـه في فترات زمنية قصيرة، وهو المجال نفسه الذي كانت تتقاسمه مع الحيوانـات المتوحشـة الـتي

دفعت هي الأخرى إليه كرها بسبب عاملين اثنين هما، تزايد وتيرة صيدها وتدمير وسطها الطبيعي، الذي تحول بفعل المستعمر إلى أراضي زراعية مما تولد عنه عدة نتائج وهي تحول تلك المراعي الضيقة التي دحرت اليها، إلى مناطق جرداء بفعل استنزافها المستمر من قبل قطعان الماشية ومختلف أنواع الحيوانية البرية، مما انجر عنه تقلص رؤوس قطعان الماشية بشكل كبير من جهة، وانقراض الحيوانات المتوحشة من جهة أخرى بسبب زوال مصادر غذائهما من الوجود.

إن تقلص المساحة الغابية بالجزائر القديمة لا يمكن نسبه إلى فترات حديثة فقط، بل يعود ذلك إلى فترة الاحتلال الروماني، وهو ما أكدته بعض النصوص القديمة منها ما أشار إليه بلينوس الكبير « Plinus» حول اختفاء مساحات شاسعة من أشجار العفص من جبال الونشريس؛ حيث أتت فؤوسهم على أجود أنواع الخشب، التي كانت مادة أولية لمختلف الصناعات الحربية والكمالية أو كوقود لحمامات روما.

تدمير السد الأخضر من الغابات الذي كان يحمي الأراضي الزراعية الواقعة شمالا من الرياح الجافة القادمة من الجنوب أدى إلى تسارع ظاهرة التصحر التي ضربت الأراضي الزراعية التلية المعروفة منذ القدم بخصوبة تربتها وبنسبها المرتفعة في إنتاج الحبوب من ناحية، ومست من ناحية أخرى الأراضي المستصلحة حديثا على يد المعمرين التي كانت في الأصل عبارة عن مراعي وبراري وغابات، فإزالة هذه الأخيرة أثره الوخيم على انقراض أو هجرة أنواع من الحيوانات المتوحشة، التي فقدت وسطها الطبيعي ومصدرها الغذائي.

وبموازاة ذلك لم يكن العنصر الأجنبي وحده سببا في تدمير الغابات، بل شاركهم في ذلك السكان المحليون الذين طردوا من أراضيهم الزراعية الخصبة، فبحثوا عن البديل من خلال اقتطاعهم للمساحات الغابية من أجل تعويض الأراضي التي سلبت منهم، لكنهم واجهوا مشكلة التربة بتلك المناطق التي كانت تفقد موادها العضوية والمعدنية بسرعة،

وهذا ما دفعهم للبحث عن مساحات جديدة، عن طريق قطع وحرق مساحات غابية أخرى من أجل تعويض خسائرهم، وهو شبيه لما يحدث للغابات الاستوائية حاليا.

من جهة أخرى، دفعت السياسة الرومانية الهادفة إلى شراء السلم الاجتماعي عن طريق توفير الخبز بالمجان لجماهير مدينة روما والترفيه عنها من خلال صنع الفرجة بالمدرجات والمسارح، إلى انقراض أنواع من الحيوانات وفي مقدمتها الفيل مع حدود القرن الثالث الميلادي، وإلى تقلص أنواع السنوريات، وهي حقائق أستشفها من المصادر اللاتينية، حيث لم يكن يتوان القادة والأباطرة الرومان على الجز بآلاف الحيوانات المتوحشة في عروض تتصارع فيها بين بعضها البعض أو بين المتصارعين أو العبيد أوالمحكوم عليهم بالإعدام.

تعدد أوجه العلاقة بين الإنسان والحيوان، فبعدما كان مجرد طريدة أضحى خلال العصر الحجري الحديث باستئناس جملة من الحيوانات، ثروته التي يعتز بها ويحرص على نمائها وزيادة أعدادها، فبعدما كان يجري وراءها أصبح يمشي برفقتها بحثا عن المراعي، وظهرت بذلك القبائل الرعوية الكبرى التي تجوب البلاد شمالا وجنوبا. كما كان لهذه الحيوانات المستأنسة دور في المجال الاجتماعي والاقتصادي كالركوب، الجر وأحد أهم الوسائل المعتمد عليها في العمل الفلاحي. لكن هذا لا يعني أن الإنسان قد تخلى على نشاطه الأول وهو صيد الحيوانات خلال الفترة التاريخية، كمصدر للطعام حتى يحافظ على رؤوس قطعانه أو لدرء خطرها على هذه الأخيرة أو على نفسه.

لم يعد من المقبول حسب ما يورده الطرح الغربي وما نقوم بنقله في مذكراتنا وأعمالنا العلمية عنهم، أن زراعة أصناف نباتية من الأشجار المثمرة والخضروات بشمال افريقيا القديم بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة هو نتاج تجارب أمم مشرقية أو غربية، انتقلت إلى المنطقة واحتكت بأفرادها، جاعلة من الإنسان المغاربي إنسانا عاجزا غير خلاق، وأنه بحاجة دائمة إلى معلم يأتيه من وراء البحار لينتشله من براثين الجهل ليلقنه

أبسط التقنيات الصناعية والزراعية، خاصة وأن البحوث قد قطعت الشك باليقين من خلال إشاراتها إلى أن شجرة التين، الرمان، اللوز، النخيل، وبعض الخضروات كالفول نباتات أصلية ومحلية بالمنطقة ، فلما يتم استبعاد فكرة معرفة الإنسان المحلي بقدم زراعته لها قبل مجئ الفينيقيين والرومان إلى المنطقة.

لم تقتصر استفادة الانسان المحلي من شتى أنواع الحيوانات والنباتات على الطعام فحسب، بل امتد إلى استخدام جلودها وعظامها وأنيابها وخشبها كمواد أولية من أجل انجاز وصنع ملابس وأفرشة وحلي و أثاث عربات وسفن وتحف فنية... التي أنجزت بداية ضمن الإطار العائلي لتصبح مع الوقت بتراكم الخبرات، تنجز ضمن ورشات ودكاكين مستقلة.

أدى الثراء الحيواني والنباتي بمجال الدراسة إلى ظهور جماعات أو اتحادات مهنية متخصصة في نشاط حرفي معين، خارج إطار العمل الأسري الذي كان معروفا من قبل والناتج عن تراكمات ومحصلات المهارات المعرفية، وينتسب هؤلاء في الغالب إلى الطبقة الوسطى، غير أن المصادر الأدبية والأثرية وفي مقدمتها النقائش لا تسمح برسم صورة واضحة عن المجتمع الحرفي بالجزائر خلال العصور القديمة، والظاهر أنه كان مهما استناد إلى حجم المخلفات الأثرية المعثور عليها بمختلف المواقع الأثرية والتي بلا شك قد صنعت في معظمها بأنامل محلية.

أضحت الحيوانات الأليفة والمتوحشة والمواد النباتية ومشتقاتها تجارة رائجة على مستوى الداخلي الذي أستشفه من خلال وجود أسواق ريفية وأخرى تقع بالمدينة التي دلت عليها النقائش الكتابية وأثارها التي لا تزال ظاهرة للعيان كسوق الأقمشة بجميلة «Cuicul » مثلا، هذه الكثرة التي كانت وراء إخضاعها إلى عملية الجمركة، كما كان لهذه الوفرة حيز معتبر ضمن التجارة الخارجية إلى جانب الحبوب، حيث شكلت إحدى أهم صادرات المنطقة منذ عهد ملوك الممالك المحلية، حيث اتخذت على أيامهم صفة الهدايا

لحلفائهم الرومان كعربون عن الود والصداقة، وما لبث هؤلاء أن وضعوا أيديهم عليهـا، حيث ظهرت مؤسسات متخصصة لها مكاتب بأهم المـوانئ، تشـرف علـى جلـب ونقـل الحيوانات عبر السفن، كسفن الايباقو المختصة في نقل الأحصنة.

امتد تأثير المحيط الطبيعي الذي نشأ فيه الإنسان قـديما إلى مجـال المعتقـدات الدينيـة، حيث اختار منها تلك التي ترمز إلى القوة والتوالد في الطبيعة مثل الأسد والكبش والثـور. ولا أعلم لما يميل بعض الباحثين إرجاع تلـك المعبـودات الحيوانيـة إلى أصـول مصـرية في حين أن ظاهرة تقديس الحيوانات كانت ميزة طبيعة كل المجتمعات البدائية ولم يخـتص بهـا مجتمع بعينه، ولا أقوى دليل على أصـالتها بالمنطقـة هـي الرسـوم الصـخرية المنتشـرة لهـا بمنطقة الجنوب الوهراني. خاصة وأن الإنسان المصري كما هو معـروف لم يهـتم بالتوسـع خارج حدوده الإقليمية إلا بعدما تعرض أراضيه إلى احـتلال الهكسـوس، ميـالا في ذلـك إلى التوسع شرقا في مقابل الاكتفاء بحملات تأديبية ضد قبائل المناطق الغربية.

ويـدعم هـذا الطـرح مـا جـاءت بـه النصـوص الكلاسـيكية علـى لسـان الشـاعر ماكروبيوس والأب أثناسيوس. ولا يسعني في هذا المقام إلا القول بأن تقديس الحيوانـات أصيل بالمنطقة، لكن هذا لا يـدعوني إلى نفـي أن جـزء هامـا منهـا كـان يقـدم كأضـاحي وقرابين للآلهة، ورموزا لآلهة محلية أخرى كانت شائعة بالمنطقة وعلى رأسها الـه الخصـوبة والتكاثر ساتورنوس « Saturnus ».

وبالمقابل، أجد قلة وانعداما شبه كلـي للقـرائن الـتي يمكـن أن تؤكـد علـى وجـود نباتات معبودة بالمنطقة قبل فترة الاحتلال الروماني، والتي انتشرت فيها مـع هـذا الأخـير عبادة الطبيعة وحامي الغابـات والـبراري الإلـه سـلفان« Silevain » الـذي عبـد بمعبـد لمباز« Lambaesis » ، كما نوهت شهادة أرنوب العائد إلى القرن الرابع المـيلادي بـبعض الممارسات والطقوس التعبدية التي اختص بها سكان المنطقة والتي تتمثل في ربـط الخيـوط والخرق ببعض فروع الأشجار اعتقادا منهم بأنها تطرد الشيطان.

سجلت الحيوانات والنباتات بالمنطقة حضورها في المجال السياسي حيث اعتمدت صور بعضهما كأيقونات بالعملة النوميدية التي لم تكن بغرض الزينة أو الزخرفة، بل رموز تدل على هوية الممالك المحلية، عاكستا لروحها حيث يأتي في مقدمتها الحصان والفيل، كما كان لبعض تلك الرموز علاقة بالواقع الجيوسياسي الذي يحيط بها، كظهور الملك ماسينيسا مثلا متوجا بإكليل من ورق الغار، وقد أصبحت تلك الرموز أكثر تعدد مما كانت عليه على أيام الملك يوبا الثاني حيث تنوعت مصادره التي استلهم منها صور عملته. وإلى جانب الرموز المحلية وجدت رموز رومانية بحكم نشأته وثقافته وأخرى مصرية ناجمة عن زواجه بكليوباترا سليني.

ومن المعلوم فقد ارتبطت عروض الحيوانات الأليفة والمتوحشة منها منذ ظهورها بروما بعالم السياسة التي قدمت في بداية الأمر من إفريقيا في شكل هدايا وعطايا قدمت من قبل حلفائهم من ملوك البربر، لكي تعرض بالمسارح المدرجة ومضامير السباقات والحدائق الخاصة، إلا أنها ما فتأت أن تحولت إلى حديقة خلفية بعد إنهاء استغلال مملكة موريطانيا الصوري سنة 40 ميلادية. حيث جز بآلاف الحيوانات بعدما كانت تقدر بالعشرات في ألعاب دامية من أجل تعبئة الجماهير لخطابتهم السياسية نظير الظفر بمناصب سياسية، أو لصرف أنظار العامة عن شؤون الحكم، وكثيرا ما لجا الأباطرة الرومان على برمجة عروض صيد للحيوانات لإظهار مدى فخامتهم ومدى قوتهم وعظمتهم ولإثارة الخوف والإعجاب في نفوس الناس، الذي دلت عليه سير الأباطرة الدامية التي تحمل الكثير من العنف ولم يكن تقديم الألعاب لأغراض سياسية حكرا على حكام روما، بل سار حدوهم الطامعون في المناصب السياسية والباحثون عن الرقي والتميز الاجتماعي بالولايات الرومانية بما فيها الإفريقية الذين أشارت اليهم مجموع النقائش المكتشفة بتبسة « Theveste»، عنابة« Hippone» ، مداوروش« Madauros» ، وسوق أهراس « Thagaste».

وشغلت مساهمة الحيوانات في المجال العسكري حيزا كبير، حيث أوكلـت الجيـوش القرطاجية والرومانية للفرسان النوميديين مهاما عدة كالاسـتطلاع، المناوشـة لجـر العـدو لأرض المعركة، المباغتة فالانقاض الخاطف على الخصم، وذلك بفضل الخصال التي يتمتع بها الحصان البربري ومقدرة الفارس النوميدي على التحكم فيه بكل سهولة وتأقلمه مـع مختلف التضاريس، كما كان اعتماد المؤسسة العسكرية القرطاجية على الفيلة كبيرا مقارنة بالرومانية التي تحصل عليها هؤلاء الآخرين ضمن قائمة المساعدات العسكرية التي قدمت لهم من طرف الملوك النوميديين.

هذا ولقد لعب الفرس والفارس النوميـدي دورا كـبيرا في حـروب التحريـر ضـد الهيمنة الرومانية على المنطقة، حيث أسندت لهم مهمة شن مـا يعـرف بحـرب العصـابات كالتي لجأ إليها يوغرطة وطاكفاريناس. ولم يكن لهذا السلاح فعاليـة لـو لم يكـن الفرسـان مجهزين بالحراب والرماح، والأقواس والسهام المصـنوعة مـن مـواد نباتيـة تتميـز بخاصـية المرونة والصلابة في الوقت نفسه.

وأتمنى أخيرا أني قد وفقـت ولـو جزئيـا في تغطيـة بعـض جوانـب الموضـوع الـتي أغفلتها بعض الدراسات، وأقر أن الأطروحة مازالت تنتقص إلى بعـض الجوانـب الـتي لم أقف عليها والتي ستكون في المستقبل مواضيع بحث مستقلة.



قائمة المصادر والمراجع

I) المصـــادر

1- المصادر الأدبية

1-1 المصادر المترجمة باللغة العربية

1) أثناسيوس الرسولي، رسالة إلى الوثنيين، ترجمة مـرقس داود، القـاهرة، مكتبـة المحبـة القبطيـة الأرثوذكسية، ط. 2، 2013.

2) ترتيليانوس ، المنافحة (دفاع عن التوحيد)، ترجمـة عمـار الجلاصـي، طـرابلس، منشـورات تامنغست، 2001.

3) ديون كاسيوس، التاريخ الروماني، ج.10، تقديم وترجمة وتعليق مصطفى غطـيش، تطـوان، كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2013.

4) سالوستيوس، حرب يوغرطة،ترجمة محمد العربي عقون، الجزائر، دار الهدى، 2010.

5) لوكيوس أبوليوس ، الحمار الذهبي (أو التحولات)، ترجمة عمـار الجلاصـي، طـرابلس، تامنغست، 2000.

6) يوليوس قيصر، حرب افريقية، ترجمة محمد الهادي حارش، الجزائر، دار هومة، 2000.

2-1 المصادر باللغة الأجنبية

7) Appien, *Histoire Romaine*, Le livre Carthaginois, T. IV, Livre VIII, P. Goukowsky (trad.), Paris, Les belles lettres, 2001.

8) Apulée, *Apologie*, *Florides*, P. Vallette (trad.), Paris, Les belles lettres, 1924.

9) Aristote, *Histoire des animaux*, T. I, Livres, I-IV, P. Louis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1964.

10) Aristote, *Histoire des animaux*, T. II, Livres, V-VII, P. Louis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1968.

11) Aristote, *Histoire des animaux*, T. III, Livres, VIII -X, P. Louis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1969.

12) Arrien, *La cynégétique*, T. Hillaud (trad.), Paris, BNF, 1909.

13) Athénée, *Les deipnosophistes*, Livre I-II, A. M. Desrousseaux, CH. Astruc (trad.), Paris, Les belles lettres, 1956.

14) Augustin(S.), *Sermons*, M. Raulx (trad.), Paris, Bar-le –Duc, L. Guerin et Cie, 1868.

15) Augustin (S.), *La cité de Dieu,* Volume 1, Livres I à X, L. Morceau (trad.), Paris, Seuil, 1994.
16) Caton, *De l'agriculture*, R. Goujard (trad.), Paris, Les belles lettres, 1975.
17) Caton, *Économie rurale*, Les agronomes latins, M. Nizard (trad.), Paris, J. J. Dubochet et compagnie, 1844.
18) Cicéron, *Verrines*, Œuvres complètes de Cicéron, Collection des Auteurs latins, M. Nisard (trad.), T. II, Paris, Dubochet, 1840.
19) Cicéron, *La république*, M. Mai (trad.), Paris, Didier, 1858.

20) Claudien, *Éloge de Stilicon,* Collection des auteurs latins, M. Nisard (trad.), Paris, Dubochet, 1837.
21) Claudien, *La guerre contre Gildon*, Œuvres poèmes politiques, J.L. Charlet (trad.), Paris, Les belles lettres, 1975.
22) Diodore de Sicile, *Histoire universelle*, A. Terrasson (trad.), Hachette, Paris, 1865.
23) Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique*, Livre XII, M. Casevitz (trad.), Paris, Les belles lettres, 1972.
24) Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique*, Livre III, B. Bommelaer (trad.), Paris, Les belles lettres, 1989.
25) Diodore de Sicile, *La bibliothèqu*e *historique,* T. II Livre II, B. Eck (trad.), Paris, Les belles lettres, 2003.
26) Diodore de Sicile, *La bibliothèque historique*, T. III, Livres XXVII-XXXII, P. Goukowsky (trad.), Paris, Les belles lettres, 2012.
27) Dion Cassius, *Histoire Romaine,* Livres 48 et 49, M. L. Freyburger, J. M. Roddaz (trad.), Paris, Les belles lettres, 1994.
28) Elien, *La personnalité des animaux*, A. Zuck (trad.), Paris, Les belles lettres, 2004.
29) *Expositio Totius Mundi et Gentium*, J. Rougé (trad.), Paris, Cerf, 1966.

30) Festus Gramaticus, *De la signification des mots*, A. Savagner (trad.), Paris, Panckouke, 1846.
31) Florus, *Histoire Romaine,* P. Jal (trad.), Paris, Les belles lettres, 1967.
32) Frontin, *Stratagèmes,* Collections des auteurs latins, M. Nisard (trad.), Paris, Didot, 1885.

33) Gargilius Martialis, *Les remèdes* tirés *des légumes et des fruits*, B. Mair (trad.), Paris, Les belles lettres, 2002.
34) Hérodote, *Histoire*, Ph. E. Legrand (trad.), Paris, Les belles lettres, 1982.
35) Homère, *L'Odyssée,* V. Bérard (trad.), Paris, Les belles lettres, 1955.
36) Horace, *Odes et épodes,* F. Villeneuve (trad.), Paris, Les belles lettres, 1959.

37) Horace, *Satires,* F. Villeneuve (trad.), Paris, Les belles lettres, 1969.
38) Jules César, *La guerre d'Afrique*, A. Bouvet (trad.), Paris, Les belles lettres, 1949.
39) Juvénal, *Satires,* P. de Labriolle, F. Villeneuve (trad.), Paris, Les belles lettres, 1950.
40) Lucain, *La Pharsale*, T. I, Livres I-V, A. Bourgery (trad.), Paris, Les belles lettres, 1962.
41) Lucain, *La Pharsale*, T. II, Livres VI-X, A. Bourgery, M. Ponchont (trad.), Paris, Les belles lettres, 1962.
42) Lucien, *Comment il faut écrire l'histoire*, A. Hurst (trad.), Paris, Les belles lettres, 2010.
43) Lucien, *Les Dipsades*, Œuvres complètes de Lucien de Samosate, T.2, E. Talbot (trad.), 3ed, Paris, Hachette, 1874.
44) Macrobe, *Saturnales*, Collections des auteurs latins, M. Nisard (trad.), Paris, Didot, 1854.
45) Martial, *Épigrammes*, J. Malaplate (trad.), Paris, Gallimard, 1992.
46) Némésien, *Bucoliques, La cynégétique, La chasse,* P. Volpihac (trad.), Paris, les belles lettres ,1975.
47) Oppien, *La cynégétique,* P.Bourdeaux (trad.), H. Champion, 1908.
48) Optat, *Traité contre les Donatistes*, T. I, Livres III-VII, M. Labrousse (trad.), Paris, Cerf, 1996.
49) Ovide, *Les métamorphoses*, J. Chamonard (trad.), Paris, Garnier-Flammarion, 1966.
50) Ovide, *Halieutiques*, E. de Saint-Denis (trad.), Paris, les belles lettres, 1975.
51) Ovide, *Pontiques*, J. André (trad.), Paris, les belles lettres ,1977.
52) Palladius, *De l'économie rurale*, Les agronomes latins, M. Nizard (trad.), Paris, J. J. Dubochet et compagnie, 1844.
53) Périple de Scylax, Paris, De Fortia, 1845.
54) Pétrone, *Satiricon*, A. Ernout (trad.), Paris, Les belles lettres, 1974.
55) Pline l'ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XI, A. Ernout (trad.), Paris, Les belles lettres, 1947.
56) Pline l'ancien, *Histoire Naturelle*, Livre VIII, A. Ernout (trad.), Paris, Les belles lettres, 1952.
57) Pline l'ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XVII, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1952.
58) Pline l'ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XXXII, E. de Saint-Denis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1952.
59) Pline l'ancien, *Histoire Naturelle*, Livre IX, E. de Saint Denis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1955.
60) Pline l'ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XIII, A. Ernout (trad.), Paris, Les belles lettres, 1956.

61) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XV, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1960.
62) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre X, E. de Saint Denis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1961.
63) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XVI, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1962.
64) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XIX, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1964.
65) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XX, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1965.
66) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XXI, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1969.
67) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XXII, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1970.
68) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XVIII, H. Le Bonniec (trad.), Paris, Les belles lettres, 1972.
69) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XXIV, J. André (trad.), Paris, Les belles lettres, 1972.
70) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre VII, R. Schlling (trad.), Paris, Les belles lettres, 1977.
71) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, J. Desanges (trad.), Paris, Les belles lettres, 1980.
72) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre VI, J. André, J. Flliozat (trad.), Paris, Les belles lettres, 1980.
73) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XXXV, J.M. Croisille (trad.), Paris, Les belles lettres, 1985.
74) Pline l’ancien, *Histoire Naturelle*, Livre XXXV, P.E. Dauzat (trad.), Paris, Les belles lettres, 1997.
75) Plutarque, *Les Vie des hommes illustres*, J. Amyot (trad.), Paris, Gallimard, 1959.
76) Polybe, *Histoire*, D. Roussel (trad.), Paris, Gallimard, 1970.
77) Pomponius Méla, *De Chorographia*, A. Silberman (trad.), Paris, Les belles lettres, 1988.
78) Procope, *La guerre contre les Vandales*, D. Roques (trad.), Paris, Les belles lettres, 1990.
79) Salluste, *La conjuration de Catilina*, *La guerre de Jugurtha*, *Fragments des histoires*, A. Ernout (trad.), Paris, Les belles lettres, 1989.
80) Sénèque, *Dialogue*, *De la vie heureuse*, *De la brièveté de la vie*, A. Bourgery (trad.), Paris, Les belles lettres, 2003.
81) Silius Italicus, *La guerre Punique*, 4vol, P. Miniconi, G. Devallet (trad.), Paris, Les belles lettres, 1979-1992.
82) Solin, *Polyhistor* , M.A. Agnant (trad.), Paris, Pankouke, 1847.

83) Strabon, *Géographie,* A. Tardieu (trad.), Paris, Hachette, 1886.
84) Suétone, *Les douze Césars*, T. I, M. Rat (trad.), Paris, Éditions Garnier frères, 1954.
85) Suétone, *Les douze Césars*, T. II, M. Rat (trad.), Paris, Éditions Garnier frères, 1955.
86) Symmaque, *Lettres*, T. IV, Livres IX-X, J.P. Callu (trad.), Paris, Les belles lettres, 2002.
87) Synésius, *Lettres,* H. Druon (trad.), Paris, Hachette, 1878.
88) Tacite, *Annales,* Livres I-III, P. Wuilleumier (trad.), Paris, Les belles lettres, 1974.
89) Tacite, *Annales,* Livres IV-VI, P. Wuilleumier (trad.), Paris, Les belles lettres, 1975.
90) Théophraste, *Recherches sur les plantes*, T. I, Livres I-II, S. Amigues (trad.), Paris, Les belles lettres, 1988.
91) Théophraste, *Recherches sur les plantes*, T. II, Livres III-IV, S. Amigues (trad.), Paris, Les belles lettres, 1989.
92) Théophraste, *Recherches sur les plantes*, T.III, Livres V-VI, S. Amigues (trad.), Paris, Les belles lettres, 1993.
93) Théophraste, *Recherches sur les plantes*, T. IV, Livres VII -VIII, S. Amigues (trad.), Paris, Les belles lettres, 2003.
94) Théophraste, *Recherches sur les plantes*, T. V, Livres IX, S. Amigues (trad.), Paris, Les belles lettres, 2006.
95) Tite-Live, *Histoire Romaine*, A. Flobert (trad.), Paris, Flammarion, 1994.
96) Varron, *Économie rurale*, CH. Guiraud (trad.), Paris, Les belles lettres, 1997.
97) Victor de Vita, *Histoire de la persécution Vandale en Afrique*, S. Lance (trad.), Paris, Les belles lettres, 2002.
98) Virgile, *Géorgiques*, E. de Saint-Denis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1963.
99) Virgile, *les bucoliques*, E. de Saint-Denis (trad.), Paris, Les belles lettres, 1970.
100) Virgile, *Énéide*, T. I, Livres I-IV, J. Perret (trad.), Paris, Les belles lettres, 1977.
101) Virgile, *Énéide*, T. II, Livres V-VIII, J. Perret (trad.), Paris, Les belles lettres, 1982.
102) Vitruve, *Les dix livres d'architecture,* C. Perrault (trad.), 2ed, Liège, Pierre Mardaga, 1979.

2- النقوش

103) Cagnat (R.), Schmidt (J.), Dessau (H.), *Corpus Inscriptionum Mauretaniae Latinarum supplementum,* VIII, Berlin, 1904.

104) Gsell (S.) *Inscription latines d'Algérie*, T.1, Paris, 1922.

3- المعطيات الأثرية

105) Courtois (C.), Leschi (L.), Perrat (CH.), Saumagne (CH.), *Tablettes Albertini,* Paris, Arts et métiers graphiques, 1952.

106) Demaeght (L.), *Catalogue raisonnée du musée d'Oran*, I, Oran, 1884.

107) Demaeght (C.), *Catalogue raisonnée des objets archéologiques du musée de la ville d'Oran,* 2 ed, Oran, L. fouque, 1932.

108) Doumergue (F.), *Catalogue raisonnée du musée d'Oran,* II, Oran, 1937.

109) Gsell (S.), *Atlas archéologique de l'Algérie,* Alger, 1911.

110) Hinglais (U.), *Catalogue du musée du Constantine,* Supl II, R.S.A.C., 38, 1904, p.1-402.

6- **المسكوكات**

111) Charrier (L.), *Description des Monnaies de la Numidie et de la Maurétanie*, Macon, 1912.

112) Mazard (J.), *Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque,* Paris, Arts et métiers graphiques, 1955.

II) المذكرات والرسائل الجامعية

1- باللغة العربية

113) ابياه سيدي محمد، المظاهر الثقافية والأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية بتفدست(أهقار) الصحراء الوسطى- الجزائر، مذكرة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2011-2012.

114) بنت النبي مقدم، سياسة الرومان اتجاه قبائل بلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران،2001 - 2000.

115) رضا بن علال، الألعاب في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2010-2011.

116) ستي صندوق، دراسة تنميطية للمصابيح المحفوظة بالمتحف الوطني أحمد زبانة، مذكرة ماجستر، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2005-2006.

117) لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية في شمال إفريقيا القديم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، الرباط، 2001-2002.

118) لويزة بلخيري، دراسة الحلي من خلال الرسم الصخري للطاسيلي الناجر(الصحراء الوسطى – الجزائر)، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2012

119) محمد الحبيب بشاري، دور المقاطعات الافريقية في اقتصاد روما بين 146 ق.م و285م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007.

120) محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م –1000 ق.م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ و الآثار، جامعة قسنطينة، 2008.

121) منير الحاج الطاهر، الثروة النباتية بشمال افريقيا القديم، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، الرباط، 1999-2000.

122) مها عيساوي ، المجتمع اللوبي القديم (من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة منتوري، 2009–2010.

123) نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009–2010.

2- باللغة الأجنبية

124) Bendaida (KH.), *Inventaire du genre Thymus et caractérisation de son cortège floristique dans les monts de Tessala (wilaya de Sidi Bel Abbès-Algérie*

occidental), Mémoire de Magister, Université Djilali Liabès, de Sidi Bel Abbès, Faculté des Sciences, 2008-2009.

125) Dib (S.), *Étude du pouvoir antimicrobien et mycorhizien de deux espèces de Terfez : Tirmania pinoyi (Maire) Malencon et Terfezia leptoderma Tul*, These de doctorat, Université d'Oran, Faculté des sciences, département de Biothechnologie, 2012.

126) El Mahi (F. Z.), *Contribution à l'étude de la composition chimique des glands de chênes vert (Quercus ilex), liège (Quercus suber), Kermès (Quercus coccifera) de la région de Tessala (Sidi Bel Abbès), Effets des traitements hydrothermiques*, Mémoire de Magister en biologie, Département de biologie, Université Djillali Liabès de Sidi Bel Abbès, 2004-2005.

127) Fetati (A.), *Dynamique végétale du taxon Pistacia atlantica Desf.*ssp.*atlantica dans la région nord occidentale oranaise ; aspects morphologiques, botaniques et valorisation*, Thèse de doctorat, Faculté des sciences de la nature et de la vie, université Djilali Liabès à Sidi Bel Abbes, 2012.

128) Le Corre (F.), *Le vêtement et la parure dans l'art rupestre néolithique nord Africain et Saharien*, *mémoire de maitrise*, université de Provence, 1982-1983.

129) Muzzolini (A.), *Les bœufs du Sahara central*, Thèse 3 cycle, Aix-en-Provence, Université de Provence, 1983.

III) المراجع

1) المراجع العربية

130) أ.ف غوتييه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، طرابلس، ليبيا، 1970.

131) ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم، Arabe 2771.

132) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المجلد 1-2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992.

133) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج.4، قدمه وحققه عبد الهادي التازي، الرباط، أكادمية المملكة المغربية، 1997.

134) ابن سينا، الأدوية المفردة والنباتات من كتاب القانون في الطب، تقديم جبران جبور، بيروت، منشورات مؤسسة المعارف،1971.

135) أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ج.2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003.

136) ب.ه ورمنقتن، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة عبد الحفيظ فضيل الميار، طرابلس، منشورات جامعة الفاتح، 1994.

137) بلكامل البيضاوية، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، الرباط، فيديبرانت، 2003.

138) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا،ج.2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.

139) خالدة عبد الحسين الربيعي، تاريخ الأزياء وتطورها، عمان، دروب، 2011.

140) عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد 6، تحقيق سهيل زكار وأخرون، بيروت، دار الفكر، 2000.

141) عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري، كشف الرموز في بيان الأعشاب، الجزائر، مطبعة ديلورد بوهيم ومرنيال، 1905.

142) عبد الغني ابن إسماعيل النابلسي، علم الملاحة في علم الفلاحة، مخطوط محفوظ بمكتبة الكونغرس بالولايات المتحدة .

143) عبد القادر حليمي، النباتات الطبية في الجزائر.www.uicnmed.org/nabp/web/documents/plante.pdf

144) عبد المالك بنعبيد، البيئة الطبيعية والنبات بالمغرب،تقييم وبيوجغرافيا ووظائف وقيم واستخدامات، الدار البيضاء، مؤسسة الملك بن عبد العزيز آل سعود، 2012.

145) عزيز طارق ساحد، آثار فجر التاريخ في الجزائر،الجزائر، دار المعرفة، 2011.

146) عفراء علي الخطيب، الثالوث الكوكبي المقدس، أحد مظاهر علاقات المغرب القديم وجنوبي شبه جزيرة العرب، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2002.

147) غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق العربي عقون، الجزائر،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ط2، 2012.

148) فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جابا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق.م-46 ق.م، الجزائر، منشورات أبيك،2007.

149) فرنسوا بيتراندي وموريس سينتزار، النصب البونية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، ترجمة محمد الصغير غانم، الجزائر، دار الهدى، 2012.

150) ك. ابراهيمي، تمهيد ماقبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير شنيتي و رشيد بورويبة الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، 2007.

151) ليونال بالو، الجزائر في ما قبل التاريخ، ترجمة محمد الصغير غانم، الجزائر، دار الهدى،2005.

152) مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، الجزائر المتحف الوطني سيرتا، 2007.

153) مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، الجزائر، المتحف الوطني سيرتا،2007.

154) مجموعة من المؤلفين، الحلي و المصوغات الجزائرية عبر التاريخ، الجزائر، المتحف الوطني الباردو، 2007.

155) محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، الجزائر، دار الحكمة، 2003.

156) محمد البشير شنيتي، التغييرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

157) محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج.1، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.

158) محمد البشير شنيتي، نوميديا و روما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال، الجزائر، كنوز الحكمة، 2012.

159) محمد السيد غلاب ويسرى الجوهري، الجغرافية التاريخية، عصر ما قبل التاريخ وفجره، القاهرة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 1997.

160) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992.

161) محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، الجزائر، دار الهدى، 2005.

162) محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية و الحضارة البونية، الجزائر،دار الهدى، 2006.

163) محمد الصغير غانم، سيرتا النومدية النشأة والتطور، الجزائر، دار الهدى، 2008.

164) محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، الجزائر، دار الهدى، 2007.

165) محمد الصغير غانم، مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم، الجزائر، دار الهدى، 2005.

166) محمد الصغيرغانم، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ، الجزائر، دار الهدى، 2006.

167) محمد الصغيرغانم، مواقع و حضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، الجزائر، دار الهدى، 2003.

168) محمد الصغيرغانم، مواقع ومدن أثرية،الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، 2007.

169) محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (صور ما قبل التاريخ و فجر التاريخ)، ج 1، وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

170) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر، دار الهدى، 2008.

171) محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992.

172) محمد عبد المؤمن، مدينة بورتوس ماغنوس- بطيوة – دراسة في تاريخها القديم، وهران، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، 2013.

173) مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2008.

174) مهنتل مقروس جهيدة، حاضرة قسنطينة، كيرتا النوميدية والرومانية، الجزائر، دار الهدى، 2011.

175) نصار الأندلسي، شخصيات نسائية من شمال افريقيا القديم، تطوان، مطبعة الخليج العربي، 2013.

176) هنري لوت، لوحات تيسيلي، تعريب أنيس زكي حسن، طرابلس- ليبيا، مكتبة الفرجاني،1976 .

2) المراجع باللغة الأجنبية

177) Alexandropoulos (J.), *Les monnaies de l'Afrique antique, 400, J.C-40 AP.J.C*, Presses universitaire du Mirail, Toulouse, 2007.

178) Amigues (S.), *Études de botanique antique*, Paris, De Bocard, 2002.

179) Aumassip (G.), Feraht (N.), Heddouche (A.), *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels*, Paris, L'Harmattan, 1994.

180) Aumassip (G.), *Trésors de l'Atlas saharien*, Alger, E.N.A.L., 1986.

181) Balout (L.), *Préhistoire de l'Afrique du nord*, Paris, Arts et métiers graphiques, 1955.

182) Benabou (M.), *La résistance Africaine à la romanisation*, Paris, François Maspero, 1976.

183) Benouniche (F.), *Le musée national des antiquités d'Alger*, Alger, Ministère de l'information et de la culture, 1974.

184) Benseddik (N.), *Les troupes auxiliaires de l'armée romaine* en Maurétanie *Césarienne sous le Haut-Empire*, Alger, S.N.E.D., 1983.

185) Berthier (A.), Charlier (A.), *Le sanctuaire Punique d'el- Hofra*, Paris, Arts et métiers graphiques, 1955.

186) Blas de Roblès (J.M.), Sintes (C.), *Sites et monument antique de l'Algérie*, Edisud, Aix-en-Provence, 2003.

187) Cagnat (R.), *Carthage, Timgad et Tébessa, villes antiques de l'Afrique du Nord*, Paris, Librairie Renouard et H. Laurens, 1909.

188) Cagnat (R.), Chapot (V.), *Manuel d'archéologies Romaine*, II, Paris, Auguste Picard, 1920.

189) Camps (G.), *Aux origine de la Béribérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca ar.ep.*, VII, 1962.

190) Camps (G.), *Les Civilisations Préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, Doin, 1974.

191) Camps (G.), *Les Berbères aux marges de l'histoire*, Paris, Hespérides, 1980.

192) Camps (G.), *Les Berbères mémoires et identité*, Paris, Errance, 1987.

193) Camps Faber (H.), *L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine*, Alger, 1953.

194) Camps Faber (H.), *La disparition de l'autruche en Afrique du Nord*, Alger, La Typo litho, 1963.

195) Camps Faber (H.), *Matière et art mobilier dans la préhistoire nord-africaine et saharienne*, Paris, Arts et métiers graphiques, 1966.

196) Cauvet (C.), *Le chameau*, Paris, J.B. Bailliére et fils, 1925

197) Chastagnol (A.), *la fin du monde antique*, Paris, Nouvelles éditions latines, 1976.

198) Chastagnol (A.), *Le Bas-Empire*, Paris, Armand Colin, 1991.

199) Cintas (P.), *Céramique Punique*, Paris, kliksiech, 1950.

200) Dahmani (S.), Morel (J.P.), *Mosaïque d'Hippone*, Annaba, Musée d'Hippone, 1993

201) De Candolle (Alph.), *Origines des plantes cultivées*, 3ed, Paris, Revue et augmentée, 1886.

202) De Pachetère (M.F.G.), *Inventaire des mosaïques de la Gaule et de l'Afrique*, T.3, Paris, Ernest Leroux, 1925.

203) Decret (F.), Fantar (M.), *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Paris, Payot et rivages, 2ed, 1998.

204) Desanges (J.) *Catalogue des tribus des Africains de l'Antiquité classique de l'ouest de Nil*, Dakar, Publication de la section d'histoire, 1962.

205) Dubois-Pelerin (E.), *Le luxe* privé à Rome et en *Italie au 1er siècle après J.C*, Naples, Centre Jean Bérard, 2008.

206) Ferdi (S.), *Mosaïques des eaux en Algérie*, Alger, Régie sud Méditerranée, 1998.

207) Ferdi (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchel*, Paris, CNRS, 2005.

208) Ferrah (A.), *L'Algérie, Civilisations anciennes du Sahara*, Alger, ANEP, 2005.

209) Flamand (GB.M), *Les pierres écrites*, Paris, Masson, 1921.

210) Gauthier (E.F.), *Le passé d'Afrique du Nord, les siècles obscurs*, Paris, Payot, 1937.

211) Goblet D'Alviella (E.), *La migration des symboles*, Paris, Ernest Leroux, 1891.

212) Gsell (S.), *Musée de Tébessa*, Paris, Ernest Leroux, 1902.

213) Gsell (S.), *Exploration scientifique de l'Algérie 1840-1845*, Paris, Ernest Leroux, 1912.

214) Gsell (S.), *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. I-VIII, Paris, Hachette, 1918-1928.

215) Gsell (S.), *Les monuments antiques de l'Algérie*,T. I et II, 2e édition, Ain dafla, Dar Alif, 2011.

216) Hachid (M.), *Les pierres écrites de l'Atlas Saharien, El-Hadjra-Mektouba*, 1-2, Alger, ENAG, 1992.
217) Hachid (M.), *Le Tassili des Ajjer, aux sources de l'Afrique, 50 siècles avant les pyramides*, Paris, Méditerranée, 2000.
218) Hamman (A.G.), *La vie quotidienne en Afrique du nord au temps de Saint Augustin*, Paris, Hachette, 1979.
219) Huard (P.), Allard-Huard (L.), *Les gravures rupestres du Sahara et du Nil, Études scientifiques*, Le Caire, Pères jésuites en Égypte, 1981.
220) Hugot (H. J.), *Le Sahara avant le désert*, Toulouse, Hespérides, 1974.
221) Ibba (A.), Traina (G.), *L'Afrique Romaine*, Paris, Bréal, 2006.
222) Lassère (J.M.), *Ubique Populus, peuplements et mouvements de population dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146a.c-235 p.c.)*, Paris, CNRS, 1977.
223) Le Quellec (J.L.), *Symbolisme et art rupestre du Sahara*, Paris, L' Harmattan, 1993.
224) Leclant (J.), Huard (P.), *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara, T1*, Alger, 1980.
225) Lecoq (A.), *Le commerce de l'Afrique Romaine*, Oran, L. Fougue, 1912.
226) Leglay (M.), *Saturne Africain, Histoire*, 1, Paris, E. de Boccard, 1966.
227) Leglay (M.), *Saturne Africain, Monuments*, 2, Paris, CNRS, 1966.
228) Lhote (H.), *La chasse chez les Touaregs*, Paris, Amiot Dumont, 1951.
229) Lhote (H.), *A la découverte des fresques de Tassili*, Paris, 1958.
230) Lhote (H.), *Les chars rupestres sahariens des syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes*, Paris, Hespérides, 1982.
231) Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)*, T.1- 2, Alger, SNED, 1976.
232) Lhote (H.), *Le Hoggar, espace et temps*, Paris, Armand colin, 1984.
233) Lhote (H.), *Les gravures rupestres de l'Atlas saharien, Monts des Ouleds –Nail et région de Djelfa*, Alger, Office du parc national du Tassili, 1984.
234) Lieutaghi (P.), *Le livre des arbres, arbistes et arbisseaux*, Arles, Actes sud, 2004.
235) Lieutaghi (P.), *Le livre des bonnes herbes*, Arles, Actes sud, 2004.
236) Loche, *Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842*, T.1, Paris, Arthus Bertrand, 1867.
237) Maire (R.), *Flore de l'Afrique du Nord*, T. I, Paris, Paul Le chevalier, 1952.
238) Maire(R.), *Flore de l'Afrique du Nord*, T. IV, Paris, Paul Le chevalier, 1957.
239) Maire (R.), *Flore de l'Afrique du Nord*, T. V, Paris, Paul Le chevalier, 1958.

240) Maire (R.), *Flore de l'Afrique du Nord,* T.VII, Paris, Paul Le chevalier, 1961.

241) Maire (R.), *Flore de l'Afrique du Nord,* T. XI, Paris, Paul Le chevalier, 1964.

242) Marec (E.), *Hippone la royale, antique Hippo Regius*, Alger, Direction de l'intérieur et des beaux-arts, service des antiquités, 1954.

243) Picard (G .CH.), Rougé (J.), *Textes et documents relatifs à la vie économique et sociale dans l'empire romain 31avant J-C-225 après J-C*, Paris, S.E.D.E.S, Regard sur l'histoire, 1969.

244) Picard (G.CH.), Picard (G.CH.), *Les religions de l'Afrique antique,* Paris, Plon, 1954.

245) *La civilisation de l'Afrique Romaine,* 2ed, Paris, Études Augustiniennes, 1990.

246) Pomel (A.), *Nouveaux matériaux pour la flore atlantique,* Paris, Savy, 1874.

247) Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Les rhinocéros quaternaires,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1885.

248) Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Bubalus Antiquus,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1893.

249) Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Caméliens et Cervidés*, Alger, Imprimerie P. Fontana, 1893.

250) Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Bœufs -Taureaux,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1894.

251) Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Equidés,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1897.

252) Pomel (A.), *Carte géologique de l'Algérie, Paléontologie, monographie, Ovidés,* Alger, Imprimerie P. Fontana, 1897.

253) Quezel (P.), Santa(S.), *Nouvelle flore de L'Algérie et des régions désertique méridionales,* T. 1, Paris, CNRS, 1962.

254) Quezel (P.), Santa (S.), *Nouvelle Flore de l'Algérie et des régions désertiques méridionales,* T. 2, Paris, CNRS, 1963.

255) Rachet (M.), *Rome et les Berbères, un problème militaire d'Auguste à Dioclétien,* Bruxelles, Coll. Latomus, vol 110, 1970.

256) Renoux (G.), *Les archers de César, Recherches historiques, archéologiques et paléométallugiques sur les archers dans l'armée romaine et leur armement de César à Trajan*, Sarrebruck, Editions Universitaires Européennes, 2010.

257) Rival (M.), *La charpenterie navale Romaine,* Paris, CNRS, 1996.

258) Roubet (C.), *Économie pastorale préagricole en Algérie orientale,* Paris, CNRS, 1997.

259) Salama (P.), *Panorama de l'Algérie Romaine, II, l'activité industrielle et commerciale,* Alger, Société nationale des entreprises de presse, 1948.

260) Salama (P.), *Les voies romaines de l'Afrique du Nord,* Alger, Imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, 1951.

261)

262) Saoudi (N.E.), *Les temps préhistorique en Algérie*, Alger, Daliman, 2002.

263) Seurat (L.G.), *Études zoologiques sur le Sahara*, Alger, la Typo-Litho et Jules Carbonel, 1934.

264) Seurat (L.G.), *Exploration zoologique de l'Algérie de 1830 à1930,* Paris, Librairie de l'académie de médicine, 1930

265) Shaw (T.), *Voyage dans la régence d'Alger,* M. Carthy (trad.), Tunis, 2ed, Bouslama, 1980.

266) Sintes (C.), *Algérie antique*, catalogue de l'exposition de 26 avril17aout 2003 Arles, Éditions du Musée de l'Arles et de la Provence antiques, 2003.

267) Tissot (CH.), *Géographie comparée de la province Romaine d'Afrique,* 1, Paris, Imprimerie nationale, 1886.

268) Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique,* Tunis, Université de Tunis, 1969.

269) Vuillemot (G.), *Reconnaissances aux échelles puniques d'Oranie,* Paris, Autin, 1965.

III) المقالات

1) باللغة العربية

270) البيضاوي بلكامل، نباتات المغرب الأقصى من خلال مؤلف ابن البيطار"الجامع لمفردات الأدوية والاغذدية"، الجمعية المغربية للبحث التاريخي.

BELKAMEL%20ARTICLE.pdf /wp-content/Articles / http://www.amrh.ma

271) البيضاوية بلكامل، مصادر ابن البيطار الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، نبتة الفربيون نموذجا، مائدة مستديرة في موضوع: الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الاسلامي في العصر الوسيط، الدار البيضاء، مؤسسة لآل سعود 18-21دجنبر2008، الرباط، منشورات عكاظ، 2011، ص.147-177.

272) أم الخير العقون، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين، عصور، العدد3، 2003، ص.159-168.

273) جيهان ديزانج، البربر الأصليون، تاريخ إفريقيا العام، مج2، حضارات إفريقيا القديمة، تورينو، مطابع كانالي، 1985، ص.441-456.

274) رضا بن علال، العربات القتالية في المغرب القديم، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد15، 2005، ص. 5-23.

275) عبد الحميد بعيطيش، علاقة إنسان الطاسيلي بالوسط الطبيعي في الفترة النيوليتية،12/ 03/ 2012، منتدى ملوزة.

276) عبد القادر دراجي، المظاهر الفنية في المغرب منذ 13.000 سنة الزخرفة والنحت على قشور بيض النعام، مجلة الدراسات الأثرية، العدد2، 1992، ص. 6- 23.

277) عزيز طارق ساحد، المنحوتات الصحراوية للمتحف الوطني الباردو- الجزائر، حوليات المتحف الوطني للآثار، 14، 2004، ص. 57- 79.

278) لخضر بن بوزيد، الجمل في ماقبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة الآثار الإلكترونية، بتاريخ 14/ 05/ 2013

279) محمد البشير شنيتي، تطور المسكن الريفي في شمال إفريقيا قديما، دراسات انسانية ، العدد الأول ، 2001، ص. 13- 31.

280) عزيز طارق ساحد، التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث في الجزائر: معطيات واشكاليات، أعمال الملتقى الوطني الأول حول المدينة والريف، المنعقد يومي 06-07 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، ص. 167- 193.

281) محمد الهادي حارش، أصول عبادة أمون في المغرب القديم، مجلة التاريخ،العدد24، 1992،ص.7-14.

282) ياسمينة شايد سعودي، دراسة إحائية لأحصنة كلومناطة (الجزائر الغربية) من العصر الحجري القديم المتأخر *Libyca Anthr.Préh.Ethn.*, XXXIII, 1984-1986, p. 175-205

1- المقالات باللغة الأجنبية

283) Akli (N.), L'exploitation des ressources de la mer dans l'Algérie Antique, *Actes du colloque international de Boulogne-sur-mer, 12, 13 et 14, mai 2005, Les cahiers du littoral-2, n°6,* édités par J. Napoli, 2008, p. 117- 125.

284) Akli (N.), L'art de l'ivoire, Annales M.N.A., 13, 2003, p. 38-43.

285) Alexandropoulos (J.), Aspects militaire de l'iconographie monétaire Numide, *Cahiers des études anciennes*, XLIX, 2012, p. 211-234.

286) Alfaro Giner (C.), La teinture de draps dans les provinces Romaines du Nord de l'Afrique, *Atti dell' XI convegno di studio Cartagine, 15-18 dicembre 1994, L'Africa romana*, XI, 1, 1996, p. 823-836.

287) Amigues (S.), Végétaux étranges au remarquables du Maroc antique d'après Strabon et Pline l'ancien, *Ant.Afr.*, 38-39, 2005, p. 39-54.

288) Arambourg (C.), Les mammifères quaternaires de l'Algérie, *B.S.H.N.A.N.*, 20, 1929, p. 63-84.

289) Aumassip (G.), Betrouni (N.), Hachi (S.), Une structure de cuisson de sauterelles dans les pots archéologiques de tin Hanakaten(Tassili-n-Ajjer Algérie), *Libyca, Anthr.Préh.Ethn.*, XXX-XXXI, 1982-1983, p. 199-202.

290) Aumassip (G.), Tauveron (M.), Le Sahara central à l'Holocène. Considérations générale, *Colloque L'Arte e l'ambiente del Sahara Preistorico: dati e interpretazioni, Milan, 24-27 octobre1993, Mémoire dell Societa Italiana de scienze Naturali e del Museo Civico di storia naturale diMilan*, 1993, 26, fasc. II, p. 63-80.

291) Aumassip (G.), Tauveron (M.), Vernet (R.), L'élevage au Sahara, in, *Milieux, Hommes et techniques du Sahara préhistorique : problèmes actuels,* Paris, L'Harmattan, 1994, p. 137-160.

292) Aumassip-kadir (G.), Les chevaux anciens du Maghreb, Communication présentée au 5° salon du cheval d'El Jadida, p. 1-13. *www.vfzb.de/Wissen/Kadr_2012_Jadida.pdf*

293) Austruc (M.), Supplément aux fouilles de Gouraya, *Libyca ar.ep,* II, 1954, p. 9-48.

294) Bagtache (B.), Hadjouis (D.), Eisemmann (V.), Présence d'un equus caballin (equus algéricus n.sp) et d'une autre espèce nouvelle d'equus (equus melkiensis n.sp) dans l'Atérien des Allobroges, Algérie, *C.R.Ac.Sc, Paris,* Série2, 298/14,1984, p. 609-612.

295) Baldur (G.), Foyers néolithiques et paléoécologie au Sahara, *Actes du colloque international de béni –abbés,* 1983, p. 175-185.

296) Balout (L.), Esperandieu (G.), La chèvre peinte d'Amguid, *Libyca. Anthr.Préh.Ethn.*, II, 1954, p. 155-162.

297) Barbin (A.), Fouilles des abris préhistorique de la Mouillah (Deuxième campagne), *B.S.G.A.O.*, 32, 1912, p. 389-402.

298) Barbin (A.), Fouilles des abris préhistoriques de la Mouillah, prés Marnia, *B.S.G.A.O.*, 30, 1910, p.77-90.

299) Belhadj (S.), Les pistacherais Algériennes : état actuel et dégradation, *XI colloque du grimpa sur le 7-7 pistachier et l'amandier, 1-4 septembre1999, Cahiers options Méditerranéennes, 56, 2001, p. 107-109. /http://om.Ciheam.org /om/pdf/c56/01600161pdf*

300) Benseddik (N.), Potter (T.W.), Fouilles du forum de Cherchel, 1977-1981, *B.A.A*, 6[eme] supplément ,1993, p. 1-402.

301) Berthier (A.), Logeart (F.), Gravures rupestres de Sigus, *R.Af.*, LXXXI, 1937, p. 391-393.

302) Berthier (A.), Nicives et Suburbures, Nomades ou sédentaires, *B.A.A*, 3, 1968, p. 293-300.

303) Bertrandy (F.), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle av J.C- IVe ap.J.C), *M.E.F.R.A.*, 99, 1987, p. 211-241.

304) Bosco (J.), Solignac (M.), Notice sur les vestiges préhistoriques de la commune du khroub (El Haria), *R.S.A.C.*, 45, 1911, p. 319-346.

305) Calebasse, *E.B.*, XI, 1992, p. 1710-1713.

306) Callegarin (L.), Productions et exportations africaines en Méditerranée occidentale (Ier siècle av.-IIe siècle de n. è.), *Pallas*, 68, 2005, p. 171-201.

307) Camps (G.), Le cheval et le char dans la préhistoire nord africaine et saharienne, *Actes du colloque de Sénanque : les chars préhistorique du Sahara, archéologie et techniques d'attelage, du 21-22 Mars1981, Université de Provence, Aix-en-Provence,* 1982, p. 9-22.

308) Camps (G.), Quelques réflexions sur la représentation des équidés dans l'art rupestre nord-africain et saharien, *B.S.P.F.*, 81, 1984.

309) Camps (G.), Acridophagie, *E.B.*, I, 1984, p. 111-112.

310) Camps (G.), Africanae, *E.B.*, II, 1985, p. 217-221.

311) Camps (G.), Le bestiaire libyque d'Hérodote, Bulletin archéologiques du *C.T.H.S.*, 20-21, 1984-1985, p. 17-27.

312) Camps (G.), Le jeune mouton et la mer, recherche sur les premiers navigations en méditerranée, *Travaux du L.A. P.E.M.O.*, 1986, p1-18.

313) Camps (G.), Andalouses, *E.B.*, V, 1988, p. 639-640.

314) Camps (G.), Âne, *E.B.*, V, 1988, p. 647-657.

315) Camps (G.), Animisme, *E.B*, V, 1988, p. 660-672.

316) Camps (G.), Araire, *E.B.*, VI, 1989, p. 844-848.

317) Camps (G.), Des incertitudes de l'art aux « erreurs » d'Hérodote, La faune des temps néolithiques et protohistorique de l'Afrique du nord, *C.R.A.I.*, 1990, p. 35-55.

318) Camps (G.), Bélier à sphéroïde, IX, 1991, p. 1417-1433.

319) Camps (G.), Bubalus antiquus, *E.B.*, XI, 1992, p. 1642-1647.

320) Camps (G.), Le cerf en Afrique du nord, In préhistoire, *Anthropologie méditerranéennes*, 1992, p. 127-133.

321) Camps (G.), Chars (art rupestre), *E.B.*, XII, 1993, p. 1877-1892

322) Camps (G.), Cheval (origines), *E.B.*, XII, 1993, p. 1907-1911.

323) Camps (G.), Dattes/ Dattiers, *E.B.*, XV, 1995, p. 2234-2245.

324) Camps (G.), Dieux africains et Dii Mauri , E.B., XV, 1995, p. 2321-2345.

325) Camps (G.), Peyron (M.), Dromadaire, *E.B.*, XVII, 1996, p. 2540-2554.

326) Camps (G.), Dromadaire, *E.B.*, XVII, 1996, p. 2541-2554.

327) Camps (G.), Fennec, E.B., XVIII, 1997, p. 2752-2753

328) Camps (G.), Gurzil, *E.B.*, XXI, 1999, p. 3258-3259.

329) Camps (G.), Les origines de la domestication dans le nord de l'Afrique (dactylographique), p. 1- 30.

330) Camps -Faber (H.), Les sculptures néolithiques de l'Erg d'Admer. Leurs relations avec celles du Tassili N'Ajjer, XV, *Libyca Anthr.Préh.Ethn.*, 1967, p. 101-123.

331) Camps -Faber (H.), parures des temps préhistorique en Afrique du Nord, *Libyca Anthr.Préh.Ethn.*, VIII, 1960, p. 9-218.

332) Camps -Faber (H.), Autruche, *E.B.*, VIII, 1990, p. 1176-1187.

333) Camps -Faber (H.), Coquillages, *E.B.*, XIV, 1994, p. 2088-2092.

334) Camps -Faber (H.), Gazelle, *E.B.*, XX, 1998, p. 2999-3007.

335) Camps -Faber (H.), Girafe, *E.B.*, XX, 1998, p. 3137 -3147.

336) Camps -Faber (H.), Goundi, *E.B.*, XXI, 1999, p. 3174-3177.

337) Camps -Faber (H.), Guépard, *E.B.*, XXI, 1999, p. 3231-3234.

338) Camps -Faber (H.), Hérisson, *E.B.*, XXII, 2000, p. 3445-3451.

339) Camps -Faber (H.), Hyène, *E.B.*, XXIII, 2000, p. 3553-3558.

340) Camps -Faber (H.), Ivoire, *E.B.*, XXV, 2003, p. 3813-3817.

341) Capderou (M), Soleilhavoup (F), Deux stations de l'Atlas saharien : Lahsi et Dermel, une association originale de l'homme et du bélier, *B.S.P.F.*, 94, 1997, p. 609-618.

342) Chaid Saoudi (Y.), Contribution à la connaissance des faunes préhistoriques d'Algérie, *I.K.O.S.I.M.* 1, 2012, p. 7-23.

343) Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec l'Espagne pendant le Haut Empire : note préliminaire, *L'Africa romana*, XVI/3, Rabat, 2004, Roma, 2008, p. 1413-1418.

344) Charène (Ch.), Les relations commerciales de la Numidie et de la Maurétanie Césarienne avec Rome, notes préliminaires, *Atti del XV convegno di studio Tozeur, 11-15 dicembre 2002, L'Africa romana*, XV/2, 2004, p. 973-987.

345) Chatelain (M.L.), Le culte de silevain en Afrique et l'inscription du sers (Tunisie), *M.E.F.R.*, 30, 1910, p. 77-97.

346) Chebbi (N.), Les réalités économiques et sociales dans les métamorphoses d'Apulée, *L'Afria romana*, XXII, 2008, p. 113-138.

347) Cornevin (M.), Les néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique, *B.S.P.F.*, 79, 1982, p.439-450.

348) Costo, Fiche descriptive de Vicia Faba, Tela botanica.org/bd tfx-nn-7158.

349) Cour (A.), Le culte du serpent dans les traditions populaires du Nord-Ouest Algérien, *B.S.G.A.O.*, 31, 1911, p. 57-75.

350) Debrguge (A.), Faune de la grotte des hyènes, *R.S.A.C.*, 42, 1928-1929, p. 179-185.

351) Demougeot (E.), Le chameau et l'Afrique du Nord Romaine, *Annales E.S.C.*, XV, 1960, p. 209-247.

352) Deniaux (E.), L'importation d'animaux d'Afrique à l'époque Républicaine et les relations de clientèle, *Geografi, viaggiatori, militari nel Maghreb : alle origini dell'archeologia nel Nord Africa : atti del XIII convegno di studio*, Djerba, 10-13 dicembre 1998, Roma, 2000, p. 1299-1307.

353) Despois (J.), Les peuplement préhistorique de l'Afrique du nord, d'après M. L. Balout, *Annales de géographie*, 66,1957, p. 456-.459.*www.persee fr/web/revue/home/prescript/article/geo_0003-4010_1957*.

354) Doumane (S.), Liège, *E.B.*, XXVIII-XXIX, 2008, p. 4409-4412.

355) Doumergue (F.), Poirier, La grotte préhistorique de l'Oued Saïda, *B.S.G.A.O.*, 14, 1894, p. 105-127.

356) Doumergue (Ch. A.), Serpents du Hoggar, *Bulletin de liaison Saharienne*, 30, 1958, p. 128- 130.

357) Doumergue (F.), La grotte du Polygone (Oran), *B.S.G.A.O.*, 47, 1927, p. 205-254.

358)

359) Dupuy (A.), Espèce menacées territoire Algérien, *I.R.S.*, XXV, 1966, p. 29-56.

360) Dupuy (C.), Denis (B.), Les robes des taurins dans les peintures de la tassili –n- Ajjer (Algérie) : polymorphisme ou fantaisies ?, *Cahier de l'A.A.R.S.*, 15, 2011, p. 29-46.

361) E.B., Citrus (Thuya), *E.B.*, XIII, 1994, p. 2027-2028

362) E.B., Cochon, *E.B.*, XIII, 1994, p. 2028-2031.

363) El Briga, Genette, *E.B.*, XX, 1998, p. 3014-3015

364) Emberger (L.), Contribution à la connaissance des cèdres et en particulier du Déodar et du cèdre de l'Atlas, *Revue botanique appliquée et d'agriculture coloniale*, 198, 1938, p. 77-92.

365) Esperandieu (G.), Chèvre, *E.B.*, XIII, 1994, p. 1913-1918

366) Esperandieu (G.), Coppé (G.) et E.B, Chien, *E.B.*, XIII, 1994, p. 1919-1924

367) Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans l'Afrique au néolithique et dans la protohistoire d'après les figurations rupestres, A*ctes du Congrès panafricain de préhistoire*, 2, 1952, p. 551-573.

368) Esperandieu (G.), Eléphant, *E.B.*, XVII, 1996, p. 2598-2606

369) Evreinoff (V.A.), Quelques observations biologiques sur l'amandier, *Revue international de botanique appliqué et d'agriculture tropicale*, n°359-360,1952, p.442-459.

370) Féraud (L.Ch.), Histoire des villes de la province de Constantine, *R.S.A.C.*, 14, 1870, p. 1- 291.

371) Gast (M.), Cèdres, E.B., XII, 1993, p. 1834-1836.

372) Gast (M.), Doum, palmier, *E.B.*, XVII, 1996, p. 2532-2536.

373) Gast (M.), Fouette-queue, *E.B.*, XIX, 1997, p. 2918-2919.

374) Gast (M.), Quezel(P), Genévrier, *E.B.*, XX, 1998, p. 3016-3023.

375) Gatier (P.L.), Des girafes pour l'empereur, *Topoi*, 6/2, 1996, p. 903-941.

376) Gsell (S.), Thanaramusa (Berrouaghia), *R.Af.*, LIII, 1909, p. 20-25.

377) Hamdoune (C.), Navigation, *E.B.*, XXXIII, 2012, p. 5299-5310.

378) Hinglais (V), Catalogue du musée archéologique de Constantine, *R.S.A.C.*, 38, 1904, p. 1- 402.

379) Huard (P.) nouvelles figurations Sahariennes et nilo. Soudanaises des bœufs porteurs, montés et attelés, *B.S.P.F.*, 65, 1968, p. 114-120.

380) Huard (P.), Allard (L.), Les figurations rupestres de la région de Djelfa (sud-algérois), *Libyca*, *Anthr.Préh.Ethn.*, XXIV, 1976, p. 67-125.
381) Huard (P.), Allard (L.), Les gravures rupestres de l'Oued Djérat, Nord du Tassili, *Libyca*, *Ant.Préh.Ethn*, XXI, 1973, p. 169-222.
382) Joleaud (L), Études de géographie zoologique sur la berberie, I- Les cervidés, *R.Af.*, LVI, 1912, p. 471-499.
383) Joleaud (L), Études de géographie zoologique sur la Berberie, II, Les bovinés, *R.Af.*, LIX, 1918, p. 33-86.
384) Joleaud (L), Études de géographie zoologique sur la berberie, III, Les hippotraginés, *B.S.G.A.O.*, 38, 1918, p. 89-118.
385) Joleaud (L), Études de géographie zoologique sur la berberie, Les rongeurs, III les Cténodactylinés, *B.S.H.N.A.N.*, XIV-XV, 1923-1924, p. 59-67.
386) Joleaud (L), Gravures rupestres et rites de l'eau en Afrique du Nord, *J.S.A.*, III, 1933, p. 197-282.
387) Joleaud (L), Le rôle des singes dans les traditions populaires nord-africaines, *J.S.A.*, 1, 1931, p. 117-150.
388) Joleaud (L), Notice géologique et paléontologique sur la grotte des pigeons (Constantine), *R.S.A.C.*, 50, 1916, p. 25-35.
389) Joleaud (L), Sur l'âge de l'elephas africanus en Numidie, *R.S.AC.*, 48, 1914, p. 207-210.
400) Joleaud (L), Sur l'âge des éléphants quaternaires d'Algérie, *B.S.H.N.A.N.*, VI, 1914, p. 130-134.
401) Judas (A.), Sur quelques animaux attribués ou refusés à la Libye par Hérodote, *R.S.A.C.*, 9, 1865, p. 1-22.
402) Lacroix (F.), Afrique ancienne, *R.Af.*, XIV, 1870, p. 12-97.
403) Lancel (S.), Suburbures et Nicives : Une inscription de Tigisis, *Libyca ar.ep.*, III, 2, 1955, p. 289-298.
404) Lassère (J.M.), Le cheval barbe à l'époque antique, *E.B.*, IX, 1991, p. 1355-1360.
405) Lassère (J.M.), Miracles et vie économique en Afrique au V[e]s., À propos d'un troupeau de cochons de miraculis Sancti Stephani protomartyris libri duo, I,14, *L'Africa romana*, VIII/1, 1991, p. 305-312.
406) Lassus (J.), La salle à sept absides de Djemila-Cuicul, *Ant.Afr.*, 5, 1971, p. 193-207.
407) Lavauden (L.), Les gazelles du Sahara central, *B.S.H.N.*, 17, 1926, p. 11-27.
408) Le Cœur (CH.), Les Mapalia Numides et leur survivance au Sahara, *Hesperis*, 24, 1937, p. 29-45.

409) Leglay (M.), Inscription du Castellum Tidditanorum, *R.S.A.C.*, 65,1942, p. 154-183.
410) Leglay (M.), Le serpent dans les cultes Africains, *Latomus*, 28, 1957, p. 338-353.
411) Leglay (M.), La vie religieuse a Lambèse d'après de nouveaux documents, *Ant.Afr.*, 5, 1971, p. 125-153.
412) Leschi (L.), Rome et les nomades du Sahara centrale, *I.R.S.*, 1, 1942, p. 1-14.
413) Leveau (PH.), Nouvelles inscriptions de Cherchel, *B.A.A.*, VI, 1975-1976, p. 83-166.
414) Lhote (H.), Gravures peintures et inscriptions rupestre du kaouar, l'Air et de l'Adrar des Iforas, *Bulletin de l'IFAN*, XIV, 1952, p. 1268-1340.
415) Lhote (H.), La station de chars gravés de l'oued Lar'ar (Sud Oranais), *Libyca Anth.Préh.Ethn.*, X, 1962, p. 131-169.
416) Lhote (H.), Addax, *E.B.*, II, 1985, p. 117-119.
417) Louni (DJ.), Les forêts Algériennes, Forêts méditerranéenne, XV, 1994, p. 59-63.
418) Manlius (N.), Mouflon (à manchettes), *E.B.*, XXXII, 2010, p. 5077-5082.
419) Martin (A.), Hippagogi, *D.A.G.R.*, III,V.1, p. 185.
420) Mauny (R.), Une route préhistorique à travers le Sahara Occidental, *Bulletin l'Institut Français d'Afrique Noire*, IX, 1-4, 1947, p. 341-357.
421) Merlin (A.), Le génie au lézard de Djemila (Cuicul), *R.S.A.C.*, 68, 1952, 68, p. 97-106.
422) Merzoug (S.), Outarde, *E.B.*, XXXVI, 2013, p. 5994-5996.
423) Morel (J.), La faune de l'escargotière de Dra-Mta-El-Ma-El-Abiod, *L'Anthropologie*, fasc78, 2, 1974, p. 299-320.
424) Morizot (P.), Les échanges commerciaux entre la cote méditerranéenne et à l'intérieur du maghreb au IIe siecle vu au travers du tarif Zaria, *Actes du colloque de bastia*, 2003, Paris, *C.T.H.S.*, 2009, p. 158-171.
425) Muzzolini (A.), Agabi (C.), Bernus (E.), Bœufs(Préhistoire), *E.B.*, X, 1991, p. 1547-1557.
426) Muzzolini (A.), La datation des premiers bœufs domestiques sur les figurations rupestres au Sahara central, La période bubaline, *B.A.I.E.P.E.*, 3, 1981, p. 15-35.
427) Muzzolini (A.), Le vocabulaire zoologique relatif aux bœufs en Egypte, au Maghreb et au Sahara durant l'Holocène, *B.A.I.E.P.E.*, 4, 1982, p. 21-31
428) Pallary (P.), La sablière d'Aboukir, *B.S.G.A.O.*, 17, 1887, p. 47.

429) Reggasse (M.), Étude sur une station ancienne du néolithique découverte à Abd el Adhim (grand erg occidental), *R.S.A.C.*, 55, 1923-1924, p. 217-236.
430) Rfheinach (S.), Elephas, *D.A.G.R.*, 2, 1892, p. 536.
431) Roffo (P.), Sépultures indigènes antéislamiques on pierre sèches, *R.Af.*, LXXXII, 1938, p. 197-242.
432) Roschach (E.), Corbis, Corbula, *D.A.G.R.*, I, 2, p. 1504-1505.
433) Roubet (C.), Lièvre-Lapin, *E.B.*, XXVII, 2008, p. 4412-4416.

434) Roubet (C.), Lion, *E.B.*, XXVII, 2008, p. 4416-4419.
435) Rubuffat (R .), Nomadisme et archéologie, *Colloque dans l'Occident Romain, Ier siècle av. J-C.-Ive siècle ap.J.-C., École Française de Rome, 3-5 décembre 1987*, Rome, p. 231-247.
436) Siziani (Y.), le Sapin de Numidie, Agence nationale pour la conservation de la nature, *www .uicmned.org/web/Documents /awarensess/44, PDF*
437) Solignac (M.), Note sur la faune recueillie par M.Debruge à Mechta el Arbi, *R.S.A.C.*, 55,1923-1924, p. 87-91.
438) Spruytte (J.), Le cheval barbe, *E.B.*, IX, 1991, p.1352.
439) Terras (M.), Labani (A.), Khiloufi (B.), Adda Hanifi (N.), Dynamique phytoécologique du Thuya de Berberie face à l'incendie, *Forêt méditerranéenne*, XXIX, 2008, p. 33-40.
450) Trabut (M .L), L'indigénat de la fève en Algérie, B.S.B.F., 57, 1910, p. 91-93.
451) Trécolle (G.), Antilopes, *E.B.*, VI, 1989, p. 793-795
452) Trécolle (G.), Camps (G.), Chacal, *E.B.*, XII, 1993, p. 1857-1859
453) Trécolle (G.), Le mouflon, Dactylographie, p. 1-10.
454) Troussel (M.), Le sanglier animal totémique, *R.S.A.C.*, 70, 1957-9, *p. 25-38.*
455) Trousset (P.), La pêche et ses techniques sur les cotes de l'Africa, *Méditerranée antique : pêche, navigation, commerce*, Paris, 1998, p. 13-32.
456) Vincent (M.M.), Vase Ibérique du cimetière Est de Portus Magnus, *Libyca ar.ep*, 1, 1953, p. 13-22.
457) Vuillemot (G.), Jas d'ancres antique aux andalouses, *B.S.G.A.O.*, 79, 1956, p. 15-19.
458) Vuillemot (G.), Siga et son port fluvial, *Ant.Afr.*, 5, 1971, p. 39-86.

IV) الموسوعات والمعاجم

باللغة العربية:

459) سهيل ادريس، المنهل، قاموس فرنسي-عربي، بيروت، منشورات دار الآداب، 1998.

460) حسان قبيسي، معجم الأعشاب و النباتات الطبية، بيروت، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع،2007.

باللغة الأجنبية:

461) Atlas des parcs nationaux Algériens, publié par le parc national. de Théniat

462) Rey (A.), *Le petit Robert des noms propres*, Paris, Dictionnaires Le Robert, 1996.

463) Gaffiot (F.), Dictionnaire illustré, Latin-Français, Paris, Hachette, 1934.

464) Russel (T.), Culter (C.), L'encyclopédie mondiale des arbres, Paris, Hachette, 2008.



الفـــهارس العامة

فـــهرس الأمــاكن والبلدان

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الواو

ﮔحرف الألفﮕ

ﮔحرف الباءﮕ

حرف التاء

حرف الجيم

فــــهرس الحيوان

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

فـــهرس النبـات

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

فـــهرس الصــور



فهرس الموضوعـات

فهرس الموضوعات

الملخص:

الهدف المرجو من خلال هذه الدراسة التعريف بالمحيط الطبيعي الذي نشأ فيه إنسان فترة ما قبل التاريخ والعصر القديم بشكل موضوعي، مع إبراز ايجابياته وسلبياته وذلك بتقديم حوصلة عن حجم ما تم اكتشافه من بقايا حيوانية متحجرة متوحشة أو مستأنسة بالمواقع الأثرية لفترة ما قبل التاريخ، وصور دالة عنه سواء بالرسوم الصخرية، لوحات الفسيفساء والنقوش الكتابية، وجمع ما هو متناثر بين ثنايا سطور المصادر الإغريقية واللاتينية التي تعرضت لها بالذكر، والأمر ذاته ينساب بدوره على الغطاء النباتي من أشجار وشجيرات غابية وأعشاب برية، مع تحديد أهم النشاطات المهنية والحرفية التي استغلت فيهما، إلى جانب المجالات الأخرى كالسياسي والديني والعسكري.

الكلمات المفتاحية:

الحيوان- النبات- الاستئناس- المتوحشة- البرية- الحرف- الرعي- التجارة- المسكوكات- الديانة- العسكري- السياسي.

Résumé :

Le but de cette recherche est d'étudier d'une manière la plus objective possible l'environnement naturel (faune et flore) dans lequel l'homme a évolué au cours de la période préhistorique et de la période antique, en exposant les avantages et les inconvénients de cet environnement en Algérie comme espace géopolitique. Nous ne sommes pas limités à lire les œuvres imprimées des écrivains antiques grecs et latins dont ils convoquent des précieux témoignages sur le sujet, nous avons également utilisé un ensemble inestimable de témoignages archéologiques dont les gravures rupestres, les inscriptions, la mosaïques, la numismatique,…Nous avons défini et traité des aspects en relation avec cet environnement dont économique, religieux et militaire.

Mots clés :

Algérie, Préhistoire, Antiquité, Faune, Flore, Domestication, Artisanat, Pâturage, Commerce, Numismatique, Religion, Militaire, Politique.